

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة العربي التبسي - تبسة-



تخصص: نقد حديث ومعاصر

كلية الآداب واللغات

قطب: تبسة

قسم اللغة والأدب العربي

بنية المعنى وآليات إنتاجه في النقد السيمائي السردى المغاربي

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في النقد الحديث والمعاصر

إشراف الأستاذ الدكتور:

رشيد رايس

إعداد الطالبة:

بريزة بهلول

أعضاء لجنة المناقشة

الصفة	الجامعة	الرتبة	الأستاذ
رئيساً	جامعة العربي التبسي - تبسة -	أستاذ التعليم العالي	لزهر فارس
مشرفاً ومقرراً	جامعة العربي التبسي - تبسة -	أستاذ التعليم العالي	رشيد رايس
عضواً مناقشاً	جامعة العربي التبسي - تبسة -	أستاذ محاضر - أ-	رشيد سلطاني
عضواً مناقشاً	جامعة الأخوة منتوري قسنطينة - 1-	أستاذ التعليم العالي	دياب قديد
عضواً مناقشاً	جامعة الشاذلي بن جديد- الطارف-	أستاذ محاضر - أ-	نعمة بوسكين
عضواً مناقشاً	جامعة باجي مختار - عنابة -	أستاذ محاضر - أ-	السبتي سلطاني

السنة الجامعية: 2018 / 2019



إهداء

إلى قلب ما كنت أظن يوماً إنني سأناجي طيفه في فكري وبقايا صور

قد كان رفقتي وذكراه دافعي مع كل حرف سطر

وما غيابه إلا فجوة في مكان، فروحه تعلن الحضور الدائم.

إلى روح أبي الغالي - رحمه الله -

إلى النور المتبقي وسط عتات الدنيا، إلى أمي الحبية.

التشكر

أول الشكر لله **محرره** ، على توفيقه إياي وتيسيره لإنجاز البحث

فوجب له الحمد والثناء عدد ما شاء وكيفما شاء

ثم الشكر والعرفان إلى مؤطري الكريم الأستاذ الدكتور

" رشيد رابح "

على صبره ودعمه لي خوض غمار البحث

فله أسمى عبارات الاحترام والامتنان

وآخر الشكر لعائلي المحترمة من أهل وصحبة

التي لم تفتر يوماً عن دعمي

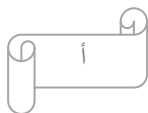
دمتم للعلم سراجاً منيراً

مقدمة

تخرج اللغة الشعرية الأدبية عن الغايات التواصلية إلى وظيفة وغايات مغايرة تمامًا مجسدة في الأبعاد الجمالية والفنية التي يستشعرها ويستشفها الكاتب والقارئ على حد سواء، فتأخذ في حدها علاقة بمفهوم الأدب ذاته، حين لا نعده تعبيرًا باللغة عمّا نقول فقط. إذ نبحت في نظامها عن الفنية والأدبية، فتتحول اللغة من الدلالة التواصلية التي يتمتع بها كل فرد مقيم لنظامها، متداول لدوالها، إلى الدلالة الأدبية قوامها الإبداع؛ أو ما يسمى الشعرية، لتعديها مهمة إيصال المعلومة وإفهام المتلقي إلى هيمنة الجمالية، المرتبطة بمدى شاعرية الأديب بما يكتب، وكيفية صنعه لمعانٍ بكيفية مخصوصة، وينسق لغوي فني، يرتفع عن أي نسق عادي، هنا تتكفل السيميائية بالغوص في عوالم الإبداعات الدلالية ضمن هذه اللغة الشعرية؛ كمنهج يتقصى المعنى، يربط العلاقات بين البنى الدلالية الحاصلة في زوايا النص، لإنتاج معناه في رؤية احتمالية يقبلها النص، إلى جانب عدد لا متناهٍ من إنتاجية المعنى المفترض له.

إن الغاية من أي قراءة، مهما اختلفت اتجاهاتها النقدية، هي البحث بطريقة إبداعية وجمال عن المكون الدلالي؛ لتكوين صورة فنية موازية للنص المقروء. فالموضوع المعول عليه وموضوع أي نص هو المضمون، الفكرة، الدلالة والمعنى، وتحت أي اتجاه أو جنس من أجناس التعبير الأدبي لا يكون إنتاج المعنى إلا في إطار لغوي معمق البناء مشحون بانزياحات ودلالات ورمزيات وآليات الكتابة التي تعدل بالنص إلى عوالم الأدبية، فيخرج من بؤرة النص المغلق إلى المتحرك المنفتح على التعددية واحتمالات المعنى، فلا يُؤمّن معجم النص دلالاته ومعانيه المحصلة من الترابط الجملي له، بل لا ملجأ إلا للتأويل وافتراس الدلالة. ووفق هذا المنظور طرحت عدة إشكالات حول المعنى كعطى أولي في تركيب العلامة؛ بل في المنظومة الكونية بأسرها.

اشتغل تفكير علماء الأدب والنقد بقضايا المعنى، وانشغل بها، وليس ذلك حديثًا، بل إن القصة أزلية منذ بداية رحلة البحث عن الحقيقة، والوجود، والمعنى. ولا شك أن عمل هؤلاء جاء لصالح النص الإبداعي، لأن المبتغى الأسمى هو إيجاد قواعد وقوانين تحكم فعل قراءة النصوص الأدبية، واستجلاء مكن أدبيتها وشعريتها التي تميزها عن غيرها من الكتابات الإنسانية.



من منطلق أن المعنى حجر زاوية مؤسس للعملية الإبداعية وقانوننا أزلما فيها - لا يمكن تجاهله أبدا، ولا تجاهل الكيفية التي يتجلى فيها- دفعت السيميائية السردية بطاقتها وإجراءاتها النقدية لتُدْرَس بمنطقية ومنهجية مقننة الآليات النص المحكي، وجعله بؤرة دلالية، يختزن مدلولات عميقة قابلة للتفجير في أي لحظة قراءة.

ولأن صيغ تنظيم المعنى في المنطق المحكي واضحة الإجراءات في النقد السيميائي السردى حسب مبتدعها ألجيرداس جوليان غريمانس، أردنا توضيح دراسة النقد المغاربي لبنية المعنى ضمن قوانين هذا المنهج، وتبيان آليات إنتاجه بمسح لأهم الأعمال السيميائية السردية في الساحة النقدية المغاربية فجاء بحثنا موسوم بـ: "بنية المعنى وآليات إنتاجه في النقد السيميائي السردى المغاربي".

شغلني المعنى كإستراتيجية متمنعة على القارئ، فهو جوهر النص، الذي يسعى الأخير بكل تقنياته التعبيرية أن يختزنه في بنائه، حتى يكتب له الخلود والبقاء، فأسرار معناه تجعله حيا في عيون القراء ويكون مسعاهم ومطلبهم في تفجير دلالاته، ويبني النص الأدبي حصنا متينا يغري الفحول المتخصصين في فن الكشف والتأويل المزود بالمرجعية والآلية المنهجية، المساعدة على شق درب الدلالة والمعنى، فيعمل التقاء أفق النص مع أفق القارئ إلى انبعاث خلاق لرؤية دلالية جديدة، يحيا فيها النص بثوب معنى احتمالي يلبسه ولا يرفضه، على أمل إرساء وجه جديد ممكن، يثبت استمراره وخلوده. وبين هذا وذاك، يطرح المعنى، وتطرح معه عدة إشكالات منها:

- ماذا يريد أن يقول النص؟ كيف صيغ النص ومعناه؟ من أين نبدأ في البحث عن المعنى داخل النص؟ وماذا نريد منه نحن كقراء؟
 - ما الآليات التي تضبطه؟ وهل ما يطرح من دلالات حوله تمثل حقيقته حقا؟ وإن كانت كذلك لما نكلف أنفسنا عناء البحث في نص معناه كشف وانتهى؟
 - من أين يأتي التعدد، إذن؟
- دفعني هالة الغموض التي تحيط بالمعنى، وكم التساؤلات حوله، أن أتبع سيره والبؤر الأساسية لصياغته وقواعد إنتاجه وتحصيله، وأن أبحث عن قوامه من منظور

النقد السيميائي السردي المغاربي، في محاولة لإيجاد أسس نظرية عامة، تعلن عن مشروع تنظير سيميائي للمحكي في ساحة النقد المغاربي على وجه الخصوص، والتعرف على كيفية إخراج دلالات النصوص، وآليات إنتاج المعنى من منظور القارئ السيميائي المغاربي .

والذي زادني إصرارًا على الخوض في موضوع المعنى، إلى جانب اهتمامنا الذاتية والفضول في التعرف على آراء النقاد السيميائيين تجاهه، أردنا أن نزود القارئ بالرؤى النقدية المغاربية حوله عبر النظرية السيميائية السردية الغريماسية، ومدى استيعابها لمفهوم المعنى وإمكانيات توليده واحتمالية وضع قواعد تكون مقولات لتنظير نظرية عربية في سيمياء السرد. والتطلع إلى معرفة المواقف السائدة عند بعض النقاد المغاربية عن ما جاء به غريماس من آليات تكشف المعنى. كل هذه الاهتمامات صغتها في التساؤل الرئيسي الآتي:

ما المقومات والإجراءات التي اعتمدها النظرية السيميائية السردية من منظور النقد المغاربي لضبط آليات بناء وإنتاج المعنى والكشف عنه في الإبداعات الأدبية؟

هذا التساؤل الرئيسي يحمل عدة أوجه تفترض مناقشتها، وتطرح نفسها بالحاح ضمن التساؤلات الآتية:

- ما المعنى؟ ما أهم الميكانزمات النقدية المغذية للمعنى؟
 - ما المفاهيم والآليات التي يتكئ عليها القارئ لتوليد المعنى في ظل السيميائية السردية؟
 - ما واقع النظرية في الساحة العربية المغاربية في ظل التبعية النقدية للغرب؟
 - كيف نظّر المغاربة للمنهج السيميائي السردية؟
- من أجل الإجابة عن مختلف الأسئلة أعلاه كان لابد من إتباع منهج نقد النقد لاشتغالنا على المتون النقدية المغاربية، في رؤيتها المكتملة للمنهج السيميائي السردية أو المرتكزة على المقولات الجزئية منه، وهذا تماشياً مع طبيعة المدونة، مع استعاني بالتي الوصف والتحليل حسب مقتضيات البحث وسيرورة القراءة، كما لا تفوتني الإشارة إلى الاستعانة ببعض المفاهيم المنبثقة عن نظريات نقدية مختلفة؛ كنظرية القراءة والسيميائيات

في عمومها، لقناعتني بعدم تعارضها والمنهج المختار وإسهامها في بلورة كثير من القضايا بطريقة تفيد أطوار تشكل الأطروحة وبنائها.

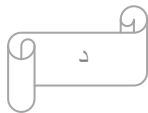
وجاء تقرينا للمعنى وفق المنهج الغريماسي من خلال البحث في أهم الأعمال التي تناولته في المغرب العربي (الجزائر، المغرب، تونس)، نذكر منها أعمال رشيد بن مالك وعبد المالك مرتاض وسعيد بنكراد، وجمال الحضري ومحمد الناصر العجيمي وسمير المرزوقي...، وما تغيب لييبا عن الدراسة إلا لانعدام الشبه الكلي لهذا الدرس في ربوعها، اللهم عمل لعبد الحميد المالك.

وقد كان للساحة العربية النقدية عمومًا والمغربية على وجه الخصوص الحظ الأوفر في مثل هذه الدراسات العلمية التي أثرت الجانب الفكري في مجال السيميائيات، والذي سبقتنا إلى الخوض فيه قامات يشهد لها في التفوق والإجادة في طرح المنهج عربيًا، وكان لها الفضل في تمكينه للقارئ فأضحت أعمالهم للباحثين -وأدرج نفسي بينهم- الموارد الأساسية للخوض في السيميائية السردية من هاته الأعمال، مؤلفات رشيد بن مالك سعيد بنكراد: محمد النصر العجيمي، سمير المرزوقي شاكر، وغيرهم. إلى جانب كم معتبر للكتب الأجنبية في السيميائيات عن أعلام المنهج مترجمة بقلم هؤلاء السيميائيين المغاربة.

تفضلت علينا مثل هذه الدراسات في بسط إشكال إنتاج المعنى على ضوء المنهج المختار بالقدر الذي قدرناه، وأفادتنا حقا في إنجاز الأطروحة، فكانت بحق المراجع المساعدة على إضاءة جوانبها، وأيدتنا بالتوفيق في استخراج مقولات النقاد المغاربة حول المعنى، والسيميائية السردية، وإن كان الطالب يتشتت ويختار في كم الكتب التي تدخل حقل بحثه، إلا أننا نعترف لها بتوجيهنا في عملية القراءة والبحث، وتسديد خطانا وأفكارنا بالقدر الذي اقتدرنا عليه، خصوصا مع وجود الكتب المترجمة عن بيئتها التي أنتجتها، والتي تعد مراجع هامة في صوغ فرضيات البحث.

وكان لزاما أن نجزي الإشكالات المصاغة أعلاه إلى فرضيات، ضبطت بدورها في فصول البحث الأربعة، وحددتها في:

- الفصل الأول: المعنى بين ميكانزمات النقد وآليات الإنتاج.

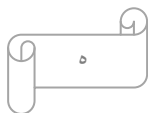


- الفصل الثاني: مفاهيم السيميائية السردية في النقد المغاربي.
 - الفصل الثالث: آليات إنتاج المعنى في السيميائية السردية المغاربية: المستوى العميق .
 - الفصل الرابع: إنتاج المعنى في السيميائية السردية المغاربية: المستوى السطحي.
- أصلنا في الفصل الأول لتعريف مصطلح المعنى المعجمي والاصطلاحي، بمختلف المفاهيم المقاربة له، والتفصيل بينه وبين مصطلحي الحد والدلالة، ثم الوقوف على بنيته في ظل ميكانزمات النقد، من شرح وتحليل وتأويل، وصلته بثالوث الإبداع الأدبي (النص - المؤلف - القارئ)، كما عايناه وفق التناص كآلية لإنتاج المعنى، وفي نهاية جزئيات الفصل عرضنا سيرورة المعنى في ظل تواجد المنهج وتوضيح انتقال المنهج من دراسة الدال إلى المدلول.

أما عناصر الفصل الثاني المعنون بمفاهيم السيميائية السردية في النقد المغاربي فتراوحت بين التأسيس للمنهج السيميائي السردية وتبيين مفهومه ومرجعياته حسب ما جادت به الدراسات النقدية المغاربية في هذا الجانب، وبين واقعه في الساحة النقدية المغاربية وإشكالات استقباله وتبنيه.

تبدأ جزئيات الفصل من التعريف اللغوي والاصطلاحي لمصطلح السيميائية والسيميائية السردية كفرع منها، وتقصي آراء النقاد المغاربة في إشكالية تسمية المنهج ومرجعياته الفكرية وسماته النقدية. وأخيرا واقعه الذي ناقشه العديد من المغاربة دلالة على تجذره في إشكالات النقد العربي التي لا نستثني منها ما يחדش السيميائية السردية.

يبحث الفصل الثالث والرابع من الأطروحة في آليات إنتاج المعنى في مستويي النقد السيميائي السردية، فيشمل الفصل الثالث إجراءات بناء المعنى من خلال توضيح الآليات العامة للنظرية السيميائية السردية، بالنظر في آلية التقطيع وتحديد مفهوم البنية السردية على اعتبارها الوحدة الأساسية التي تسمح بالتحليلين السطحي والعميق، ثم توضيح كيفية إنتاج المعنى وكشفه بآليات المستوى العميق المتمثلة في المكونات المرفولوجية والتشاكل والمربع السيميائي كمنطلقات من عمق النص نحو سطحه .



أما الفصل الرابع سننظر في وسائل ومرتكزات قراءة المعنى على المستوى السطحي للمنهج المذكور، المتمثلة في المكونين السردى والخطاي، فالأول يعرض البرامج والملفوظات السردية إلى جانب الترسمة العاملية بوصفها نسق وتصور نظري، وبوصفها إجراء يطبق على النص بتفعيل الخطاطة السردية، أما الثاني سوف نقف فيه على ثلاث خطوات تحليلية وعملية لتحديده، وهي:

- الصور والمسارات التصويرية.

- الغرض والدور الغرضي.

- الفعل والقائم بالفعل.

وطبعا كل هذه الآليات المرصودة في الفصلين الأخيرين مأخوذة من تنظيرات النقد المغاربي للمنهج، وتطبيقاتهم المحاولة لتقريب كيفية أعمال المنهج في النصوص السردية. يتخلل كل ذلك رؤى ومواقف مؤيدة أو معارضة لبعض المقولات النقدية والجوانب الفكرية للمنهج السيميائي السردى.

والملاحظ في عرضنا أنه لم يكن مبنياً على نماذج بعينها من النقد المغاربي الذين يُعتدّ بهم في تفصيل النظرية السيميائية السردية، والمنظرين لها، من أمثال بنكراد وبن مالك، ، فليس بيدنا حيلة لسبيين:

01- طبيعة المدونات النقدية في السيميائية السردية المغاربية: فقد تم ملاحظة نسقية متشابهة في طرح أفكار غريماس المنظر للمنهج المذكور، وعند جمعي للمادة العلمية التي توضح خطوات ومعالم المنهج وجدتني قد وقعت في مصيدة التكرار لما أوجده المغاربة في هذا الشأن، والذي هو نفسه عندهم جميعا، مما اضطرني للعدول عن أخذ نماذج بعينها ودراستها وفق ما جاءت به النظرية السيميائية السردية، وتبيين مستوى تنظيرها للمنهج، واستبدال العينات بنوع من المسح للكتابات النقدية في هذا المجال، والاشتغال على وجود النظرية في الساحة المغاربية، وكذا رؤيتها لعملية إنتاج المعنى على ضوءها، إضافة إلى ترصد بعض الملاحظات التي دونها المغاربة حولها، مع مزج أقوالهم التنظيرية ببعض التطبيقات لتقريب المنهج عملياً للقارئ.

02- كثرت الدراسات السيميائية السردية المتنوعة بين التنظير والتطبيق، بالوجه الذي كاد يكون متطابقًا، وعلى نفس سيرة المنهج بوتيرة صاحبه غريماس، مما جعلني أحمى عن اختيار العينة وتعويضها بمسح للقراءات النقدية؛ حتى أجمع ما استطعت من أقوال وإجراءات تضبط رؤية موحدة لآليات قراءة وإنتاج المعنى وفق مقولات المنهج مغاريبًا. كانت هذه الأسباب من جملة الصعوبات التي لاحت بأفقها على سير العمل ناهيك عن طبيعة البحث في بنية المعنى وآليات إنتاجه، التي تعد من الدراسات الموسوعية الشاغلة لكل الاتجاهات الأدبية، وكانت تمثل حقيقة البحث في الوجود أصلاً، فما قامت نظرية ولا ولت إلا وشغلها الشاغل البحث في المعنى، وكيفية ظهوره لذا كان التفتيش عنه والإحاطة به صعب المنال ويحتاج برمجة دقيقة لضبطه، واستخلاص الأهم الذي قيل حوله من كم لا يحصى ولا يعد من الدراسات التي خاضت في جوهره وملابساته.

بيد أن ما اعترضنا من صعاب ذلها الإصرار الحثيث على البحث وإنجاز العمل وإعانة الكثير من النفوس الطيبة الراقية من أهل وأصدقاء وزملاء دراسة وعمل، فكان لوجودهم وإعانتهم مادياً ومعنوياً الدعم الأكبر في المضي قدماً نحو إنهاء الأطروحة، فلا يسعني إلا أن أنخي عرفاناً وشكراً لكل فرد منهم قريباً كان أم بعيداً.

وأخص بالشكر أولاً **الله العزيز القدير** على تمكينه لي إنجاز عملي، وأعاني على تحصيله بين دفعتي المذكورة، ثم إلى أستاذي المؤطر الأستاذ الدكتور "رشيد رايس" فقد تحمّل مني الكثير حتى إخراج البحث في الصورة التي هو عليها. وإلى الجامعة المحتضنة لانجازاتنا جامعة العربي التبسي، لكونها منبر علم ننتهل المعرفة من مقاعدها. والشكر موصول مسبقاً للجنة القراءة التي سنتكبد عناء تمحيصه وتقييمه.

وأخيراً، نرجو من الله عز وجل أن نكون قد وفقنا في هذا العمل، وأن يجعله مثمراً يضيء جانباً من القضايا النقدية المطروحة فيه، وأن ينال الرضا المعرفي عند كل من اطلع عليه، وأن يسدد خطانا في إيصال هذه الرسالة إلى المبتغى المطلوب. وأدعو الله التوفيق والسداد لنا ولجميع من سلك في العلم درباً.

الفصل الأول

المعنى بين ميكانيزمات النقد وآليات الإنتاج

تمهيد:



قيل في تعريف الأدب: أنه كلام فني جميل حول الكون والفكر والحياة والإنسان وأنه القدرة على التعبير الصادق عن تجربة حيّة، وعمّا يجول بالنفس من فكرة أو عاطفة.⁽¹⁾ تستوقفنا فكرة بسيطة من هذا التعريف، تتبادر للذهن مباشرة حول شقي التعبير الأدبي، المتمثلين في المعنى والشكل، فإن كان الشكل في فترة من النقد الأدبي ركيزة العمل والتحليل، للاعتقاد في أنه مكن وجاهة الإبداع الأدبي، فإن التيارات الفكرية المعاصرة أدارت كفة الأدبية نحو المعنى، الذي لم يعد مطروحًا في الطريق - بتعبير الجاحظ - يستطيعه كل من يمتلك فكرًا.

ينتج المعنى جزاء تضافر العلاقات الدلالية بين مدلولات النص من جهة، وتفعيل القراءة من جهة أخرى، التي هي حصيلة تفاعل القارئ بإجراءاته مع النص بمكوناته، فلا نستطيع حصر المعنى في مبدع النص فحسب، إنما أيضًا من شأن القراءة المتفاعلة المنتجة أن تحدد ماهية النص وتركيباته، وتحصيل تيماته ودلالاته، واستثمار جميع بنياته لتوليد معناه الجمالي، في نص أدبي لن ينقص في شاعريته عن شاعرية إنتاجه الأول.

ليست دراسة المعنى بالأمر الجديد في التفكير الإنساني، فقد درسه قبلاً اليونان الأوائل، فضلاً عن دراسات الهنود القديمة في مباحث كتابهم الديني "الفيدا"، جلها متعلقة بالبحث في طبيعة العلاقة بين اللفظ والمعنى، وتطابقه - أي اللفظ - مع التصور الذي يحمله العقل عنه.

(1) - محمد بوزواوي، معجم مصطلحات الأدب، الدار الوطنية للكتاب، الجزائر، (د ط)، 2009، ص: 18.

I. المعنى: التأصيل والمفهوم:

يعد سؤال ما المعنى؟ وكل التساؤلات الملحقة به من الإشكالات الصعب الإجابة عنها؛ لأن المسألة معقدة أكثر مما نتوقع، ويعود وجه التعقيد فيها إلى أبعاد فلسفية عميقة ضاربة بجذورها في الوجود الإنساني، وتفسيره لمعنى الكون ككل، والإجابة عنه تتطلب حفريات في تاريخ هذا الوجود، والغور السحيق في إرهاصات درس اللغة واتصاله بدراسة المعنى، والإحاطة بما يمكن أن يدخل في بؤرة مفهوم هذا المصطلح ولهذه الاعتبارات، نحاول قدر الإمكان مقارنة معناه، والإحاطة بحدّه بما توفر لدينا من إمكانيات معرفية ولغوية.

1- ما المعنى؟:

كي نبسط الإجابة عن هذا السؤال الفلسفي، نستحضر- قدرًا من التعريفات اللغوية والاصطلاحية النقدية، علّها تقرب مفهومه، بصورة بعيدة عن التصورات الأنطولوجية الفلسفية الغارقة في التوجهات الميتافيزيقية.⁽¹⁾

1-1- لغة:

من مجمل ما جمعناه من تعاريف لغوية لمفهوم المعنى مستقاة من المعاجم العربية القديمة، أن:

- لفظ المعنى مأخوذ من الجذر العربي (ع، ن، ا)، عنا، يعنو، عنوة... والعنوة هي: الخضوع والذل والقهر يقال: «عنا الرجل، يعنو، عنوا وعناء، إذا ذل لك واستأسر»⁽²⁾ «عنوت فيهم عنوا وعناء صرت أسيرًا... والعنوة الاسم منه، والقهر والمودة "ضد

(1)- الأنطولوجيا في الفلسفة اليونانية تعني "الكيثونة وعلم الوجود وعلم تجريد الوجود، من الفروع الأكثر أصالة وأهمية في الميتافيزيقيا. يبحث هذا العلم في الكشف عن طبيعة الوجود اللامادي وفي القضايا الميتافيزيقية المترتبة على التصورات أو المفاهيم والقوانين العلمية، مثل المادة والطاقة والزمان والمكان والكم والكيف والعلة والقانون والوجود الذهني... وإيجاد أي كان أو كيثونة وأي أنماط لهذه الكيثونات الموجودة في الحياة. ومع كل هذا فإن الأنطولوجيا ذات علاقة وثيقة بمصطلحات دراسة الواقع. أنظر: علم الوجود، ويكيبيديا الموسوعة الحرة، الموقع الإلكتروني: <https://ar.wikipedia.org/wiki/>

(2)- أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، مادة (ع ن ا) ط 02، مج 10، 2003، ص: 314.

- والعوانى النساء لأنهن يظلمن فلا ينتصرن.»⁽¹⁾
- « عَنَوْتُ الشيء : أبديته، وعنوت به وعنوته: أخرجته، وأظهرته... قال ابن سيدة: هذه الكلمة واوية ويائية ... يقال للأرض لم تَعْنُ بشيء: أي لم تنبت شيئاً، ولم تَعْنِ بشيء، والمعنى واحد، كما يقال: جثوت عليه التراب وجثيت... »⁽²⁾
- حسب قول الأزهري- «معنى كل شيء: محتته وحاله، التي يصير إليها أمره. وقال الراغب: المعنى إظهار ما تَصَمَّنَه اللفظ،... وقال الفارابي أيضاً: ومعنى الشيء ومعناته واحد، ومعناه، وفخواه، ومقتضاه، ومضمونه كله، هو ما يدل عليه اللفظ، ... وقد استعمل الناس قولهم هذا "معنى كلامه، وشبهه" ويريدون هذا مضمونه ودلالته...»⁽³⁾
- معنى القصد ينصرف عند أهل اللغة إلى مدلولات اللفظ عنا، إذ « عنى بالقول كذا يعني أراد وقصد.. »⁽⁴⁾، « وعنيت بكلامي كذا أي أردته، وقصدته ومنه المعنى.»⁽⁵⁾
- ما روي عن الأزهري عن أحمد بن يحيى أن « المعنى والتفسير والتأويل واحد... »⁽⁶⁾.
- من هذه النماذج التعريفية المختارة من المعاجم العربية القديمة، نلاحظ:
- أن المعنى يحمل عدة أوجه دلالية معنوية، منها: الخضوع، الذل، الإظهار، الحال المآل الدلالة، المضمون، القصد، التفسير، والتأويل، التصور، الفكرة...
- أكثرية المرادفات الشارحة لحد المعنى أضحت مصطلحات ومفاهيم نقدية في المناهج الحديثة والمعاصرة، وإجراءات تحليلية للخطابات والإبداعات الأدبية، مثل: التأويل الشرح، التصور، القصد...

(1)- مجد الدين الفيروز أبادي، القاموس المحيط، تخ: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، مادة (ع ن ا) ط 08، 2005، ص: 1315.

(2)- ابن منظور، لسان العرب، مادة (ع ن ا)، مج 10، المرجع السابق، ص: 315.

(3)- السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تاج العروس من الجواهر القاموس، تخ: عبد المجيد قطامش، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، مادة (ع ن ي)، ج 39، ط 01، 2001، ص- ص: 122-123.

(4)- المرجع نفسه، مادة (ع ن ي)، ج 39، ص: 122.

(5)- أبو القاسم محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري، أساس البلاغة، تخ: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، مادة (ع ن ي)، ج 01، ط 01، 1998، ص: 682.

(6)- ابن منظور، لسان العرب، مادة (ع ن ا)، مج 10، المرجع السابق، ص: 316.

- تجتمع جل التعاريف المذكورة في أن المعنى مرتبط باللفظ من وجهة المرسل؛ أي بمقصده وإرادته، أو مرتبط باللفظ من جهة مآل الشيء، وهي علاقة وظيفية، فالمعنى متعلق بوظيفة اللفظ، وفي جل التعريفات اتفاق ضمني على ارتباط المعنى بالقصد خاصة قصد المتكلم⁽¹⁾.

وعند التطرق إلى التعريفات اللغوية للمعنى في المعاجم الحديثة فلن نلاحظ إسهامات المناهج اللسانية أو الدروس النقدية الحديثة، التي تربط العلاقة بين الدال "اللفظ" والمدلول "المعنى"، ولم نظفر بشرح للفظ "المعنى" استنادا لرؤية منهجية علمية سوف لن نرى انزياحات مفهومية ومعرفية كبيرة عن المدلول القديم. بل نجد حرفية المعاجم القديمة تطغى على قوالب القواميس الحديثة. وربما يعود ذلك إلى صدور المعاجم المتخصصة حسب الميدانين العلمي والأدبي، مما جعل هذه المعاجم تلتزم بالجانب اللغوي في التعريف بحسب ما تواضع عليه العمل في صناعة المناجد.

تم شرح المعنى في القاموس الفرنسي روبرت على أنه الفكرة التي تجسد الرمز فهو الدلالة والفكرة العامة والمتصور الذي يمثل الكلمة أو التعبير.⁽²⁾ أما في التعريفات المعجمية العربية المعاصرة جاء في قاموس "المنجد في اللغة العربية المعاصر" أن المعنى « ما يدل عليه لفظ، مدلول مفهوم مغزى، فحوى، مضمون، معنى نص، معنى كلمة، معنى رسالة...»⁽³⁾، مع الإشارة إلى مفهوم المعنى الأصلي والمعنى المجازي، على أساس أن « المعنى الأصلي: المعنى الحقيقي، هو المستعمل فيما وضعه له واضع اللغة، أو هو مطابقة اللفظ للفكرة المراد التعبير عنها، ... قبلًا وقالبًا، باطنًا وظاهرًا...، المعنى المجازي: معنى مستعار، ما تجاوز مدلوله بواسطة الاستعارة بالمعنى الواسع...»⁽⁴⁾ وهو: « ما يدل عليه

(1) رزيق بوزغاية، ورقات في لسانيات النص، دار المتقف للنشر، باتنة، الجزائر، ط01، 2018، ص: 116.

(2) - Danièle Morvan, Collectif Le Robert, " Le Robert de poche 2009 Langue française ", Le Robert, France, ed°:01, 2008, p: 658.

(3) - أنطوان نعمه وآخرون، المنجد في اللغة العربية المعاصر، تح: مأمون الحموي وآخرون، دار الشرق، بيروت، لبنان، مادة (ع ن ي)، ط 01، 2000، ص: 1108.

(4) - المرجع نفسه، ص: 1108.

عليه اللفظ،... ما يقصد بالشيء،... هو المقصود.»⁽¹⁾ و « المعنى من الكلام: المراد والمقصد منه وفحواه... ومعنى الشيء: حاله التي يصير إليها أمره.»⁽²⁾، هو إذاً تعبير عن ما يجمله اللفظ به تصل الرسالة التي تشبعت بها الكلمات، سواء كانت هذه الرسالة واضحة المضمون مفهومة من عباراتها أو أنه خفي وراء نسيج ألفاظها.

ألحظ من كل ما سبق في تحديد مفهوم المعنى لغة قديماً وحديثاً، أن:

➤ التعاريف اللغوية للمعنى كانت قد قاربت أجزاء منه وليس تحديداً دقيقاً له، ولم تضبط إطاره المعرفي الدقيق، إذ أكثرها تمس مترادفات، دون إيجاد حدّه، ومفهومه العلمي، واللغوي الدقيق، وهذا بالطبع من خصائص التعاريف المعجمية، التي لا يتصور منها أكثر من ذلك، فهي تعطي التفسير العام حسب الاستعمالات والتداول اللغوي للكلمة، فيبتعد بها عن التخصيص والتدقيق المعرفي.

➤ يتفق التعريف الغربي مع المعاجم العربية في أن المعنى متعلق بالفكر الإنساني، ذو طبيعة تجريدية يخضع لمنطق تصوراتّه الذهنية.

➤ جعلَ المعنى، والتفسير، والتأويل، وكذا الدلالة، والمضمون، والقصد والفحوى...كلها تصب في قالب دلالي واحد، يتطلب هذا وقفة موازنة بينها، على اعتبار أنها مصطلحات وقواعد إجرائية لنظريات نقدية هامة في عصرنا الحالي، وقد أصبحت ميكانزمات وأدوات للقراءات النقدية المختلفة المناهج.

➤ نجد أن التعاريف اللغوية في المعاجم العربية لم تطأ المفاهيم النقدية الحديثة لمصطلح "المعنى"، عدا المسلمة النقدية القائلة أن المعنى ما يتضمنه اللفظ والكلام، ومنه النص والخطاب من مقاصد ومدلولات ومضامين، دون تحديد لقطعية كشفها عند بعض منظري النقد المعاصر، في حين أسندها علماء الأدب القدامى للمتكلم أو المؤلف أو المرسل.

(1) - علي بن هادية وآخرون، القاموس الجديد للطلاب، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، مادة (ع ن ي)، ط 07 1991، ص-ص: 1108-1109.

(2) - أحمد رضا، معجم متن اللغة موسوعة لغوية حديثة، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، مادة (ع ن ي)، مج 4، (د ط) 1960، ص: 230.

➤ أريد التعقيب على التعريف الذي يعتبر المعنى هو ما دل عليه اللفظ، فيشير بذلك إلى اعتبار المعنى هو الدلالة التي يراها الجاحظ بنية الكلام نفسه⁽¹⁾، سواء أكان الكلام (مكتوباً أو منطوقاً) مرهوناً بنوعين من الدلالة؛ دلالة قطعية تدل على معنى واحد لا تحتمل غيره⁽²⁾، ولا تضطرنا إلى التأويلات، أو الافتراضات كي نفهمه، وأخرى مفتوحة متوقفة على التفسيرات، والاحتمالات المفترضة لمعنى النص، وما يجمله من قراءات فقولنا: "جاء زيد"، أو «محمد رسول الله»، فهذا كلام لا يحتمل إلا المعنى الواضح الظاهر في معاني لفظه، فدلالته قطعية، لا تتطلب منّا مراجعة، إنما تدل على معنى واحد لا غموض فيه، جلي في وحدات نصه اللفظية.

لكن إذا أخذنا المثل العربي^(*)، ونحن نعلم أن «أسلوب المثل يتسم بجودة الكناية والتعريض؛ لأن الممثل به لا يصرح بالمعنى الذي يريده وهو مضرب المثل، ولا يعبر عنه بالألفاظ الموضوعية له في اللغة، إنما يخفي هذا المعنى، ويعبر عنه بالألفاظ الأخرى هي ألفاظ المثل، وهذا هو معنى الكناية والتعريض لغويًا.⁽³⁾ والأمر سيان للنصوص المفتوحة الحاملة لقراءات مختلفة، خاصة منها الشعر المعاصر، الذي شُعب بالألوان الترميز والأساطير والحكايا السابقة، والنصوص الدينية وغيرها... التي زادت غموضاً وأسراراً. «فبالإمكان حصر دائرة الرمز في ماهيات ووظائف محددة العدد والطبيعة، وبالإمكان أيضاً أن نوسع

(1) - أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الجاحظ، الحيوان، تخ: يحيى الشامي، دار مكتبة الهلال، بيروت، لبنان، ج 01، ط 03، 1997، ص: 99.

(2) - فاضل صالح السامرائي، الجملة العربية والمعنى، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط 01، 2000، ص: 12.

* - إن أطوار المعنى مثلاً في المثل العربي "فلان عريض الوسادة" تتعدد فيه بتعدد القراء، فقد تقرأ أن هناك شخصاً توسد وسادة عريضة، إعادة عرض الوسادة إلى كبر حجم رأسه، يفسر كبر الرأس بالغباء، وربما يفسر كبر الرأس حمل صاحبه لمخ كبير، وهذا دليل على قوة الذاكرة وقدرة زائدة في الذكاء، والفهم... هذا إذ إن كان قارئ عادياً لم يطلع على أمثال العرب. وعليه نكون أمام احتمالات عديدة لمثل تداوله العرب للدلالة على البلاهة والبلاهة

(3) - علاء إسماعيل الحمزاوي، الأمثال العربية والأمثال العامية مقارنة دلالية، ص: 13، الموقع الإلكتروني:

من دائرته ليشمل النشاط الإنساني في كليته»⁽¹⁾، هنا لن نجد في القراءة السطحية لمثل هذه النصوص المعنى المقصود إلا عبر التحليل والتأويل.

➤ اعتبار المعنى مساوياً للمفهوم والمدلول والمغزى والفحوى والمضمون والمقصد من الكلام...، تعميم يطرح نقاطاً مبهمّة تضطرننا إلى الكثير من التساؤلات، منها مثلاً: هل يتوقف القصد عند المؤلف أم عند القارئ؟ فإن كانت مقصد المؤلف يشترط في كل قراءة استحضاره و الرجوع إليه، لم تعدد القراءات والمقصد واحد، لأنّ أيّ القراءة ستتوقف بعد كل كشف لمقصد النص. وهل نبحت عن معنى النص أم القصد منه... أما إذا قصد مقصد القارئ الذي يعتبر المستنبط لمعنى النص، والمفجر له، فهذا يجعلنا حسب القراءات الواردة حول العمل أمام مقصديات عديدة، لا معناه المحتمل، خاصة تلك النصوص المفتحة دلاليًا.

ثمّ أنها مصطلحات تختلف فيما بينها، وتتطلب فهمًا خاصًا لها، كل على حدة، فليس المغزى والغرض من النص كضمونه، فمضمون قصيدة إليا أبي ماضي، "الحجر الصغير" يتحدث عن حجر صغير في سد ماء كبير تشييده حجارة عظيمة، ملّ ويئس من حياته وستصغر موقعه، ظانًا أن لا فائدة ترجى منه، فتخلى عن مكانه، فانهار السد بغيابه وغمرت المدينة بالمياه، ولو عدنا إلى الغرض من هذه القصيدة نجده - وإن كنا نتوقع لها قراءات أخرى- بيان أهمية كل فرد في مجتمعه، ودوره في إقامة أركانه وبناء صرحه، مهما قل شأنه أو عظم. فقد يتحدث مضمون متن ما على أمر، والغرض منه شأن مخالف تمامًا، بحسب تفسير مدلولاته المتشعبة الدلالة، والقابلة للتأويل.

ويعود تفسير المعنى بكل هذه المرادفات لأنها حدود في عمومها تحيل إلى بعضها البعض، مما جعل الكثير من النقاد يستحضرونها عند ضبطهم إيّاها، فمثلاً نجد محمد بوزواوي يعرف:

(1) - سعيد بنكراد، مسالك المعنى دراسة في بعض أنساق الثقافة، دار الحوار، اللاذقية، سوريا، ط1، 2006، ص: 159.

- المضمون contenu على أنه المعنى الذي يقصده المؤلف في عمله الأدبي، أو هو محتوى المبنى أو الشكل، والمعبر عنه بالألفاظ وعبارات نثرًا أو شعرًا...»⁽¹⁾

- المعنى: «sens/contenu» - هو المضمون الذي يعبر عنه الأديب في أعماله الأدبية ويقابله لفظ المبنى، وقد يسمى المضمون الفكرة، والفصل بين اللفظ والمعنى أو بين الشكل والمضمون لا وجود له»⁽²⁾

- المفهوم concept : صفات ومميزات تذكر لتحديد معنى كلمة من الكلمات، كما أنه كل ما يمر بخاطرنا عند ذكر لفظ من الألفاظ...»⁽³⁾

هي إذًا تعريفات لمصطلحات متقاربة في حدودها المفهومية تفسر بعضها البعض.

2-1- اصطلاحا:

وجب الاعتراف قبل وضع أي تعريف اصطلاحي أن مفهوم المعنى مائع، تباينت تعريفاته، ولم يحدد في الكثير من المقاربات المفهومية إلا في حدود الانتماء الفكري لمفسريه، واتجاهاتهم، فهو تحديداً ليس تجسيداً لهذه التعريفات المتفرقة، ولكنه كل ذلك فكانت جل التفسيرات المعروضة ملازمة لزاوية منه، إنه أعمق من: المفهوم، والحد والدلالة، والمضمون، والتصوير، والمدلول والمتخيل...، ويمكن أن يكون كل هذا.

أ- التحديد الاصطلاحي عند العرب والغرب:

يُحدِّد المعنى قيمة معرفية ما، ويعطي إفادة فكرية، لغوية، إخبارية، علمية...، متوقف في وجوده على مجموع القوى المشكلة له من لفظ، مقام "سياق"، المرسل إليه، العلاقات العرفية، واللغوية...، فكما أن كتابة نص « تعني القدرة على نسج شبكة من المعاني، عن طريق توظيف أشكال واستعمالات لغوية معينة »⁽⁴⁾، كذلك الأمر يسقط على جميع أنواع التعبيرات اللغوية. فوجوده أكيد في الكلام، محتوم فيه، فلا يتوقع وجود نص أو خطاب، أو خبر...دون معنى ووسائل تعبيرية تظهره. ولو عدنا إلى كتاب كل من

(1) - محمد بوزواوي، معجم مصطلحات الأدب، المرجع السابق، ص: 263.

(2) - المرجع نفسه، ص: 271.

(3) - المرجع نفسه، ص: 273.

(4) - محمد الأخضر الصبيحي، مدخل إلى علم النص، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط 01، 2008، ص: 128.

أوغدن وريتشاردز نجد أنهما أحصيا ما لا يقل عن ستة عشر معنى للفظة "معنى"، ضمن كتابهما الشهير معنى المعنى.

نجد الهنود قديما حين دراستهم كتابهم الديني "الفيدا"، تحدثوا عن نشأة اللغة وقسموا المعنى (*) إلى أربعة أقسام (1):

1- قسم يدل على مدلول عام وشامل مثل "رجل...".

2- قسم يدل على الكيفية "طويل...".

3- قسم يدل على الحدث مثل "جاء...".

4- قسم يدل على الذات مثل "محمد...".

و قولهم بوجود « علاقة ضرورية بين اللفظ والمعنى، شبيهة بالعلاقة اللزومية بين النار والدخان، ومنهم من رأى أن الصلة بين اللفظ والمعنى مجرد علاقة حادثة، ولكنها طبقا لإرادة إلهية» (2).

وأكد أفلاطون وجود علاقة طبيعية بين اللفظ ومعناه، معتبرا المثل والأفكار السامية أساس المعاني الخالصة التامة والكاملة، لا يشوبها النقص أو درن، أما أرسطو فجعل « المعنى متطابقا مع التصور الذي يحمله العقل عنه » (3). أي المعنى هو التصورات الذهنية حول الشيء.

*- يوجد تقسيم للمعنى عند العرب القدامى يرجع إلى الطابع البلاغي، وهو المعنى المشترك، والمعنى الخاص، فالمعاني المشتركة تكون موضوعة بين الناس يستعملها العادي والسوقي كما يستعملها المقوال والبلوغ، وأخرى خاصة مبتدعة، لا ينسج فيها صاحبها على منوال سابقه، حيث يقدم على بناء دلالات جديدة، يسبق غيره إليها، فينفرد بها وتميز، ويحكم له على أساسها بالأدبية والتفرد.

(1) - أحمد مختار عمر، علم الدلالة، منشورات علم الكتاب، القاهرة، مصر، ط 06، 2006، ص: 19.

(2) - المرجع نفسه، ص: 19.

(3) - منقور عبد الجليل، علم الدلالة، أصوله ومباحثه في التراث العربي - دراسة -، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، ط: 01، 2001، ص: 15.

ولم يكن النقد العربي القديم غائبًا في درسه عن هذه المفاهيم الاصطلاحية حول المعنى، والذي عُرف بعدها بقضية اللفظ المعنى، وكعينة منه، حدد الجرجاني في دلائل الإعجاز مفهوم المعنى من زاوية بلاغية، حيث قال: « الكلام على ضربين: ضرب أنت تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده... وضرب آخر أنت لا تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده، ولكن يدلك اللفظ على معناه الذي يقتضيه موضوعه في اللغة، ثم نجد لذلك المعنى دلالة ثانية تصل بها إلى الغرض، ومدار هذا الأمر على الكناية والاستعارة، والتمثيل... وإذ قد عرفت هذه الجملة، فهاهنا عبارة مختصرة وهي أن تقول: المعنى، ومعنى المعنى، ونعني بالمعنى: المفهوم من ظاهر اللفظ والذي تصل إليه بغير واسطة. ومعنى المعنى: أن تعقل من اللفظ معنى، ثم يفضي- بك ذلك المعنى إلى معنى آخر⁽¹⁾ ».

نفهم من قول الجرجاني أن المعنى نوعان، ظاهر ومحتمل، فالمعنى الظاهر هو ما يحمله اللفظ من دلالة في سطحه، وما باح به من مضمون، أما النوع الثاني فهو فحوى ودلالة النصوص الباطنة، مرهون باحتمالية المعنى وما يوحي به اللفظ، فكان مجاله الكناية، والاستعارة، والأمثال...

اصطلح المناطق العربية على المعنى بالحد^(*)، وقد تبني الأصوليون والمتكلمون واللغويون هذا المنحى في التفكير، على أن الحدّ « القول الدال على ماهية الشيء، أي على كمال وجوده الذاتي، وهو ما يتحصل له من جنسه القريب، وفضله⁽²⁾ » و« معناه الذي لأجله استحق الوصف المقصود⁽³⁾ »، فكان التقارب بين المعنى والحد من أن الأول هو المعين والفاصل في تحديد الحد الشيء عن غيره وتعريفه، وبيان ماهيته ومعناه المقصود بعينه، والذي لأجله وضع.

(1) - عبد القاهر أبو بكر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح: محمد رضوان الداية، وفايز الداية، دار الفكر دمشق، سوريا، ط01، 2007، ص-ص: 268-269.

* - سوف نقف على المصطلحين بشيء من التوضيح في العنصر اللاحق بالتعريف الاصطلاحي من هذا الفصل.

(2) - الحسين بن عبد الله ابن سينا، الحدود، ص: 03، المرقع الإلكتروني:

<http://www.muslimphilosophy.com>

(3) المرجع نفسه.

وإذا استثنينا ما جاء به "المنأوي" حيث اقترب من المفاهيم اللسانية والنقدية المعاصرة في بعض مقولاتها؛ حين عرف المعاني على أنها « الصور الذهنية من حيث وُضِعَ بإزائها الألفاظ، والصورة الحاصلة من حيث أنها تقصد باللفظ تسمى معنى، ومن حيث حصولها من اللفظ في العقل تسمى مفهومًا، ومن حيث أنها مقولة في جواب ما هو تسمى ماهية، ومن حيث ثبوتها في الخارج تسمى حقيقة، ومن حيث امتيازها عن الأعيان تسمى هوية.»⁽¹⁾

ف نجد أن الدرس العربي القديم في تحديده مفهوم المعنى وافق الدرس النقدي الحديث من جهة أنه واحد من الثنائية المشككة للعلامة اللغوية (الدال والمدلول)، (اللفظ، المعنى).

يعرّف المنأوي الفهم على أنه « تصوّر المعنى من لفظ المخاطب»⁽²⁾، وفي شأن هذا تعريف يقول الناقد رزيق بوزغاية: « وهذا التعريف يدل على الطبيعة النفسية للمعنى فهو صور ذهنية متعلقة باللفظ، هو تعريف اصطلاحي ينحدر من المعنى العام الذي ذكرت المعاجم اللغوية... »⁽³⁾ والأمر يصدق أيضًا على تعريف المنأوي للمعاني فقد صبغه بالصبغة النفسية يتجاوز بذلك الفهم اللغوي العام إلى فهم أكثر علمية سبق به الدارسين اللسانيين المحدثين حول الطبيعة النفسية للعلامة، وكذا في اعتبار المعنى أحد طرفيها دون الأخذ بقصد المتكلم أو مآل الشيء؛ « ولهذا نرى أن المفهوم الاصطلاحي الذي ذكره المنأوي لا يختلف كثيرًا عن التصور الحديث للمعنى في اللسانيات من أنه الصورة الذهنية المرافقة للشكل اللغوي بحسب اتفاق المجتمع»⁽⁴⁾

وليس بعيدًا عن التفكير المعاصر ومفهومه للمعنى، يبيّن حازم القرطاجي عملية تشكل المعنى في خطوات أربع هي «الصورة الحاصلة في الأذهان عن الأشياء الموجودة في الأعيان فكل شيء له وجود خارج الذهن، فإنه إذا أدرك حصلت له صورة في الذهن تطابق لما أدرك، فإذا عبر عن تلك الصورة الذهنية الحاصلة عن الإدراك أقام اللفظ المعبر

(1) - عبد الرؤوف المنأوي، التوفيق على محمات التعاريف، تخ: عبد الحميد صالح حمدان، عالم الكتب، القاهرة، مصر، باب (الميم)، ط 01، 1990، ص: 309.

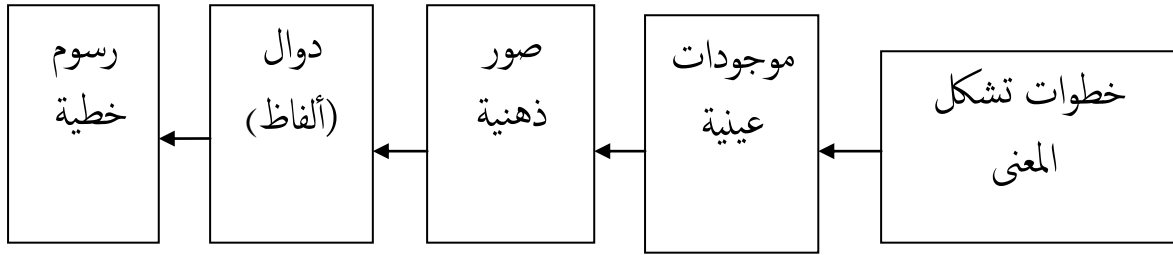
(2) - المرجع نفسه، ص: 265.

(3) - رزيق بوزغاية، ورقات في لسانيات النص، المرجع السابق، ص: 116.

(4) - المرجع نفسه، ص: 116.

به هيئة تلك الصورة الذهنية في أفهام السامعين وأذهانهم فصار للمعنى وجود آخر من جهة دلالة الألفاظ، فإذا اجتبح إلى وضع رسوم من الخط...تقيم في الأفهام هيئات الألفاظ»⁽¹⁾.

اختصرها الطاهر بومزير في هذا الشكل⁽²⁾:



-عملية تشكل المعنى-

نضيف إلى هذه الخطوات المشكلة للمعنى خطوة هامة تعد أساسًا من أساسيات بناء المعنى وتجده، بها ينتج ويحيا، هي قراءة القارئ. وهي الخانة الأخيرة الدالة على تلقي المعنى.

نستحضر التعريفات الاصطلاحية الحديثة بدءًا مما جاءت به المناهج الغربية لأحقية سبقها العرب في وطء مثل هذه الدراسات، ويتعلق الحديث عن المعنى في الدرس الحديث والمعاصر بالوجهات النقدية والنظريات التي تبنت في دراستها المعنى ككوكون يُنطلق منه في دراسة النصوص الأدبية، ويتزعم هذه التوجهات درس اللسانيات العامة وما أثبتته دي سوسير حول العلامة اللغوية، من أنها كيان سايكولوجي ثنائي، يتألف من عنصرين هما الدال (اللفظ) والمدلول (المعنى أو التصور الذهني)، واعتبر دي سوسير المعنى صورة نفسية مستحضرة في الذهن عن الشيء. تتحد في دماغ الفرد مع اللفظ لا

(1) - أبو الحسن حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تخ: محمد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، (د ط)، 1986، ص-ص: 18-19.

(2) - الطاهر بومزير، أصول الشعرية العربية، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط 2007، ص: 01، ص: 36.

مع المرجع، وترتبط به بعلاقة اعتبارية، حيث الدال ذو طبيعة حسية مادية، والمدلول تجريدي مجرد⁽¹⁾.

يرى بورس أن المضمون ليس قدرًا بعينه في الشيء، إنه موجود في حدود أن هناك إجراء يعمل على إغنائه، وفي حدود أنه يقوم بتغذية الأشكال المتحققة في وقائع خاصة⁽²⁾، فالمعيار الحقيقي للمعنى محكوم بالغايات القصوى التي تحكم الفعل، وتقوم وتوجيهه، لأن « المضمون الدلالي الأولي هو مصدر الأشكال الدلالية التي تحتضنها السياقات الخاصة.»⁽³⁾ وقد جعل بورس العالم أجمع بكائناته وأشياءه نسيجًا لا ينتهي من العلامات، تنقله من بُعد المادي إلى ما يشكل جوهره العلامي؛ أي جعله بؤرة للدلالات المتنوعة، الموجودة في حدود تداولها وسياقاتها الخاصة، فالدلالة هي فعل ينجز داخل سيرورة، لا معطى جاهز يوجد بشكل سابق على الواقعة.⁽⁴⁾

يصر بورس على أن المعنى لا يوجد في الشيء بصورة آلية، وليس محايثًا يختزنه جوهره، « إنه يتسرب إليه عبر أدوات التمثيل، وهو ما يشير إلى أن إدراك الكون ليس مباشرًا، فالشيء لا يوجد في ذاته؛ بل مثواه الوعي الذي يدركه، إنه لا يتسلل إلى الوعي إلا عبر أشكال رمزية مختلفة، ولهذا فإن المعنى لا يوجد خارج اللغة إنه مبعوث في فعل الإبلاغ والكلام والإنتاج»⁽⁵⁾ فلا معنى للفظ مجرد، خارج التداول اليومي، فالغايات هي المحددة والمتحكمة في الفعل اللغوي، وممارسته هي التي تعطيه المعنى، أي إن لم يتم استخدام اللفظ بين الناس، أو في مجتمع لغوي ما فلا معنى له، فتمثيل المعنى يمثل حدثًا عمليًا حاضرًا واقعيًا، يحدد غايات المستخدمين للغة الممارسة الحاملة له، هذه الغايات قابلة للتجسيد والتحقيق التجريبي، منفتح على آفاق مستقبلية.

(1) - فرديناند دي سوسير، علم اللغة العام، تر: يوثيل يوسف عزيز، دار آفاق عربية، بغداد، العراق، (د ط)، 1985 ص-ص: 84-89.

(2) - سعيد بنكراد، السيميائيات والتأويل مدخل لسيميائيات ش.س. بورس، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب ط01، 2005، ص: 162.

(3) - المرجع نفسه، ص: 162.

(4) - المرجع نفسه، ص ، ص: 170، 173.

(5) - المرجع نفسه، ص - ص: 174-175.

في حين يضع جون ليونز تعريفاً مهماً للمعنى قريباً من المفهوم السوسيري، إذ يشكل المعنى تقابلاً مع المرجعية، ويخص مجموعة العلاقات السيميائية الموجودة بين معنى ومعاني أخرى للغة، سواء على المستوى التزامني أو التعاقبي.⁽¹⁾

وحدد الناقد اللغوي هدرسن المعنى على أنه «كيان ذهني، وأنه قد يكون مفهوماً concept أو إجراء Procedure». ⁽²⁾ ويجيلنا قول الدكتور هدرسن أن المعنى كيان ذهني مباشرة إلى آراء النقاد القدامى من أن المعاني هي التصورات الذهنية، يقابلها عند اللسانيين المدلول، و عند السيميائيين المفهوم، لكن لم يتم القطع في تعيينه، بل سبق تحديده باحتمالية وروده على تلك التعريفات المقدمة سابقا والتي سترد لاحقاً، فتم التركيز في جل التعريفات النقدية الحديثة على علاقة المعنى باللفظ الذي يحتويه، دون التدقيق في ماهيته، و « يظهر أنها تلتقي ضمنياً عند تصوّر دي سوسير للمعنى من كونه المفهوم المرافق للدال، أي اللفظ، وهو كائن ذو طبيعة نفسية يتسم بالاستقرار نسبياً...، هو الصورة المتفق عليها عند جمهور المتكلمين بلسان معين» ⁽³⁾، مما يثبت صعوبة الإجابة عن سؤال: ما معنى "المعنى"؟

لا يتحدد المعنى عند المفكر الألماني نيتشه من مقصدية قائله، أو البنية اللغوية الظاهرة، إنما يستمد وجوده من العلاقات بين قوى مختلفة ⁽⁴⁾، قوى فاعلة وأخرى ارتكاسية، ويحدده أكثر بحسب التفسيرات المحيطة به، فكل تفسير يمثل معنى قائم بذاته، فيكون « كل تفسير هو تحديد لمعنى ظاهرة. والمعنى يتكون بالضبط من علاقة قوى، يفعل بعضها انطلاقاً منها، ويرتكس بعضها الآخر في مجموع معقد ومرتاتب...» ⁽⁵⁾ يترتب على المقولة النيتشوية وجود قوى فاعلة أولية وأخرى ارتكاسية ثانوية لظاهرة ما

(1) - Georges Mounin, Dictionnaire de la linguistique, edition Quadrige, Paris,1974,P: 297.

(2) - علم اللغة الاجتماعي - الدكتور هدرسن - ترجمة د . محمود عبد الغني عياد ومراجعة ، تقلاً عن: واثق الدايني، فلسفة المعنى بين النظم والتنظير- دراسة في مجموعة أخبار المعنى لأديب كمال الدين، الموقع الالكتروني:

<http://www.adell.meltgrns.com>

(3) - رزيق بوزغاية، ورقات في لسانيات النص، المرجع السابق، ص: 117.

(4) - جيل دولوز، نيتشه، تر: أسامة الحاج، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت، لبنان، ط 01، 1998، ص: 26.

(5) - المرجع نفسه، ص: 26.

ومن المد والجزر بين هذه القوى المتباينة، مركز التعقيد، يتولد المعنى المعقود بمدى تفسير الظاهرة وتحليلها، فيكون كل تفسير هو معنى محتمل يحدد دلالة الظاهرة.

أن احتمالية الدلالة جعلت فيش ينفي الموضوعية والذاتية في نفس الوقت عن المعنى، فلا يمكن للمعاني أن تكون موضوعية، لأنها دوماً حصيلة لوجهة نظر معينة ولا أن تكون ذاتية لأنها - وإن كانت وجهة النظر- فهي اجتماعية أو تقليدية دائماً⁽¹⁾ فينتبغ المعنى بخاصية هيولية غير محددة له. والأكيد في الأمر أنه مهما اختلف في تحديد المعنى، وتشعبت مناحيه، فإنه قائم دوماً على موقف ما، وفي شكل ما يجسده منتجه يرتبط فهمه بوعي القارئ له، وهذا أساس عمل أصحاب نظرية القراءة.

يسند أنجاردن أحد أعلام النقد الظاهراتي المعنى إلى كل من المؤلف والقارئ حيث يكون العمل الأدبي حاملاً لقصدية الأفعال من طرف المؤلف والقارئ على حد سواء فيشترك القارئ في التجربة التأليفية، كأني بمعنى النص غير تام، به ثغرات يكملها القارئ فالمعنى « مشروع دلالي وجمالي، يكتمل بالقراءة النشطة التي تملأ ما في النص من فراغات »⁽²⁾، فلا يتم المعنى إلا مع قارئه.

يوجب آيزر على المرء أن يتصور المعنى كشيء يحدث، تكوُّنه عوامل مختلفة تكون سابقة له، لكن عملية صياغته تتطلب أيضاً حضور وتجربة القارئ التي ينشطها هذا الحدث في الآن ذاته⁽³⁾، فالمعنى عنده عبارة عن صورة تمثيلية تملأ فضاءات النص وتجسد ما لم يُقَل وما لم يعطَ في هذا النص، فيستلزم لإيجاده وجود ذات تمثله وتتصوره⁽⁴⁾، هي ذات القارئ، حيث « بدا من الصعب أن يخطر ببال النقد أن النص ليس في وسعه أن يمتلك المعنى إلا عندما يكون قد قُرئ »⁽⁵⁾، فلا تأثير ولا شهرة، بل لا

(1) باسم عبد الكريم الفضلي، في المعنى الأدبي، الموقع الإلكتروني:

<http://www.annabaa.org>

(2) ميجان الرويلي وسعد البازعي، دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط 02، ص: 214.

(3) فولفغانغ إيزر، فعل القراءة نظرية جمالية التجاوب، تر: حميد حميداني والجلالي الكدية، مطبعة النجاح، المغرب، (د ط) 1994، ص: 14.

(4) - عبد الكريم شرفي، من فلسفات التأويل إلى نظريات القراءة، منشورات الاختلاف، الجزائر، (د ط)، 2007 ص- ص : 79- 80 .

(5) - فولفغانغ إيزر، فعل القراءة نظرية جمالية التجاوب، المرجع السابق، ص: 11.

لا وجود ولا تحقق من دون فعل القراءة اللاحق به⁽¹⁾، وأمام هذا الفضاءات للمحدودة والغياب المستمر للمعنى، تكون إمكانات القراءة مفتوحة لا تنتهي أبداً.

وعن العرب نستهل تعريف المعنى اصطلاحاً من تعريف مبسط لمجدي وهبة يعادله بالمدلول، يقول: « هو إيماء الرموز اللفظية، وعلاقتها النحوية إلى أشياء موجودة في العالم الخارجي، أو إلى أفكار، ووجدانات مشتركة بين الناس جميعاً»⁽²⁾، وتحديد نوع المعنى أو المدلول المستمد من قطعة شعرية ما يكون في مرحلة سابقة لمرحلة صب المعنى في قالب الوظائف الشعرية، المتعارف عليها: الاجتماعية والسياسية والأخلاقية والدينية بمعنى يحدد المعنى ثم يُنتج في قالب من الوظائف الضابطة له، والمحددة لشكله الأدبي الإبداعي، على أن المعنى: « يتضمن مبدأ الانتظام ومبدأ القاعدة. فالأول يعني أنه (أي المعنى) يتطلب وجود علاقة سببية عامة بين التعبير في ظروف معينة، وبين استجابة أناس ينتمون إلى فريق لغوي معين، أما المبدأ الثاني فيتطلب أن يخضع استعمال الكلمة أو العبارة لقواعد الصحة أو الخطأ، حسب ما يتواضع عليه الفريق اللغوي»⁽³⁾.

فترتب على ما جاء به مجدي وهبة أن المعنى تحمله الألفاظ، ويكون خاضع للنظام اللغوي، والعلاقات النحوية المُقوّلة له؛ بمعنى أن المعنى يتشكل عبر القيمة الدلالية المرتبطة بالكلمة، وهذه الرابطة تستمد شرعيتها من لغة ما، فالدلالة ترتبط أصلاً بالقيمة التي تضيفها لغة ما عليها، أو تمنحها ثقافة ما لها⁽⁴⁾.

و سواء كان المعنى حقيقياً أو محتملاً فهو خاضع إلى الأعراف اللغوية، يعود ذلك إلى أن الكلام قدر مشترك بين الناس، يحمل معنى إذا تم الاتفاق عليه عرفاً، والانتظام تحت القواعد المتواضع عليها في بناء الأبنية اللغوية في المجتمع اللساني المنتج لها. كما أنه

(1) - يحي رمضان، القراءة في الخطاب الأصولي، -الإستراتيجية والأجراء-، عالم الكتب الحديث، عمان، الأردن، ط 01 2007، ص: 43.

(2) - مجدي وهبة، معجم مصطلحات الأدب، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، ط01، 1974، ص: 308.

(3) - المرجع نفسه، ص: 308.

(4) - فريال جبوري غزول، " علم العلامات (السيميوطيقا) مدخل استهلاكي"، مدخل إلى السيميوطيقا مقالات مترجمة ودراسات، دار قرطبة، القاهرة، مصر، ج 01، ط02، 1986، ص: 09.

يستند إلى مرجعية الواقع، مصدره (المجتمع، الذات، الفكر) يخضع إلى الوظائف التي تؤديها اللغة.

نجد تعيين مجدي وهبة المدلول كمقابل لفظي للمعنى قد جعل منه العنصر- الأساس في تركيب العلامة، بل أن الكثير من النقاد حديثاً وقديماً جعلوه الأصل في وجود بناء اللفظ والعلامة، وأنه لا قيمة لدال دون مدلول، ووجهوا اهتمام ودفة المفاضلة إلى المعنى. وأسسوا شعرية النص على المضامين لا المباني.*

نتعمق قليلاً في ماهية المعنى المشكل للنص الأدبي من خلال الطرح الفلسفي للناقد السيميائي سعيد بنكراد يقول: « فالتعرف على المعنى جزء من السيرورة التي تقود إليه، وجزء من سيرورة تشكله أيضاً. إنه ليس كماً تاماً، بل هو سياقات مضمرة لا يتحدد عددها في النص، بل يتحقق ذلك من خلال استحضار الثقافات التي يتم تحيين النص من خلالها. إن المقاصد هي أصل المعنى، وليس الحجم المسبق، كما تصور ذلك

* - من ذاك أراء ابن جني الذي قال يتميز وشرف المعنى عند العرب، لأن « المعاني أقوى عندها، وأكرم عليها وأختم قدرا في نفوسها...» (الخصائص ص 237). إذ حرصوا عليها، وبجتها فيها، وعن الأساليب والألوان التي تساعد على تحسينها، فما المحسنات والزخارف إلا خدم للمعاني، ووسائل لإخراجه في أبهى وأحسن صورة وأكثر إقناع، « فإنها لما كانت [أي الألفاظ] عنوان معانيها وطريقاً إلى إظهار أغراضها ومراميتها، أصلحوها ورتبوها وبالغوا في تجبيرها وتحسينها ليكون ذلك أوقع... وأذهب بها في الدلالة على القصد. » (الخصائص ص: 237) إن تصيد هذه الألفاظ للإقناع و الاستمالة، يجعل منها خدماً للمعاني والمخدوم أفضل وأقوى من الخادم بالطبع، من ذاك فضلت العرب المعاني وهديتها في الشعر والخطب.

ومن الأدلة التي أوردها ابن جني في هذا المجال والمتناثرة في كتبه، لجوؤه لعلم الصرف، (الخصائص ص 242-246). إذ يرى أن العرب قدمت حروف المضارعة للدلالة على الفاعلين، كما أن اللفظة وجرسها وحروفها تحمل قدراً كبيراً من المعنى الكامن فيها قبل أن تسلك طريقها في النظم، هذا القدر يدخل إسهامه في المعنى العام للتركيب؛ فمثلاً قضم للأكل الصلب وخضم للأكل الصلب، ونضح أقوى من نضح. يورد ابن جني بعض جهود الخليل بن أحمد الفراهيدي في مجال الأصوات، وما توحى به من دلالة ومعنى، و من الأقوال التي استشهد بها أن العرب توهموا استطالة في صوت الجندب فقالت "صر"، وانقطاعاً في صوت البازي فقالت "صرصر"، وأن بعض الأوزان تحوي معنى جزئياً للفظ، فوزن فعلان دال على الحركة والاضطراب مثل جريان - غليان، وأن بعض المصادر الرباعية تدل على التكبير مثل قلقله - صلصلة - زعزعة...، وأن أي زيادة أو نقصان في الميزان الصرفي يؤدي إلى اختلاف أو تعدد في الدلالة، نحو قالت العرب إن اعشوشب ليست كأعشيب... وهناك آراء أخرى في هذا المجال توهمت أن اللفظ إذا نطق دلناً على معناه أو شيء منه، لأنه بين اللفظ والمعنى صلة حتمية، هي علاقة واجبة، لكن السيوطي انتقد هذا بشدة بحجة أنه يجعل المعنى كل واحد في جميع اللغات لعدم اختلاف الدلالات الذاتية (السيوطي، المزهري في علوم اللغة وأنواعها، ج 01، ص: 16).

غريباس.⁽¹⁾ فيشكل عنده المعنى جزءاً من سيرورة الكون فلاإنسان متواجد فوق الأرض بوصفه منتجاً للمعاني لا مستهلكاً لها فقط، فتمثل إنسانية العالم قاطباً في إحالته على معنى فالحياة معنى. فكان مسوغ أننا نتداول فيما بيننا البين المعاني لا الأشكال، أو المواد أو الأشياء سبباً في دراسة المعنى وهو لب عمل السيميائيات.

ويستوقفني مصطلحين وضعا كبديلين لمصطلح المعنى أحدهما في النقد العربي القديم وهو (الحد)، والثاني عم على الساحة النقدية الأدبية عربيًا وغربيًا تمثل في (الدلالة)، يمكن بسط مفهوم المعنى الاصطلاحي بالمقابل لهما.

ب- المعنى هو الحد:

يعني لفظ الحد لغة في التراث العربي القديم الوصول إلى منتهى الشيء، والحاجز بين شيئين، وتمييز الشيء عن الشيء⁽²⁾، مايعادله حديثاً « حد الشيء»: تعريفه الجامع لكل أفراد، والمانع لكل ما ليس منه⁽³⁾، والثابت أن مصطلح الحد كان يعني: «الوجه أو الحكم الصحيح»⁽⁴⁾، وتزامناً مع ثقافة عصر- علماء اللغة العرب القدامى، وتأثرها بالتيارات، والثقافات الأجنبية، على رأسها الثقافات اليونانية، بقوة منطقتها وفلسفتها، تم العدول به إلى اعتباره «القول الدال على ماهية الشيء، أي على كمال وجوده الذاتي وهو ما يتحصل له من جنسه القريب، وفضله»⁽⁵⁾ أخذ الحد المقابل للمعنى عند الأصوليين المناطقة والمتكلمين والنحاة والبلاغيين، واللغويين هذا المنحى في التفكير، فهو عند الأصوليين المناطقة بيان ماهية الشيء ومعناه المقصود بعينه، والذي لأجله وضع و «معناه الذي لأجله استحق الوصف المقصود»⁽⁶⁾ قصد توضيح الشيء، والدلالة على هيئته لا غير، ووضع إطاره المفهومي الجامع والمانع له، بالاعتماد على دقة الوصف للمحدود.

(1) - سعيد بنكراد، البحث عن المعنى، دار الحوار، اللاذقية، سوريا، ط01، 2017، ص:26.

(2) - الفيروز آبادي، القاموس المحيط، مادة (ح د د)، المرجع السابق، ص: 276.

(3) - المنجد الإعدادي، دار المشرق، بيروت، لبنان، مادة (حدّ)، ط 04، 1984، ص: 195.

(4) - كريم حسين و ناصح الخالدي، نظرية المعنى في الدراسات النحوية، دار صفاء، عمان، الأردن، ط 01، 2006، ص: 34.

(5) - الحسين بن عبد الله ابن سينا، الحدود، ص: 3، المرجع السابق، الموقع الإلكتروني:

<http://www.muslimphilosophy.com>

(6) - المرجع نفسه، ص: 33.

وليس بعيدا عنه رأي فرق المتكلمة الذين اعتبروا «التمييز بين الحدود وغيره، يحصل بالخواص اللازمة التي لا تحتاج إلى ذكر الصفات المشتركة بينه وبين غيره»⁽¹⁾، أي التعريف بخصائص الشيء التي تفردّه عمّا سواه، و تمييزه عن غيره بذكر وإعطاء خواصه اللازمة له، والتي تخرجه عن نطاق الاشتراك مع غيره...

فيأخذ الحد في التراث العربي القديم مفهوماً بعيداً عن مفهوم المعنى، المستحدث المتداول في النقد المعاصر، في أبسط تعريف له، على أنه مدلول اللفظ الدال عليه، أو ما يجمله اللفظ من إيماءات، وإشارات، تثير استجابة في المجتمع اللغوي الموضوع له. في حين حد الشيء هو تعيين مكوناته، وخصائصه التي تحدده بالنسبة لغيره وتميزه، باستحضارها يستحضر المحدد.

ت- المعنى هو الدلالة:

إن التقارب المفهومي بين مصطلحي المعنى والدلالة، حد التلامس، يجعل الفروق ومسار التباعد بينهما ضيقاً جداً، والذي يجعلنا نضيق دائرة الاختلاف بين الحدين وجود الكثير من الدراسات والدارسين من أهل الاختصاص من لا يجعل فرقا بينهما، معتبراً الدلالة هي المعنى، وأن الحديث عن المعنى في النص هو الحديث عن دلالاته، فقد عبر أرسطو عن المعنى بمصطلح السيمانتيك "sementic" من الأصل اليوناني "سيانين" "semanein" ويعني به أيضا الدلالة، ووضع « كصفة من الصفات،.. بمعنى دال signifiant»⁽²⁾. في حين واستخدمه العالم اللغوي الفرنسي- "ميشيل بريال" كمصطلح أطلقه على علم الدلالة، المهتم بدراسة المعنى دراسة علمية.

ونجد أيضا من يطابق بين المعنى والدلالة في التراث العربي، يقول الشريف الجرجاني عن الدلالة «كون الشيء بحال يلزم من العلم به العلم بشيء آخر... الأول هو الدال والثاني هو المدلول، وكيفية دلالة اللفظ على المعنى -باصطلاح علماء الأصول-

(1) - المرجع نفسه، ص: 33.

(2) - رجب عبد الجواد إبراهيم، دراسات في الدلالة والمعجم، دار غريب، القاهرة، مصر، ط01، 2001، ص: 11.

محصورة في عبارة النص، إشارة النص، واقتصاد النص»⁽¹⁾، «فدلالة النص عبارة عما ثبت بمعنى النص لغة لا اجتهادا، فقوله لغة: أي يعرفه كل من يعرف هذا اللسان بمجرد سماع اللفظ من غير تأمل،... دون اجتهاد»⁽²⁾.

لا يبتعد كثيراً تعريف الشريف الجرجاني للدلالة عما جاءت به اللسانيات، لتعيينها للدلالة في طرفي الدال والمدلول، بحيث يكون الأخير ظاهر في بنية الأول "اللفظ" لا يحتاج من القارئ احتمالات أو اجتهادات في تفسير دلالة النص أو أي متن. ونلاحظ أن لفظ الدلالة لا يحتوي في مفهومه معنى "المعنى" الجامع، إذ دلالة الكلمة هي ما يستوجبه معنى اللفظ، فلا يعمل الناقد على استنتاج النص، وإيراد احتمالاته الممكنة منه، وهذا ما عنى به الشريف الجرجاني لا اجتهاد فيه.

ومصطلح الدلالة مفهومه جارٍ في النقد المعاصر على اعتباره مرادفاً للمعنى فيسمي البعض علم الدلالة بعلم المعنى، أو دراسة المعنى، وهو «العلم الذي يدرس المعنى، أو ذلك الفرع من علم اللغة الذي يتناول بطريقة المعنى، أو ذلك الفرع الذي يدرس الشروط الواجب توافرها في الرمز، حتى يكون قادراً على حمل المعنى»⁽³⁾. ونجد في الدرس اللسانيات العامة - وهي المرجعية الرئيسية لمعظم المناهج الحديثة والمعاصرة المتولدة بعدها- أن مصطلح الدلالة استخدم على أنه مدلول العلامة، فقد جعلت العلامة: دال + مدلول؛ على أن الأول اللفظ والثاني المعنى، الدلالة، المفهوم، التصور الفكرة...

هناك من العلماء من جعل فرقاً بين مصطلحي المعنى والدلالة، فقد اعتبر معجم اللسانيات الدلالة مجموعة المدلولات المجردة في حين أن المعنى يعود إلى الملفوظ، وهو خاص محسوس، مصرح به في سياق ما و موقف ما؛ مثلاً: الملفوظ "أعطني إياه"

(1) - علي بن محمد الشريف الجرجاني، التعريفات، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، طبعة جديدة، 1957، ص: 109.

(2) - المرجع نفسه، ص- ص: 109- 110.

(3) - أحمد مختار عمر، علم الدلالة، المرجع السابق، ص: 10.

لديه دائماً نفس الدلالة ، ولكنه يختلف في معناه في كل ملفوظ ، تبعاً للمكان والزمان وكذا المتكلمين ...⁽¹⁾ والسياق الوارد فيه مما يتحتم تغير معناه تبعاً لتغير أحوال وضعه.

واعتبر بعض اللغويين نقاط الفصل بين المعنى والدلالة موقوفة على جزئيات وفواصل « دقيقة وأحياناً واهية، لا تتصور إلا على أساس تقدير وجود حركة فكرية بين ثابت يسعى إلى إخضاعه إلى المقولة والتصنيف، ومتحرك يأبى أي قيد وحد. »⁽²⁾ بفهم أبسط يعود الثابت إلى الدلالة، و المتحرك إلى الأصل الجوهرى في النص يعنى به المعنى المتحرر من أي قيد ، وأن عملية الوصف للعلامات اللغوية، أو كل بناء أو تركيب لغوي يشمل الدلالة التي بها يدرك المعنى، ومنه « نحول الحديث عن المعنى الجوهر إلى الحديث عن هذا الثابت المسمى دلالة. »⁽³⁾، وحتى نصل إلى هذا الجوهر وجب التطرق إلى الدلالة في مرحلة الوصف للعلامة اللغوية، ما يجعل الدلالة سبب وعلّة لوجود المعنى، فلا يدرك الأخير إلا من خلال عملية ذهنية، ونشاطات فكرية واصفة، يقوم بها القارئ تشمل جميع المظاهر والخصائص التي عليها تلك العلامة اللغوية، الحاملة للدلالة والممارسة عليها على أنها بعدا تكوينيا، وصفها شرط يوجب الحديث عن المعنى.⁽⁴⁾

إن أصلية المعنى الناجمة من كونها صادرة من نشاط ذهني وعائدة إليه ، تعني بذلك أن أي عملية إبداعية أدبية مثلاً تم تحريرها من طرف مبدع تحمل في أصلها معنى وأنه يمثل جوهرها، وإذا أردنا إثبات هذه العملية الذهنية، وهذا النشاط المولد لهذا الأصل يكون من خلال الوصف الذي يشمل الدلالة، وأي تدليل على هذا المعنى يعد فرعاً، يمثل لحظة وصفية لا تتكرر، فتكون أمام الخاصية المذكورة سابقاً-تفرق بها بين المعنى والدلالة- ألا وهي المعنى أصل، والدلالة فرع تثبت وجود هذا الأصل .

ولأن عملية الوصف المنوطة بالموصوف تخضع أكثر لمؤهلات وشروط الواصف أكثر من الموصوف ، فإننا حتماً لن نقف في وصف الدلالة على رؤية واحدة ، وهذا لتعدد

(1) - Georges Mounin, Dictionnaire de la linguistique, Op cit, P: 297.

(2) - عبد السلام عيساوي، من المعنى إلى المعنى، ضمن كتاب: قضايا المعنى في التفكير اللساني والفلسفي، إشراف: عبد السلام عيساوي، منشورات جامعة، منوية، تونس، ط 01، 2015، ص: 69.

(3) - عبد السلام عيساوي، من المعنى إلى المعنى، المرجع السابق ص: 69.

(4) - المرجع نفسه، ص: 70.

الواصف لموصوف واحد، ومنه فإن عملية وصفية تحدث ولا تتكرر، وتقارب ولا تقطع في يقينية المعنى، وقد اعتبر " بيار بورديو المعنى مكوّن لا يمكن البرهنة عنه أو إثبات وجوده وتجليه، أو حتى حده فهو « مضمن في المدلول، قد لا يمكن إدراكه وإثباته بصفة مباشرة لا لبس فيها، لكن لا يمكن نفي وجوده في الخطاب والتجربة التواصلية. »⁽¹⁾

يؤكد عبد السلام عيساوي أن التأمل في مصطلحي الدلالة والمعنى يدرك دون جهد؛ أن الأول غير الثاني، حيث يكون للدلالة قرائن عدة تمكننا من ضبط حدودها، وأن نخضعها إلى الشروط العلمية لتحليلها وضبطها، في حين المعنى يبقى تصورًا وموضوعًا ذهنيًا يستوجب الارتقاء من فهم دلالة الألفاظ إلى الاستدلال على صحتها وتحققها⁽²⁾.

لو بسطنا معنى العام للدلالة نجده يعني ما تدل عليه الألفاظ وما فهم منها، فهل يساوي هذا المفهوم، تعريف المعنى؟

تقرب ذلك أكثر بجملة من التعريفات للدلالة أوردها الناقد الجزائري رشيد بن مالك كحوصلة لمفهوم الدلالة في النقد المعاصر خاصة أنها مصطلح دارت حوله عمل السيميائية، وكان محط إشكالها الذي تسعى لتفسيره، على أن الدلالة⁽³⁾:

- يمكن أن تشير إلى حالة أو فعل ومن هنا فهي تمثل إنتاج للمعنى أو كمعنى منتج.
- المعنى الممفصل، وقد يستعمل للإشارة إلى المادة بالمفهوم اليمسليفي، من هنا وجب إلغاء هذا التصور من اللغة الواصفة.
- استعملت لتعيين جوهر المضمون
- استعملت مرادفة للسيميوزيس^(*)، وفسرت على أساس الترابط بين الدال والمدلول.

(1) - المرجع نفسه، ص: 70

(2) - عبد السلام عيساوي، من المعنى إلى المعنى، المرجع السابق، ص: 70.

(3) - رشيد بن مالك، قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص، دار الحكمة، الجزائر، (د ط)، 2012، ص- ص:

- يخصصها غريماس لتحديد الفارق في طبيعة الكلام.
- عند برييتو وموني تعادل مدلول الدليل الألسني، وتكون مقابلة للمعنى على أنه القيمة التي يأخذها المدلول في السياق.

يمكن أن نرد على الاستفهام أعلاه تأصيلاً عمماً سبق، أن المعنى أوسع من الدلالة، فتصبح جملة التعريفات المذكورة خاصة منها أن المعنى هو الدلالة؛ أي ما دل عليه اللفظ، تعريفات قاصرة في تحديد مفهوم المعنى، لوجود ما أسماه الجرجاني "معنى المعنى" الذي لا توقف على ظاهر اللفظ إنما ما يحمله من معاني باطنة، لذا وجب أن نستنطق مفرداته وتراكيبه بالدراية، والفهم، وحسن التأويل، هذا الأخير جعله بنكراد رافعة جديدة للمعنى في المستويات الأكثر عمقاً، وسيصبح التأويل الأداة التي من خلالها نستعيد ما هو أبعد من مجرد دلالات ثانية، فلا يعتبر بنكراد التأويل تعرّفًا على المعنى بل هو استنفار لطاقة دينامية لا يكشفها النص إلا من خلال مساءلته، وإعادة بناء مقاصده وفق أفق الفهم.⁽¹⁾ فيتعدد الفهم والتأويل ومنها يتعدد المعنى.

أرجع الناقد "فاضل صالح السامرائي" أسباب تعدد المعنى ودلالاته التي تستوجب احتماليته، إلى الكثير من الآليات اللغوية كالترادف والتضاد والمجاز والاشتراك اللفظي⁽²⁾،... فمثلا هذا الأخير يمثل «اللفظ الواحد الدال على معنيين مختلفين فأكثر دلالة على السواء عند أهل تلك اللغة»⁽³⁾، مما يتحتم استظهار المعاني المختلفة في بناء النص الواحد، والأخذ بالقرب منها بما يناسب فهم وتأويل ونسق ذاك النص. إضافة إلى

* - سيرورة العلامات، أو سيرورة لإنتاج الدلالة بحد تعبير سعيد بنكراد، الذي عمد في مقاله السميوزيس والقراءة والتأويل إلى تحديده. أنظر، الموقع الإلكتروني:

<http://www.saidbengrad.net/al/n10/4.htm>

(1) - سعيد بنكراد، البحث عن المعنى دار الحوار، اللاذقية، سوريا، ط01، 2017، ص: 27.
 (2) - أنظر: فاضل صالح السامرائي هذا الجانب بالتفصيل، في كتابه "الجملة العربية والمعنى"، المرجع السابق، ص- ص: 12-29.
 (3) - عبد الرحمن جلال الدين السيوطي، المزهري في علوم اللغة وأنواعها، تخ: محمد جاد المولى وآخرون، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ج 01، (د ط)، 2014، ص: 396.

آليات أخرى في النسج الإبداعي كالتناص، والترميز، والانزياحات اللفظية والمعنوية وغيرها، تجعل الناقد يؤوّل هذه المعاني، ويقلب وجوه الألفاظ، حتى ترسو به القراءة إلى معنى متجدد، محتمل للنص الإبداعي.

3.1 تعريف بنية المعنى:

إن مصطلح البنية من أعقد المصطلحات التي سيطرت على الفكر النقدي الغربي والعربي طيلة رده من الزمن، وبسطت نفوذها على كل المعارف الإنسانية بما فيها الأدب، « وقد تطرقت في تعليقاتها الأدبية إلى درجة تحويل النص الأدبي إلى مجموعة من الجداول والإحصاءات، وهذا بغرض توخي الصرامة في التحليل، وإعطاء الطابع والهيئة العلمية للعمل النقدي». ⁽¹⁾ بذلك إن مصطلح البنية يعني «علاقة مجردة تربط بين طرفين أو أكثر». ⁽²⁾

وقد رأى روجيه غاوردي أن البنيوية – التي هي عند بارت منهج يرمي إلى استقصاء الحقائق الأدبية، بعيداً عن كل نزعة انطباعية أو ذاتية- المعلية من شأن البنية وسجنت النص في نسقه البنائي هي فلسفة موت الإنسان. ⁽³⁾ فكل بنية هي بنية دلالية بالضرورة فلا سبيل للفصل بين البنية والدلالة في دراسات الأدبية، سواء تعلق الأمر بدلالة العلامة اللغوية أو دلالة الجملة أو دلالة النص، من هنا يتبين عدم نجاعة البحث اللساني والبنوي الفاصل بين الشكل والمعنى، إذ لا جدوى من وصف بنوي يقصي- الدلالة؛ بل لا سبيل إلى دراسة الشكل إلا بالدراسة المعنى، كما لا سبيل لدراسة المعنى خارج الشكل أو خارج التصور البنوي. ⁽⁴⁾ من كل تلك الفلسفات والمفاهيم المقدمة أعلاه عن المعنى والبنية، يمكن أن نضع مفهومًا بسيطًا لمصطلح:

(1) - عليمه قادري، رحلة السرد- السندباد يعود من بعيد، دار الكاتب، الجزائر، (د ط)، 2013، ص: 96.

(2) - نرجس باديس، الذاتية في النظام اللغوي، الدار التونسية للكتاب، كلية الآداب والفنون بمنوبة، تونس، ط01، 2018 ص: 178.

(3) - عليمه قادري، رحلة السرد- السندباد يعود من بعيد، المرجع السابق، ص: 97.

(4) - نرجس باديس، الذاتية في النظام اللغوي، المرجع السابق، ص: 178.

- **المعنى** على أنه: قدر جذري جوهري من الخبر، أو البلاغ، وهو إفادة معرفية تتشكل في الكلام، النص، الخطاب، بتضافر عدد من المكونات والبنيات التركيبية حاضر فيه بالقوة، إيجاده ممكن بالفعل، قابل للانفتاح الدلالي، والانغلاق، يساهم القارئ أيضًا في إنتاجه وفق آفاق توقعاته، وبحسب الإيحاءات اللفظية في مستوياتها المختلفة، الإفرادي والتركيبى والسياقي.

- **بنية المعنى** بأنه: عملية تكوينية في النص تتمازج فيها مستويات عديدة: فكرية إيدولوجية، لغوية، نفسية، مرجعية...، فهو ليس تركيبًا آليًا يتواجد بتوحيد أجزائه لنصل به إلى قالب مركب، إنما هو تكوين وحصيلة معرفة إبداعية، تصنع وتتوالد وتنمو في النص، بعناصره المتزامنة والمتلازمة في نسق يضمن صحة وجوده، وأن تحديده لن يكون بمعزل عن الانتماء الفكري لكل من المبدع والقارئ على حدّ السواء كل حسب كفاءته المعرفية، وقدرته الإنتاجية.

2. بنية المعنى وميكانزمات النقد:

اعتمد النقد الأدبي في مختلف أطواره وحقبه ميكانزمات، طبقها على النصوص الأدبية، هي آليات وشروط تضمن السير المنظم والدقيق عند تحليلها، منها الشرح والتأويل والتناسخ والمنهج...، تمكننا من إعادة بناء النصوص وإنتاجها بشكل أدبي فني وأن غلب عليها اللغة العلمية النقدية.

1.2 بنية المعنى وآليات التحليل: الشرح والتفسير والتأويل:

عند الظاهرية « يبدأ المعنى عندما يبدأ الصمت»⁽¹⁾، فحين يبدأ الكلام وتشتغل رموز اللغة، ويحقق نظام الكلام توحيدها، ثم ينتهي، يبدأ المعنى مع الصمت فيكون الإبداع من خلال اللغة الضمنية، التي يحقق وجودها الناقد.

إن « الصمت معانٍ، في الأصل، لا لغة لها، قل هي لغة لذاتها، معان بلا مدينة ولا ملة ولا دولة...إننا لا نمتلك عن الصمت إلا حدودًا ما أشق أن تتصير مفاهيم

(1) - عمارة ناصر، اللغة والتأويل، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 01، 2007، ص: 56.

وأدوات التفكير...، فالصمت هو وقود الكلام»⁽¹⁾، فالمؤلف ييوح ويتكلم، ويكتب ويخرج إبداعاً، لكن لا نعرف للنص وجوداً ولا معنى إلا إن صمت مؤلفه، بعد أن يكتفي عن الكلام والبوح، يأتي فهم القارئ الباحث في النص، بأدواته الإجرائية وحده المقنن عن معناه ودلالته من بعد صمت المؤلف، فيكون صمته الأرضية التي ينطلق منها للبوح والإنتاج وإثبات وجوده وفاعليته، فتمنحنا فلسفة الصمت فرصة البحث في لغته الضمنية المحملة بالدلالة، فناتج المعنى محصل من آليات التحليل النقدية، أهمها: الشرح والتفسير والتأويل.

أصبح الشرح والتفسير والتأويل آليات نقدية يتسلح بها الناقد في مواجهة النص يعتمد فيها على إظهار حقائق النص وبنياته، ومع هذا فإنه لا يزال لحد الآن استخدامها متداخلاً- مفهومًا واصطلاحًا تطبيقًا وتنظيرًا-، رغم أن الناحية الإجرائية والمفهومية لكل منها قد تهض بوظيفة محددة.⁽²⁾

- **فالشرح:** إذا خص مشكل الكلام عُني به بسطه، وإظهار ما خفي من معناه⁽³⁾، وإذا خص التعليم فهو أحد أشكال الإلقاء الذي يقوم على علاقات منطقية، يلجأ إليه المعلم أو الدارس ليبرهن على قانون أو قاعدة، أو يشرح سير إحدى القضايا، وتحليل مختلف الظواهر أو أنواع الإنتاج الأدبي.⁽⁴⁾ لكنه من منظور النقد يعني «تتبع نسق من المفاهيم، ومحاولة تطبيقه على نص أدبي، وفق خطوات إجرائية دقيقة»⁽⁵⁾.

يوضح عبد الله العثي الوظيفة التي يؤديها الشرح، فيقول: «الشرح نوع من الاهتمام بذات النص الأدبي، وكل اهتمام بهذا النص هو نشاط نقدي في النهاية، بل نضيف إن عملية الشرح لا تقتصر على شرح ما في البيت أو النص من معنى، بل

(1) - محمد بن العربي الجلاصي، ولادة المعنى: في سيميائية الصمت العربي، ضمن كتاب المعنى وتشكلاته، أعمال الندوة الملتمة بكلية الآداب منوبة نوفمبر 1999، منشورات كلية منوبة، تونس، ج01، (د ط)، 2003، ص: 257.

(2) - تيري إيغلتن، نظرية الأدب، تر: نادر ديب، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، سوريا، 1995، ط1، ص: 87.

(3) - عبد الرؤوف المناوي، التوفيق على محمات التعريف، المرجع السابق، ص: 203.

(4) - حمد الدريج وآخرون، معجم مصطلحات المناهج وطرق التدريس، مكتب تنسيق التعريب في الوطن العربي، الرباط المغرب 2011، ص: 156.

(5) - تيري إيغلتن، نظرية الأدب، المرجع السابق، ص: 86.

تساعد على استثارة المتلقي وامتناعه روحياً وعقلياً، وتهيئته لتقبل شكل أدبي ربما كان بينه وبين النص حاجز. فالشرح بهذا المعنى إذن يؤدي وظيفتين على الأقل:

- 1- وظيفة تفسيرية تتعلق بدلالة النص الظاهر وارتباطه، وتسهم في مجال النقد الأدبي.
- 2- ووظيفة جمالية تتعلق بالقارئ، وتسهم بالتالي في نظرية التلقي.⁽¹⁾

ويدخل الشرح في النقد التطبيقي، حيث يتخذ المحلل سبيلاً للكشف عن العوالم المعتمة، التي تهم الناقد ولا يطولها، فيكون النص الشارح مكماً للعملية النقدية المخصصة، فهو - النص الشارح- الخطاب الذي يتولى عملية تفسير وشرح الأعمال الأدبية، دون أن يتعدى الشرح إلى عمليات أكثر عمقاً في النقد.

ويرى الكثير من الدارسين أن النص الشارح لا يُعنى بإصدار الأحكام، كما أنه يخلو من اللغة النقدية القائمة على المصطلحات العلمية، ولا يقف عند الجزئيات والصور، بقدر ما يهتم بالكليات خلاف الخطاب النقدي. وقد ظهرت عدة كتب تحاور النصوص على مستوى الشرح؛ من مثل شروح القرآن الكريم، شروح متون الفلسفة والبلاغة...، وكان من الممكن أن تشكل هذه الظاهرة حقلاً دراسياً مستقلاً، أو تنجب علماً كاملاً، مثلما حدث مع شروح القرآن الكريم التي أنجبت علماً قائماً بذاته هو علم التفسير.⁽²⁾

فلا يعدو الشرح أن يكون الطريقة التبسيطية لمتون النصوص، التي يحتاج القارئ لفك لبس تراكيها، حتى يستطيع أن يقرأ عمق معانيها بالكليات المنهج الذي اختره، وإن كان الشرح أولي في بعض الأحيان إلا أنه أداة تحليل لتسهيل الغور في النص.

(1) - عبد الله العثي، زحام الخطابات، دار الأمل للنشر، تيزي وزو، الجزائر، (د ن)، 2005، ص: 63.

(2) - أنظر: عبد الله العثي، زحام الخطابات، المرجع السابق، ص، ص: 62، 88.

- أما التفسير فهو «كل ما ترجم عن حال شيء فهو تفسيره»⁽¹⁾، وهو الكشف والإظهار وإخراج الشيء من معلوم الخفاء إلى مقام التجلي⁽²⁾. فنلاحظ من التعريفين إحالة مباشرة لآلية الشرح، فما شرحته فقد فسرته، والتفسير شرح لغموض أو لبس. في حين التأويل^(*) هو:

- فعل إنتاج وإظهار الحقيقة وموجودية الموجود⁽³⁾.
- نقل ظاهر اللفظ عن وضعه الأصلي، إلى ما يحتاج إلى دليل لولاه ما ترك ظاهر اللفظ⁽⁴⁾.
- نقل الكلام من ظاهر موضعه إلى ما يحتاج في إثباته إلى دليل، لولاه ما ترك اللفظ وهو أيضًا رد أحد المحتملين إلى ما يطابق الظاهر⁽⁵⁾.
- أخذ المعنى على غير محمل الكلمات وتجاوز الظاهر إلى الدلالة الخفية⁽⁶⁾.
- والتأويل والتأويل: تفسير الكلام الذي تختلف معانيه، ولا يصلح إلا ببيان غير لفظه⁽⁷⁾.
- والمؤول كل من: فسّر، ووضح ما هو غامض، و التأويل هو التمعن في الشرح، وهو تفسير وإيضاح⁽¹⁾.

(1) - الزمخشري، أساس البلاغة، المرجع السابق، ص: 504.

(2) - عبد الرؤوف المناوي، التوفيق على محمات التعريف، المرجع السابق، ص: 104.

* - يعود مصطلح التأويل في النقد والأدب إلى الفلسفة الظاهرانية، ولم يبق مشروطا بالناحية اللغوية أو الأدبية فقط - كما عند العرب- بل اخذ البعد الفلسفي، فهو فعل إظهار معنى علاقة الكائنات بالكينونة، يعمل بحرية بين المؤول و المؤول، وهذا لإنتاج المعنى وتأسيسه. فنجده يشدد على فعل التوسط بين المؤول و المؤول، و اتخاذ مكان في المابين، ويعتبر فعل يُنتج فيها في حال نجاحه، وإنتاج التأويل يعني الوصول إلى فهم المؤول.

(3) - هيوغ سلفرمان، نصيات - بين الهرمينوطيقا والتفكيكية-، تر: علي حاكم صالح وحسن ناظم، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2002، ص: 37.

(4) - ابن منظور، لسان العرب، المرجع السابق، مادة (أ و ل)، ص- ص: 193-194.

(5) - عبد الرؤوف المناوي، التوفيق على محمات التعريف، مرجع سابق، ص: 104.

(6) - حسين خرمي، نظرية النص- من بنية المعنى إلى سيميائية دال، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2007، ص: 87.

(7) - ابن منظور، لسان العرب المرجع السابق، ص: 194.

تشير المفاهيم السابقة إلى أن التأويل يحمل آليتي الشرح والتفسير، لكنه أوسع منها وأعمق في تحليل النص، وتتفاوت عملية التأويل بتفاوت درجات التلقي، وكيفيات التواصل من مجال إلى آخر، ومن وضعية إلى أخرى، تلزم أحيانا إرجاع الشيء إلى أصله الخفي، وتفسيره، وإعطائه دلالة به يفهم ظاهر اللفظ، « فحياة الإنسان اللغوية لا تستدعي منه دائما أن يفهم، بل تحرضه في كثير من الحالات على أن يفعل، ويؤول ويقترح ويغير⁽²⁾ »، ولا يتعلق الأمر بتأويل الكلام الظاهر في تركيب الجملة، لأنه يحمل معنى حقيقيا، مقصودا مباشرا في الكلام، إن ألتبس فيه قد يحتاج إلى شرح أو توضيح لمفهومه، الذي لا يتعدى ظاهر اللفظ، إنما الأمر يتعلق بتأويل التركيب المجازي، الذي يتجاوز المدلول الظاهر للألفاظ، مستعار له بألفاظ قصد التوسيع والتنوع في المعنى أو إخفائه.

يحتاج النص في تأويله إلى قارئ مثقف، متسلح بقوة معرفية، ومنهجية تحليل إلى جانب اليقظة أو ما يطلق عليه الحدس المؤسس، حتى يستطيع « تأسيس العلاقة الجدلية بين الدال والمدلول لإحضار الدلالة، وذلك كله يعتمد على الوجود اللفظي الذي... يجعل الكلمة ذات قيمة ثنائية: غياب وحضور، وجود ونقص، وفي مثل هذه القراءة يحتاج القارئ بالإضافة إلى الكفاءة اللغوية، التي تقوم على أساس المرجعية اللغوية إلى الكفاءة الأدبية، التي تلعب دورا في معرفة القارئ للمنظومات الوصفية والثيمات الأدبية، وأساطير المجتمع حتى يستطيع أكمال الثغرات أو التكتيفات في النص.⁽³⁾ فتشكيل بنيات النص والمحددات الداخلية له، يحتاج إلى الوصف، وإعادة الإنتاج، وذلك بإخضاعه للشرح والتفسير لتوضيح غموض معانيه، وتقريب دلالاته الظاهرة، ثم إلى التأويل للوصول إلى انسجامه، وكشف حقيقته الباطنية، فتسبح له آلية التأويل من ترجمة المعنى وملمته، وكشفه وإن كان كشفاً احتمالياً.

(1) - علي بن هادية وآخرون، القاموس الجديد للطلاب، علي بن هادية وآخرون، القاموس الجديد للطلاب، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، مادة (أ و ل)، ط 07، 1991، ص: 54.

(2) - المرجع نفسه، ص: 70.

(3) - بسام قطوس، استراتيجيات القراءة- التأصيل والإجراء النقدي- دار الكندي، أريد، الأردن، 1998، ص: 58.

وإن أجاز النص أحقية القراءات العديدة، وفتح أبوابه للتأويل، فلا يمنح ذلك حق استباحته حسب أهوائنا، كما نشاء وكيفما اتفق، فليس هناك تأويل مطلق، ولا وجود لتأويل جاهز مقولب؛ بل يتعلق الأمر بمسارات تأويلية، يعود الأمر فيها إلى فرضيات التأويل التي يطرحها النص⁽¹⁾، إذ لو جاز لنا ما فندناه لتساوت النصوص المنتجة جميعها، ولاخفت الحدود بينها.⁽²⁾

ويُعْتَدُّ بالتأويل كآلية نقد وإنتاج في المناهج النقدية المعاصرة، تلك التي تهتم ببناء النص دون سواه، وتتخذ إجراء للقراءة والتحليل، ومساراً لإعادة تكوين الإبداعات وإنتاجها، في الآن نفسه، فهو لا يدهم الوقائع النصية من خارجها، إنه يتخللها ويتعقب أنماطها وكيفية وجودها، ويطارد علاماتها ليمسك بالبور التي يلوذ بها المعنى، لذا أكد بنكراد أن كل تأويل هو استحضار لسياق، وكل سياق هو ذاكرة خاصة للواقعة النصية والخطاب وللملفوظ والبنيات التراكمية وللوحدات المعجمية.⁽³⁾ فتأويل النصوص يختص برصد العلاقات التي تعرّف أجزاء العلامات بعضها ببعض، بدءاً من أصغر علامة فيه وصولاً إلى أكبرها؛ أي النص ككل، وهذا ما يعنيه تأويل العلامة عند إيكو؛ فهو « تعريف جزء من المضمون المنقول في علاقاته مع الأجزاء الأخرى المستمدة من التجزئة الكلية للمضمون. وهو أيضا التعريف بجزء من خلال استعمال الأجزاء الأخرى منقولة عبر تعابير أخرى مع إمكانية المجازفة -في حال المضي بعيدا في التأويل- لا فقط بالمضمون المحدد في البداية بل كذلك بمعيار التجزئة في كليته.»⁽⁴⁾ فشرط قراءة وتحليل العلامة عند إيكو ليس الاستبدال القائم على وضع علامة موضع أخرى، بل هو وجوب التأويل المحتمل، لأنه يوسع من مفهوم المعنى ودلالة العلامة، ويسمح بالانطلاق من العلامة لقطع

(1) - سعيد بنكراد، السرد الروائي وتجربة المعنى، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط (01)، 2008، ص: 52.

(2) - حسن مصطفى سحلول، نظريات القراءة والتأويل الأدبي وقضاياها، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2001، ص: 29.

(3) - حسن مصطفى سحلول، نظريات القراءة والتأويل الأدبي وقضاياها، المرجع السابق، ص: 52.

(4) - إمبرتو إيكو، السيميائية وفلسفة اللغة، تر: أحمد الصمعي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط(01)، 2005، ص: 110.

كامل دائرة توليد الدلالة، مرحلة تلو المرحلة⁽¹⁾، فيشمل التأويل قراءة العلامة بحسب وضعها مع غيرها، وتتبع أجزاء المعنى عبرها، وليس التأويل عنده ما يتحصل عليه القارئ من دلالات جزئية عند كل تأويل لعلاقة علامة مع غيرها، بل يصل حدّه إلى النظر في المضمون الكلي للعلامات عبر النسق الذي سيقى فيه، فيكون بذلك التأويل عملية تكوين للمعنى، تبدأ منذ العمل على المضمون إلى غاية الانتهاء من قراءته.

يرى جوناثان كولر في حديثه عن التأويل أن مشكل ممارسته حاصل في نقصه لا في المبالغة فيه، مادام القارئ عاجزاً على استنفاد إمكانات التأويل جميعها، وما دام النص هو المانح لها، لذا من الأجدد الدعوة إلى تنشيط هذه الممارسة⁽²⁾، في ربط العلاقات بين عناصر النص، وما دفعه للدعوة إلى الانفتاح في ممارسة التأويل وتنشيطه والوصول بالأفكار لأبعد حد ممكن، ما تتميز به التأويلات القصوى أو المبالغة من فاعلية وتأثير، والتي تسببها حالة الاندهاش بالخصوبة وبراء النص، وقدرتها على تحقيق اكتشافات جديدة متعلقة بالعمل الأدبي الإبداعي⁽³⁾، أما التأويلات المتواضعة والمعتدلة فوجودها قليل التأثير والأهمية.

وتحصيل التأويلات القصوى يتطلب القارئ المثالي^(*)، القارئ الاستمولوجي المزود بالكفاءة والقدرة على قراءة النص، يوجد موضوعياً⁽⁴⁾، يقيم صلات وروابط ضمنية مع النص، ويسد ثغرات يتوقعها فيه، ويتجاوب بأحاسيس باطنية معه، ويجاوره ويأوله ليتوصل إلى استنتاج معانيه، وذلك يعني « الاعتماد على معرفة ضمنية بالعالم عموماً

(1) المرجع نفسه، ص: 109.

(2) - عبد الكريم شرفي، من فلسفات التأويل إلى نظريات القراءة، المرجع نفسه، ص: 81.

(3) - عبد الكريم شرفي، من فلسفات التأويل إلى نظريات القراءة، المرجع نفسه، ص: 81.

* - يمثل مرتبة متطورة من القارئ الحقيقي المقترض أو المستهدف القارئ يؤثر فيه الأدب بعمق، كونه قارئاً مجهزاً مسبقاً، له قدرات واستجابات بارعة في استخدام تقنيات ووسائل وإجراءات نقدية معينة، تعينه على فك رموز النص، وسد الثغرات التي توقعها فيه، استناداً على ما اطلع عليه من الأعراف الأدبية الحاصلة. وهو الذي يتوقع منه الوصول إلى ذروة النتاج القرائي.

(4) - آيزر، فعل القراءة، نظرية جمالية التجاوب في الأدب، مرجع سابق، ص: 20.

وبالأعراف الأدبية على وجه الخصوص»⁽¹⁾، وامتلاك رؤية حول النص، كي يبني تصورًا وتمثيلًا في ذهنه عن محتواه⁽²⁾.

ولا يرتبط هذا القارئ بنص معين، إنما يرتبط بعد ثقافي معرفي مؤسسي يتجاوز كل تطلعات وتوقعات المؤلف⁽³⁾، ويستطيع أن يقرأ ببراعة، وأن صوغ الكثير من الفرضيات لاستخلاص المعنى، فيكون هذا القارئ المشبع بثقافة حوارية «أكثر القراء جميعًا قدرة على تتبع مسار التأويل الممكنة، التي يقود كل منها إلى إقامة تأويل متسق يخالف غيره»⁽⁴⁾، يساوي عند الإيطالي إمبريتو إيكو القارئ النموذجي، الذي يستجيب استجابة فعّالة لبنيات النص، وما يطلبه، لتجسيد شروط النجاح لإنشائه.

يمثل هذا القارئ صورة المتلقي النشط الفعّال الذي يُفترض أن يفك رموز النص على أحسن ما يكون⁽⁵⁾، يعطي معنى محتملاً خاصًا به يرى صوابه، وأحقيقته كترجم لما تحمله العبارات والألفاظ من دلالات قابلة للقراءات والاحتمالات، تحوّل معنى النص بموجبها وحسب عدد القراء المؤولين، إلى معان خالدة متجددة في كل مكان وزمان متوقعة للنص الإبداعي. فأصبح التأويل من خاصيات العمل الأدبي وركيزة فيه، يجسد النص الغائب دومًا، يتشيع كل قارئ للوجهة النظرية التي يراها الأنسب والأحق في إنتاجه، رسخ فرضية المعنى لا حقيقته، وتعدده لا وحدانيته، خلص النص من وهم الحقيقة المطلقة، هذا الوهم الذي حصل بغياب القراءة التفاعلية الدينامية، والتأويل لأبنته التخيلية.

2.2 بنية المعنى وثالث الإبداع الأدبي:

يتمتع النص الأدبي عادة بقوة وجود المعنى، الذي لم يعد قصرًا على المؤلف أو محصورًا في مضمون أو فكرة بعينها، يترجمها قارئ من القراء، إنما أصبح معناه الحاضر

(1) - إيجلتون تيري، نظرية الأدب، مرجع سابق، ص: 135.

(2) - عثمان ميلود، الشعرية التوليدية - مداخل نظرية - شركة المدراس، دار البيضاء، المغرب، ط 1، 2000، ص: 185.

(3) - ميجان الرويلي و سعد البازعي، دليل الناقد الأدبي، المرجع السابق، ص: 192.

(4) - حميد محمداني، القراءة وتوليد الدلالة - تغيير عاداتنا في قراءة النص الأدبي-، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء

المغرب، ط(01)، 2003، ص: 115.

(5) - حسن مصطفى سحلول، نظريات القراءة والتأويل الأدبي وقضاياها، المرجع السابق، ص: 50.

الغائب هاجسًا يؤرق الناقد والمبدع معًا، كل طرف يسعى وراءه حسب حصيلته المعرفية، وتسليحه المنهجي، وحسب فنيته في إخراجه والبوح عنه، وإذا كان أكثر ما يتسلح به المبدع ويطلب منه لإنتاج نص أدبي هو الدراية الكافية والإحاطة بجوانب الموضوع، المراد الخوض فيه، فإن القارئ يتعدى ذلك إلى التمكن من المناهج النقدية والتحكم في آلياتها، حتى يستطيع الغوص في حيثيات النص، والكشف عن خبايا المعنى المخزنة فيه. فهذه النظريات النقدية المختلفة هي المرجعيات والإجراءات العلمية الأقرب للخوض في الظاهرة الأدبية، والتي تعطي الناقد شرعية مباشرة للنصوص وتحليلها .

لم يعد النص الأدبي يحمل أو يحتمل في متنه المعنى الواحد، بل إن المبدع في حد ذاته يكتب وفي ذهنه أن لما يكتبه أكثر من محتمل من المعنى، خصوصًا في ظل وجود هذه النظريات المعاصرة، التي تسعى بما امتلكته من قوة إجراءاتها ومقولاتها ومفاهيمها العلمية إلى تفجير النص، وإنتاجه من جديد بعيدًا عن قائله، فلم يعد إنتاجه وقف على المؤلف، بل هو ملكية شائعة لكل من أراد أن يدلوه بدلوه في قراءته، فتولد في ظل هذه النظريات، نصوص موازية للنص المقروء عنه، هي نتاج أدبي إبداعي يطرح فيه محتمل من المعنى، وليس المعنى النهائي، بذلك تكون كل قراءة هي وجه متوقع من عدد لا محدود من احتمالية المعنى، يمكن أن يحتويها نص ما.

ودون أن ننسى-، بل وجب أن نضع في حسابنا أن النص بدوره يخترن ميكانزمات تكتز المعنى، فبمجرد الانفلات من يد مؤلفه يضرب على بنياته الدلالية بأسوار التمتع والغياب، ليجعل استمرارية تكوينه وتجده مع كل قراءة. هنا أعلن موت المؤلف وغُيب المعنى، ولا يدل عليه إلا تلك الصور المحتملة منه، تأخذ موقع المقارب والمماثل له يعبر عنه في إطار علمي منهجي، توجده النظرية النقدية.

فنجد أن ميكانزمات بناء المعنى وشعرية إنتاجه مرهونة بثلاثة أطراف، تشكل الهرم الإبداعي للأدب وهي: المؤلف، النص، القارئ، ومحور عمل هذه الأركان تكمن في إنتاج المعنى. كيف ذلك؟

أ- المؤلف وحدة إنتاج المعنى:

التأليف هو «وضع الأثر الفني بعد أن تُجمع معلوماته من مظاهرها، ويحاط بكل مستلزمات الفكرة التي يتطلبها هذا الأثر....، والتأليف عمل تركيبى، تتعاون في إتمامه عناصر لا تحصى من الثقافة والتحصيل والتأهيل والإحساس والخيال.»⁽¹⁾ يعمل المبدع على إنتاج مؤلفه في شكل فني، مشحون بالدلالات والمعاني، فلن نتوقع ظاهرة إبداعية فنية مفرغة من المحتوى أو المعنى، فيكون الناتج الأدبي صيغة تحمل مرامي ومقاصد كاتبه يخرجها بأبنية متخيلة، فيجيء لوحة فنية، يحكمها وهم المبدع بأنه مالكمها.

وسرعان ما ينفلت النص المؤلف من يد صاحبه، فيصبح بناءً متيناً، لا ينفك عن التوقع على بنياته الدلالية حتى تأتي القراءة مقام البوح. لكن ابتداء ميشال فوكو مفهوم المؤلف ووظيفة «حمى النص من التوالد اللانهائي للمعنى، وأصبح من غير الميسور للقارئ أن يمتلك النص امتلاكاً مطلقاً»⁽²⁾، لأن هذه الوظيفة تساعد على تنظيم مكّون وعالم الخطاب. فإن كان المؤلف الحقيقي «منشئ الأثر الأدبي وهو شخصية، لها تاريخ وسيرة وتعيش في عالم البشر عيشة مستقلة عن النص الذي يبدع»⁽³⁾، فإن وجود اسم المؤلف على مجموع الآثار الإبداعية التي ألفها، ينهض بدور العلامة المميزة لها، يحميها من التغييب والتهميش، الذي يعرض الآثار مجهولة الهوية، أو تلك التي يفتقر مؤلفوها إلى الشهرة.

تعدى المؤلف مهمة التأليف إلى مهمة قراءة النصوص، فقد اعتبر حميد لحداني المؤلف المعاصر مختلفاً عن سابقه، إذ أنه مزود بكم هائل من المعرفة النقدية، حيث ارتاد هذا المجال وتمكن من إجراءاته وأدواته وميكانزماته شأنه شأن القارئ، فأصبح بنفسه يتولى مباشرة نص إبداعه في عملية نقدية علمية ممنهجة، ويهتم فيها بقضاياها و«يحاول خلخلة البناء الذي هو بصدد إقامته أمام القارئ، وبذلك ترك لهم مجالاً أكبر على الإنصات إلى النص، وإلى أنفسهم [يقصد المؤلفين]، بدل الإنصات إلى النقاد.»⁽⁴⁾

(1) - محمد بوزواوي، معجم مصطلحات الأدب، المرجع السابق، ص: 83.

(2) - محمد القاضي وآخرون، معجم السرديات، دار محمد علي للنشر، تونس، ط (01)، 2010، ص: 366.

(3) - محمد القاضي وآخرون، معجم السرديات، المرجع نفسه، ص: 366.

(4) - حميد لحداني، القراءة وتوليد الدلالة، المرجع السابق، ص: 15.

وظاهرة نقد المؤلف للنص ليست غريبة عن الفكر العربي، فمنذ العصر-الجاهلي كان شعراء الحوليات يتتبعون آثارهم الشعرية بنوع من التمحيص والغرابة قبل تلقي القارئ لها، و« هذه الظاهرة ينبغي أن يسجلها الدارس بمزيد من الاهتمام، ليرى كيف تعمل تلك الموهبة المزدوجة، وكيف يفيد، في جانبها الإبداعي، من النقد، وفي جانبها النقدي، من الإبداع»⁽¹⁾، خصوصاً، والمتتبع للساحة الأدبية العربية المعاصرة يجد الكثير من المبدعين تأليفاً ونقداً، واستطاعوا أن يثبتوا وجودهم كأدبيين مبدعين، وكدارسين متخصصين في النقد والقراءة.

ب- القراءة والقارئ سلطة إنتاج المعنى:

إن الذي يجعل القراءة دومًا ممكنة، ومستمرة في النص الأدبي، هو قابليته لتشكيل علاقات جديدة بين الوحدات الدالة فيه، تجعل القارئ أمام عدد لا متناهي من هذه الاختيارات العلائقية يقاطعها مع النص، ليرسم من خلالها نصًا موازيًا للمقروء، لا يكون خليفة هذا النص، يأتي وراءه، إنما يكون بينه؛ من هنا كان موازيًا له، فبرزت من ذلك احتمالية المعنى وتعدد القراء.

ويوضح بن مالك أن تعدد القراءات لا يجسد ذاتية القارئ وقدرته على القراءة إنما يحول دون ذلك الإجراءات المنهجية التي تمنع من أن تكون القراءة طائشة، ضف إليها إجراءات وقانون النص، وكأي قانون، فإنه يمنع ويبيح، يمنع أن نقرأ أي شيء دون تبرير ويبيح جمعية القراءات.⁽²⁾

تقوم عملية القراءة على وجود ثلاثة نصوص كحد أدنى – هذا إذا استثنينا النصوص الشارحة والمتناصّة، وغيرها التي يمكن التوسل بها في قراءة النص-هي: النص المقروء، نص المنهج، والنص الثالث ناتج عن تقاطع النصين الأولين: نص القراءة.⁽³⁾ هنا تتداخل النصوص في عملية القراءة، لبدأ تحاورها فيما بينها، فلن يكون القارئ عون

(1) - محمود الربيعي، في النقد الأدبي و ما إليه، دار غريب، القاهرة، مصر، (د ط)، 2001، ص: 223.

(2) - رشيد بن مالك، قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص، المرجع السابق، ص: 235.

(3) - المرجع نفسه، ص: 236.

التلقي الذي يوجه إليه الخطاب المكتوب⁽¹⁾ فحسب، بل يملكه النص السلطة في إعطاء الكلمة، ويمنع استحالته لمجرد مسجل يكرر النص بشكل سلبي.⁽²⁾ وتصيح القراءة فعل التبادل وتقاطع النصوص، وتكوينًا يضاف في عملية متناسقة متضافرة إلى النص، وثمره التفاعل فيها بين النص والقارئ نتاجه نص إبداعي لا تنقصه فنية عن النص المقروء فيتعاظم دور القارئ، ويخرج من التبعية والنسخ الأعمى، والقراءة شارحة الراصفة لما هو كائن في سطح النص، إلى الإنتاج والإبداع.

يعيد روبير اسكريبت سبب الرئيسي في الكتابة إلى القارئ، حيث يمثل طرفًا فعالًا في الحوار الذي يجريه معه كاتب النص، لأنه من المسلم عند كل مؤلف استحضاره فكريًا وقت إعداد منتجه قارئًا ما، سوف يتناول النص سلبًا أو إيجابًا، وهو ما يعرف بالقارئ الضمني، ويبدأ نظرية القراءة أن «حياة الآثار الأدبية لا تبدأ إلا من لحظة نشرها، وعندئذ تقطع هذه الآثار صلاتها بمؤلفها لتشرع في رحلة مع قرائها.»⁽³⁾ هنا نصل إلى مشروعية قراءة أي نص، لكن من الجدير بها؟ فأحقية إبداع نص على عتبات النص المقروء تستدعي وجود القارئ المثالي، الذي يفهم النص فهمًا واعيًا، لا تكفيه الإجراءات النقدية فحسب، بل كذا قدراته واستعداداته الفكرية لمواجهته. «إن ما يحدد عمق الممارسة النقدية وغناها أو على العكس من ذلك ما يكشف عن محدوديتها ليس تبني هذه النظرية أو تلك، فالنظريات لا تحلل ولا تقول أي شيء خارج مسلماتها العامة المجردة، إن ما يحددها هو نوعية الأسئلة التي يوجهها المحلل إلى النص، وهذه الأسئلة وثيقة الارتباط برؤى الناقد وثقافته، إنها هي التي تقود خطاه وهي التي تكشف عن علاقات لا يمكن أن تراها إلا العين الخبيرة»⁽⁴⁾ تكون الأقدر على بسط دلالاته، تجلية معانيه وتذليل المستعصي منه، تجسد بذلك نموذجًا للقراءة الإيجابية المثمرة.

(1) - محمد القاضي وآخرون، معجم السرديات، المرجع السابق، ص: 314.

(2) - رشيد بن مالك، قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص، المرجع السابق، ص: 236.

(3) - محمد القاضي وآخرون، معجم السرديات، المرجع السابق، ص: 314.

(4) - سعيد بنكراد، السرد الروائي وتجربة المعنى، المرجع السابق، ص: 47.

ولعل تفعيل دور القراءة فتحتها من كونها وظيفة إلى نظرية تبحث في فعل القراءة المجدية، وأعطى مكانة للقارئ ضمن عملية الإبداع.

يعتبر منظرو نظريات القراءة في عمومهم أن عملية القراءة وإن أبرزت معنى ما من معاني النص الكائن قبلها، بواسطة عدد من المفاهيم والإجراءات المختارة، وبناء على اختيار مستوى معين يتم اختراق النص على أساسه.⁽¹⁾ إلا أن فعل القراءة نفسه يولد مع ولادة النصوص، إذ يفترض أن لكل نص قارئ، فالنص عدم إن لم يقرأ، فلا يؤرخ للأدب إلا بالتأريخ لتلقيه⁽²⁾، فيدخل القارئ المتخصص في عملية النقد، أو القراءة المتخصصة^(*) « ضمن الثالث المتكون من المؤلف والعمل والجمهور، ليس مجرد عنصر- سلبي يقتصر- دوره على الانفعال بالأدب، بل يتعداه إلى تنمية طاقة تساهم في صنع التاريخ⁽³⁾ » -تاريخ الأدب-، فالقراء هم الذين يجسدون كينونة الأدب والفن، وإلا لم ولن يكتب المؤلف إذن؟ فالتأريخ الفعلي للأدب يبدأ أيضا لحظة تلقي الإبداع.

تجسد القراءة فن الكشف والتأويل المسند لمنهج أو نظرية، عن الدلالة و عمق المعنى ، فيعمل التقاء أفق القارئ مع أفق النص إلى ميلاد رؤية فنية محتملة للمعنى، هي القراءة الاحتمالية ماهيتها إحياء النص بفضل تفسيرات القراء اللانهائية، فينبعث في كل لحظة وفعل القراءة إلى الوجود، بثوب معنوي مقارب محتمل، يحمل شاعريته في نسجه يلبسه النص المقروء ولا يرفضه، فيضمن استمراره وتخليده في عالم الأدب. فيولد المعنى و« يتكون بالضبط على نحو ما نريد نحن أن نكونه، ونحن كالعادة نريد أشياء مختلفة

(1) - رشيد بن مالك، قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص، المرجع السابق، ص: 236.

(2) - هانس روبرت ياوس، جمالية التلقي، تر: رشيد بن حدو، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1، 01، 2004، ص: 35.

* - القراءة المتخصصة تتمتع المصطلح بقوة توليده للمعنى، زاحم مصطلح النقد، نتج جراه ما يسمى القراءة الأدبية، ففيها يوظف القارئ معارفه القبلية، وخبراته، ومعرفته العميقة بالنص، فيها قد يلجأ القارئ إلى تكرار القراءة ليجعلها أكثر انسجاما وفيها لعناصر النص المثقلة بالمعاني، التي قد يُعسر فهمها على حقيقتها إلا بعد قراءة ثانية، وليست إعادة القراءة أمراً مستحسباً فحسب ولكنها ضرورة لازمة.

(3) - المرجع نفسه، ص، ص: 39-40.

فالإجماع غير ممكن، وغير مرغوب فيه، والحقيقة ليست مطلقة، ولكن كثيرا منا يجد ضرورة ملحة لقول: نعم، القراء يكوّنون المعنى»⁽¹⁾.

قد يستغرق الناقد ساعات عديدة في قراءة عمل أدبي لا يتجاوز الصفحة أو أقل، مستعينًا بحدسه المعلمن والمقنن، كإستراتيجية لفك شفرات النصوص، يمكن أن يعطي له رؤية احتمالية تجد ضالتها في بناء معنى النص. ولا يجسد حدسه مجرد تخمينات أو افتراضات عابرة، بل يكون حدسه -كما وضح هيجل- « معرفة ليس فيها توسط...، إنه فعل حر للفكر، هو حكم لم يصبح بعد حكماً، لأنه شعور لم يقيم على أساس، بحيث أن مضمونه يمكن أن يقال عنه أنه على هذا النحو أو ذلك»⁽²⁾. وإن اعتبر الناقد عبد العزيز حمودة هذه القراءات المخمّنة للمعنى نموذجاً للفوضى وسوء الفهم⁽³⁾، يعطي الحدس فرضية معنى مخمن محتمل، خاضع لعملية تفاعلية مع خيوط النص ودلالاته المتداخلة وعلاقاته النصية المتشابكة، قد يحمله، وقد يجيد عنه، قابل للتعديل والتغيير حسب سيرورة مجرى تحليل النص، وما تفرضه مكوناته الدلالية ومعانيه، التي لا مفرّ من العمل حول فلكها.

يُجرح الفكر المعاصر فعل القراءة بأبعاده النقدية من مفهوم تنقل العين لاكتشاف ما كتب وما طبع، من أجل معرفة المحتوى أو النطق بأعلى صوت لنص مكتوب أو تمييز الحروف وتجميعها، من أجل معرفة الروابط التي توحد بين ما كتب، وما نطق (الكلام)...⁽⁴⁾، إلى اعتباره الفعل النقدي الذي يمارسه القارئ، لاستنطاق بنيات النص وفق منهج، وصنعت سيرورة النقد منه اتجاهاً نقدياً أساسه التفاعل بين القارئ والنص العينة، فصار بذلك فعلاً حركياً وعملية دينامية، ومقوم كشف، يزداد تعقيدا بمرور

(1) - سوزان رويين وانجي كروسان، القارئ في النص، مقالات في الجمهور والتأويل، تر: حسن ناظم وعلي حاكم صالح، درا الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط01، 2007، ص: 193.

(2) - عدنان بن ذريل، اللغة والأسلوب - دراسة-، دار مجدلاوي، عمان، الأردن، ط 2، 2006، ص: 18.

(3) - عبد العزيز حمودة، المرايا المقعرة، نحو نظرية نقدية عربية، مطابع الوطن، الكويت، 2001، ص: 142.

(4) Larousse, Le dictionnaire des colleges, Imprimerie Berger, Levault, Nancy, France, 1985, p(4)

الوقت⁽¹⁾، وصار القارئ مرجعًا هامًا لا مناص منه في أي عملية نقدية، يسلم بوجوده دون تحديد مسبق له، يتمتع بجانب حضوره حقيقي* كمعائن للعمل الإبداعي، بوجود آخر ضمني^(*) في النص، حيث يمثل بنية نصية عضوية مرتبطة بالمعنى، وبنية إجرائية مناسبة لوصف التفاعل الحاصل بين النص و القارئ⁽²⁾، تسمح له استعدادات مسبقة بالتفاعل مع سنن النص، وتجميع معنى مفترض له، إنه « شبكة من البنيات التي تستدعي تجاوبا يلزم القارئ فهم النص»⁽³⁾، هذه البنيات اللازمة للقارئ أن يفهمها هي ما قالت عنه نظرية القراءة عند آيزر البنيات الحاملة للفجوات والفراغات^(*) الواجب فهمها وتأويلها والتحاور معها، ثم ملؤها بالمعنى الذي يناسبها.

ومهما تباينت مستويات القراءة، من قارئ قراءته سطحية لا تتعدى ظاهر الألفاظ، إلى آخر قراءته عميقة نقدية ممنهجة في النص، لا يمكننا إلا أن نعتبر كلاهما قارئًا ممارسًا للقراءة، لفعل الجمع والضم للأجزاء لتكوين المعنى الكلي، فالقراء في اللغة الجمع، وأيضا الفقه يقال: تقرأ، تفقه. قرأت أي تفقّته.⁽⁴⁾ على أن الفقه يشمل الفهم، والفتنة، « شهدت عليك بالفقه أي بالفهم والفتنة...، وأفقتهته إياه: فهمته»⁽⁵⁾. فتصير القراءة إبداع مشترك بين المؤلف و القارئ، وليست وقفًا على أحد منها، تتصارع مقاصد المؤلف والقارئ في

(1) - تيري إبلتون، نظرية الأدب، مرجع سابق، ص: 135.

* - القارئ الحقيقي: هو قارئ موجود حقًا، يتفاعل ويحلل بنيات نص إبداعي ما، يمارس فعل القراءة عليه، يعمل بخاصية الهدم والبناء، لفتح مجالات جديدة لإنتاج معنى محتمل.

* هو شخص نفترض ونتوقع حقيقة وجوده، على أمل أن يقرأ النص، ويعاينه، يفترض وجوده خارجه فلا يكون أبدا جزء من بنية النص، ولا يتحدد في سمات نصية، عكس القارئ الضمني أو المضمّر الذي يتحدد وجوده داخل النص يمثل آلية أو بنية نصية، تساعد القارئ على شرح النص وتفسيره وهو النموذج المحتذى به في المقاربات النصية يعمل على فك شفرات النص واستخراج دلالاته الممكنة. أنظر ميجان الرويلي و سعد البازعي، دليل الناقد الأدبي، ص، ص: 191-192.

(2) - عبد الكريم شرفي، من فلسفات التأويل إلى نظريات القراءة، مرجع سابق، ص: 185.

(3) - فولفغانغ آيزر، فعل القراءة، المرجع السابق، ص: 30.

* - يمثل تلك الفجوات والفراغات الملحة التي يعتقد القارئ في وجودها، وتلزمه ملاءها، وتجميع معناها المفترض للنص. القارئ الضمني المحدد أيضا كبنية نصية.

(4) - ابن منظور، لسان العرب، مادة (ق، ر، أ) م 12، المرجع السابق، ص، ص: 51-52.

(5) - الزمخشري، أساس البلاغة، مادة (ف، ق، هـ)، ج 02، المرجع السابق، ص: 32.

النص مع بعضها البعض، إنها عملية تفاعل مزدوجة، وتحاور مع النص بحسب العطاءات المنهجية والمرجعيات الفكرية، وأفق التوقعات، والخبرات المكتسبة.

يولّد التفاعل وفعل الجدل أو حتى الصراع، معنى هو كون متغير يصور المعنى الثابت في النص الأصلي المغيّب، فتصير القراءة « ضرباً من ضروب الحوار المنتج، والفعال بين القارئ والنص»⁽¹⁾ غير أن النص يتمسك بآلياته، ويتمنع برمزياته وتعقيداته النصية، المانحة في نفس الوقت إمكانات القراءة، ويفرضه سلسلة من الإيجاءات، تدعو القارئ بها لإنتاج المعنى، يجبره النص وكذا فعل القراءة على أعمال الذهن والتفكير في النص، وإدخال المعنى بفضل رموز تترجمه...⁽²⁾ فتضع القارئ في دور المشارك لا للنص في حد ذاته، إنما لمعناه وأهميته وقيّمته الإبداعية⁽³⁾، وتلزمه على إيجاد دلالاته الكلية، عبر التفاف أجزاء بعضها ببعض، فلا تؤول النصوص أكثر مما تفهم؛ بل بقدر فهمها، ولا تكون القراءة للكلمات، إنما للنص ككل، بتراكيبه، ومكوناته النصية، وبسياقاته، ومعاني مدلولاته السطحية والثاوية، التي تعمل كمؤثرات في القارئ فيؤولها.

تلح القراءة المثالية على القراء العمل على التأويل، هذا لانحصار اللغة الخطابية والسلطة البلاغية في أجناس التعبير الأدبي الجديدة، خاصة منها الإبداعات السردية (الرواية، القصة القصيرة...) إلى صالح تقنيات الكتابة الراهنة من ترميز وتناصات وتوظيف لمختلف الخطابات ذات المرجعيات المختلفة، مما زاد من حرية القارئ، « فحينما يصبح التعبير الرمزي مهيمناً على الإحالات المرجعية يصبح لدى القارئ حرية أكبر في تأويل والتخييل على حد سواء، كل هذا يدعونا إلى ضرورة الاهتمام بفعل القراءة باعتباره فعلاً منتجاً لا مستهلكاً للأدب»⁽⁴⁾، ويجعل مهمة القارئ وعمله أكثر تعقيداً من ذي قبل، تجاوزت البحث في النص عن مدى تميز الكاتب في استعمال التقنيات الفنية وجدارته في توظيفها، إلى المساهمة في بناء المعنى، وإنتاج النصوص، والأدب ككل.

(1) - أحمد يوسف، القراءة النسقية-سلطة البنية ووهم المحايثة-، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط 01، 2007، ص: 556.

(2) - Larousse, Le dictionnaire des colleges, Imprimerie Berger, Op cit, p: 802.

(3) - عبد العزيز حمودة، المرايا المحدبة، من البنيوية إلى التفكيك، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1978 ص: 323.

(4) - حميد لمحمداني، القراءة وتوليد الدلالة، المرجع السابق، ص: 12.

فتحول القارئ من الناقد المحايد أو السلبي إلى المنتج الفعال لجماليات الإبداع الأدبي، « يلمس العمل الأدبي، الذي ليس في ذاته سوى سلسلة من العلامات السوداء المركبة على صفحة، ودون هذا الإسهام الفعال المتواصل من قبل القارئ لن يكون ثمة عمل أدبي إطلاقاً»⁽¹⁾.

و « تظل عملية القراءة هي عملية أخذ وعطاء: أخذ من النص، وعطاء له من قبل المخزون الأدبي والثقافي للقارئ.»⁽²⁾ تعطيه الحرية وفسحة التنقل بين أجزاء النص المحتاج في كل مرة إلى من يشاركه بناء دلالاته.

إن إلحاح القارئ على مشاركة النص في بناء معناه، يبرره التأثير الفعال والكبير للنص على جمهور قرائه، فيدفعهم بمنطق آيزر إلى مواجهته، والتفاعل معه، فكانت عنده « القراءة عملية جدلية تبادلية مستمرة ذات اتجاهين^(*)، من القارئ إلى النص ومن النص إلى القارئ، وتعمل هذه الجدلية دائماً على محوري الزمان والمكان»⁽³⁾، ويمتلك القارئ المنتج طقوساً وعادات قرائية تحيد به عن القراءة الاستطلاعية إلى القراءة المنتجة التي « ترفض التسليم بخطية الدلالة وآلية التلقي السلبي، إنها ممارسة خاصة تتطلب جهازاً مفاهيمياً وإستراتيجية ومنهجية محددة لمباشرة النص، وجعل عوامله وأساراه مباحة. علماً أن معنى النص لا يمكنه أن يكون نهائياً بأية حال من الأحوال، بصرف النظر عن المنهج والمرجعية الذاتية.»⁽⁴⁾ فلا نستطيع أن ننعته بالقراءة النموذجية لنص متميزة عن

(1) - تيري إيغلتن، نظرية الأدب، المرجع السابق، ص: 135.

(2) - محمد عزام، النص الغائب- تجليات التناص في الشعر العربي-، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، 2001، ص: 12.

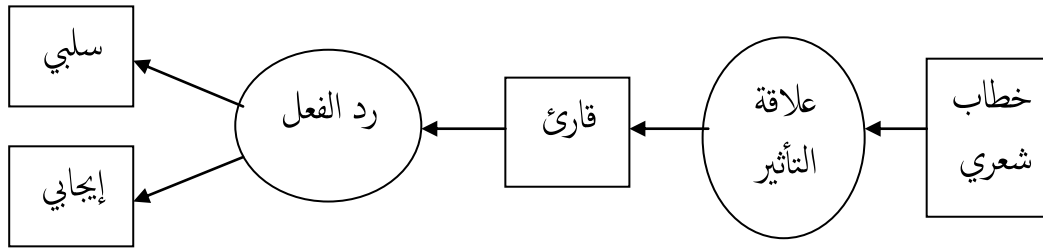
* - راداً على فكرة انكاردن الذي يرى أن القارئ أثناء عملية القراءة يسير في اتجاه واحد، من النص إلى القارئ .

(3) - ميجان الرويلي و سعد البازعي، دليل الناقد الأدبي، المرجع السابق، ص: 194.

(4) - رميص محمد، فعل القراءة وإنتاج المعنى، 27 نوفمبر 2006، الموقع الإلكتروني:

غيرها بتكوينها البنائي والدلالي الفريد فإن هذا قتل لهذا النص.⁽¹⁾ ثم إن المعنى لا يتضح إلا على ضوء احتمالات مقدمة، لا قطعية فيها، ولا ترجيح.

وأن القارئ له علاقة مع الخطاب الذي بين يديه، وهي علاقة تأثير، ينتج عنها تفاعلاً إيجابياً أو سلباً، حيث تكون قوة التأثير من النص، يقابلها القارئ برد فعل، كما هو موضح في الخطاطة الآتية لنوع من النصوص، ليكن خطاباً شعرياً⁽²⁾:



نفهم من كل ما سبق، أن القارئ ومنه القراءة سلطة متمكنة على النص تعمل بصورة آلية، عبر عدة مستويات على إعطاء كم من التصورات الذهنية، والمقاربات الآتية، بشكل تدريجي حول أثر النص، مجسدة أكثر على النص المكتوب، المليء بعطاءات اللامتناهية تثير القارئ، تحققتها بداية تلك التخمينات والانطباعات الأولية وصولاً إلى طرح رؤية متكاملة، وبناء منتج للمعنى.

ت- النص بؤرة إنتاج المعنى:

النص الأدبي في عمومته أثر، ونعني بالأثر الخبر، أما من الوجهة الفنية فهو النتاج الصادر عن الذهن والموهبة، التي تجعله أثراً فنياً خالداً، يحتفظ بمكانته مع مرور الزمن كالمعلقات ونفائس الإبداع الأدبي.⁽³⁾ يكتنز خصوصاً الشعر المعاصر - في منظومة بناءه دلائله المشفرة، وكلما كان كذلك كان الأقرب إلى الخلود والبقاء، وتمنعه عن تجلية معناه المبتوث في عمق بنياته، بهدف إيجاد قارئ فعال، القارئ الذي يجسد نفسه في كل ما يقرأ

(1) - حسين خمري، الشعرية العربية - الحضور والغياب، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، (د ط)، 2001، ص: 54.

(2) - الطاهر بومزير، أصول الشعرية العربية، المرجع السابق، ص: 41.

(3) - محمد بوزواوي، معجم مصطلحات الأدب، المرجع السابق، ص: 09.

(1)، تجعل النص حيا في عيونهم، وهدفا مثيرا مستغزا لتفجير مكنونه المعنوي، والإسهام في تشكيله من جديد للوصول إلى إبداع نص أكثر وضوحا وتبسيطا للمعنى، خاصة تلك الإبداعات الأدبية البعيدة في بنائها عن لغة التعبير الفضفاضة أو الرومانسية الحاملة، التي لم يعد بوسع القارئ معاينتها، واستبدالها بخصائص الكتابة العصرية المعتمدة على آليات رمزية من توظيف للتناص وحوارية الخطابات، الرمز، الأسطورة، التراث، التاريخ... فتجعله نسقا مفتوحا « وإن كان قد من كيان لغوي، سيظل نسقا مفتوحا، مليئا بالفجوات والثغرات، وهذا سر جماليته وأساس أدبيته، بل إن شعريات الغياب وجمالية الفراغ الباني تشكلان قوامه الجوهري» (2). تغري القارئ وتبعث فيه انفعالات وتأثيرات إلى حد أن « المتلقي في الكثير من الأحيان ما يستمتع بالغموض، ويعانقه لأنه يقع من نفسه موقع الإثارة الدائمة، التي تحقق له الوعي بوجود علامة استفهام مطلوب الإجابة عليها» (3).

ولو عدنا إلى مفهوم النص لوجدناه غائرا في تاريخ الدراسات الأدبية واللغوية بنيت حدوده مختلف المناهج القديمة والمعاصرة، بحسب مرجعياتها المعرفية وإجراءاتها المنهجية، كالفلسفة، علم النفس، علم الاجتماع، البلاغة، الأسلوبية، اللسانيات... كلها ساهمت في تعريفه، وقد شرح فيصل الأحمر في معجمه عدة تعريفات للنص من الفكر المعاصر، نستحضر منها رأي (4):

أ. تودوروف: أن النص أكبر من أن يحصر في إطار الجملة، بل أنه يتميز عن الفقرة التي تصنف في عدة جمل، إذ قد يتطابق النص مع جملة، كما يمكن أن يُمثّل نص بحاله في تشكل جملة وجيزة، فتصير نصّا تامّا بأبعاده الشكلية والمعنوية، كما قد يقال ذلك على كتاب بأكمله، هذا لأن النص، يتحدد باستقلاله بين الانفتاح والانغلاق.

(1) - جروة علاوه وهي، التجريب في القصيدة العربية، دار البعث، قسنطينة، الجزائر، ط1، 01، 1984، ص: 49.

(2) - أحمد يوسف، القراءة النسقية -سلطة البنية وهم المحاينة- المرجع السابق، ص: 555.

(3) - مصري عبد الحميد حنورة، علم نفس الأدب، دار غريب، القاهرة، مجلد 1، (د ت)، ص: 45.

(4) - فيصل الأحمر، معجم السيميائيات، منشورات دار الاختلاف، الجزائر، ط1، 2010، ص- ص: 134 - 140.

ب. **جان ماري سشايفر**: أن متتالية لغوية محكية كانت أم مكتوبة، تشكل وحدة تواصلية، سواء توالى فيها الجمل، أو تمثلت في جملة واحدة أو في جزء منها.

ت. **صلاح فضل**: إنه واقعة غزلية، لا انتماء له بموت مؤلفه، لكن قارئه يتلقاه ويرسم معالمه، يعيد تأليفه من جديد.

ث. **بارت**: النص تيمية، هو قوة متحوّلة، يتمتع بتعدد دلالي لا نهائي، ونوع من اللذة. فهو نسيج يكمن خلفه المعنى، ويختفي. بفضل فعله التوليدي يتمكن من صنع ذاته بنفسه تعمل فيه العلاقات حسب تشابكها الدائم، يشبه نسيج العنكبوت. -ونعت بارت النظرية التي تتمثله بعلم نسيج العنكبوت-. و أن النص يقتل نساجه ويضيعه في فخاخه التي ينصبها لطالبيه، يتكوّن من نسيج علاقات مترابطة فيما بينها، تشكل في نهاية المطاف معنى ما أو عدة معاني، تطرحها تأويلات القراء حسب اختلافاتهم، وليس المعنى الذي أرادته له مؤلفه.

ج. **دريدا**: النص لا يملك أبًا واحدًا ولا جذرًا واحدًا، بل هو نسق من الجذور مما يؤدي في نهاية الأمر إلى محو مفهوم النسق والجذر.

ح. **رشيد بن مالك**: النص شبكة من الدوال المترابطة فيما بينها؛ حيث لا تحصر القيمة الدلالية لكل عنصر من عناصره إلا في ارتباطه بعلاقات يقيمها مع العناصر الأخرى، هنا لن يعود المعنى خلف الدوال، بل بينها، إذا كان النص يشكل نسيجاً من العلاقات ينبغي أن نوضح أن هذه العلاقات تفتح إلى مالا نهاية الترابطات بين العناصر ومجموعات العناصر (جمل، فقرات، فصول).⁽¹⁾

جاءت هذه التعريفات نتيجة التطورات في التفكير النقدي المعاصر، محصلتها تحوّل في فهم مفهوم النص، تُخرّجه من المفهوم الكلاسيكي الضيق، الذي يجعل النص صاحب معنى وحيد يملكه المؤلف، مرهون بمرجعيات الأخير الفكرية، ظلّاله الواقع المنسوخ منه. بينما الفهم الجديد للنص الذي أحدثه أكثر الاعتراف بوجود الطرف الثالث من المنظومة الإبداعية؛ ألا وهو القارئ، يعتبر النص جملة من العلاقات الدلالية القابلة

(1) - رشيد بن مالك، قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص، المرجع السابق، ص: 236.

للتأويل وإنتاج المعنى، حركي بما يسمح به كونه الدلالي، ومن ديناميته يتوالد المعنى مع كل قراءة مفسرة لهذه الدينامية.

يحدد آيزر مفهومًا هيوليًا مميّزًا لمعنى النص الأدبي يقربه للتصورات الفلسفية يقول: « ليس كينونة قابلة للتعريف، غير أنه إذا كان شيئًا فهو حدث دينامي»⁽¹⁾، مرتبط بالقارئ، فهو عمل يفرض حركية في نظام بنياته وعلاقتها فيما بينها، كما يفرض حركية في فهم معناه، فيتوقع حدوث المعنى بحسب عملية رد فعل القارئ وتجاوبه، فلا تثبت قراءة واحدة للنص، إنما تتعدد بتعدد القراء، المتفاعلين مع بنيات النص، وما تراء لهم من فرضيات أو تخمينات مؤسّسة من ملفوظها، وعلاقتها المتسقة، وعواملها المنسجمة تكون شرطًا سابقًا لتكوين المعنى.

دعونا نتفق أن النصوص ليست على قدر واحد من الإبداع والفنية، تتفوق فيها النصوص ذات الطابع التخيلي، فالنص التخيلي يتميز عن غيره بطبيعته الخارجة عن مجرد تصوير الواقع إلى الاختلاف عنه أو حتى عدم التطابق معه، فيتملئ بانزياحات تكون لاحقًا مقاصد تأويلية لفهم القصد البنائي والمضموني للنص، وإدراك الموضوع المنظور والمتواري فيه، وكلما كانت وقائع النص تخيلية، كلما كانت العلاقة بينه وبين الواقع الخارجي متغيرة غير ثابتة⁽²⁾، تخضع أكثر للسياق الذي وضعت فيه، بل إن السياق وجه من وجوه تغير الدلالة والمعنى في النص، يجعله يبتعد بعناصره عن المؤلف في الواقع فالسياق « "contexte" » يحمل في مدلوله شيئًا من الدلالة على التبدل والتغير والتحوّل، لأن التساوق مع الحالات الخطابية تقضي تحولات في الدلالة، وفق الوضع الخطابي الذي يكون عليه المتقبل والمرجع وكذلك المرسل.⁽³⁾ فلا ينتظر القارئ العادي من نص تخيلي وقائع بعينها، واقعية وحقيقة تنتمي لما يحدث في عالمه المعاش، إنما يتقبله

(1) - فولفغانغ آيزر، فعل القراءة نظرية جمالية التجاوب، المرجع السابق، ص: 13.

(2) - كارلهاينز شتيرله، قراءة النصوص التخيلية، ضمن كتاب: القارئ في النص- مقالات في الجمهور والتأويل، تر: حسن ناظم، علي حاكم صالح، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط (01)، 2007، ص: 106.

(3) - الطاهر بومزير، أصول الشعرية العربية، المرجع السابق، ص: 69.

كما هو في سياقه رغم كسر العناصر التخيلية فيه الوظائف الزمنية والمكانية، وكذا المرجعية، وتكسيها علائق جديدة يحكمها نحو النسيج المجسد لمضمون النص نفسه.

يتميز النص التخيلي «بكونه تأليفاً مرجعياً رغم احتمالية إشارته إلى الواقع، وهكذا فإن للإشارة إلى الواقع في التخيل وظيفتها في شعرية النص التخيلي، الذي قد يرمي إلى الواقع وإلى الخبرة الجماعية به بدرجة أكبر أو أقل»⁽¹⁾ ولا يمكن بحال من الأحوال أن تعدل في أطروحات النص التخيلي المقدمة، وعناصره المقترحة، لكونها عناصر مركبة من إمكانات الكاتب الفكرية، فهي تنتقد وتؤول، لا تصحح وتعدل، في حين النص المرجعي يمكننا تصحيحه بالعودة إلى المرجع المأخوذ منه، والواقع الذي يجسده.⁽²⁾

إن ارتباط النص الأدبي بالمعنى يجعله لا يرتبط بالزمان أو المكان، فهو فوق مكاني وزماني، يأخذ من كل الأزمنة، فلا يرتبط معناه بما سيحصل في المستقبل، أو ما كان في الماضي، ولا ما هو راهن في الحاضر، مما يمنحه استمرارية عبر دورة الحياة بأزمته وأمكتتها، ويعطيه لا محدودية التواجد وقابلية دائمة للقراءة، فكان اللاتحديد الزمكاني للنصوص شرطاً من شروط تعددية معناه، وإنتاجه اللانهائي. والذي يجعله كذلك احتوائه على عناصر تخيلية تصاحبه، توسع دائرة تداوله واستهلاكه، من شأنها أن تشدّ انتباه القارئ.

و« ظلت وسيلة المبدع فيما يخص الخطاب الأدبي، وستبقى على الدوام هي الإيهام بواقعية الحدث، بواسطة التمثيل أو التأثير بسحر وإمكانات اللغة عن طريق الصور الشعرية، والرموز، وتوظيف الأساطير وحكايات التاريخ والمجاز بشكل عام»⁽³⁾. الذي تدخل في صنيع الخيال الإبداعي، أخرج منه صوراً تخيلية تعمل كالمرايا - على حد تعبير ابن العربي - لا هي موجودة ولا معدومة، كالذي يرى نفسه في المرآة، فتكون مهمة المبدع إزاءها توليد معاني خيالية، فيخرج الإبداع عن حدوده الزمانية والمكانية إلى وقائع

(1) - كارلهاينز شتيرله، قراءة النصوص التخيلية، المرجع السابق، ص: 105.

(2) - المرجع نفسه، ص: 105.

(3) - حميد محمداني، القراءة وتوليد الدلالة، المرجع السابق، ص: 12.

مغاير على ما هي عليه في الأصل، ليوهمنا الخيال بتجاوزهما⁽¹⁾، وعيش تجربة بين الواقع والخيال، يجعلها مألوفة لدى القارئ وفتح عوالم جديدة له، وبدائل مجاوزة للواقع، تمثل الماضي والحاضر والمستقبل، فيكون عرضة للتعددية في القراءة بفعل الطاقة التخيلية.

يتمتع النص الأدبي بخاصية الآنية^(*) في بناء المعنى التي تمتلكه وتكونه في عالمها وذاتيتها.⁽²⁾ فيكتسب بادئ الأمر التكوين الذاتي للمنتج له، ثم يدخل في ذاتيات قرائه بالقدر الذي سنحت به تلك القراءة وتؤولاتها، وطبعًا ترسخ هذه الخاصية وتظهر أكثر في النصوص التي، تتغلغل في أغوار اللغة بمجازاتها وانزياحاتها ورمزياتها وصورها التخيلية فإن ابتعدت عن الإخبار المباشر واللغة السطحية التداولية، ابتعدت بذلك عن المرجعيات الخارجية، وتحققت الإبداعية في إنتاجها، واكتسبت خصوصية ذاتية تكون فيها منها وإليها.

يرى بعض النقاد أن هذه الآنية لا تمنع النص الأدبي أن يحمل قدرًا من الخبر يشكل معناه، فهو قيمة خبرية قبل كل شيء، ونص معرفي « تتلاقى فيه جملة من المعارف الإنسانية، يعيش في حضور صاحبه، وفي غيابه، لكونه كائنًا عضوياً تفاعلت في صنعه عوامل عدة قبل إبداعه، ويكتسب قيمته الفنية من خلال قدرته على الإيحاء، والتأويل والانزياح.⁽³⁾ وكميّة الخبر المنقول في النص الأدبي -مهما غار في أديبته- تجعله غير معزول عن الواقع، فلا يُسْتَلُّ من البعد المرجعي الذي توقع فيه، عبر لغة اللسان، والتاريخ الإنساني، تلك المرجعية « ستحدد طبيعة التعامل معه، بوصفه كلاً مكونًا من عناصر مختلفة، متكاملة فيما بينها على أساس مستويات متعددة، أو النظر إليه من منظور علوم

(1) - فايز التاية، جاليات الأسلوب الصورة الفنية في الأدب العربي، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ط2، 02، 1996 ص: 29.

* - الآنية: هي قدرة الإنسان على إثبات الأنا بخاصية معينة تميزه عن الأشياء والغير وهي إجابة عن سؤال من أنا، تتحدد الآنية في التصور العقلائي بمهية التفكير فإدى ديكارت أنا كائن يعي بذاته و يثبت وجوده التفكير و الجسد و العالم لا يمثلان شرطاً للوعي، بل هما الآخر السلبي في عملية الوعي.

(2) - عدنان بن ذريل، اللغة والأسلوب، المرجع السابق، ص: 25.

(3) - السعيد بو سقطة، شعرية النص بين جدلية المبدع والمتلقي، مجلة التواصل، جامعة عنابة، الجزائر، العدد 8، جوان 2001، ص-ص: 216-217.

مختلفة تاريخية، ونفسية، وانثروبولوجية، وغيرها...»⁽¹⁾، فيستحيل النص الأدبي إلى رسالة ترميزية، يتلقى القارئ خبرها ويعيد فهمه ويؤوله، حسب المرجعية التي يحيل عليها. ونجد اتجاه مناقضًا لما جاء سابقًا، ينفي الإطار المرجعي عن النص الأدبي ويقلل كثيرًا من مادته الإخبارية، ويعتبر أن ما يميز الخطاب الأدبي عن غيره من أشكال الخطاب هو انقطاعه عن الوظيفة المرجعية، فلا يرجعنا إلى شيء ولا يبلغنا أمرًا خارجيًا - كما هو حال الكلام على عمومه- وإنما هو يبلغ ذاته ويشير إليها، وذاته هي المرجع والمنقول في نفس الوقت، وحين تَوَقَّفَ النص عن قول أيّ شيء عن أيّ شيء، فإنه غدا هو نفسه قائلًا ومقولًا.⁽²⁾ ويجعل منه أدبيًا فحسب، إذ أدبته مربط الفرس التي يعقد عليها القارئ عمله، وفكره، يثبت معناه من خلال ظلال هذه الأدبية والآنية المرهونة فيه. والذي أذهب إليه أن النص الأدبي شعرًا كان أم نثرًا، وإن شكّل كونًا خاصًا به فإنه لا يتصل من ارتباطه بمرجعيات مختلفة، فهو ليس انفصاليًا عن الشروط البيئية والظروف الزمكانية المتولد فيها، ولا بعيدًا عن العوالم الثقافية، والمعرفية للمجتمعات المحتضنة له، فمثلًا الرواية وإن أخذت خصوصيتها في أركانها الفنية، وعزلتها بترميزاتها التخيلية، وكنونتها الذاتية، فهذا لا يمنع أنها تمثل تجربة إنسانية حصلت أو حاصلة أو ستحصل مستقبلاً، تعطيا إطارًا مرجعيًا يجعلها على الأقل «تقدم نصف الحقيقة إن لم تقدم الحقيقة كلها... أحيانًا»⁽³⁾، وهي في نفس الوقت في تواجدتها الفعلي أو بين يدي المتلقي تمثل ذاتها ولا تقول إلا معناها الغائر في ثناياها، فينطبع النص بروح خاصة تمنحه ذاتيته، اكتسبها من عمليتين إنتاجيتين لمعناه، الأولى واقعة من تأليفه، والثانية متوقعة من تلقيه، حيث في لحظة فاصلة، يكتسب النص ومعناه استقلالته عن منتجه الأول تعطيه حرية الظهور وقابلية التعدد وإثبات الذاتية والتفرد استنادًا لواقع المتلقي وشروط إنتاجه.

(1) - السعيد بو سقطة، شعرية النص بين جدلية المبدع والمتلقي، المرجع السابق، ص- ص: 213- 214.

(2) - عبد السلام لمسدي، الأسلوب والأسلوبية، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، لبنان، ط 05، 2006، ص: 91.

(3) - طه وادي، الرواية السياسية، دار النشر للجامعات المصرية، القاهرة، مصر، ط 01، 1996، ص: 19.

3. التناص آلية إنتاج وتوحيد تعدد المعنى:

أهم قضية ابتدعتها الفكر المعاصر منذ ستينات القرن العشرين قضية التناص أحدثت ثورة في التفكير النقدي، المتعلق بالنص الأدبي. والأصل في التناص أنه آلية إنتاج النصوص، ومن الميكانيزمات التي يبحث فيها النقاد عن تكوين المعنى.

1.3 تعريفه:

جاء في معجم أكسفورد في ما معناه أن مصطلح التناص "Intertextuality" - والترجمة محمد زبير عباسي - من كلمتي: "Inter" وتعني الداخل، و "Textuality" بمعنى النصية، ويجيء الجزء الأول فعلاً في الكلام، وكثيراً ما يرد في اللغة الإنجليزية فعلاً مبنياً للمجهول، ينوب المفعول به عن فاعله المجهول، وقد يكون سابقة في الأفعال والأسماء والصفات والأحوال، يعني "بين"، يربط بين الكلمتين، وتكوين لفظة واحدة منهما.

أما لفظ "Textual" هو صفة، وكثيراً ما تكون صفة للأسماء، تأتي قبل الاسم تعني ما يشمل عليه النص أو ما يرتبط به.⁽¹⁾

وحين ربط الجزئين في لفظ "Intertextuality" نكون أمام معنى مغاير جديد يعني تداخل والتلاحم بين نصين أو نصوص.

ترجم مصطلح "Intertextuality" للعربية بمصطلح التناص^(*)، ويعني في مجمل إسقاطات مفاهيمه الغربية إحالة كل النصوص إلى نص واحد تندرج ضمنه، هذا النص الأصلي كتب منذ وجد الزمن.⁽²⁾ فالتناص فيه « إيجاء إلى التداخل، ما يعني أن هناك وجود للنص الغائب/السالف/اللاحق، وهذا ما يعبر عنه حيناً بالمصدر والمنبع الأصيل للنص، ومن ثم التبس على معظم الباحثات العرب أن "التناص" يعني التداخل؛ أي

(1) - Oxford Advanced Learner's Dictionary by A S Hornby, Chief Editor: Sally Wehmeier, Editors: Colin McIntosh, Joanna Turnbull, Phonetics Editor: Michael Ashby, Oxford University Press, 7 th edition 2005, p: 809.

* - ترجم أيضاً المصطلح بالبينصية، وهذا التزاماً بالترجمة الحرفية للمصطلح الإنجليزي "Intertextuality". أنظر: محمد زبير عباسي: التناص مفهومه وخطر تطبيقه على القرآن الكريم، مذكرة لنيل شهادة الدكتوراه، الجامعة الإسلامية العالمية، سلام آباد، باكستان، 2014، ص، ص: 30، 32.

(2) - رشيد بن مالك، قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص، المرجع السابق، ص: 235.

تداخل النصوص بعضها مع بعض سواء على سبيل الأصالة أو التأثر والتأثير، فجزوا هذا المصطلح إلى المصطلحات العربية التي توحى إلى سمات التداخل والتعلق...، وبهذا المعنى جرى "التناص" مجرى التوسعة إلى مدى كبير.⁽¹⁾ كما شاع هذا المصطلح في الساحة النقدية العربية عن باقي الترجمات الأخرى.

ويعيد نقادنا العرب وجود تقارب بين مصطلح التناص وليد الفكر الغربي ومصطلح السرقات الأدبية الذي جاء به العرب القدامى وقد لا نستثني منهم أحداً خاض فيه، من أمثال ما جاء به الجرجاني، والآمدي، ويعنون به إيراد الشاعر نص غيره بمعناه أو بلفظه ومعناه في نصه.

يقول محمد عزّام «الأدب ينمو في عالم مليء بكلمات الآخرين. و النص تشكيل لنصوص سابقة ومعاصرة، أُعيدت صياغتها بشكل جديد. وليست هنالك حدود بين نص وآخر، وإنما يأخذ النص من نصوص أخرى، ويعطيها في آن... وهكذا ننتهي إلى أن كل نصّ مائل إنما هو مجموعة من النصوص الغائبة. بمجرد أن يطلق الكاتب نصّه الجديد، الذي هو عبارة عن مجموعة من نصوص سابقة ومعاصرة، فإنه يُدخل نصّه في عمليات تناصّ جديدة.»⁽²⁾ أي أنّ أي نص هو عملية تحويل لنصوص قديمة سبقته في الوجود في فضاء نصي جديد، وإعادة ترتيبها بطريقة ما فيه، وتحوّل في نصوص لاحقة به، ليكون سبباً في إنتاجها.

ويعيد أنور المرتجي بداية الحديث عن التناص من اهتمام الشكلانيين الروس الضمني حول النص وسياقه الخارجي، رغم حثهم على العمل في النص دون العودة إلى أي مرجع خارجي عنه، ورفضهم كل مقارنة لا تكون من ذاتية النص وعالمه الداخلي. ويستشف الناقد التناص عند الشكلانيين من حديثهم عن النزعة التزامنية "السنكرونية" مستشهداً بقول جاكبسون المعرّف لهذه النزعة على أن كل نظام تزامني يتضمن ماضيه ومستقبله اللذين يمثلان عنصريه البنيويين المتلازمين، حيث توجد

(1) - محمد زبير عباسي: التناص مفهومه وخطر تطبيقه على القرآن الكريم، المرجع السابق، ص: 31.

(2) - محمد عزّام، النص الغائب - تجليات التناص في الشعر العربي، المرجع السابق، ص: 11.

نزعة تقليد القديم كواقعة أسلوبية أو كخلفية لسانية وأدبية، ووجود ميولات نحو التجديد في اللغة والأدب، كنظام متجدد.⁽¹⁾

يضيف أنور المرتجي أن تينيانوف من أصحاب النزعة الشكلانية جاء بمصطلح التطور الأدبي كمقابل للتناص، ويريد به أن فعل الأدب يمتلك خاصية اختلافية؛ أي يتداخل مع المجموعة الأدبية أو غير الأدبية، الموجودة في الحياة الاجتماعية يمكن أن تدخل في نسيج النص الأدبي، يتخذها الكاتب مادة يدمجها بحسب نظام وقوانين التأليف الأدبي.⁽²⁾ ما يؤكد به الناقد أنور المرتجي ورود مفهوم التناص عند الشكلانيين قبل طرح كريستيفا له مصطلحًا ومفهومًا، ما أضافه بارت في كتابه (S/Z) أن الأدب ليس سوى نصًا واحدًا.⁽³⁾

تعود فكرة التناص في أصل طرحها النقدي إلى الأعمال النظرية لجماعة تيل كيل "Tel Quel"، ومجلتها الحاملة لاسمها، تأسست سنة 1960 بنشرها المفاهيم الرئيسية لنظرية التناص، وظهر المفهوم الجوهري بشكل رسمي في إصدارين مخصصين للجماعة:

- الأول هو نظرية الجماعة (Théorie d'Ensemble. Coll. Tel Quel)، سنة 1968، وهو مؤلف جماعي شارك فيه فوكو، وبارت، ودريدا، وسولرس، وكريستيفا.

- الثاني هو سيميوطيقا؛ أبحاث من أجل تحليل دلالي (Séméiôtikè Recherches pour une symanalyse) سنة 1969 لجوليا كريستيفا؛ ويجمع سلسلة من المقالات كانت قد كتبتها بين سنتي 1966-1969.⁽⁴⁾

وتعد جوليا كريستيفا أول من أطلق مصطلح التناص، اعتمدت فيه على دراسات باختين ومصطلحه الحوارية، فكل علاقة تحكم ملفوظًا بملفوظات أخرى تدخل في مجال

(1) - أنور المرتجي، سيميائيات النص الأدبي، دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة، الإمارات، ط 01، 2015، ص: 59-60.

(2) - المرجع نفسه، ص: 60.

(3) - Roland Barthes, S/Z, Ed Seuil, Paris, France, 1970, P: 19.

(4) - بيار مارك دوبيازي، نظرية التناص تر: المختار حسني، الموقع الإلكتروني:

<https://www.aljabriabed.net>

الحوارية، الذي أشار فيه إلى تعددية الأصوات، والمواقف، والثقافات التي تحملها الكلمة وسط محيطها النصي- فهي - الكلمة- مسكونة بأصوات أخرى⁽¹⁾. وقد جاء باختين بمصطلح الايديولوجيم، ويريد به مجموع الدلائل والأفكار التي يستمدّها الفرد من مجتمعه ويصوغها في ألفاظ وتعايير، بلوره ضمن تصوره النظري لأشكال تقاطع النصوص الأدبية والأيديولوجية.⁽²⁾

وتعتبر كريستيفا التناص تداخل نصي لنصوص، وفسيفساء من الاستشهادات فكل نص هو امتصاص وتحويل لنصوص غيره⁽³⁾، وتقول كريستيفا بترجمة أنور المرتجي: «أنا نطلق مصطلح التناص على هذا التداخل النصي الذي ينتج داخل النص الواحد. وبالنسبة للذات العارفة فإن التناص هو المفهوم الوحيد الذي يؤشر على الطريقة التي بواسطتها يقرأ النص مسار التاريخ ويتفاعل معه.»⁽⁴⁾ ويعني بصورة تبسيطية «الفعل الذي يعيد بموجه نص ما كتابة نص آخر»⁽⁵⁾، إنتاجه متولد من التفاعل مع إنتاجية الغير، والتشبع من الخبرات والتجارب النصية السابقة، وإدماجها مع المهارات المكتسبة والتجارب الذاتية للمبدع.

ويربط ميكائيل ريفاتير في دراسته " أثر المعنى " التناص بدور القارئ، يمثل له إدراك العلاقة التي تكون بين النصوص السابقة واللاحقة للنص الأدبي المنتج، لأنها تكوّن تناصه، ومن شأن القارئ حين إدراكه العلاقة بينهم أن يجدد شعورية العمل الأدبي إلى جانب تحديد التحصيل المعرفي منه. يؤكد ذلك عبد المالك مرتاض عندما أقر أنّ القراءة تناص يقع مع نص آخر كان أصلاً قراءة لخاطر، وترجمانا لقريحة.⁽⁶⁾

(1) - حسين خمري، نظرية النص- من بنية المعنى إلى سيميائية دال، المرجع السابق، ص: 253.

(2) - فيصل الأحمر، معجم السيميائيات، المرجع السابق، ص: 144.

(3) - المرجع نفسه، ص: 146.

(4) - Julia Kristeva, Problème de la structuration du texte ,Théorie d'ensembl Collection Tel Quel, Editions du Seuil, Paris, France, 1968 , p: 312.

(5) - ناتالي بيغالي، ما هو التناص، تر: عبد الحميد بو رايبو، مجلة المعنى، منشورات جامعة عباس لغرور، خنشلة، الجزائر العدد 2، جويلية 2009، ص: 375.

(6) - عبد المالك مرتاض، نظرية القراءة: تأسيس للنظرية العامة للقراءة الأدبية، دار الغرب، وهران الجزائر، 2003، ص:

يتراء لنا أن التناص آلية بناء في يد الكاتب والقارئ على حد سواء، يستثمر النصوص الأدبية، وتتجاوز بفضلها الخبرات السابقة واللاحقة، وتتعلق من أجل تكوين لوحة فنية أدبية، وربما هو نظرة تصحيح واستدراك لما أُنتج سالفًا، دونما التكرارية غير المجدية، فالتناص عملية تنقيب وتنقيح، وبناء للمعنى، وتعدده، وإمكانية لتوحيده.

2.3 التناص آلية: إنتاج و تعدد وتوحيد المعنى:

يوحي التناص بتمويه المعنى، ويشير إلى تشتيته، وتعدد قراءاته، مما أحدث تغير في الموقف والتصور حول مفهوم النص، فليس النص خالصا من أفكار مؤلفه، إنما هو كتابة على كتابة « فكل كتابة تقع دائما ضمن الأعمال التي سبقتها، ولا يمكن أبدا أن تمحو الأدب السابق عليها.»⁽¹⁾ ووجب أن ننوه إلى ما أشار إليه حسين الخمري حين بين أن الاستشهادات المأخوذة من نصوص والموظفة في النص المنتج يمكن أن تكون داعمة له كما يمكن أن تعارضه، وهذا هو لب الحوار الحقيقي بين النصوص، فيتنوع التناص بتنوع البنيات الدلالية أو التعبيرية المدججة، فلا يقوم على التماثل فقط، بل على التفاعل والتقاطع والتناقض والتفارق⁽²⁾، مما يفتح المجال إلى القراء للكشف عن هذا التنوع والبحث عن امتياز المؤلف ونجاحه في استغلال النصوص واستثمارها، وبناء نص موحد المعنى من تلك النصوص المستثمرة، فينتج معنىً جامعًا من معاني غيره، ذات الصلة بالمعنى وليد التناص.

تفطن النقد من وهم المعنى الواحد الثابت في النص، الذي لم يبق مرتبطًا بالمبدع دون سواه، لعجزه عن لجم تمرد معناه، وهذا لصالح القارئ الذي زوده التناص بأحقية التأويل والإنتاج اللامتناهي للمعنى. فتجيء قراءته إعادة إنتاج المقروء، فهي أكثر مظاهر التناص مشروعية، ووجب أن توحى بقراءة أخرى، وإلا فإن القراءة التي لا توحى بغيرها ميتة⁽³⁾.

(1) - ناتالي بيغالي، ما هو التناص، المرجع السابق، ص: 375.

(2) - حسين خمري، نظرية النص - من بنية المعنى إلى سيميائية دال، المرجع السابق، ص: 254.

(3) - عبد المالك مرتاض، نظرية القراءة: تأسيس للنظرية العامة للقراءة الأدبية، المرجع السابق، ص: 30.

لا يتسم التناص بالتحديد الموضوعي في النص، لأنه « سمة متعالية عن الزمان والمكان بل إنه يرتبط بأي كلام كيفما كان جنسه أو نوعه، أو نمطه. »⁽¹⁾ يخضع النص بفعله لعملية إدماج، وهيكلية، وإعادة بناء، فيكسبه صفة التوحيد والاتساق والانسجام. وتجدر الإشارة إلى أن محمد مفتاح لا يعتبر إعادة البناء وإنتاج النص الأدبي هدم وبناء بصورة عشوائية، إنما هو بقصد غالبًا، « وليس صاحبه مسحورًا أو مخمورًا أو فاقدًا للوعي، يهذي كيفما يشاء له ويتفق، فإنتاج النص الأدبي إذن وإعادة إنتاجه معاناة وجهد وعرق أولًا، وهو موهبة فطرية ثابتًا. »⁽²⁾

يمنح التناص النص لحمّة في التكوين، وتعدّدًا في القراءة، وديمومةً في توليد المعنى، ويمنح القارئ سلطة القراءة المقننة وإن كانت مطلقة؛ التي لا تخضع إلى ذاتية وأمزجة القراء، بل إلى توجهاتهم الإيديولوجية والمعرفية ومنهجيتهم النقدية، تكون على أساسه القراءة تناص مع قراءة سابقة لها، تذوب وتعموم فيها، وتعوضها لتنجم على آثارها قراءة وأثر جديد، فهي تقويض وتطويب⁽³⁾. يتسلح القارئ فيها بألية التناص ليس للبحث عن النصوص الداخلة والغائبة الحاضرة في النص فحسب، إنما عن المعنى المتغير والكشف عنه، ومدى تفاعل هذه النصوص فيه، ومعرفة وظائفها الجديدة ودورها في تكوين بنية معنوية تامة في نص إبداعي جديد.

يخرج عبد المالك مرتاض عبر مفهومه للقراءة كنوع من التناص إلى طرح نوعين منه يتعلقان بالقراءة والتأليف معًا، هما التناص العام والتناص المجسد المحيلين على الإبداع بالنسبة للأول والابتداع بالنسبة للثاني، على أن:

– الإبداع من صنيع المؤلف للنص، إذ المبدع هو الذي يتجاوز الموجود من الكتابات في فعل حر، وفي نفس الوقت مشروط بالجديد والتجديد⁽⁴⁾، وإلا سيكون صدى

(1) - سعيد يقطين، الرواية والتراث السردي من أجل وعي جديد بالتراث، دار رؤية، القاهرة، ط1، 2006، ص- ص: 17-16.

(2) - محمد مفتاح، النص من القراءة إلى التنظير، دار المدارس، الدار البيضاء، المغرب، ط (01)، 2000، ص: 25.

(3) - عبد المالك مرتاض، نظرية القراءة: تأسيس للنظرية العامة للقراءة الأدبية، المرجع السابق، ص: 30.

(4) - نبيل سليمان، في الإبداع والنقد، دار الحوار، اللاذقية، سوريا، ط 02، 1996، ص: 15.

إرجاعي لما هو حاصل في الساحة الأدبية⁽¹⁾، كما يكون إنتاج المبدع ناجماً عن إرهاصات من زاده المعرفي والثقافي المكتسب من المجتمع المنتمي إليه، ويعود الفضل في تحرير إبداعه إلى كل من سمع منهم، أو قرأ لهم، يطلق عبد المالك مرتاض اسم "التناس العائم".^(*)

— أما الابتداع فمعناه هنا بعيد عن الوجهة الدينية، يجعل الناقد مرتاض مرادفاً للتحليل الأدبي، أو الممارسة النقدية، فهو الممارسة النصية من حول الإبداع، مساوياً لما يعرف في الساحة النقدية بالقراءة، تقام حول النص المنتج من المؤلف المبدع، فينشئ القارئ أو المبتدع نصاً جديداً على إثر النص المبدع، تُسمى هذه العملية الابتداع كما يطلق عليها اسم التناس المجسد، لأن مبدعه « يظل حائماً من حول نص واحد هو في الأصل ثمرة لجملة من النصوص، التي تكون إما مجهولة القائل، وإما مستحيلة التحديد»⁽²⁾، من ذلك فإن المبدع والمبتدع لا ينطلقان من فراغ، إنما يحتكان في إنتاجهما الأدبي إلى زادهما الثقافي والمعرفي والأدبي المحصل من الخبرات الإنتاجية السابقة، مع إضفاء طابعها الذاتي الذي يصبغ العمل بالتخصص والذاتية والتفرد.

في منحى آخر يجد الناقد حسين خمري آلية التناس التي احتوتها نظرية الأدب والنظريات النقدية، ووظيفته كأداة وإجراء، يراه عصا سحرية، وطوق نجاة خلّص العملية النقدية من التطبيقات البنيوية التي ملأت التحليل جداول إحصائية عقيمة، وعزلت النص من كل سياق متولد منه وعنه، فكسر التناس كل ذلك بمفهومه الذي قارب بل ساوى مفهوم النص في حد ذاته.⁽³⁾ وهي نزعة أدبية تلح عليها كريستيفا ومن قبلها باختين، لأن النص أصلاً عندهم هو إعادة إنتاج، وليس إبداعاً خالصاً، تقابلها النزعة الفلسفية للتناس التي تبناها كل من دريدا وبارت وهارتمن، جاءت نسفاً لبعض المقولات

(1) - عبد المالك مرتاض، نظرية القراءة: تأسيس للنظرية العامة للقراءة الأدبية، المرجع السابق، ص: 64.

* - يصنف عبد المالك مرتاض إلى هذين النوعين من التناس أضرب أخرى، أهمها: التناس المباشر أو التام، والتناس الضمني أو الناقص، والتناس المذاب.

(2) - المرجع نفسه، ص: 66.

(3) - حسين خمري، نظرية النص - من بنية المعنى إلى سيميائية دال، المرجع السابق، ص: 253.

(1) المركزية في الفكر الأوربي وقتها، كمتولة الحضور والانسجام والحقيقة المطلقة للنص.⁽¹⁾ مهدت الطريق للكاتب والقارئ وعبدته، للأول حتى يخوض في بناء نصه بوعي وفنية ويرفعه بصوته وأصوات غيره في النسق الذي يريد، والثاني أن يقرأ بقراءات متعددة لمعنى منتشر في النص.

عُرِفَ بالتناص أن النص ليس لصاحبه لتعدد الأصوات فيه، فأعلن موت مؤلفه وغيب المعنى، وتولى القارئ سلطة إنتاجه، بأحقيقته في امتلاك فرضيات المعنى التي يمكن أن ينتجها جراء تناصاته، في إبداعات أدبية نقدية، تثبت لانهائية الدلالة وتعدد المعنى في النص.

(1) - محمد مفتاح، النص من القراءة إلى التنظير، دار المدارس، الدار البيضاء، المغرب، ط 01، 2000، ص: 24.

II. المعنى والمنهج:

نعني بالخطاب التنظيري «الخطاب الذي سعى إلى تقديم رأي أو وجهة نظر أو «نظرية»، حول مسألة أو أكثر من المسائل المجردة المتعلقة بالظاهرة الأدبية، المسائل التي تتناول المفاهيم والمبادئ الأولية...ولا تتناول النصوص الأدبية بأعينها، بل تعنى بالظاهرة الأدبية بوصفها مفهومًا عقليًا»⁽¹⁾ هو خطاب ينظر للإنتاجات الأدبية كعينات للتحليل وفق إجراءات تباشر هذه الإنتاجات بمنطق علمي، يطرحه ذاك الخطاب التنظيري المجسد لمنهج ما. وقبل المناهج السيميائية كانت جل النظريات الحديثة- الشكلية والبنوية واللسانية...- السابقة لها تعمل على تناول الظاهرة الأدبية من حيث المبنى أو غطاءها الشكلي الذي تشكله ملفوظاته، ونسقه اللغوي. ولم يكن للمعنى حظ بهذا التناول لسبب عدم القدرة على تناوله بطريقة علمية، تتطلب معاينة الظاهرة ليتم تجريب وتطبيق الآليات المنهجية عليها، فهو تصورات تجريدية غير قابلة للملاحظة. لكن ظهور المنهج السيميائي باتجاهاته المختلفة والمتنوعة قدّم خطابًا تنظيريًا، يحتفي بالمعنى بوصفه علم دراسة العلامات يبحث في دلالاتها ومعانيها. مستثمرًا جهود يلمسليف. التي منحت المعنى فرصة الحضور والتعيين.

1. المعنى موضوع سيميائية العلامة:

من خلال التعاريف المبسطة لمفهوم السيميائية نعرف أن موضوعها الذي تقوم عليه وتسعى لتحقيقه وتحليله هو العلامة بكل أنواعها، تسعى لإنتاج المداليل والروابط الدلالية التي يمكن أن نستشفها التحليل والتأويل المنهج. «وتناول العلامة ليس بالأمر السهل من حيث هي كيان نفسي وثقافي وحضاري بشكل عام، إذ أنها تشكل خطابًا انعكاسيًا باعتبار طبيعتها الخطية في تحقيق عملية الإبداع والتوصيل، لأنها لا تتوقف عند مفردات أحادية بل تتعداها إلى علاقات ارتباطية»⁽²⁾، والنشاط السيميائي مرتبط بظهور الإنسان على البسيطة، فمنذ إحساسه بانفصاله عن الطبيعة بما تحمله من موجودات بدأ ييلور

(1) - عبد الله العثي، زحام الخطابات، المرجع السابق، ص: 12.

(2) - فركوس حنيفة، الأصول الغربية للسمياء وأرهاصاتها العربية، مجلة الأثر، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، العدد 23 ديسمبر

2015، ص: 73.

ويركب أدوات تواصلية جديدة، تواضع الاجتماع عليها، تقوم على العلامات والأشكال الرمزية، فكون ثقافة معينة قائمة على علامات مخصوصة، تستحق الدراسة والتمحيص. فالعلامة من هذا المنطلق أصل كل ثقافة⁽¹⁾، من حيث هي معنى تفسر الوجود مطلقاً من ضمنه الفكر الإنساني.

يثبت المسار السيميائي للعلامة أن بواسطتها تتركب المواضيع دلاليًا وتتفكك باستمرار⁽²⁾، فجاء موضوع بحث السيميائيات بأنواعها في النصوص المختلفة كالنص السردي أو أي نص خطابي كونه علامة عن نجليات المعنى، تعمل على تفكيكه، وفك شفراته ودراسة بنيته الدلالية وإنتاج معناه المحتمل.

1.1 التفكير السيميائي في سيميائية العلامة:

يعود العمل حول العلامة إلى ماض بعيد مع إشارات أفلاطون وإسهامات أرسطو، وما طرحه أغستين من تساؤلات عديدة حولها، هي من صميم الدرس السيميائي، أوردها إيكو في كتابه السيميائية وفلسفة اللغة، منها: هل العلامة شيء تدركه الحواس، ويتخذ علاوة على ذلك معنى مختلفا في الفكر؟ أم هي شيء يشار به إلى أشياء أو حالات في الكون؟ هل العلامة مصنوع مفهومي أو شيء ما صديفي؟ هل العلامة في جميع هذه الحالات هي الحدث الملموس أم الصورة المجردة؟ هل هي الانجاز الصوتي [ق-ط-ط] أم النموذج الصوتي والمعجمي /قطّ/...⁽³⁾

وتعني العلامة الشيء الذي يقوم مقام شيء آخر، أما الشيء فهو العبارة الملموسة؛ «أي كيان مادي ينتجه الإنسان، أو يعترف به على أنه قادر على القيام بوظيفة المعبر عن شيء آخر...، يكون اللبس ليس في الكيان المادي بل في الشيء الآخر الذي هو المدلول»⁽⁴⁾.

(1) - فركوس حنيقة، الأصول الغربية للسمياء وإرهاصاتها العربية، المرجع السابق، ص: 73.

(2) - إمبرتو إيكو، السيميائية وفلسفة اللغة، المرجع السابق، ص: 111.

(3) - المرجع نفسه، ص: 52.

(4) - المرجع نفسه، ص: 116.

وهو تعريف معادل لتعريف بورس للعلامة التي هي شيء ما، تمثل شيء ما، بالنسبة لشخص ما، بمظهر ما أو إمكانية ما، حيث يدل:

شيء ما: عن الحامل المادي المحسوس لما هو موجود في الواقع، يشير عادة إلى اللغة أو الرموز أو الألوان... (الدال)

تمثل شيء ما: الشيء الموجود حقيقة في الواقع. (المرجع)

بالنسبة لشخص ما: الفكر أو الذهن للشخص المستقبل لذلك الشيء. (المدلول)
بمظهر ما أو إمكانية ما: هذا الشيء الممثل لا ينفرد بحالة واحدة.⁽¹⁾

فيكون إشكال المنهج السيميائي واستعصاء تعيين ماهية العلامة من وجهتها في مدلول العلامة ومعناها، لا في المرجع الخارجي، أو اللفظ المنزوع للتعبير عنها. وقد عين العلماء عناصر للعلامة، منها:
الدال والمدلول عند دي سوسير.

الدال والمدلول والوظيفة القصدية عند جاكسون - يعني قصدية التواصل، والتواصل نوعان: تواصل إبلاغي لساني لفظي (اللغة) وتواصل إبلاغي غير لساني (علامات المرور مثلا).⁽²⁾

الفكرة والمشار إليه والرمز عند أوغدن وريتشاردز.⁽³⁾

الموضوع والممثل والمؤول (الدال والمدلول والمرجع) عند بيرس. وبالعودة لتفصيل محمد الماكري للعلامة عند بيرس - كنموذج من نماذج تقسيم العلامة عند العلماء اللغويين - يرى أنه قسمها ثلاثة ثلاثيات، باعتبار⁽⁴⁾:
العلامة في ذاتها:

(1) - هواري بلقندوز، مدخل إلى السيميائية التداولية-إسهامات بيرس وشارل موريس، محاضرات الملتقى الثالث : السيميائية والنص الأدبي، أبريل 2004، منشورات جامعة محمد خيصر، بسكرة، ص: 99.

(2) - جميل الحمداوي، سيميولوجيا التواصل وسيميولوجيا الدلالة، فيفري 2007، الموقع الإلكتروني:

<http://www.diwanalarab.com/spip.php?article779>

(3) - سيزا قاسم، السيميولوجيا: حول بعض المفاهيم والأبعاد، مجلة مدخل إلى السيميوطيقا: مقالات مترجمة ودراسات، دار إلياس العصرية، القاهرة، 1986، ص 23.

(4) - محمد الماكري، الخطاب والشكل-مدخل لتحليل ظاهراتي-المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1991، ص - ص:

- علامة نوعية: أي العلامة مجرد نوع أو كيفية.
 - علامة مفردة: العلامة موجود واقعي.
 - علامة قانون: العلامة هي قانون عام.
 - علاقة العلامة بالموضوع:
 - علامة أيقونية: العلامة تحمل بعض خصائص الموضوع في ذاتها.
 - علامة مؤشيرية: العلامة لها علاقة بالموضوع علاقة وجودية.
 - علامة رمز: تكون للعلامة علاقة بالمؤول.
 - علاقة العلامة بالمؤول:
 - علامة حملية أو خبرية.
 - علامة تفصيلية: علامة على الواقع.
 - علامة برهان /حجة: علامة سبب.
- تتوزع هذه الثلاثيات على صيغ الثلاثة التي ضبطها بيرس للوجود، متمثلة في ⁽¹⁾:
- الأولانية:** هي نمط الوجود الذي يقوم على واقع، كون موضوع / ذات هي موضوعيًا كما هي، هي وجود الشيء أو الذات في ذاتها.
- الثانانية:** هي نمط الوجود الواقعي الفعلي المتجسد (زمانً ومكانًا)، مرتبط بعالم الموجودات.
- الثالثانية:** هي نمط الوجود المتوقع، بناءً على كون الحدث أو الشيء المتوقع الموجود محكومًا بقانون يضبطه، والقول بالقانون يعني امكانية التعميم.
- يصنف محمد الماكري أنواع العلامة وصيغها في الجدول الآتي ⁽²⁾:

(1) - محمد الماكري، الخطاب والشكل-مدخل لتحليل ظاهراتي، المرجع السابق، ص: 43.

(2) - المرجع نفسه، ص: 47.

مراتب وجود العلامات الجزئية	الأولانية	الثانانية	الثالثانية
ثلاثية الممثل	ع. نوعية	ع. مفردة	ع. قانون
ثلاثية الموضع	ع. أيقونية	ع. مؤشيرية	ع. رمز
ثلاثية المؤول	ع. حملية	ع. تفصيلية	ع. برهان

يقول إمبرتو إيكو بلسان بورس مؤكداً على شمولية واتساع العلامة: « بما أن الإنسان لا يمكنه أن يفكر إلا بواسطة الكلمات، أو بواسطة رموز خارجية، فإنه بإمكان هذه الرموز والكلمات أن تقول له " أنت لا تعني شيئاً غير الذي علمناك، ولذا أنت تعني فقط لأنك تقول بعض الكلمات باعتبارها مؤولات لفكرك.»⁽¹⁾ تشمل بذلك العلامة الفكر والكلمة والإنسان ككل. بما أن الحياة هي تيار مستمر من الأفكار لا تعرضها إلا اللغة، يدل هذا على أن الإنسان هو بدوره علامة، يمثل مواضيع تظهر كما يريد شكل العالم الذي تنتجه العلامات أن يكون. وبما أن الإنسان هو الفكر، والفكر لا يمكن أن ينبثق إلا في بوطقة الكلمات المجسدة للغة، فتغدو اللغة المجموع الكلي لذات الفرد، والفكر علامة خارجية ضمن باقي العلامات، وكذلك الإنسان علامة خارجية تتماثل مع العلامات الخارجية الموجودة في العالم الواقع⁽²⁾، يحق للسميائية أن تدرسه ضمن سائر العلامات. يضيفي بارت طابع الاستمرارية والتكرار كخاصية للعلامة، فالعلامة هي ما يتكرر ولا وجود لأي علامة دون تكرار، ففي غياب التكرار لا يمكن أن نتعرف على العلامة وأن نتعرف هو ما يؤسسها⁽³⁾، نفهم أن العلامة لا يمكن أن تكون عارضا استثنائيا أو آنية عابرة، فهذا لا يمنحها فرصة التواجد والإدراك لمعناها، والإدراك والتعرف عليها

(1) - إمبرتو إيكو، السميائية وفلسفة اللغة، المرجع السابق، ص: 112.

(2) - المرجع نفسه، ص- ص: 112-113.

(3) - رولان بارت، النظرة، تر:س.ب، مجلة علامات:رولان بارت في الذكرى المئوية لميلاده، منشورات وزارة الثقافة ، المغرب، العدد 2015، 44، ص 77.

يؤسسان لوجودها، فهي ذلك الشيء القابل للإدراك الدال على معنى لا يتحقق إلا به.⁽¹⁾

يعرف جاكسون من جهته العلامة من خلال علاقة إرجاع، حيث الإرجاع يمثل المدلول (المؤول، الفكرة ، الشيء الآخر)، وقد تحيل جملة ما على عدة إرجاعات أو احتمالات المدلول، والذي « يجعل الإرجاع إرجاعا هو كونه علاقة متبادلة وعلى نحو ما علاقة غائبة أو غير مرئية لعبارة موجودة ماديا.»⁽²⁾

من هنا، أعاد التفكير السيميائي الغربي دفعة التحقق للعلامة من خلال إدراك المعنى، وتبسيطه على جوهر التعامل مع العلامة كبعد سيميائي دال على الكون بأسره فنحن لا نعيش في منظومة حياة علامتية مفرغة مقولبة، بقدر ما نعيش في كنف مفاهيم وتصورات ومعانٍ، هي الموضوع الأول للسيميائية العلامة.

2.1 الدرس العربي في سيميائية العلامة / المعنى:

تحمل كتابات العرب الأوائل في النقد والبلاغة وعلم الدلالة ومجمل الدراسات اللغوية والمعجمية، حديثًا عن العلامة اللفظية، ومدلولها، وأثرها النفسي، بما يقارب مفهوم دي سوسير حول تقسيمه الثنائي للعلامة إلى صورة صوتية (الدال)، وأخرى نفسية ذهنية (المدلول)، وأنّ « الحقيقة في وضع الألفاظ إنما هو للدلالة على المعاني الذهنية دون الموجودات الخارجية.»⁽³⁾

بل إننا نجد الاختلافات في تقسيم العلامة، ومكوناتها عند العرب القدامى كما هو الشأن عند الغرب المحدثين، من عينة ذلك ما أورده "الأمام بدر الدين محمد الزركشي" في كتابه "البحر المحيط"، موضحًا الاختلاف في الموضوع الذي يدل عليه اللفظ، وأورد العديد من الآراء، -منها للتدليل فقط- ما ذهب إليه الأصفهاني والرازي وغيرهما من أن الألفاظ لم توضع للدلالة على الموجودات الخارجية، إنما على المعاني الذهنية التي بواسطتها

(1) - محمد السرغيني، محاضرات في السيميولوجيا، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1987، ص 35.

(2) - إمبرتو ايكو، السيميائية وفلسفة اللغة، المرجع السابق، ص 116-117.

(3) - يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم العلوي، الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، تخ: محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د ط)، 1995، ص: 20.

تدل على المعاني والموجودات الخارجية، فلما اختلفت الأسماء عند اختلاف الصور الذهنية دل على أن اللفظ لا دلالة له إلا عليها. فالدلالة الخارجية ليست هي المقصودة بوضع اللفظ. يقابل الزركشي هذا الرأي برأي ثانٍ تبناه "أبو إسحاق" في كتابه "شرح اللمع"، مفاده أن الألفاظ وجدت للموجودات الخارجية، لا للمعاني الذهنية.⁽¹⁾

وتعج الإصدارات العربية - كالفراي و ابن سينا و ابن خلدون... - بالعديد من الأحكام والآراء المصنفة للعلامة خاصة منها اللغوية، وإن لم يستعمل مصطلح العلامة ذاته. ويعادل اشتغال الفكر العربي على العلامة وقتها اشتغال الدرس السيميائي اليوم على مختلف العلامات والكيفية التي بها تنتج المعاني، بيد أن الآراء المتناثرة للجهود العربية في هذا المجال لم تجد الاستمرارية وعمق التمحيص لبناء نظرية، توارزي ما جاء به الغربيون من نظريات متنوعة واتجاهات مختلفة في مجال السيميائيات.

نجد مقابل آخر لمصطلح العلامة هو مصطلح الدلالة والتي يعرفها الشريف الجرجاني على أنها: «كون الشيء بحال يلزم من العلم به العلم بشيء آخر... الأول هو الدال والثاني هو المدلول، وكيفية دلالة اللفظ على المعنى -باصطلاح علماء الأصول- محصورة في عبارة النص، إشارة النص، واقتصاد النص»⁽²⁾، «فدلالة النص عبارة عما ثبت بمعنى النص لغة لا اجتهداً، فقوله لغة: أي يعرفه كل من يعرف هذا اللسان بمجرد سماع اللفظ من غير تأمل،...دون اجتهد»⁽³⁾

نفهم من تعريف الشريف الجرجاني للدلالة أنها مكونة من طرفين هما الدال والمدلول، بحيث يكون الأخير ظاهر في بنية الأول "اللفظ" لا يحتاج من القارئ احتمالات أو اجتهادات في تفسير دلالة النص أو أي متن. ومصطلح الدلالة مفهومه جارٍ في النقد المعاصر على اعتباره مرادفاً للمعنى أو العلامة، فيسمي البعض علم الدلالة بعلم العلامات أو علم المعنى، أو دراسة المعنى، وهو «العلم الذي يدرس المعنى، أو ذلك

(1) - بدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي، البحر المحيط في أصول الفقه، تح: محمد محمد تامر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج1، (د ط)، 1971، ص: 396-397.

(2) - علي بن محمد الشريف الجرجاني، التعريفات، المرجع السابق، ص: 109.

(3) - المرجع نفسه، ص: 109-110.

الفرع من علم اللغة الذي يتناول بطريقة المعنى، أو ذلك الفرع الذي يدرس الشروط الواجب توافرها في الرمز، حتى يكون قادرًا على حمل المعنى.⁽¹⁾ وليس بعيدًا عن أي تصور أن هذه الكتابات والجهود العربية القديمة عن الدلالة واللفظ والمعنى جاءت متأثرة بما أورده فلاسفة اليونان والفرس والهند، وخاصة ما طرحه الرواقيون في مجال الدلالة واللفظ، كما هو الحال عند الغرب.

وعبر تساؤل للناقد المغربي بنكراد عن كيفية إنتاج المعنى من النص كعلامة دالة. جاء جوابه من التصور السيميائي الغريماسي الذي انطلق من مسلمة بسيطة تعتبر العالم الإنساني في معالم الكون مستودعًا للمعنى، فخارج هذا المعنى لا يوجد إلا السديم أو الحسي الذي لا يكشف سوى عن حسنيته ذاتها⁽²⁾، والإنسان فقط من يفعل ويستوعب ويعي دلالات فعله، ووحده يدرك الأشياء والظواهر في علاقتها بغيرها. من هنا فالمهمة الفعلية للباحث في العلوم المختلفة لا سيما السيميائي - ونخص العمل على النصوص - هو أن يتعرف على السبيل إنتاج الفرد لمعانيه، وكيف يمرر هذه المعاني إلى محيطه، وكيف تصبح الأشياء والظواهر مستودعًا لهذه المعاني؟⁽³⁾

إنها الإشكالات المنطلق لبلورة صيغ شكلية منطقية تساهم في إمساك بالبور الأولى المبرزة للمعنى، أي الأشكال الأولية لكل سيرورة دلالية. فيبدأ تكون الأشياء والظواهر والمعالم الكونية -في التصور السيميائي الغريماسي- في التبلور من وحدة معنوية صغرى أولية، بها يحدد ما كان وما يكون من الأشياء والكون الدال ككل، في بساطته أو تركيبه، والأمر ذاته يسقط ويكتسي الوقائع النصية بمختلف أشكالها التعبيرية التي عرفها الفكر البشري، فيحتضن النص البنية الأولى للدلالة، وهي التي تمكننا من الحديث عن «معنى قادر على التدليل، أي قادر على الانتشار خارج نواته الأولى.»⁽⁴⁾ مشكلة محورًا دلاليًا يجمع في علاقة تقابلية بين سمين مختلفين، وجود معنى أحدهما يستلزم

(1) - أحمد مختار عمر، علم الدلالة، المرجع السابق، ص: 10.

(2) - سعيد بنكراد، الجيرداس كيماس ترسانة السيميائية، 8 مارس 2017، الموقع الإلكتروني:

<https://www.alittihad.ae/article/>

(3) - المرجع نفسه.

(4) - المرجع نفسه.

استحضار معنى الآخر المنافض أو المضاد له، ومن هذا المحور النووي في النص تنمو العلاقات، تضيق وتنتشر، وتفتح وتتعد، عبر مسرى السرد، مشكلة وحدات دلالية أخرى، يصنع مجموعها الوحدة المعنوية الكبرى ألا وهي النص.

2. المنهج وسيورة المعنى:

يعد المنهج الوسيلة لإيجاد المعنى، والبحث عنه يستدعي آليات وإجراءات يتخذها ذلك المنهج مقومات نقدية ومعرفية له، لتجلية كون النص وخبائاه الدلالية والإحاطة بكل أبعاده وبنياته المشكلة له، يسعى إلى كشف معناه كشفًا كليًا أو جزئيًا.

1.2 المنهج شرط إنتاج المعنى:

لا يمكن للباحث أن يصل إلى معنى أي شيء إذا كان يشكو خصاصة وقلة في مصطلحات المنهج العامل به، ولا يعي مفاهيمه وكيفية تطبيق مقولاته التحليلية، خاصة تلك التي تكشف عمقه وأشكال تجليه. « فدرية الباحث وذكاءه لا قيمة لهما أمام ما يمكن أن تقدمه الخطاطات التحليلية من أدوات تمكنه من «الكشف» عن أسرار النص. ذلك أن «الحديث عن المعنى يقتضي بناء لغة بلا معنى»، فذاك هو شرط «الموضوعية»... وهو ما يمكن المحلل من الانفصال عن موضوع تحليله. إن غايته هي الوصول من جديد إلى «اليقين» المفهومي الذي يعبر عنه الوجه المشخص النص، فهذا النص يفيض عن قصد أول هو قصد المؤلف ولا شيء سواه»⁽¹⁾

فالمنهج مهما كانت وجهته التحليلية شكلاً أو مضموناً، سطحاً أو عمقاً، فهو طريقة لتتبع المعنى. صارت به النصوص الأدبية، حتى تلك الموصوف بالعبثية في شكلها ومضمونها، وجهًا للمعنى بأبعاده الدلالية الموحية بالاستمرارية والتجدد. وتعد بنية المعنى بالنسبة للمناهج البنية الأكثر تعقيداً في النص الأدبي، بل وهي الأكثر ثراءً وحضوراً فيه من حيث التحليل الإبداعي، إشكالاتها لا تكاد تحصى - كونها غير مرئية، محكوم على حضورها بالغياب والتخفي.

(1) - سعيد بنكراد، الجيرداس غريماس ترسنة السيميائية، 8 مارس 2017، الموقع الإلكتروني:

<https://www.alittihad.ae/article/>

لا نستثني منهجًا من المناهج الموجودة والتي ستوجد، في اشتراكها في هدف أولي أساسي من عملية القراءة؛ ألا وهو معاينة الدلالة كشكل ومبنى أو كمضمون ومعنى. فلا نتصور مثلا الشكلانية كتوجه نقدي يرفع لواء الشكل دون المضمون، تعمل قواعدها التحليلية، وآلياتها الإجرائية على تقصي ووصف البنيات الشكلية للنص مفرغة من أي تصور للمضمون، وأنها تبحث في شيء أجوف بلا معنى، لتطرح تحليلاً شكلياً أيضاً مفرغ الدلالة. إنما تبحث في النص ذي المعنى والشكل عن الصورة الشكلية للبنيات المعنوية، والكشف عن الإطار والقالب الذي طرح فيه المعنى، أي " البحث عن معنى شكل المعنى "، قد تكون الأولوية للشكل عن المضمون، لكن لا يخلو الأمر من البحث في مضمون الشكل الحامل له، وليس بعيداً عن ما قلناه عن الشكلانية نجد أن لب عمل الدراسات اللغوية هو وصف المعنى، يقول عبد السلام بلسان جاكوبسون « فلا معنى لدراسة لغوية يغيب الاهتمام فيها بقضايا المعنى »⁽¹⁾، وأن « الدلالة هي النواة الصلبة في كل دراسة لسانية، فهي نَسْعُها الأساسي، وإذا نظرنا إلى الدلالة على أنها علم فإن موضوع هذا العلم وهدفه يكون وصف المعنى ووصف الكلمة والجمل والخطاب في اللغة الطبيعية.»⁽²⁾ فما ظنك إذن بالمناهج النصية والسياقية، التي تهتم في صميم مقولاتها بالمعنى وإثباته في الظاهرة الأدبية.

وقد كانت ولا زالت العلاقة بين المنهج والمعنى علاقة حتمية لزومية، إذ لا مناص منها بينهما، فالمعنى المحكوم بقوة الوجود في النص، وحضوره مغيب محكوم بقوة الفعل فعل القارئ له بمعطيات المنهج المختار، ومنه حضوره قائم مع كل قراءة نقدية مطبقة عليه مما يجعله - المعنى - حاضراً كوجود في النص، غائباً كتصور ينتظر ظهور ظلاله والكشف عنه مع كل أعمال للمنهج فيه، يستوجب قراءة تلوى الأخرى، إلى ما لا نهاية من القراءات الممنهجة، فنصل إلى احتمالية الدلالات الممكنة للنص، الحامل في أصله لمعنى واحد مؤجل، ومرتقب إلى حين غير معلوم، وهذا الذي يضمن البقاء والاستمرارية للنص. وما يجعلنا نجزم بلزومية العلاقة بين المعنى والمنهج، حتمية إثبات وجود المعنى

(1) - عبد السلام عيساوي، " من المعنى إلى المعنى "، المرجع السابق، ص: 71.

(2) - المرجع نفسه، ص: 71.

بالمهج، وتتأق حتمية وجود المهج وإثبات دفة إجراءاته، وعلمية مقولاته في قدرته على تحليل المعنى، وإيجاده في النص.

توالدت مناهج خصيصة بالقراءة^(*) هي مناهج نصية، أبطلت مقولة المعنى الواحد وفسح تنوع إجراءاتها فرص تطبيقاتها المتفاوتة بيد القارئ، هذه المناهج إن اختلفت في أهدافها ومقاصدها فهي على غاية واحدة، فانشغالها المختلفة بين : أين المعنى ؟ كيف صيغ المعنى ؟ ماذا يقول النص ؟ ... مدار ذلك جميعًا المعنى. فهو بمثابة نقطة التقاء بين النص والمهج، حيث يمثل النص للمهج مشكلًا مستقرًا، وجملة من التساؤلات تبحث عن حل، في حين يمثل المهج للنص حلًا لتلك التساؤلات ورؤية متجددة للمعنى.

أن تفعيل القراءة والوصول بها إلى درجة عالية من الفنية والاحترافية يتطلب منطقيًا التسليح بمختلف العلوم الأدبية والعلمية؛ لسانية، نفسية، اجتماعية، فلسفية،... لأن القراءة هي «مستوى شمولية التحليل، وليس كلية التصور المسبق، ولا يتم الوصول إلى هذه الشمولية إلا بفعل قراءة حوارية مع النص، غايتها الوصول إلى المعرفة، لا إلى تأكيد محصلة سلفًا في الذهن.»⁽¹⁾ فلا يكون القارئ مفرغًا ولا مبرمجًا سلفًا في تحصيل معنى النص، بل يكون القارئ النوعي الذي يقدّم إلى النص بعتاد معرفي يؤهله لأن يروده، ويضع في حسابه أن قراءته ليست فعلا استهلاكيا للنص؛ إنما هي فعل تأسيسي- في النقد الأدبي ككل، هذا النقد « يمكن أن يؤسس لمنطق جوهرى هو المعرفة.»⁽²⁾

وليس وجود المهج والسير على خطواته من واجبات الناقد فحسب، بل تعد في ملابسات النقدي المعاصر إلى المؤلف، فهو مبدع ناقد، جراء تلك المهوبة المزدوجة يستفيد جانبها الإبداعي من النقد، و جانبها النقدي من الإبداع⁽³⁾. فيبدع ونصب عينيه

* - جاءت بعد البنيوية، منها: التفكيكية، السيميائية، النقد الجديد، نظرية التلقي...

(1) - حميد لحداني، القراءة وتوليد الدلالة، المرجع السابق، ص: 213.

(2) - أحمد بخوش، " العلوم الإنسانية والنقد الأدبي: النقد النفسي"، الملتقى الدولي الثالث حول الخطاب النقدي العربي

المعاصر، المركز الجامعي خنشلة، الجزائر، 2009، ص: 14.

(3) - محمود الربيعي، في النقد الأدبي وما إليه، المرجع السابق، ص: 223.

القارئ، يستحضره في عملية بناء المعنى، فيكسبه المنهج استراتيجيات عمل القارى، يتقي به الانزلاقات التي يمكن أن يقع فيها، فيكون التمحيص والتأليف سببًا في ولادة كون فني. أن التحديد العيني للمنهج النموذج المعد للقراءة والتحليل، قد لا يكون الأوحد المطبق في عملية القراءة، إنما قد يلجأ الناقد إلى التعدي إلى غيره، كنوع من القراءة التكاملية، وهذا ما ذهب إليه بعض النقاد ونادوا إلى المزاوجة وحتى إلى المزج الثلاثي والرباعي وأكثر للمناهج في تحليل النصوص، لاعتبارهم أن المنهج الواحد قد يكون قاصرًا على استيعاب كل عناصر النص، وعاجزًا على استنطاقه، من هؤلاء عبد المالك مرتاض يقول في ذلك: «وقد رأينا نحن في تعاملنا مع النصوص الأدبية التي تناولناها بالقراءة التحليلية على السعي إلى المزاوجة أو المثلثة، أو المربعة، وربما الخامسة، بين طائفة من المستويات، باصطناع القراءة المركبة التي لا تجتري بإجراء أحادي في تحليل النص، لأن مثل ذلك الإجراء مهما يكن كاملاً دقيقاً فلن يبلغ من النص المحلل كل ما فيه من مركبات لسانية... وایدولوجية وجمالية ونفسية جميعاً»⁽¹⁾، فالقراءة مركبة من شأنها سد النقائص المحتملة عند المحللين والمؤولين، وبلوغ أقصى الغايات والأهداف، و بمنهج واحد، نصل إلى قصور في إنتاج المعنى، وقصور في التحليل الأدبي، ونبتعد عن القراءة المنتجة. والتي يسعى القراء حثيثاً في تفعيلها وتحصيلها.

2.2 مراحل التأريخ النقدية للمعنى:

نلمس- في عجالة- رحلة البحث عن المعنى في سيرورة المناهج عبر التاريخ النقدي للنص الأدبي، والتي يمكن أن نقسمه إلى حقب ثلاث هي:

1-مرحلة الاهتمام بالكاتب، تبحث لفهم النص وكشف معناه في حياة المؤلف، وظروفه وملابسات عصره، وما حملته بيئته التي يعيش فيها للنص. يتكئ الدارس في التحليل على مرجعيات خارجة عن النص.

2-مرحلة الاهتمام بالنص، واعتباره نسقا ترتكز قراءته على آليات ثابتة وقارة في نظام لغته، التي سجنته بنظائرها النسقي المغلق، و« جعلت القراءة النسقية القارئ يرتمي في

(1) - عبد المالك مرتاض، التحليل السيميائي للخطاب الشعري، تحليل مستوياتي لقصيدة شناشيل ابنة الجبلي، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2001، ص-ص: 10-09.

نوع من الدعة والراحة، لأنه سلبتة حريته في التلقي، وفرضت عليه طرائق للوصول إلى المعنى دون أن يكون شريكاً في إنتاجها.⁽¹⁾ فلا شيء يحقق المعنى ويثبتته إلا البنيات اللفظية ونظامها اللغوي المقولب للنص.

3- مرحلة الاهتمام بالقارئ، هي المرحلة ما بعد البنيوية، منحت السلطة للقارئ، والذي لا يمكن مجال من الأحوال أن ينعدم وجوده، يبدأ دوره كمنتج ثانٍ لحظة تحرر النص من مبدعه الأول. فيعطي للنص قيمته ووجوده الفعلي ويبني معناه من جديد، حسب إمكانياته المعرفية، ورؤيته الفاحصة ومدى تفاعله مع مكونات العمل الأدبي، فيؤلد القارئ نصاً إبداعياً على خلفيات النص المعين له، فصار بذلك النقد قراءة منتجة متعددة بتعدد القراء، وتختلف باختلاف معارفهم وقدراتهم القرائية.

بيد أن غريماس يثير نقطة يختلف فيها مع كثير من النقاد حول تعدد المعنى، فهو « كان من أشد المناهضين لنظريات التأويل وجماليات التلقي. فالمعنى متعدد في الاحتمال، وقابل للانتشار في كل الاتجاهات، ولكن المؤلف قادر على التحكم في صبيبه وتوجيهه بما يخدم غاية معنوية مسبقة»⁽²⁾، فالمحلل لا يستثير معنى من داخله، أو يأتي به من عنده، إنما يبحث في النص بوعي منه أو بدونه عما أودعه الكاتب فيه، لذا لم يكن للتأويل في تصوره أي سند علمي يبرره، بل أن القول بتعددية القراءة حجة لا مسوغ لها وذريعة للتخلي عن التحليل « أما اعتبار النص مصدراً لدلالات لا حصر لها ولا عد، فمعناه أن الذات التي تنتجه إما وحش كاسر، وإما كائن يفتقر إلى الوحدة في ذاته.»⁽³⁾ فيرى أنه لا وجود إلا لمركز واحد في النص، وجب على المحلل أن يروده ويصل إليه عبر ملفوظات النص، وسلسلة من التبسيطات تقود إلى نتيجة ما لا شيء بعدها. لان القراءة المنتجة هي وجه مشخّص يقود إلى العود إلى الأصل، ولا يجيل على مُشخّص آخر مغاير عما هو موجود في أصل النص.

(1) - أحمد يوسف، القراءة النسقية - سلطة البنية ووهم المحاينة-، المرجع السابق، ص: 556.

(2) - سعيد بنكراد، ألجيرداس غريماس ترسانة السيميائية، المرجع السابق، الموقع الإلكتروني:

<https://www.alittihad.ae/article/>

(3) - المرجع نفسه.

3. المنهج من الدال إلى المدلول:

يصرح بنفيسست بأن اللغة تدل، ولا يعني أن الدلالة شيء زائد لا طائل منه، بل هي روح اللغة وجوهرها، واللغة هي الدلالة والمعنى، إنها تمثل الشكل الأعلى للقدرة اللازمة للحالة الإنسانية، أو القدرة على التمييز؛ بمعنى مقدرة الفرد باللغة تمثيل الواقع بواسطة علامة، ومنه الإقرار بوجود علاقة دلالة، من هنا تعيد اللغة إنتاج الكون، ولكن بإخضاعه لنظامها الخاص، وأن أي مضمون يؤدي يقع تخطيطه وتجزئته حسب النظام اللغوي، ويشكل حسب بنية اللغة.⁽¹⁾ فاللغة هي الدالة عليه والمثبتة لوجوده، وإن لم يكن محصورًا في قراءة واحدة، فإن تعدد وجوه المعنى دليل قطعي على حيوية هذا المعنى وسر خلوده النص، كمظهر إبداعي.

1.3 المنطلقات اللسانية لدراسة المعنى:

بعيدًا عن منطلق أن الجوهر المسمى المعنى زبقي متعسر القبض عليه، تولدت المناهج الباحثة في لبه، من رحم الدرس النقدي اللغوي الحديث الذي يتزعمه دي سوسير اللساني، حيث قسم العلامة اللغوية إلى الشكل الصوتي وهو الدال أو اللفظ، والصورة الذهنية وهي المدلول أو الفكرة معتبرا العلامة اللغوية بشقيها كيان نفسي، « يمكن تمثيله بالرسم الآتي:

الفكرة	Concepte
الوحدة الصوتية	Sound-image

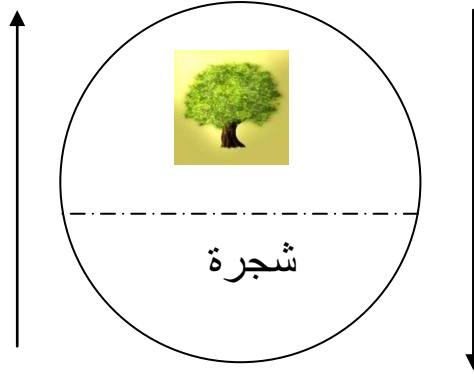
أ- العنصران وحدة متألّفة وكل منهما يستدعي الأخرى.⁽²⁾ فالذي يشير إلى المعنى يمثل الدال، أما المعنى نفسه فهو المدلول⁽³⁾، ويمكن تجسد ذلك في الخطاطة الآتية:⁽⁴⁾

(1) - نرجس باديس، الذاتية في النظام اللغوي، المرجع السابق، ص - ص: 96-97.

(2) - فرديناند دي سوسير، فصول في علم اللغة، تر: أحمد نعيم الكراعين، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، القاهرة (د.س)، ص: 123.

(3) - نجان بوقرة، المدارس اللسانية المعاصرة، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، (د ط)، 2004، ص: 78.

(4) - المرجع نفسه، ص 48.



مخطط دي سوسير البياني عن الدلالة.

تُعبر الأسمه في هذا المخطط عن الدلالة، في حين يشير الخط الأفقي المنقطع الفاصل بين الدال ومدلوله الحاجز، من ذلك يستلزم الدال اللغوي مدلوله أو مفهومه أو التصور أو المعنى الحامل له.

وإن استخدم دي سوسير مصطلح العلامة^(*) للتعبير عن اللفظ وما يشير إليه من معنى، والعلاقة بينهما اعتباطية، ومن النقاد المعاصرين من يطلق على مصطلح العلامة سمة، رغم أن الناقد مرتاض يبين أن مفهوم السمة (Signe) محدد بالإشارة الدالة على معنى غير لفظي⁽¹⁾، مميزا إياه عن مصطلح العلامة (Marque)، كما عاب على النقاد الذين أطلقوا مصطلح الدليل على السمة، ويرى أنه « يندرج في الفهامة الفكرية والعي اللغوي، لأن المعاني الدالة على السمة في العربية كثيرة، منها: الأمانة والعلامة... فكيف ذهب الوهم إلى الدليل الذي ينصرف الذهن لدى ذكره إلى الحجة والبرهان؟...»⁽²⁾.

* - أطلق دي سوسير لفظ العلامة على الوحدات المشكلة لنظام اللغة، بدل أن يسميها رمزا مثلا لاختلاف المصطلحين رغم احتوائهما على المعنى، إذ العلامة العلاقة بين دالها ومدلولها اعتباطية في حين العلاقة بين الرمز وما يحمله سببية وتميز الرموز بالثبوت أكثر من العلامة، كما يشير في الغالب إلى أفكار محددة ومعاني لدلائل غير لفظية. أنظر: كريم زكي حسام الدين، أصول تراثية في اللسانيات الحديثة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، ط03، 2002، ص: 82.

(1) - عبد الملك مرتاض، نظرية القراءة، المرجع السابق، ص: 34. (أنظر الهامش)

(2) - المرجع نفسه، ص: 34. (أنظر الهامش)

يوضح عبد المالك مرتاض أن المعنى محمول في الشكل ، واتحادهما يكون الدلالة فالدال يحيل على مدلوله وغاية من وجوده هي ذلك، والمدلول يستمد دلالته من الدال مصيره مرهون بعتاء الدال، وما يبثه من معان تنعكس عليه مباشرة، فإنما المدلول يتخذ وجوده من داله، بيد أن الدال أسبق في الوجود وأشرف في المثول، فدون دال لا يمكن أن يكون مدلول، فالدال أصل والمدلول فرع، الدال أول والمدلول ثان، وهما على كل حال كالروح والجسد إن زال أحدهما زال الآخر حتماً⁽¹⁾.

يمكن التعليق على وجود هذا الفصل، بالتساؤل الآتي: كيف يتصور وجود دال أولاً ثم يلحقه تصوره من المعنى؟

مع العلم أننا لا نبني الدوال إلا بوجود مرجع يمكننا من بناء تصور ومدلول حوله فنسمي الأشياء التي نحمل لها تصورات، فلا مزية للدال على مدلوله، وليس وجوده أسبق في الظهور عنه، بل يشكلان صورة موحدة للدلالة حضور أحدهما يستدعي بالضرورة حضور الآخر، كما قال ذلك دي سوسير⁽²⁾ ومن جاء بعده من اللسانيين، ولم يعد يتصور وجود آراء فاصلة بينهما، ولا مميزة الواحد عن الآخر.

يضيف لهما كل من ريتشاردز و أوغدن العنصر الخارجي أو الشيء كدعامة ثالثة في بناء العلامة محددتين عناصر الدلالة في مثلثها الشامل:⁽³⁾

1- المحتوى الذهني أو الفكرة.

2- الرمز أو الدال.

3- المشار إليه أو الشيء.

2.3 يلمسليف والشرعية العلمية لدراسة المعنى:

أعدت زيادة المرجع التفكير في العلاقة بين الدوال ومدلولاتها، وبين عدم وجود علاقة مباشرة بين الكلمة كرمز، والشيء الخارجي الذي تعبر عنه⁽⁴⁾. حيث يخالف إيميل

(1) - عبد المالك مرتاض، نظرية القراءة، المرجع السابق، ص: 250.

(2) - فصول في علم اللغة العام، فريناند دي سوسير، تر: أحمد نعيم الكرايين، المرجع السابق، ص ص 121، 122.

(3) - كلود جرمان وريمون لوبلون، علم الدلالة، تر: نور الهدى لوشن، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ليبيا، ط 01، 1997 ص: 20.

(4) - أحمد مختار عمر، علم الدلالة، المرجع السابق، ص: 55.

بنفست فكرة دي سوسير الأخيرة، ويبين أن الارتباط بين الدال ومدلوله ليس اعتباطياً بل على العكس، هو ارتباط ضروري، حيث يؤكد أن الحتمية بينهما تشكلت بارتسامها في الذهن، يستحضران بصورة متبادلة⁽¹⁾.

جعل تحديد أطراف العلامة أحقية الدراسة إلى اللفظ أو الشكل، لأننا يمكننا وصفه وملاحظته، فهو قابل للتحليل العلمي، الذي يتطلب في عملية التجريب والتحليل المعاينة والملاحظة للوصول إلى النتائج العلمية الأكثر دقة ونجاعة، وأبعد ذلك المدلول أو المعنى لفقدانه هذه الخاصية، فهمش المعنى حقبة من الدراسات النقدية، إلى حين مجيء صاحب المدرسة الانغلو سيميائية لويس يلمسليف.
بنى يلمسليف الجملة على عناصر خمسة⁽²⁾:

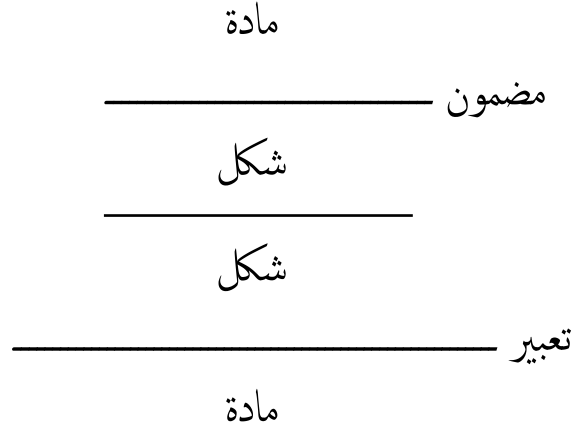
1. اللغة تأليف من تعبير ومضمون
2. اللغة تتألف من تتابع (نص ومظام).
3. يتصل المضمون بالتعبير في العملية التواصلية.
4. العلاقات محددة ضمن التتابع والنظام.
5. لا يوجد تطابقين التعبير والمضمون

جعل يلمسليف اللغة تأليف من التعبير والمضمون بدل ثنائية دي سوسير الدال والمدلول، وجود أحدهما يفرض وجود الآخر تلقائياً وأعطى للعنصرين قيمة واحدة، بذلك يعد أول من اقترح أكثر التحليلات دقة حول بنية العلامة، وترابطها وعلاقتها الدلالية فله يرجع الفضل في صياغة العبارة الوظيفية السيميائية، فعرف طبيعة بنية العلامة، وفي الآن نفسه قدم لنا تعريفاً للطبيعة التنظيمية للسنن التي تتحكم في استعمال العلامات على الشكل التالي⁽³⁾:

(1) - رومان جاكسون، محاضرات في الصوت والمعنى، تر: حسن ناظم وعلين حاتم صالح، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط01، 1994، ص: 145.

(2) - أحمد مؤمن، اللسانيات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط02، 2005، ص: 160-161.

(3) - إمبرتو إيكو، العلامة -تحليل المفهوم وتاريخه-، تر: سعيد بنكراد، المركز الثقافي العربي، ط(02)، 2010، بيروت لبنان، ص: 136.



يمثل كل من مستويي التعبير والمحتوى (المضمون) المكونات الآتية⁽¹⁾:

1- مادة المحتوى (الأفكار).

2- شكل المحتوى (البنية التركيبية والمعجمية).

3- شكل التعبير (الفونولوجيا).

4- مادة التعبير (الفونتيك).

والعلامة عند يلمسليف. «ليست شيئاً يحل محل شيء آخر...، إن العلامة هي وظيفة ناتجة عن العلاقة المتبادلة بين موظفين التعبير والمضمون»⁽²⁾ قابلة للتجزئة في وحدات ثانوية، يمكن معاينتها، فإذا كانت الوحدة التعبيرية (بجوهرها وشكلها) قابلة للتجزئة والتقطيع إلى وحدات صغرى فهي لا تزال مترابطة ارتباطاً كلياً بمضمونها، الذي بمنطق طرح يلمسليف. تظهر إمكانية تحديد أشكال على مستواه⁽³⁾، حيث ما يصدق على التعبير يصدق على المضمون، فالحصول على كلمة يأتي عبر مفصلة مجموعة من الأصوات (صور تعبيرية)، وبعدد صغير من هذه الفونيمات يستطيع لسان ما أن ينتج عددًا هائلًا من الكلمات ويحققها، ونفس الشيء يصدق على المضمون، فعدد صغير من صور المضمون يمكن من بناء عدد هائل من وحدات المضمون، فإذا كان التعبير يحلل صورًا فإن المضمون أيضًا يحلل إلى صور، وهذا عبر المكونات الدلالية⁽⁴⁾.

(1) - أحمد مؤمن، اللسانيات النشأة والتطور، المرجع السابق، ص: 162.

(2) - إمبرتو إيكو، العلامة -تحليل المفهوم وتاريخه، المرجع السابق، ص: 137.

(3) - إمبرتو إيكو، السيميائية وفلسفة اللغة، المرجع السابق، ص: 57.

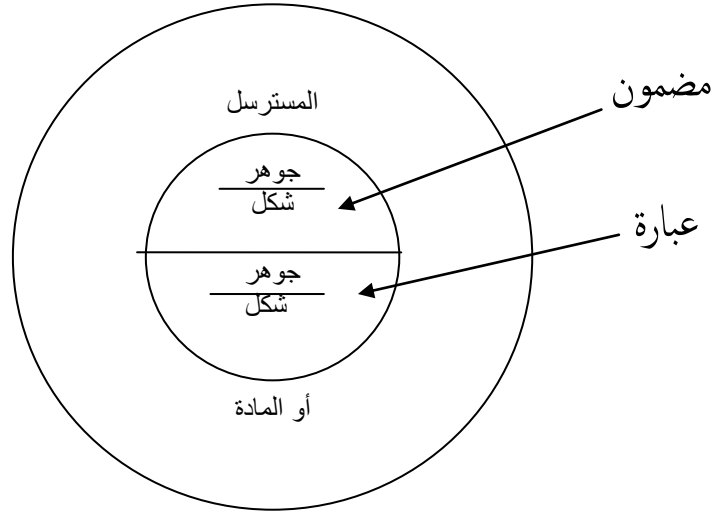
(4) - إمبرتو إيكو، العلامة -تحليل المفهوم وتاريخه، المرجع السابق، ص: 148.

وضح يلمسليف. أن المادة التي هي الجوهر تسبق دومًا الشكل ولا يسبقها، فمادة التعبير هي تلك الأصوات الخام دون وضعها في قالب، أما شكل التعبير تمثله القوالب التركيبية الحاملة لمادة التعبي من فونيات ومورفيات...، فيتشكل التعبير بشقيه من الأصوات والدوال الحاملة لها، أما المحتوى فيمثل الدلالة والأفكار، مثل كلمة فرس تحلل في مستوى التعبير إلى: ف/ر/س، في مستوى المحتوى تحلل: خيل/ أنثى/ مفردة...⁽¹⁾

بين إيكو أن ما يسميه سوسير المادة يشكل عند هلمسيلف المتصل (بترجمة أحمد الصمعي)، الذي يميزها من خلال اللفظ الدائماركي Mening، والذي يمكن ترجمته إلى المعنى، وإن متصل المضمون هو الفكر ذاته، عبارة عن كتلة عديمة الشكل قابلة للدراسة من زوايا نظر مختلفة، وتقوم اللغات بتنظيمها ومفصلتها بطرق وأشكال تعبيرية مختلفة⁽²⁾، فإن المتصل يشبه الجوهر الذي يغذي الأشكال، وهو أمر ينطلق أيضًا على التعبير.⁽³⁾

في نفس المسار يبين يلمسليف. أنه يوجد مسترسل (متصل) العبارة ومسترسل المضمون، وأن هذا المسترسل أو المادة- الذي تعبر عنه العلامات وتعبر من خلاله هي دائما نفسها، إنها الموضوع الدينامي الذي تحدث عنه بيرس، والذي يبرر العلامة، ولكن العلامة لا تعبر عنه مباشرة لأن التعبير يرسم موضوعًا مباشرًا (المضمون)⁽⁴⁾ أي التعبير عن العلامة تحديد لمضمونها في شكل ما ونظام ما وبنية ما يمكن على أساسه تعيين صياغة معدلة لنموذج الوظيفة العلامية في على النحو الآتي:⁽⁵⁾

- (1) - أحمد مؤمن، اللسانيات النشأة والتطور، المرجع السابق، ص: 162.
- (2) - إمبرتو إيكو، العلامة-تحليل المفهوم وتاريخه، المرجع السابق، ص: 144.
- (3) - المرجع نفسه، ص: 145.
- (4) - إمبرتو إيكو، السيميائية وفلسفة اللغة، المرجع السابق، ص- ص: 110-111.
- (5) - المرجع نفسه، ص: 110.



يمثل المتصل المادة باعتبارها كونًا لم يخضع بعد للتجسيد أي « كتلة عديمة الشكل يمكن تنظيمها من أجل التعبير عن شيء ما، ولكنه يشكل في الآن نفسه شيئًا يجب التعبير عنه.⁽¹⁾ إنه الشيء في ذاته سابق على تكوينه، الذي لا يعين ويعرف إلا في انتظامه في مضامين. معنى هذا أن متصل أو مسترسل المضمون ومتصل التعبير هما مستويين عند ربطهما بشكل نكون قد حددناهما فيه وأحلناهما إلى نسقين معينين، ولا يمكن التعرف عليهما وإنتاجهما إلا من خلال تحولهما كبنيتين عبر هذا الشكل، وكما يمكننا التعرف والتمييز بين شكل التعبير مقطعين صوتيين من خلال مبدأ الاختلاف، يمكن تطبيق هذا المبدأ على شكل المضمون، وإقامة التقابل بين عناصره الدلالية أو خصائصه. قدم تصور يلمسليف حول إمكانية معاينة المدلولات والمضامين عبر تجزئتها لوحدات قابلة للتجريب والملاحظة مكن من الخروج من سجن نسق اللغة الذي طبقت الشكلائية ومن بعدها البنيوية على دراسة النصوص وجمدتها داخل نطاق الشكل، وأدار الدفة إلى المعنى المعبر عنه، فليس من الصعب تمييز أوجه الاختلافات في المضمون عند تجزئته إلى وحدات دلالية صغرى أو ما نسميها بالسيات. ومن هنا كان عمل السيميائية، حيث جعلت موضوعها لربطه بالشكل دراسة المعنى وتطرحه كمشكل للدراسة معتمدة على فكر يلمسليف في ذلك.

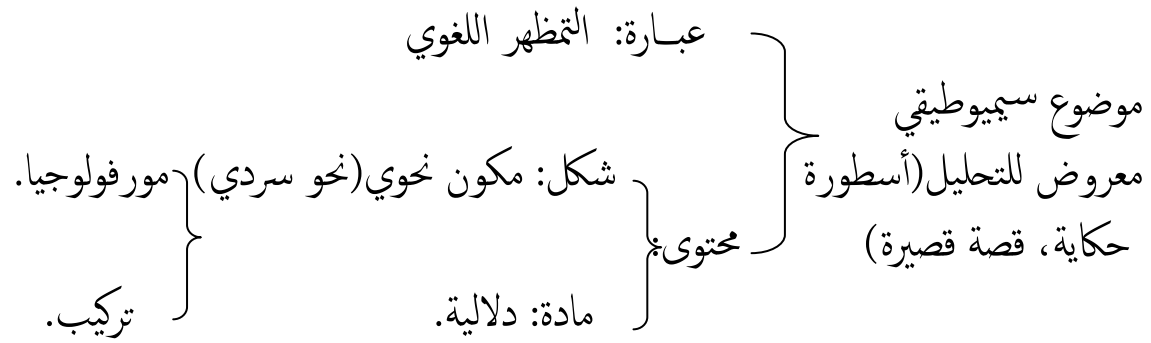
(1) - إمبرتو إيكو، العلامة تحليل المفهوم وتاريخه، المرجع السابق، ص: 145.

تحدد السيميائية الموضوع السيميوطيقي أو في كل نسق دال عبر مكونين متغايرين يتعين أحدهما في علاقته مع الآخر، المكونين هما⁽¹⁾:

2 مكون نحوي: يشمل العلاقات المورفولوجية، والعمليات الظاهرة على المستوى التركيبي.

3 مكون دلالي: محقق من امتداد المنظومة التركيبية بعناصر دلالية.

ويحلل الموضوع السيميوطيقي أو أي شكل نظامي لاعتباره علامة صغر هذا الشكل العلامتي أو عظم وفق الخطوات الآتية والتي شكلت فيما بعد المسار التوليدي عند السيميائية السردية^(*):



يهتمنا من هذه المستويات المستويين شكل ومادة المحتوى، الأول، على اعتبار أن شكل المحتوى يمثل المعنى، أو المضمون المجسد في النص، أو المتن في التعبير، فشكل المحتوى وشكل التعبير يمثلان معا الرمز اللغوي، بجانبه «الشكل والمضمون» ويعني جوهر المحتوى الأفكار قبل أن تتحقق، أي قبل أن توضع في نظام اللغة، فالناس جميعا يشتركون في جوهر المحتوى، مهما اختلفت لغاتهم، أو تنوعت، في حين يكون الاختلاف في شكل المحتوى، أي في التعبير عن هذا الجوهر⁽²⁾.

(1) - عبد المجيد النوسي، التحليل السيميائي للخطاب الروائي، شركة المدارس، الدار البيضاء، المغرب، ط 01، 2002، ص: 29.

* - تم جمع ترسيمات مجزئة عند عبد المجيد النوسي يصف فيها قواعد بناء المسار التوليدي. أنظر عبد المجيد النوسي، التحليل السيميائي للخطاب الروائي، ص-ص: 29-30.

(2) - نعان بوقرة، المدارس اللسانية المعاصرة، المرجع السابق، ص - ص : 119 - 120.

يمكن أن نمثل لذلك بالعلامة السردية وتوضيح فكرة الشكل والمضمون في محكي ما، حيث يتم اختيار وتعيين أحداث معينة، هي جملة الأفكار قبل تحقيقها، نصوغها في قالب ما يعطيها خصوصيتها، وشكلها للتعبير عن هذا الجوهر، الذي هو مادة خام من الحوادث متخيلة أو واقعية قبل أن تصاغ، فيمنحها جوهر التعبير الصيغة الخاصة التي تم اختيارها لقبولتها فيه، كقصة أو رواية أو مسرحية...، وهذا بحسب القواعد والتقنيات المعتمدة في كل صياغة مادة التعبير، فيمنح ذلك جوهر التعبير فرصة أن يكون خطاباً سردياً هو شكل التعبير لقصة الخالصة المختارة كشكل للمحتوى. ونوجز تكوين العلامة السردية في الجدول الآتي⁽¹⁾:

شكل	جوهر	تعبير
خطاب سردي	رواية، قصة، شريط مرسوم...	تعبير
القصة الخالصة	عالم واقعي أو منخيل، مادة القصص الالاقية والمتخيلة	محتوى

بنية العلامة السردية

أخلص في نهاية هذا الفصل إلى استخلاص بعض النقاط الهامة في إنتاج المعنى تعمل متضافرة كليات لبنائه وتصوره، هي مرتكزات إنتاج المعنى، وسأعمد إلى حصر بعض منها في نقاط مستوحات من ما جاء في النقاط السابقة، فإنتاج المعنى يكون بـ:

➤ النظر في هذا الكل الموضوعي والمعنوي للنص، بطبيعته العلائقية، التي تحتم علينا معرفة محتوى مضامين النص، وإدراك كل المحتويات المخالفة، والضدية، وفهم منطلقاته وتصوراتهِ وإعادة تنظيمه واستيعاب دلالاته وتوليد معنى فرضي بالضرورة.

➤ القراءة المساهمة في إنتاج النص لا المعاينة فقط. بل على التحاور التفاعل مع النص مع الحيطة أن يُسلط نوع من الضغط أو العنوة التعسف، أثناء الممارسة النقدية

(1) - جان ماري كلينكنبرغ، الوجيز في السيميائية العامة، تر: جمال حضري، مؤسسة مجد الجامعية، بيروت، لبنان، ط01 2015، ص: 164.

بل يكون التناول مقنعا، مسوغا وينطلق من أدلة النص نفسه، لا من معطيات وفرائض خارجة عنه.⁽¹⁾ ، فيشترك القارئ مع المبدع في تكوين النص.

➤ النظر في سياق النص لأن النصوص غدت مفتوحة لا تفصح عن مخزونها إلاّ بعمق السياق.⁽²⁾ ، فتأخذ القراءة والتأويل شرعيتها من هذا السياق الداخلي لأن النص بنية غير مرجعية، لا تستند إلى مرجعية ما، إنما فقط مرجعيتها في ذاتها لخاصية العناصر التخيلية الكامنة فيها والتي لا يمكن تصحيحها أو تقييمها، إنما تحتاج إلى فهمها وتأويلها وإعادة إنتاجها في قالب معنوي محتمل محقق، أن كل « تحقق يأخذ بعين الاعتبار فقط أقل عدد ممكن من العناصر السياقية، سيكون أبعد من تحقق يراعي أكبر عدد ممكن من العناصر السياقية»⁽³⁾ . لأنها تسهم في التنسيق بين المعاني واختيار الاحتمالات الأكثر ملاءمة للمعنى، فوظيفة السياق أنه « يقوم بتقوية المعنى وتدعيمه بأشياء خارجة عنه، [وأنه في ذات الوقت] يقوم بعملية انتقاء للمعاني التي تتماشى مع السياق المراد خلقه، إذ من الممكن أن يكون للكلمة أكثر من معنى وذلك وفق الأماكن التي تحتلها في استعمالات عديدة»⁽⁴⁾ .

➤ النظر في البنيات التخيلية التي المتغلغل في كيان النص والتي تبعده عن الزاوية المرجعية وان أشار إلى واقع ما، أو حياة اجتماعية، وخبرة إنسانية بذلك هو نص لا يصح بحكم إشارته للواقع، والمجتمع، إنما يؤول وينتقد.⁽⁵⁾

➤ يرسم الناقد خطوات للسير عليها، بينها قصداً حسب معرفته الضمنية، وتفاعله الإيجابي مع النص، هي إذاً القصدية في العمل، التي تتمثل في « تلك الخطاطات التي توجه القارئ نحو الدلالات الاحتمالية، دون أن توقعه بالفعل على دلالة محددة بعينها.»⁽⁶⁾ فبواسطة "العقل المكمل" على حد تعبير أنكاردن، والذي بموجبه يتم التفاعل بين

(1) - حسين خمري، الشعرية العربية - الحضور والغياب-، المرجع السابق، ص: 54.

(2) - السعيد بو سقطة، شعرية النص بين جدلية المبدع والمتلقي، المرجع السابق، ص: 220.

(3) - حميد محمداني، القراءة وتوليد الدلالة ، مرجع سابق، ص: 238.

(4) حسين خمري، الشعرية العربية الحضور والغياب، المرجع السابق، ص: 195.

(5) - كارلهاينز شتيرله، "قراءة النصوص التخيلية"، المرجع السابق، ص: 105.

(6) - حميد محمداني، القراءة وتوليد الدلالة ، المرجع السابق، ص: 237.

القارئ والنص، تتوجه قصدية الناقد نحو النص وقراءته بما يناسب ملء الفجوات المتوقعة فيه، فينتج معنى يكون واجهة أو ظل للمعنى المحدد مسبقاً في العمل الأدبي.

➤ قدم تصور يلمسليف حول العلامة إمكانية معاينة المدلولات والمضامين عبر تجزئتها لوحداث قابلة للتجريب والملاحظة، ومكّن من الخروج من سجن نسق اللغة الذي طبقتة الشكلانية ومن بعدها البنيوية على دراسة النصوص وجمدتها داخل نطاق الشكل، وأدار الدفة إلى المعنى لربطه بالشكل المعبر عنه، فليس من الصعب تمييز أوجه الاختلافات في المضمون عند تجزئته إلى وحدات دلالية صغرى أو ما نسميها بالسيئات. ومن هنا كان عمل السيميائية، حيث جعلت موضوعها دراسة المعنى وتطرحة كمشكل للدراسة معتمدة على فكر يلمسليف في ذلك.

الفصل الثاني

مفاهيم السيميائية السردية في النقد المغاربي

تمهيد :

إن الأساس الأول في تحديد أي بنية معرفية، وتعيين موضوعها يتطلب بادئ الأمر تحديداً واعياً لماهية تلك المعرفة، والتعريف بها، بالوقوف على مصطلحاتها ومفاهيمها ومرجعياتها الفكرية، ولا يستثنى من ذلك أي معرفة في أي مجال علمي، ولا سيما المناهج النقدية، ونخص ذكرًا السيميائية- المتضمنة في اتجاهاتها السيميائية السردية- كمصطلح يدل مفهومه عمومًا على المنهج العلمي الذي يهتم بالعلامة والمعنى دراسةً وتأويلًا.

وعلى اعتبار أن « مفاتيح العلوم مصطلحاتها، ومصطلحات العلوم هي ثمارها القصوى، فهي مجمع حقائقها المعرفية، وعنوان مابها، يتميز كل واحد منها عما سواه، وليس من مسلك يتوسل به الإنسان إلى منطق العلم غير ألفاظه الاصطلاحية.»⁽¹⁾ توجب لتعيين مصطلح السيميائية السردية النظر في أصول مصطلح السيميائية، وتبيين مفهومه لغةً واصطلاحًا؛ لأنها الاتجاه العام المحدد لدراسة دلالات العلامة، أما السردية فهي اللاحقة الدالة على اختصاص هذا الاتجاه النقدي بدراسة السردية من منطلق النظرية السيميائية.

I. السيميائية السردية: المفهوم، الإشكالية والمرجعية:

تضم السيميائية كمصطلح علمي نقدي عدة مسميات اصطلاحية، منها: السيميوطيقا والسيميولوجيا، وعلم العلامات، العلاماتية...، مستعملة كمرادفات لها تدخل تحت مفهوم واحد، لمنهج بعينه، يختص بقراءة دلالات العلامات، يحتل « مكانة هامة ضمن المناهج النقدية، ولئن كان البعض يعتبرها مجرد موضة من الموضات، فإن هذا الوصف لم ينقص من قيمتها كمنهج علمي، وإجرائي في الدراسات الأدبية، وتحليل النصوص الأدبية بالدرجة الأولى بل ولم يزد المشتغلين بها إلا مقاومة لكل نزعة تبسيطية»⁽²⁾، وتكمن أهمية السيميائية في أنها حل خالص العملية النقدية من سجن النسق المفروض من النظريات الشكلية إلى سيرورة التأويل والقراءة الإنتاجية المبدعة. هي نقد يغوص في عمق النصوص لإثارة دروب معانيها يفتح نوافذ وآفاق جديدة لإنتاج المعنى، ويطرح على وجه الخصوص إبداعًا فنيًا أدبيًا.

(1) - عبد السلام المسدي ، قاموس اللسانيات، الدار العربية للكتاب تونس-ليبيا، 1984، ص: 11.

(2) - جيرار دولودال، السيميائيات أو نظرية العلامات ، تر: عبد الرحمن بوعلي ، دار الحوار ، سوريا ط1، 2004، ص: 7.

وكما أسلفنا الذكر، أن السيميائية السردية هي وجهة نقدية من وجهات النقد السيميائي، تعمل وفق اتجاه السيميائية العام الدائر حول إنتاج المعنى، فإننا أولاً سنقف على تحديد معنى السيميائية لغة واصطلاحاً، قبل أن نتبين مفهوم السيميائية السردية عند النقاد المغاربة، وأهم القضايا التي أحاطت به في الساحة النقدية المغربية.

1- تعريف السيميائية:

يهدف العود إلى التأسيس اللغوي لمصطلح السيميائية، وعرض مدلولاته الاصطلاحية في الساحتين العربية والغربية إلى البحث عن التحوّل الدلالي -إن وجد- بين المعطى اللغوي والمعطى الاصطلاحي، ولمس نقاط التقارب في تلك المدلولات اللغوية مع المفاهيم الاصطلاحية الدال على النظرية النقدية.

ومصطلح السيميائية ليس بالمولّد ولا المعرّب، بل مادته أصيلة في العربية، تناولتها المعاجم العربية التراثية وأمّحت المصادر اللغوية، بما يعادل دلالتها المعجمية. وسأعمد إلى تبني هذا المصطلح لعدة اعتبارات سأذكرها لاحقاً عند التطرق لجزئية إشكالية المصطلح.

1-1- تعريف السيميائية لغة:

يمكننا التحديد اللغوي للمصطلح من تعيين الهيئات العامة التي استعمل فيها المصطلح كلفظ ضمن تلك اللغة المنتج فيها، والوقوف على أهم التغيرات التي حدثت في حقله الدلالي. وسنخطّ السطور الأولى في التعريف اللغوي للسيميائية من الدرس اللغوي العربي برصد أهم مقاصده اللغوية المعجمية في القواميس القديمة والمعاصرة.

أ- تعريف السيميائية لغة عند العرب :

يحيل دال السيميائية إلى علم، معرفة، ووجهة نقدية تُعنى بالمعنى والعلامة، مأخوذ لغةً من الأصول اللغوية: (و س م)، و(س و م)، و(س م ا)، وسأرفع منها فقط المعاني الملامسة لوجهة المنهج النقدية، إذ يعني في الجذر:

- (و س م) : « وسم، يسم، وسم، وسمه: كواه، وأثر فيه بسمة أو كي جعل له علامة يعرف بها...»⁽¹⁾، « طلب وسمه أي علامته...، والسمة: ج سمات العلامة أثر

(1) - المنجد في اللغة والإعلام، دار المشرق، بيروت، لبنان، مادة (و س م)، ط 40، 2003، ص : 900.

(1) الكي».

توسمت فيه الخير أي تفرست، واللفظة مأخوذة من (وسم) بمعنى عرفت فيه سمته
وعلامته. (2)

وتوسمت فيه الخير، تبينت فيه أثره، قيل في مدح عبد الله بن العباس [من الطويل]:
تَوَسَّمْتُهُ لَمَّا رَأَيْتُ مَهَابَةً عَلَيْهِ وَقُلْتُ: الشَّيْخُ مِنْ آلِ هَاشِمٍ (3)

« وبغير موسوم: وسم بسمة تعرف بها، من قطع أذن وكبي... وفلان موسوم بالخير والشر
أي عليه علامته». (4)

- (س و م): - «سوم الماشية، أسامها...، الشيء: أعلمه بسومه، ومنه قوله تعالى:
﴿ وَالْحَيْلُ الْمُسَوِّمَةُ ﴾ (5) والسومة: السمة والعلامة». (6)

و«سوم: السمة والسومة والسياء والسيما: أربع لغات في العلامة». (7)

«تسوم: اتخذ سومة أي علامة». (8) و«السيما: العلامة». (9)

- (س، م، ا): - سما... سمة، وسمة، وسمة، وسماه: علامته (10)، وسياء العلامة
جاء في القرآن الكريم ﴿ سِيَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ﴾ (11) وهذا التعبير القرآني

(1) - المنجد في اللغة والإعلام، المرجع السابق، ص: 901.

(2) - ابن منظور الإفريقي، لسان العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، مادة (وسم)، ط1، مج07، 2005، ص: 590.

(3) - الزمخشري، أساس البلاغة، المرجع السابق، ص: 334.

(4) - الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، تخ: عبد الحميد هندواي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، مادة (وسم) ط
01، مج04، 2003، ص: 371.

(5) - سورة الفتح، الآية: 29.

(6) - معجم اللغة العربية بالقاهرة، معجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، مادة (س، و، م)، ط2005، 4، ص: 465.

(7) - محمد أديب عبد الواحد جمران، معجم الفصح في اللهجات العربية، مكتبة العبيدكان، رياض، مادة (س و م)، ط1
2000، ص: 286.

(8) - المنجد في اللغة والإعلام، المرجع السابق، مادة (س و م)، ص: 365.

(9) - مجد الدين محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم الفيروز أبادي، المحيط، دار الكتب العلمية، بيروت، مادة (س و م) ط1، ج
04، 1999، ص: 90.

(10) - منظور الإفريقي، لسان العرب، المرجع السابق، مج14، ص: 493.

(11) - سورة الحجرات، الآية 29. كما ورد اللفظ أيضا في قوله تعالى من سورة البقرة، الآية 273: ﴿ تَعْرِفُهُمْ بِسِيَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ
النَّاسَ إِحْقَاقًا ﴾ العود للتعسير

« يستعمل في العربية المعاصرة للدلالة على ما كان مظهره حسنا يدل على باطن حسن المؤمنون سيّاهم في وجوههم...؛ أي علامتهم التي يعرفون بها.»⁽¹⁾
 نرى من جملة التعريفات المعجمية المذكورة أن مصطلح السيميائية في العربية مرتبط بثلاثة جذور لغوية المذكورة أعلاه؛ تحمل ثلاثتها معنى السمة التي تظهر على الشيء، وتدل عليه، وما يوضع على الشيء ليعرف به، وجلها تأخذ بعدًا دلاليًا واحدًا في اللغة هو: **العلامة**، التي تعني لغةً: « الأمانة، ما ينصب فيهندي به، ويقال لها: الإشارة»⁽²⁾، أو الرمز الدال على معنى بعينه.

وإلى جانب هذه المادة المنتخبة من المعاجم، والتي تدور في فلك معنوي واحد هو العلامة، هناك معانٍ أخرى لمصطلح السيميائية في التأصيل اللغوي العربي، وكلها من مادة (س، و، م)، ليست بعيدة في مقصدها عن ما ذكر سالقًا، جلها تذكر السيميائية على أنها:
 - نوع من السحر.⁽³⁾

- السحر، حاصله إحداث مثالات خيالية لا وجود لها في الحس.⁽⁴⁾

- البهجة والحسن.⁽⁵⁾

- السيمي تعني الهيئة.⁽⁶⁾

- الكيمياء والصيدلة، والكيمياء عند القدماء كانت تهدف إلى تحويل المعادن الحسيسة إلى ذهب، « فهي علم يراد به تحويل بعض المعادن من بعض

(1) - محمد محمد داوود، معجم التعبير الاصطلاحي في العربية المعاصرة، دار غريب، القاهرة، ط1، 2003، ص: 315.

(2) - علي بن هادية وآخرون، القاموس الجديد للطلاب، المرجع السابق، مادة (ع-ل-م)، ص: 413.

*- جل المعاجم تحيل إلى المعاني المشار إليها، وقد أوردت تنوعا من المعاجم للتدليل على ذلك، ولأن ذلك التعريف قد لامسته جل المعاجم. فأى إحالة فهي من باب تنويع الاستشهاد فقط.

(3) - جبران مسعود، الرائد (معجم ألفبائي في اللغة والإعلام) دار العلم للملايين، بيروت، مادة (س-و-م) ط01، 2003 ص: 507.

(4) - معجم الوسيط، المرجع السابق، مادة (س-و-م)، ص: 469.

(5) - المنجد في اللغة و الإعلام، مرجع سابق، مادة (س، و، م)، ص: 365.

(6) - علي بن هادية وآخرون، القاموس الجديد للطلاب، المرجع السابق، مادة (س، و، م)، ص: 328.

وعلى الخصوص تحويلها إلى الذهب بواسطة الإكسير...أو استنباط دواء لجميع الأمراض»⁽¹⁾.

ونراها كلها معاني موصولة بمعنى السمة العلامة، من حيث إحداث الأثر على الشيء والتعليم فيه.

ليس رصفي لكل هذه التعاريف اللغوية إلا من باب تبين أن لفظ السيمياء له تأصيله العربي المنحدر من جذور مختلفة، ولست أراه إلا الأقرب في وضعه كمصطلح دال على منهج دراسة العلامة والمعنى، بإلحاق اللاحقة(ية) الدالة على علم فنترجم مصطلحي: sémiologie و sémiotique، بالسيميائية لوجود ما يقابلها في التأصيل اللغوي.

ب- السيميائية لغة عند الغرب :

إن النظر في الجذر اللغوي للسيميائية في المناجد الغربية يحيلنا مباشرة إلى النظر في التعريفات اللغوية للمصطلحين الأجبيين: sémiotique و sémiologie، المعربان بالسيميوطيقا والسيميولوجيا على التوالي، المرادفان لمصطلح السيميائية.

ويعود الأصل اللغوي الغربي لمصطلح sémiotique أو sémiologie إلى اللفظ الإغريقي sêméion، ويعني العلامة. يقابله في اللغة الانجليزية semiotics، تداول في أواخر القرن التاسع عشر(19)⁽²⁾. ملحق باللاحقتين: "tique" و "logie" في اللغة الفرنسية و" ics" في اللغة الانجليزية، كلها دالة على العلم أو المعرفة، والكل المركب من الجزئين يعني علم العلامة.

ومن التعريفات التي جاءت في قاموس روبرت 2011 أن sémiologie تعني⁽³⁾ :
- علم طبي يدرس علامات وأعراض الأمراض، يسمى علم العلامات وأيضا علم الأعراض.

(1) - علي بن الهنائي المشهور بكراع النمل، المنجد في اللغة، تح: أحمد مختار عمر وضاحي عبد الباقي، (د د)، (د م)، (د ط) 2011، ص: 706.

2) - Le petit Robert 2011, Les presses de Coubertin, Paris. France, Nouvelle édition, 2010, P : 2348.

3) - Ibid , P : 2348.

- حسب دي سوسير- علم يدرس حياة العلامات داخل الحياة الاجتماعية.
 - علم يدرس أنظمة العلامات (لغات، شفرات، إشارات...)
 - النظرية العامة للعلامات وآلياتها في التفكير.
- يضيف قاموس لاروس تحديداً معجمياً مبسطاً للسيميولوجيا يوافق مفهومه الاصطلاحي، على أنه علم عام للعلامات، والقوانين التي تحكمها في الحياة الاجتماعية، تطور مع تصور دي سوسير المتقاطع مع تصور وأفكار شارل بيرس، وهو المصطلح المستعمل حالياً⁽¹⁾، أي هو المصطلح الشائع المحيل على علم السيمياء المهتم بدراسة العلامات على مختلف أنواعها.
- أما مصطلح *sémantique* فيعني الدراسة العلمية لمعنى ودلالة الوحدات اللغوية في اللسانيات، والنظر في نسقتها، وطريقة تركيبها.⁽²⁾
- لم تحد المناجد الإنجليزية عن التصور المطرق في المعاجم الفرنسية، حيث عيّن قاموس أكسفورد أن *semiotics* هي دراسة العلامات والرموز ومعانيها واستعمالاتها.⁽³⁾ أضافت على سابقتها اعتناء السيميائية بالجانب التداولي للعلامة.
- وكل القواميس الغربية تقر أن *sémiologie* - (*semiology*)- هي نفسها *sémiotique* - (*semiotics*)-، تأخذ في تعريفاتها بالبعد الاصطلاحي. وتحدد ظهور هذه الدراسات في نهاية القرن التاسع عشر إلى بداية القرن العشرين، مع صاحبها دي سوسير وبيرس، اللذين عملا على نشوء السيميائية كعلم يدرس العلامات واستخداماتها وتداولها خاصة في اللغة.⁽⁴⁾
- مجمل القول أن مصطلح السيميائية ينحدر سواء عند الغرب أم العرب قديماً، من جذر لغوي واحد وهو "سمة" - "sign"؛ أي العلامة، وأن تناولت المناجد الغربية المفهوم الاصطلاحي دون العربية هذا لأن الأخيرة جاءت قبل ظهور هذه العلوم في الدرس اللغوي

(1) -Le petit Larousse illustre ,S,A, MALESHERBES, Paris, France,2006,p120.

(2) -Ibid,p120.

(3) -Oxford Advanced learner's dictionary, op cit, P: 1380.

(4) - Britannica concise encyclopedia, encyclopedia Britannica, u.k, 2003, P: 1677.

هذا من جهة واختصاص المعاجم الغربية في تعريف علومها المنتجة في بيئتها، وإبانة مجالاتها، وتعيين مفهوما عند المختصين في مجالات الأدب المختلفة. من جهة أخرى.

نلمسه غياب المفهوم الاصطلاحي عن المعاجم العربية حتى في المعاصرة منها، إلا في عينات قليلة*، وقد أعطت المفهوم الاصطلاحي لمصطلح السيميائية في صورة عامة وسطحية، منها أن «السيميائية هي علم الإشارات وهو علم غايته تمكين المعنى في ذهن المخاطب»⁽¹⁾ وقد وأكبت هذه المناجد في محتواها الحاصل والمستحدث من المعارف ومفاهيمها الاصطلاحية، واقتراها ولو بشكل طفيف من جملة المفهوم المعطى من لدن العلماء المختصين في دراسة المنهج.

لعل هذا الغياب في المعاجم اللغوية العربية واقع لظهور المعاجم المختصة والمؤلفات العلمية والنقدية حسب مجالات تناولها، نذكر منها على سبيل الاستدلال كتاب نبيل راغب المعنون بموسوعة النظريات الأدبية، عرّف فيه السيميائية تحت مسمى النظرية السيميوطيقية أو السيميولوجية، و«هي النظرية التي توظف علم العلامات في دراسة وتحليل أنواع الاتصال والدلالة والمعنى، من خلال أنظمة العلامات، ليس فقط في المجالات الأدبية واللغوية، بل في مختلف العلوم وشتى أنواع المعرفة»⁽²⁾ من ذلك لا نستغرب هذا الغياب وإن كان موضوع السيميائية حاضرًا في التفكير اللغوي العربي.

يتقابل التحديد المصطلحي للفظ سمة في الفكر واللغة العربيين مع اللفظ اليوناني sémion، المساوي في الوجيهتين -العربية والغربية- العلامة وأنه قد يكون مصطلح السيميائية قد انتقل عند العرب من اللغة اليونانية، وأخضع لشروط ونظام اللسان العربي أو العكس، ودليل ذلك وجود التشابه في الحروف الأولى بين سيميائية في العربية وsemiotic الأجنبية.

* - أنظر أيضًا معجم المعاني الجامع و علي بن هادية وآخرون، القاموس الجديد للطلاب، ص:328.

(1) - المنجد في اللغة و الإعلام، المرجع السابق، مادة (س و م)، ص: 369.

(2) - نبيل راغب، موسوعة النظريات الأدبية أدبيات، مكتبة لبنان ناشرون، لبنان، بيروت، ط1، 01، 2003، ص: 365.

2-1- تعريف السيميائية اصطلاحًا:

إن المنهج السيميائي غربي النشأة والمولد، وافد على الساحة العربية، فاستقبلته من الواجنتين الفرنسية والإنجليزية مترجمة من مصطلحي: sémiologie باللغة الفرنسية semiotics باللغة الإنجليزية، مما خلق عدة تسميات لمسمى واحد، تهاوى على إثرها المصطلح في شبك إشكالية وأزمة المصطلح، التي أثقلت الدرس العربي، وسوف نعالج هذه النقطة في حينه بإذن الله.

وإن العمل على تحديد مفهوم مصطلح السيميائية عند مختلف العلماء العرب والغرب، قديما وحديثًا، وبحسب ما جاءت به المؤلفات المغربية في هذا الاتجاه، يحتم ربط مفهومه مع بعض المصطلحات المقاربة له أولاً لأنها استعملت مرادفة له وثانيًا من باب الموازنة بينها، ونخص من هذه المصطلحات الدلالة والسيميولوجيا والسيميوطيقا.

أ- المفهوم الاصطلاحي للسيميائية:

سوف أستعمل مصطلح السيميائية عند إدراج التعريفات الاصطلاحية لهذا المنهج على أنه مساوٍ لباقي المصطلحات^(*) التي نعت بها السيميائيون المغاربة هذا العلم، لأنني لا أنزع في هذا العنصر إشكالية تحديد المصطلح بالقدر ما أسعى إلى تحديد الحد المفهومي العلمي لهذا الاتجاه النقدي، على أن أعود إلى إشكالية المصطلح في العنصر اللاحق ومبررات اختيار هذا الدال دون غيره.

تدرج المفاهيم الاصطلاحية لعلماء مختصين في مجال السيميائية تحديدًا ثابتًا موحدًا بينها يدور في مدار العلامة، والعلم الذي يدرسها. تلامس به التعريف اللغوي، من حيث اشتغالها على فكرة موحدة، قائمة على تحديد العلامة أو الإشارة وبيان ماهيتها. فجاء مفهوم السيميائية عند مجدي وهبة تحت مسمى علم العلامات نسبة للموضوع الذي تدرسه، وقد ربطها بالعالم الأمريكي بيرس، على أنه « العلم الذي يحاول أن يطبق نظامًا منهجيًا على نشوء كل ما يمكن أن يسمى علامة، أو إشارة، لغوية كانت أم تصويرية أو غير ذلك في المجتمعات البشرية، وتعالج تقسيمات العلامات...، ويتناول أيضًا مدلول الإشارة عبر العصور وتغيراتها

*- السيميولوجيا أو علم الإشارات، السيميوطيقا، علم العلامات، ...

من منطقة إلى أخرى، كما يدرس كيفية فناء الإشارة، أو تحولها إلى غيرها...، ويمكن إدراج علوم الدلالة المختلفة تحت مفهوم علم العلامات أو علم الإشارات.⁽¹⁾

وكما تألف عليه النقد العربي ككل ولا نستثني منه المغربي في تحديده لأي مفهوم اصطلاحي قادم من الساحات النقدية الغربية، أنه يعود به إلى أممات الأعمال والدراسات العربية في إرثها القديم من باب مقارنتها بها، والحاقها بالتفكير العربي، فنجد بعض النقاد المغاربة والعرب عمومًا العاملين على السيميائية بحثوا عن مفهوم المنهج عند العرب القدامى من أمثال: الجزائري عبد القادر شرشار في كتابه مدخل إلى السيميائيات السردية، والمغربي محمد الكرافس، في مقاله: قراءة في الإرهاصات الأولى والامتدادات المعاصرة، والعراقي سامي الحصناوي عبر مقالة: الدلالة مقابل العلامة في الفكر الفلسفي عند العرب.⁽²⁾

ليس الوقوف على تواجد مصطلح السيميائية في الدرس العربي القديم إلا من باب البحث عن آليات المنهج ومفهومه، وموضوعه عند العرب بأبعاد النظرية الغربية.

جاءت عمليات التنقيب في التراث العربي حول الدراسات الدلالية، ورؤية العرب القدامى للمعنى، - وإن كانت جملها تميل للدرس البلاغي- وكذا من خلال تتبع الحدين اللغويين السمياء والسمياء، اللذين لم يكونا غريبين عن التراث العربي، إذ وُجِدَت عدة كتب طرحت المصطلح بمفاهيم مختلفة عن الطرح النقدي المعاصر، ارتبط في أغلب الأحيان بالسحر وأسرار الحروف و الرموز. و يصرح المغربي محمد كرافس أن أغلب ما ذكر عن السمياء في التراث العربي هو شذرات متفرقة، كما عند ابن جني وابن سينا والجاحظ...، لا يحمل المفهوم العلمي الحديث، ولا تسمح بميلاد نظرية قائمة كما هي عند الغرب.⁽³⁾

ومن بين من تحدث عن وجود درس السيميائية عند العرب القدامى ما ذكره الجزائري عبد القادر شرشار من أن ابن الأكفاني أورد مصطلح علم السيميا في كتابه- رغم

(1) - مجدي وهبة، معجم مصطلحات الأدب، المرجع السابق، ص 507

(2) - سامي الحصناوي، الدلالة مقابل العلامة في الفكر الفلسفي عند العرب، الموقع الإلكتروني:

<http://www.ahewar.org>

(3) - محمد الكرافس، ومقاله السيميائيات العامة- قراءة في الارهاصات الأولى والامتدادات المعاصرة، مجلة البيان، الكويت

العدد 529، 2014، ص-ص: 16-17.

الجدل حول نسبته له - "كتاب الدرّ النظيم في أحوال علوم التعليم"، « ومهما يكن من أمر فقد ظهرت أعمال ابن الأكفاني في بداية القرن الرابع عشر، وظلت مجهولة في أوروبا، بمعنى أنها لم تكن من المصادر العلمية العربية التي نهلت منها أوروبا اللاتينية أثناء عملية نقل العلوم العربية إلى الغرب في القرنين الحادي عشر والثاني عشر.⁽¹⁾ ويستشهد أيضًا عبد القادر شرشار بما أورده محمد شاه بن المولى شمس الدين الفناري في كتابه "أنموذج العلوم"^(*) حيث أوجد فصلا بعنوان: علم السيمياء، تحدث فيه عن ماهية الحروف وتوظيفها، حسب أصول ثلاثة غير مفهومة هي: طرد الوباء، قطع الغلاء، وإزالة الحمى والبرودة.⁽²⁾

ومن بين الدارسين القدامى الذين وظفوا مصطلح السيمياء ابن خلدون في كتابه "المقدمة" حرر في قسمه الأول الفصل التاسع والعشرون مادة عن علم أسرار الحروف ذكر أنه مسمى بالسيميا وأن « وضعه من الطلسمات في اصطلاح أهل التصرف من المتصوفة فاستعمل استعمال العام في الخاص، وعند ظهور الغلاة من المتصوفة وجنوحهم إلى كشف حجاب الحس، وظهور الخوارق على أيديهم والتصرفات في عالم العناصر...»⁽³⁾، وقد زعم هؤلاء المتطرفين من الصوفة أن الكمال الأسماء مظاهره أرواح الأفلاك والكواكب، حيث تسري في الأسماء طبائع الحروف وأسرارها، سارية على ناموس الأكوان التي هي « من لدن الإبداع الأول تنتقل في أطواره وتعرب عن أسرارها، فحدث لذلك علم أسرار الحروف، وهو من تفاريع علم السيمياء لا يوقف على موضوعه ولا تحاط بالعدد مسائله. تعددت فيه تآليف البوني وابن العربي وغيرهما ممن اتبع آثارهما.»⁽⁴⁾

(1) - عبد القادر شرشار، مدخل إلى السيميائيات السردية، الدار الجزائرية، الجزائر، ط01، 2015، ص: 12.

*- أنموذج العلوم في مائة مسألة من مائة فن نسبت أيضا للمولى شمس الدين محمد بن حمزة الفناري المتوفى سنة أربع وثلاثين وثمانمائة. وذكر صاحب الشقائق سمعت من بعض أحفاده أن الرسالة التي من مائة فن إنما هي لابنه محمد شاه. منقول عن كشف الظنون - حاجي خليفة - ج 1 - الصفحة 184، الموقع الإلكتروني: <http://shiaonlinelibrary.com/>

(2) - عبد القادر شرشار، مدخل إلى السيميائيات السردية، مرجع سابق، ص: 12.

(3) - ولي الدين عبد الرحمان بن محمد بن خلدون، مقدمة ابن خلدون، تح: عبد الله محمد الدرويش، دار البلخي، دمشق، سوريا ج 02، ط 01، 2004، ص: 282.

(4) - المرجع نفسه، ص: 282.

ومن الباحثين في جذور مصطلح السيمياء عند العرب التونسي ناجي بسباس حيث بين أن السيمياء قديماً عند العرب تعني ممارسة الكيمياء قبل ظهور واستقرار المنهج العلمي مع الرازي وجابر بن حيان والبيروني. مثلت جزءاً هاماً من العلوم القديمة، بزغت خاصة مع ممارسات الفلاسفة والأطباء، ركزت على⁽¹⁾:

- الحصول على حجر الفلاسفة، به تحوّل المعادن والفلزات الخبيثة إلى ثمينة أي إلى الذهب.
 - تحضير إكسير الحياة، الشافي من جميع الأمراض، ويمنح الخلود للإنسان.
- ويضيف الباحث أن ممارسات القديم للسيمياء بهذا المفهوم لم تحقق لهم مرادهم، لكنها خلّفت إرثاً تقنياً مازال ممارساً إلى يومنا هذا.⁽²⁾

زيادة إلى ما أشار إليه السيميائيون المغاربة، من أن العرب القدامى أطلقوا مصطلح علم السيميا على « غير الحقيقي من السحر، وهو الأشهر، وحاصله إحداث مثالات خيالية لا وجود لها في الحس، وقد يطلق على إيجاد تلك المثالات بصورها في الحس، وتكون صوراً في جوهر الهواء وسبب سرعة زوالها تغير جوهر الهواء، ولفظة سيميا عبراني معرب أصله سيم يه ومعناه اسم الله...»⁽³⁾، وأيضاً قصد بلفظ السمة قديماً لزوم خط يسمى خط السيمياء،...إنه خط يختص بمعرفة الوزراء والعظماء، فإذا جاء الملك كتاب طويل اختصره الوزير في ثلاثة أسطر بذلك القلم، وعرضه عليه، وقد ذكر جالينوس هذا الخط بعينه وسماه (السريع)، في كتاب: (تعرّف المرء عيوب نفسه)، وليس أوقن إلا أنه خط يتضمن أعلاماً قد وضعت للدلالة على معاني من طريق الاصطلاح، لا من طريق تطبيق كل معنى لفظه.⁽⁴⁾ والسيمية لفظ يوناني بمعنى الدلالة أو الرمز أو الإيماء، ويقوم هذا البحث أساساً

(1) - ناجي بسباس، التحوّل من السيمياء إلى الكيمياء في أوج الحضارة العربية والإسلامية، مركز النشر الجامعي، تونس، (د ط) 2002، ص: 11.

(2) - المرجع نفسه، ص: 631.

(3) - محمد علي بن علي بن محمد التهانوي الحنفي، كشف اصطلاحات الفنون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج01 1998، ص: 60.

(4) - محمد بن محمد بن هبة الله الحسيني الأفطسي، المجموع اللغيف - مختارات تراثية في الأدب والفكر والحضارة، تخ: يحي وهيب الجبوري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط (01) 2005، ص: 330.

على البحث في علاقة الكلمة بدلالاتها.⁽¹⁾ يلامس مفهوم السيميائية كعلم لدراسة المعنى من خلال تحديد وجود علاقة بين الدلالة والكلمة.

ثبتت هذه النماذج المنتقاة امتداد التفكير السيميائي من جذور متأصلة في القدم وعدم انقطاع درسه عن إسهامات الفلاسفة والعلماء الأوائل، بحملها أفكارًا سيميائية متناثرة في الإرث الإنساني بشقيه الغربي والعربي، وإشارات معرفية تخص العلامة ومكوناتها وطرق إنتاجها، في محاولة لفهم أسرار الدلالات المنتجة من تفاعل الإنسان مع محيطه.⁽²⁾ إن ارتباط السيميائية عند العرب بالسحر وأسرار الحروف والتأويل والكيمياء والصوفية المتطرفة جعل منها بعيدة عن التصور الحديث لمفهوم السيميائية، إنما ملامسة العرب لهذا الدرس كان من جهة علم الدلالة⁽³⁾، المتعلق باللفظ وصورته الذهنية الموضوعة لتعيينه، قاربوا فيها تصور دي سوسير وبيرس في تقسيمها للعلامة، سواءً التقسيم الثلاثي كما عند بيرس أو الثنائي كما عند دي سوسير.

أنّوه قبل الخوض في تعريف السيميائية اصطلاحاً خاصة عند النقاد المغاربة الذين عملوا في درسها، ووضحوا أسسها كعلم يقارب النصوص والخطابات والعلامات، أننا أخذنا جملة هذه الحدود والمفاهيم الاصطلاحية من تعريفات موضوعة لعدة مصطلحات كلها مستعملة كمرادفات للسيميائية في النقد المغربي منها، السيميائية، السيميولوجيا - السيميوطيقا، علم العلامات، العلامية، علم الإشارة، علم الدلالة... وهي دوال عينية لمدلول واحد يقصد به في كل مصطلحاته: العلم الذي يدرس العلامة، ويكشف عن دلالاتها وماهيتها، وطبيعتها، وأنظمة تواصلها.

يجيل السيميائيون في المغرب العربي - شأنهم شأن السيميائيين في العالم ككل - مفهوم السيميائية للعالمين الكبيرين دي سوسير وبيرس، فقد تزامن ظهور تصوراتهما عن المنهج في وقت واحد، متفرقة، كل على حده، وإن أكد لودال أسبقية بيرس عن دي سوسير وأن

(1) - محمد بن محمد بن هبة الله الحسيني الأفتسي، المجموع الليفي، المرجع السابق، ص: 330. (أنظر الهامش).

(2) - سعيد بنكراد، السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها، دار الحوار، اللاذقية، سوريا، ط02، 2005، ص: 25-26.

(3) - أنظر: فيصل الأحمر، معجم السيميائيات، المرجع السابق، ص: 258-265.

سبق سيميوطيقا بيرس على سيميولوجيا سوسير شيء لا يناقش⁽¹⁾. وبغض النظر عن أيهما أسبق، فقد أصبحتا يمثلان بداية انطلاق المنهج.

تنبأ دي سوسير في محاضراته اللسانية بميلاد السيميائية، كعلم يحتوي في بوطقته اللسانيات التي تعد جزء منه، عرّفه تحت مسمى *la sémiologie*، المعرب بالسيميولوجيا على أنه « علم موضوعه دراسة حياة الإشارات في المجتمع؛ مثل هذا العلم يكون جزء من علم النفس الاجتماعي، وهو بدوره جزء من علم النفس العام، وسأطلق عليه اسم السيميولوجيا ويوضح علم الإشارات ماهية مقومات الإشارات، وماهية القواعد التي تتحكم فيها، ولما كان هذا العلم لم يظهر إلى الوجود إلى حد الآن، لم يمكن التكهن بطبيعته وماهيته، ولكن له حق الظهور إلى الوجود، فعلم اللغة هو جزء من علم الإشارات العام، والقواعد التي يكتشفها هذا العلم يمكن أن تطبقها على علم اللغة»⁽²⁾.

يحدد دي سوسير في تعريفه موضوع السيميائية المتعلق بالعلامة وأنواعها، والتي تمثل كل مجالات الفعل الإنساني المنتجة للمعنى، من هنا كان اهتمام السيميائية بهذه المجالات، لأنها كما يقول بنكراد « أداة لقراءة كل مظاهر السلوك الإنساني بدءاً من الانفعالات البسيطة ومروراً بالطقوس الاجتماعية وانتهاء بالأنساق الإيديولوجية الكبرى»⁽³⁾.

يرى دي سوسير السيميائية العلم الأجدر بدراسة ماهية العلامة ومقوماتها والقواعد التي تتحكم في سيرورتها وإنتاجها، يمكن التنبؤ به كعلم مستقل بذاته، مازال في طور التكوين مشكلاً كلاً ستشتغل اللسانيات في إطاره، يمتد درسه إلى كل نظام علاماتي لغوي كان أم غير لغوي، كالرموز، والإشارات، الطقوس...، وكل أنساق التعبير والأنظمة التواصلية.

وفي إشارة أخرى من العالم اللغوي دي سوسير أن الفضل الأساسي في تحديده للسانيات كعلم مستقل، وإعطاءها موضعاً بين هذه العلوم يعود إلى ربطها بالسيميائية والتي

(1) - غريب إسكندر، الاتجاه السيميائي في نقد الشعر العربي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1، 2002، ص: 15.

(2) - فردينان دي سوسير، علم اللغة العام، المرجع السابق، ص: 34.

(3) - سعيد بنكراد، السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها، المرجع السابق، ص: 25.

تعد جزء لا يتصل عنها⁽¹⁾؛ وإن قلب بارت هذا الكوجيتو السوسيري باعتبار اللسانيات الكل والسيميولوجيا فرع منها، مسوغه أن أي عملية تواصلية سيميولوجية لغوية أو غير لغوية لا بد لها من المرور عبر اللغة، فدي سوسير رأى اللسانيات فرع من السيميولوجيا وشعبة من شعبها، لتناول الأخيرة جميع الأنظمة الدالة لغوية وغير لغوية، واللسانيات نسق لغوي دال، شرط واجب لفهم الأنسقة غير اللغوية الأخرى، بذاك تعد ضرورة حتمية للسيميولوجيا نفسها، فيكون الجزء لازم للكل، وكان هذا المبرر الذي انطلق منه بارت وقلب به المقولة السوسيرية، واعتبار اللسانيات الكل الأكثر امتدادًا من السيميولوجيا التي هي فرعا منها وأن أي نظام تواصلية أو تعبيرية غير لغوية حتمًا سيمر باللغة لتفسيره وفهمه ودراسته وأضحت المحرك للأنساق الدلالية الأخرى ويتسع مفهوم السيميولوجيا عند بارت حتى استوعب دراسة الأساطير، وكثير من أنظمة العلامات التي تحمل دلالات رمزية، كاللباس وأطباق الأكل والديكورات المنزلية...، بينما يرى دريدا أن الكتابة أو النسق اللغوي هو المحرك الأساسي الذي يحتوي كل من اللسانيات والسيميولوجيا معًا، فيكون الترتيب النحوي المؤمن للكتابة هو الكل، والممثل للخاصية الكبرى للأنساق، والبديل الذي منه تمارس اللسانيات والسيميولوجيا وجودهما داخله.⁽²⁾

وقع دي سوسير مسؤولية تحديد موضع السيميائية على عاتق علماء النفس، بما أنه يندرج كجزء من علم النفس العام، بينما تقلُّ المسؤولية عن العالم اللغوي؛ لأن أبعاد دراسته تقوم على تحليل نظام اللغة الخاص، والعمل على تمييزه عن باقي الأنظمة الأخرى غير اللسانية، المنتمية إلى معطيات سيميائية.⁽³⁾

يرجع دي سوسير السبب في عدم اعتراف الباحثين وقتها بالسيميائية كعلم مستقل بذاته، له توجهاته وقواعده موضوعه الخاص به كباقي العلوم الأخرى، إلى أنه كان يُعالج ضمن علوم أخرى وبواسطتها، رُبطَ بها دون النظر إليه في ذاته، فالعالم النفسي « يدرس نظام الإشارات في الفرد وهذا الأسلوب سهل، ولكنه لا يخرج خارج نطاق الفرد، ولا يصل إلى

(1) - فردينان دي سوسير، علم اللغة العام، المرجع السابق، ص- ص: 34-35.

(2) - أنظر: ميجان الرويلي سعد البازعي، دليل الناقد الأدبي، المرجع السابق، ص، ص: 157-161.

(3) - فردينان دي سوسير، علم اللغة العام، ير: يوئيل يوسف عزيز، المرجع السابق، ص: 34.

الإشارة التي هي ذات طبيعية اجتماعية ...، وحتى حين تدرس الإشارات من وجهة نظر اجتماعية لا يؤكد الباحث إلا الجوانب التي تربط اللغة بالأنظمة الاجتماعية الأخرى، وهي جوانب اختيارية إلى حد ما، ويؤدي هذا الأسلوب إلى تجاوز الهدف وإهمال خصائص علم الإشارات عامة...»⁽¹⁾، وأن من أبرز ميزات الإشارة - وإن كانت ميزة غير ظاهرة للوهلة الأولى - أنها بعيدة المنال بالنسبة للإرادة الفردية والاجتماعية.

إن ارتباط السيميائية بالعلوم الأخرى خاصة منها علم النفس جعلها مقيدة وفق نظام هذه العلوم، وإصباغها بالسطحية، مما أبعداها عن وضع علم خاص بها، يخلص إلى اكتشاف كنه هذه العلامات التي تمثل موضوعه، فكان الفحص الخارجي للعلامة، وعدم الغوص في ماهيتها ودراستها بشكل مستقل لذاتها، جعل ميلاد هذا العلم يتأخر إلى بدايات من القرن العشرين، فابتداءً من 1960 أصبحت السيميائية اختصاصاً رسمياً⁽²⁾ فلا يمكن قبلها الحديث عن علم للعلامات - والتي في الحقيقة تجسد الوجود كله- إلا بعد العودة إلى تأسيسات بيرس، ومقولات دي سوسير المتنبئة به.

والمحطة الثانية التي يوجه لها جموع النقاد الفضل في تواجد السيميائية بمعناها الحديث تتمثل في مجهودات بيرس على اعتبار أنها الأسس الأولى والانطلاقة الفعلية لظهور معالم هذا العلم، وبيان إجراءاته ومقولاته مع بقية من جاء بعده من السيميائيين، أطلق له مسمى sémiotique، عزّب بمصطلح السيميوطيقا، وقبلًا نجد الفيلسوف الألماني لامبيرت في القرن 18 م يطلقه كتسمية للمنطق⁽³⁾، وقد أسبغه بورس بعبء رياضي يتجلى في التركيز على العلاقة بين العلامات أو بين مكونات العلامة، وإن تزامنت مجهوداته مع توقعات دي سوسير فإن لكل منهما منحاه الذي باشر به درس السيميائية، فكان الأول بنهج فلسفي منطقي، والثاني لغوي لساني. كما أن بورس وسع من « نطاق العلامة لتشمل اللغة وغيرها من الأنظمة التواصلية غير اللغوية: فكل ما في الكون بالنسبة لبورس علامة قابلة للدراسة

(1) - فردينان دي سوسير، علم اللغة العام، المرجع السابق، ص: 35.

(2) - جان ماي كلينكبرغ، الوجيز في السيميائية العامة، تر: جمال حضري، دار مجد، بيروت، لبنان، ط01، 2015، ص: 15.

(3) - آرت فان زويست، التأويل والعلامية، تر: منذر عياشي، ضمن كتاب: العلامية وعلم النص، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، (ط 1)، 2004، ص: 33.

وهي بذلك تندرج ضمن نظام السيموطيقا "sémiotique" وتعد جزء من علم المنطق خلافاً لسويسرا الذي ركز اهتمامه على العلامة اللغوية، وهي تندرج في إطار نظام السيميولوجيا "sémiologie"⁽¹⁾.

استوحى بورس تسمية هذا الاتجاه من المصطلح الذي أطلقه جون لوك في القرن السابع عشر على العلم المستنبط من المنطق سماه علم السيمياء⁽²⁾، والذي يعنى بالدلالات والمعاني والعلامات، وبعد ما جاء به جون لوك نقلة نوعية مميزة للسيمياء عن غيرها من العلوم، حيث صنف العالم التجريبي لوك العلم ثلاثة أصناف⁽³⁾:

علم الأخلاق - علم الطبيعة (الفيزياء) - علم السيمياء. من علومه: المنطق ونظرية المعرفة.

تدخل السيميائية عند بورس في جميع نشاطات الإنسان، وأن أي فعل إنساني في مختلف مظاهره وتجلياته يمكن تفسيره سيميائياً، و« يعد هذا العلم في نظره إطاراً مرجعياً يشمل كل الدراسات، يقول وهو بصدد تحديد المجال السيميائي العام الذي يتبناه: " إنه لم يكن باستطاعتي يوماً ما دراسة أي شيء- رياضيات كان أم أخلاقاً أو ميتافيزيقاً أو جاذبية أو ديناميكا حرارية أو بصريات أو كيمياء أو تشریحاً مقارناً أو فلكا أو علم نفس أو علم صوت، أو اقتصاد أو تاريخ علوم أو ويستا (ضرب من لعب الورق) أو رجالاً ونساء أو خمرًا، أو علم مقاييس دون أن تكون هذه الدراسة سيميائية.»⁽⁴⁾

فمفهوم السيميائية عند بورس مفهوم شامل لكل أنظمة العلامات، وتعني « نظرية عامة للعلامات وتمفصلاتها في الفكر الإنساني، ثم إنها صفة لنظرية عامة للعلامات والأنساق الدلالية في كافة أشكالها...، وبالتالي تعد سيميائية بورس مطابقة لعلم المنطق»⁽⁵⁾ بمفهومه العام؛ أي النظرية العامة لقواعد التفكير الإنساني، وهو نفسه النظرية العامة للعلامات التي

(1) - بشير إبير، التحليل السيميائي للخطاب الإشهاري - دراسة في تفاعل أنظمة العلامات وبلاغة الإقناع، مجلة شهرية ثقافية دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة، الإمارات، سبتمبر، 2010، عدد 157، ص: 109.

(2) - غريب إسكندر، الاتجاه السيميائي في نقد الشعر العربي، المرجع السابق، ص: 07.

(3) - المرجع نفسه، ص: 07.

(4) - جميل حمداوي، مدخل إلى المنهج السيميائي، الدراسة والمناهج التعليمية: 2010-03-11، الموقع الإلكتروني:

<http://www.startimes.com/?t=22378333>

(5) - المرجع نفسه.

يستخدم عليه بيرس بالسميوطيقا⁽¹⁾، تعمل على منطقة العلامة وكشفها وتصنيفها وبيان وظائفها، تعين بوظيفتين دلالتين هما: الوظيفة الدلالية الصادقة، والوظيفة الدلالية الكاذبة ويعيد تصنيفها إلى علامات صادقة وأخرى كاذبة.⁽²⁾

يقول أمبرطو إيكو بالخصوص علاقة السيمياء بعلم المنطق عند بورس: محددًا مضمون علمه بكل دقة ووضوح: « لنستمع الآن إلى بورس: إتي حسب علمي الرائد أو بالأحرى أول من ارتاد هذا الموضوع، المتمثل في تفسير وكشف ما سميت السميوطيقا SEMIOTIC؛ أي نظرية الطبيعة الجوهرية والأصناف الأساسية لأي سيميوزيس محتمل " إن هذه السميوطيقا التي يطلق عليها في موضع آخر " المنطق " تعرض نفسها كنظرية للدلائل. وهذا ما يربطها بمفهوم " السيميوزيس "، الذي يعد على نحو دقيق الخاصية المكونة للدلائل. »⁽³⁾، فقد ساوى بيرس بين لفظة السميوطيقا والمنطق، معتبرًا أنه طريقة علمية يدرس بها السيميوزيس، الذي يكون سيرورة الدلائل ومعاني العلامات.

ومن جملة التعريفات الاصطلاحية للسيميائية في الساحة الغربية، أن السيميائية عند:

- جورج مونان - عبر مصطلح السيميولوجيا-: « العلم العام الذي يدرس كل أنساق العلامات والرموز التي بفضلها يتحقق التواصل بين الناس. »⁽⁴⁾

- بيير غيرو (Pierre Guiraud) - أحد أساتذة جامعة نيس الفرنسية- العلم المهتم بدراسة أنظمة العلامات؛ اللغات، الرموز، الإشارات، التعليمات...إلخ. وهذا التحديد يجعل اللغة جزءًا من السميوطيقا. ويتبين لنا أن غيرو يتبنى نفس الطرح السوسييري بأن اللسانيات فرعًا من السيميولوجيا.

- أجرداس جوليان غريماس وجوزيف كورتيس في المعجم المعقلن لنظرية الكلام -بترجمة الناقد الجزائري رشيد بن مالك- نظام يدرس الأدلة، تتمثل في كونها مجموعة دالة،

(1) - غريب إسكندر، الاتجاه السيميائي في نقد الشعر العربي، المرجع السابق، ص 16.

(2) - أمينة فزاري، أسئلة وأجوبة في السيميائية السردية، دار الكتاب الحديث، القاهرة، 2011، ط 1، ص 21.

(3) - إمبرتو إيكو، السيميائية وفلسفة اللغة، المرجع السابق، ص 112.

(4) Georges mounin, Dictionnaire de la linguistique, Presses Universitaires de France, Paris, 1974, P 294.

يشك فرضيا في أنها تحتوي على تنظيم و تفصل مستقل⁽¹⁾، غير أن هذا التعريف للسيميائية في نظرهما لا يصلح إلا في إطار مشروع الوصف، وإذا كان مصطلح السيميائية يوظف للإشارة إلى مجموعة دالة تكون سابقة على الوصف فإنه يستعمل أيضا ليقصد به مفهوماً جديداً يتعلق بسيميائية الموضوع التي تعد بمثابة مشروع للوصف، أو أنها خاضعة للتحليل، وإما تكون عبارة عن موضوع مبني. وفي موضع آخر يحدد كل من " غريماس وكورتيس طبيعة النظرية السيميائية باعتبارها نظرية تبحث عن الدلالة، ينحصر ههما الأول على تشكيل بناء مفهومي، يوضح ظروف التقاط وإنتاج المعنى.⁽²⁾

- أما إيكو فقد وضح أن السيميائية هي علم العلامات الذي يدرس كيف يتكون الموضوع تاريخيا⁽³⁾، بمعنى آخر دراسة سيرورة المواضيع عبر مراحل تكونها وكيفية تشكلها على اعتبارها صورة للعلامة.

تصب جل تعريفات النقاد المغاربة حول اهتمام السيميائية في إطار دراستها للخطابات المتنوعة على تتبع الكيفية التي تتولد بها المعاني وتتمو، وذلك بالانتقال من أصغر مستويات الدلالة إلى أكبرها، معها تراعى العلاقات التي تجمع بين عناصر الدلالة ووحداتها.⁽⁴⁾ وتعمل السيميائية المغربية بصورة مركزة و تحديداً على مدرسة باريس السيميائية التي تضم كلا من غريماس Greimas وكوكيه Coquet وأريفي Arrivé إلخ.... والقائم مشروعها على تأسيس نظرية عامة لأنظمة الدلالة.

وهذه جملة من التعريفات للسيميائية عند النقاد المغاربة نأخذها عينة عن التحديد الاصطلاحي للمنهج في الساحة النقدية المغربية على وجه الخصوص، والتي لا تحيد في

(1) Algirdas Julien Greimas, Joseph Coutres : Sémiotique, Dictionnaire Rationné de la théorie du langage, hachette, paris. 1979, p: 33

(2) - Ibid, p: 109.

(3) - إمبرتو إيكو، السيميائية وفلسفة اللغة، المرجع السابق، ص: 112.

(4) - عبد الحميد بورايو، منطق السرد، المرجع السابق، ص: 15.

مفهومها عن مفهوم وتعريف السيميائية السردية كمنهج نقدي لتحليل النصوص السردية خاصة والأدبية عامة، فالسيميائية عند:

- **جميل الحمداوي:** هي لعبة الهدم والبناء، تبحث عن المعنى من خلال بنية الاختلاف ولغة الشكل والبنى الدالة. ولا يهم السيميوطيقا المضمون ولا من قال النص، بل ما يهمها كيف قال النص ما قاله، أي شكل النص ومن هنا فالسيميوطيقا هي دراسة لأشكال المضامين وتبني على خطوتين إجرائيتين وهما: التفكيك والتركيب، قصد إعادة بناء النص من جديد وتحديد ثوابته البنيوية.⁽¹⁾

- **جمال حضري:** يرى أن السيميائية تستهدف الكشف عن شروط التدليل وفحص المعنى وسبر أعماقه. إنها تجيب عن الأسئلة التالية:

- ما الذي يجعل التدليل الظاهر للنصوص التي تقرأها أو نسمعها أو ننتجها ممكناً؟
- ماهو النظام المنهج والمزج الدقيق وما هي القواعد التي تؤدي جميعا إلى انبثاق المعنى؟
- والسيميائية عنده لا تبحث عن تكوين النص ولا تاريخه ولا ما تعلق بكتابه وظروف تسويقه أو قرائه، ولا عما يقول النص ولا عن يقوله؟ إنما كيف يقول النص ما يقوله؟⁽²⁾
- **سعيد بنكراد:** تهتم السيميائية عنده بكل حالات الفعل الإنساني إنها أداة لقراءة كل مظاهر السلوك الإنساني بدء من الانفعالات البسيطة مروراً بالطقوس الاجتماعية وانتهاء بالأنساق الأيديولوجية الكبرى.⁽³⁾

- هي البحث في المعنى لا من حيث أصوله وجوهره، بل من حيث انبثاقه عن عمليات التنصيص المتعددة، أي بحث في أصول السيموز (السيرورة التي تنتج وفقها الدلالات). وأنماط وجودها باعتبارها الوعاء الذي تصب فيه السلوكات الإنسانية.⁽⁴⁾

- هي نظرية خاصة بالمعنى وليست مجرد رصد لعلامات معزولة ولهذا فإن السيميائيات يجب أن تقودنا في كل عملية تحليل إلى إنتاج معرفة لا مجرد الوقوف عند تحديد مكونات

(1) جميل حمداوي، مناهج النقد العربي الحديث والمعاصر، مكتبة المعارف، الرباط، المغرب، ط01، 2010، ص: 106-107.

(2) - جمال حضري، سيميائية النصوص عرض وتطبيق منهجي، دار مجد، بيروت، لبنان، ط01، 2015، ص: 11.

(3) - سعيد بنكراد، السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها، المرجع السابق، ص: 25.

(4) - المرجع نفسه، ص: 12.

الواقعة المدروسة ورصد تنوعاتها الممكنة.⁽¹⁾

- **رشيد بن مالك** : يقترح تعريفاً أولياً على أنها مجموعة دالة يشك فرضياً أنها تملك تنظيمًا وتمفصلاً مستقلاً. أيضاً أن كل مجموعة دالة في اللحظة التي نخضعها فيها للتحويل يمكن أن تعين كسيميائية موضوع- وهو تعريف مؤقت يصلح في صلب موضوع الوصف⁽²⁾. أما النظرية السيميائية عموماً هي نظرية للدلالة، ينحصر ههما الأول في توضيح، على شكل بناء مفهومي، ظروف التقاط وإنتاج المعنى.⁽³⁾

- **عبد القادر شرشار**: تعتبر لعبة التفكيك والتركيب وتحديد البنيات العميقة الثاوية وراء البنيات السطحية المتمظهرة فونولوجياً ودلالياً. كما تحولت إلى منهج يبحث عن حيثيات أسباب التعدد ولا نهائية الخطابات والنصوص تسعى إلى كشف البنيات الثابتة والأسس الجوهرية المنطقية التي تكون وراء سبب اختلاف النصوص والجملة. يهتما شكل المضمون. فالسيميائيات، إذن: دراسة شكلانية للمضمون تمر عبر الشكل لمسألة الدوال من أجل تحقيق معرفة دقيقة بالمعنى.⁽⁴⁾

- **عبد الحميد المالكي**: يعتبر السيميائية علم يطرح نفسه كمشروع علم جنيني تحت الانجاز مشروع علم تطبيقي يعتمد على حقول تجريبية ملموسة وحسية؛ أي إن المادة التي يشتغل عليها هذا العلم اللغة (بالمعنى الفيزيائي)، وهي ليست الكلام، الصوت فقط، بل كل علامة يتحقق بها الاتصال بين البشر، تسمى علامة لغوية أو هي كل نظام إشاري: لغة الصم والبكم، علامات المرور، خطاب المحافل... باختصار كل علامات التي تنتجها الأنواع الخطابية المختلفة، هي كل علامة اتصالية تتمكن مع علامات أخرى من تنظيم نفسها في بنية ذات آليات وأنماط اشتغال لإنتاج المعنى، والسيميائية مشروع علم غير مغلق أساسه الدعوة للمساهمة الفردية لصالح انفتاح تعدد التأويل اللانهائي لمزيد من الاتصال والتبليغ والمعرفة.⁽⁵⁾

(1) - سعيد بنكراد، السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها، المرجع السابق، ص: 56.

(2) - رشيد بن مالك، قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص، المرجع نفسه، ص: 176.

(3) - المرجع نفسه، ص: 183.

(4) عبد القادر شرشار، مدخل إلى السيميائيات السردية، المرجع السابق، ص: 21.

(5) - محمد عبد الحميد المالكي، سلطة الكلام... إرادة القوة في تقنيات محترفي الإلقاء مشروع بيان السيميائيات السردية، دار البيان بغازي، ليبيا، (د ط)، 2005، ص: 18.

- **معجم السرديات:** السيميائية بمعناها العام هي نظرية العلامات تشمل وصف كل التجارب الذهنية والدلائل الطبيعية، وهي - بتبني تعريف جوزيف كورتيس- البحث عن المعنى ومسار الدلالة في سياق أشمل من سياق التواصل الذي قوامه باث وملتقى⁽¹⁾. بعد هذه الإحصائية الوجيزة في تعريفات المغاربة السيميائيين، إذ أخذنا عينات من الجزائر والمغرب الأقصى وأخرى من تونس وليبيا، نستشف فيها توحيدًا في تعريف السيميائية، من حيث هي الاهتمام بالعلامة أو الإشارة في تحولاتها وتطوراتها وتداولها إلى غاية فناءها، بمعنى النظر في حياتها كنظام منذ تكوينها إلى وقت اندثارها، وهذا ما أشار إليه إيكو في تعريفه المذكور آفاً، أنها تدرس كيفية تكوّن الموضوع تاريخياً. هذا من ناحية ومن ناحية أخرى هي تتبع المعنى وإنتاجه عبر مسارات منطقية في التحليل، لا تقف عند جهاز التواصل اللغوي فحسب، بل تتعداه إلى كل جهاز من شأنه أن يعطي دلالة ومعنى يحدث نظامًا ونسقًا داخل بنية تطرح اللامتناهي من التأويل.

ب- بين السيميائية وعلم الدلالة:

للمسألة رأيان:

الأول: نجد قلة من النقاد يعتبرون السيميائية هي علم الدلالة، وذلك بترجمة المصطلح *la sémiologie*، و *la sémiotique* إلى علم الدلالة، من بينهم الناقد السيميائي التونسي محمد الناصر العجمي في كتابه: في الخطاب السردى - نظرية غريماس - حيث قال: « يصعب التعريف بعلم الدلالة... »⁽²⁾ محياناً إلى هامش الصفحة أن علم الدلالة ترجم من المصطلحين الغربيين *la sémiologie* و *la sémiotique*، وقد سمي أيضاً بالعلامتية، ويعنى به الوصف الدقيق للقواعد العامة لإنتاج المعنى الإنساني.⁽³⁾

الثاني: يقر بأن علم الدلالة يختلف عن السيميائية، لأن علم الدلالة هو ذاك « العلم الذي يدرس المعنى من قضايا لغوية، أي أنه يدرس اللغة من حيث دلالتها، وهو من فروع علم

(1) - محمد القاضي وآخرون، معجم السرديات، المرجع السابق، ص: 268.

(2) - محمد الناصر العجمي، في الخطاب السردى نظرية غريماس (Greimas)، المرجع السابق، ص: 21.

(3) - المرجع نفسه، ص: 23.

اللغة». ⁽¹⁾ ، علم مهتم بحياة الألفاظ المفردة أو المركبة، و ما ينجم عنها من علائق بنائية، بعبارة أخرى يهتم بالعلامة اللغوية دون سواها.

يعود مصطلح السيميولوجيا la sémiologie، والسيميوطيقا sémiotique إلى الأصل اليوناني الإغريقي sémeîme مركبة بذلك من sémeîme العلامة، واللاحقة Logos العلم أو المعرفة، ويعنى به علم العلامة، المشار إليه في محاضرات دي سوسير بأنه العلم الذي يدرس العلامة.

في حين يطلق المسمى علم الدلالة على المصطلح المترجم من اللفظ الأجنبي باللغة الفرنسية sémantique وباللغة الانجليزية " semantics "، والسيمايك من الأصل اليوناني " semanein " سيانين، وتعني اللفظة العلامة أو المعنى، ويُعتبر العالم اللغوي ميشال بريال (m.breal) أول من أطلق لفظ sémantique على العلم الذي يعنى بالدلالة والمعنى ⁽²⁾ ، يبحث في معاني الكلمات أو الجمل، يقابله عند العرب مصطلح علم الدلالة- بكسر الدال- ومقصوده علم المعنى لا المعاني، وهي تسمية أخرى لعلم الدلالة ⁽³⁾ ، لأن لفظ المعاني يحيل إلى أحد علوم الثلاثة للبلاغة العربية (علم البيان، علم البديع، علم المعاني). هذا الأخير هو علم « تتبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة وما يتصل بها من الاستحسان وغيره، ليحترز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره، وأعني بتراكيب الكلام التراكيب الصادرة عن له فضل تمييز ومعرفة» ⁽⁴⁾ ، « وهو علم تعرف به أحوال اللفظ العربي التي بها يطابق اللفظ لمقتضى الحال... والمراد بأحوال اللفظ الأمور العارضة المتغيرة، كما يقتضيه لفظ الحال من تقديم وتأخير، وتعريف وتنكير، وغير ذلك...» ⁽⁵⁾ ، في حين علم المعنى يقصد به عند العرب الأوائل بالعلم الذي « يدرس الشروط

(1) - رجب عبد الجواد إبراهيم، دراسات في الدلالة والمعجم، المرجع السابق، ص: 11.

(2) - المرجع نفسه، ص: 11.

(3) - محمد علي الخولي، علم الدلالة (علم المعنى)، دار الفلاح، عمان، الأردن، 2000، ص 13.

(4) - أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي السكاكي، مفتاح العلوم، تخ: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ط (02)، 1987، ص 161.

(5) - محمد علي بن علي بن محمد التهانوي الحنفي، كشف اصطلاحات الفنون، المرجع السابق، 1998، ص: 26.

الواجب توفرها في الرمز حتى يصبح قادرا على حمل المعنى، وتدور موضوعات علم الدلالة حول العلامات والرموز»⁽¹⁾.

وعلم الدلالة فرع من فروع علم اللغة أو اللسانيات المنقسم إلى فرعين رئيسيين الأول نظري يشمل علم النحو وعلم الصرف وعلم الأصوات وعلم تاريخ اللغة وعلم الدلالة، والثاني تطبيقي يشمل تعليم اللغة والاختبارات وعلم المعاجم والترجمة وعلم اللغة النفسي والاجتماعي.⁽²⁾ وقد أورد أحمد مختار عمر تعريفا للمصطلح semantics من المعجم الأجنبي Winston-Webster، أنه علم المعنى المختلف عن علم الأصوات والسمعيات.⁽³⁾

كما عُرّف المصطلح بعلم الدلالة الاجتماعية، وعلم الدلالة المعجمية «الذي يبحث في الدلالة الاجتماعية، وهي الدلالة الأساسية للكلمات، فالدلالة الاجتماعية أو المعجمية لكلمة الكذاب مثلا هي شخص يتصف بالكذب، على أنه توجد دلالات أخرى صوتية، صرفية نحوية... ولا يتم الفهم حتى يقف السامع على كل هذه الدلالات، عن طريق التلقي والمشاهدة، وهذا يتطلب زمنا ليس بالقصير حتى يسيطر المرء على لغة أدبية»⁽⁴⁾. يتضح من ذلك اشتغال علم الدلالة على الكلمة أو المفردة اللغوية الحاملة للدلالة، والنظر في تداولها وشروط إنتاجها للمعنى، أي هو دراسة المعاني اللغوية [المعجمية النحوية] على مستوى المدركات»⁽⁵⁾.

نأخذ أيضا تحديداً يفرق بين Sémantique و Sémiotique - علم الدلالة والسيميائية - من كتاب جورج موان "قاموس اللسانيات"، وقد بين أن: Sémantique: يدل على المكون الذي (في النحو التوليقي)، يحدد التفسير الدلالي للجملة، قواعد هذه المكونات تُتطَبَّق في البناء المعق للجملة، التي تولد من قاعدة المكونات النحوية، والمعرفة بالمؤشرات السنطاجماتيكية (تراتبية- تركيبية) - أي العلاقات التركيبية التي

(1)- أحمد مختار عمر، علم الدلالة، المرجع السابق، ص: 11.

(2)- محمد علي الخولي، علم الدلالة (علم المعنى)، المرجع السابق، ص: 13.

(3)- أحمد مختار عمر، علم الدلالة، المرجع السابق، ص: 11.

(4) - مجدي وهبة، معجم مصطلحات الأدب، المرجع السابق، ص: 506.

(5) - مريان لوديرار، الترجمة اليوم والنموذج التأويلي، ير:نادية حفير، دار هومة، الجزائر، دن، 2008، ص: 238.

تجربها بنية لغوية ما مع وحدات أخرى في نفس مستوى وسياق الجملة، مشكلة تركيباً أو العلاقات التي تقيّمها الكلمات فيما بينها لبناء جملة، الموزعة والمكونة من كل المعطيات اللازمة في التقديم الدلالي لهذه الجملة.⁽¹⁾ فيفهم من كلامه أنه علم ينظر في طريقة بناء الجملة سواء على مستوى التركيب في نظامها النحوي التركيبي، أو على مستوى الدلالة التي تحملها الجملة، والمترتبة عن بناءها من مجموع هذه القواعد النحوية واللغوية بشكل عام.

أما مصطلح Sémasiologie: نادرا ما يعادل علم الدلالة، غاب عن الاستعمال المعاصر في اللسانيات الألمانية ...، وهو علم تطور الدلالات والألفاظ، يعد جزءاً من علم الدلالة الذي يدرس مختلف المدلولات لنفس الدال، مثلاً (الشارات المختلفة لكلمة pois عند مختلف الجهات)، فيدرس كيف لنا أن نشير بطريقة متنوعة دائماً- إشارة أو مفهوم... وربط مصطلح السيميولوجيا Sémiologie بأصل استعماله قديماً في مجال الطب، ويعنى به الدراسة النظامية لأعراض الأمراض.

ويعتبر السيميوطيقا - Sémiotique - معادل عرضي ل: Sémiologie، طرح خاصة في الولايات المتحدة الأمريكية، مثلما عند شارل موريس، أحيانا يستعمل للتدقيق أكثر، ليدل على نظام الدلالات اللسانية، مثل مؤشرات الطريق وغيرها.⁽²⁾

إذن: سواء sémantique أو sémiotique، الأول المترجم بعلم الدلالة، والثاني بعلم العلامات (السيميائيات)، فإن كلاهما مدارهما المعنى، والسعي لدراسته، يمثلان قراءة فاحصة، وإعمال النظر في محتوى ودلالة الكلمة، أو الجملة، أو النص، والعلاقات المعنوية المكونة جراً تركيبها واتساقها. بيد أن مجال علم العلامات المقابل للسيميولوجيا أو السيميوطيقا، أو السيميائية أوسع، ونطاق مواضيعه ودراساته أكبر من علم الدلالة لاهتمامه بأنواع العلامات اللغوية وغير اللغوية، وسائر الأنظمة المنتمية إليهما، على أساس أن اللغة نظام من أنظمة التواصل، لا لأنها الترجمان الوحيد لجميع الأنظمة التواصلية غير اللغوية.

(1) -Georges mounin, Dictionnaire de la linguistique, op. cit, P: 294.

(2) -Ibid, P, P: 294, 296.

بعد أن استثنينا مصطلح علم الدلالة (sémantique) من تسميات السيميائية أوقفنا تعريف الأخيرة أمام التعدد اللفظي المقابلة لها (السيميولوجيا la sémiologie أو السيميوطيقا la sémiotique)، فإني أرجع تسمية السيميائية لمثل هذا العلم لعدة أسباب:

- مصطلح السيميائية ليس بالمولد ولا المغرب، بل مادته أصيلة في العربية، تناولته المعاجم العربية التراثية وأمّات المصادر المعجمية، بوجود مقابل وتأصيل لفظي له في اللغة العربية يحيل مباشرة إلى العلامة ودراستها. فالسيميائية من لفظ السمة والسما و« السيمياء : العلامة»⁽¹⁾، وتدل اللاحقة "ية" : على علم في غالب الأحيان وعليه تعني السيميائية: علم العلامة. فالأخذ بالتأصيل العربي هو الأولى عند وفود علم أو معرفة، لترجمته نعود إلى ما يقابلها من لفظ في الأصل العربي، وإن تعذر ننتقل إلى الطرق الأخرى في النقل من تعريب وتوليد ...

- التقارب اللفظي للمصطلح في الساحتين العربية والغربية بين لفظ السيميائية ولفظي sémiologie ;sémiotique، يجعل عملية نقله بالترجمة بما يقابله من لفظ أولى من غيره من مثل : علم العلامات – سيميولوجيا، السيميوطيقا، العلامية ...

- سهولة تداول اللفظ – السيميائية – مما يمنحه حظاً أكثر في الاستعمال والذيع.

ت- بين السيميولوجيا والسيميوطيقا:

عند التعريف بالسيميائية والوقوع تحت حيرة مرادفات هذا المصطلح يلح علينا إشكال بات لزاماً الإجابة عنه: هل من فرق بين السيميولوجيا والسيميوطيقا؟ ومن الأقرب لدراسة هذا العلم الذي يهتم بالعلامات، السيميولوجيا أم السيميوطيقا – إن كان بينهما اختلاف-؟

لقد خاض الكثير من النقاد المهتمين بالمنهج السيميائي في قضية إشكالية التفريق بين السيميولوجيا والسيميوطيقا، فنجد فرقة من النقاد اعتبرتها مصطلحين لمفهوم واحد دالين على منهج نقدي يخص الخطاب ككل، بما فيها الخطاب الأدبي من حيث هو علامة دالة

(1) - مجد الدين محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم الفيروز أبادي، المحيط، المرجع السابق، مادة (س، و، م)، ج 04، ص: 90.

فقط يستحضر المصطلح الأول مع المدرسة الباريسية ذات الاتجاه اللغوي بقيادة دي سوسير، الذي أوجده أول مرة في مخطوط له كتب عام 1893، وتبعه العديد من اللغويين والنقاد وما يمثل المدرسة الأوربية، منهم: ليفي شتراوس، جان لاكان، كريستيفا، موان هيلمسليف، بريطو، بويسنس، بارت...، ويستحضر المصطلح الثاني مع المدرسة الأمريكية ذات النزعة المنطقية مع الفيلسوف بيرس، ومن أتباعه الذي عملوا بنهجه: موريس وريتشارد وأوجد وسيووك، كارناب...⁽¹⁾ وإن وجدت اختلافات بين المدرستين في الاتجاه المعرفي، أو منحى الدراسة فلن تحدث التفريق بينهما، كإتكاء دي سوسير في تحديد العلامة على ثنائية الدال والمدلول، في حين كان تحديدها عند بورس يستند إلى ثلاثة عناصر بزيادة المرجع إلى العنصرين السابقين (الدال والمدلول)، لأن القلب العام في تحديد هذا المنهج واحد، الأمر الذي جعل هذه الفئة من النقاد لا تفرق بين الوجهتين، وتسمية المنهج بالمصطلحين على أنهما مترادفين، أنهما ينحدران من جذر لغوي واحد ومن الأصل اليوناني *seméion* ويعني العلامة.

ولو عندنا بمصطلحي السيميولوجيا والسيميوطيقا بما يحملانه من مفهوم علمي لوجدنا نفس الإرهاصات النقدية القديمة لكلاهما، خاصة تلك المنحدرة من الدراسات اللغوية القديمة، وكل التسميات التي وضعت له هي مرادفة لبعضها البعض من حيث المفهوم تحيل جميعها إلى العلم الذي يبحث في شأن العلامة.

إذا فالسيميولوجيا مترادفة للسيميوطيقا متقاربتان في المعنى والمفهوم، والموضوع، المحدد في دراسة أنظمة العلامات، أيًا كان مصدرها لغويًا أو سننًا أو مؤشريًا، تدرس جميع أنظمة العلامات اللسانية وغير اللسانية، فلم يعد هناك تمييز بينهما يجعل أحدهما يحظى بالسيادة دون الآخر، بل - على حد تعبير ترنس هوكز - من غير اليسير التمييز بينهما وإن كانت هناك

(1) - مارسيلو داسكال، الاتجاهات السيميولوجية المعاصرة، تر: حميد لمحمداني وآخرون، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب (د ط)، 1987، ص: 18.

أسباب فهي واهية، تافهة تعتمد النزعة الإقليمية⁽¹⁾، والفرق الوحيد بينهما أن السيميولوجيا مفضلة عند الأوربي تقديراً لصياغة سوسير، بينما يبدو أن الناطق بالإنجليزية يميل إلى تفضيل السيميوطيقا، احتراماً للعالم الأمريكي بورس.

وقد رجحت كفة الصيغة الثانية السيميوطيقا كتسمية لمجال هذا العلم وأقر بها "المجمع الدولي لعلم السيميوطيقا المنعقد بباريس في شهر يناير (جانفي) سنة 1969 م.⁽²⁾ من باب التوحيد، وأسست الرابطة الدولية للدراسات السيميوطيقية، مما أعطى فرصة للسيميوطيقا أن تظفي في الساحة النقدية العالمية.

تسببت المصادفة وتزامن ميلاد هذا العلم من رحم المدرستين الفرنسية والأمريكية في عدم انتسابه إلى مدرسة دون الأخرى؛ بل لكليهما، وإن كان سوسير قد قصر السيميائية في وظيفتها الدلالية الاجتماعية، فإن بورس ربط دراسة العلامات بالوظيفة المنطقية والوظيفتان لا تلتقيان إلا في نطاق ضيق، غير أن المصطلحين المستخدمين من العالمين السيميولوجيا والسيميوطيقا يدل كل منهما على ما يدل عليه الآخر⁽³⁾، والمتمثل في دراسة العلامات وكشف دلالاتها وإنتاج معانيها، من ذاك فلا فروق بينهما، وهذه المسألة في رأي كثير من الباحثين يجب أن لا تأخذ اهتماماً كبيراً، فهي أسباب موضوعة، قبلت بدايات استخدام المصطلحات المتنوعة لهذا العلم، غير أنها زالت اليوم لاستعمال المصطلحين في آن واحد⁽⁴⁾، ليبقى الاختلاف اليوم شكلياً.⁽⁵⁾

تثبت حياة لصحف أن الاختلاف بين المصطلحين بات شكلياً من تصريح أمبرطو إيكو في هذا الصدد، حيث قال: "لقد قررنا على كل حال أن نتبنى هنا بصفة نهائية

(1) - حياة لصحف، مصطلحات عربية في نقد ما بعد البنيوية، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 2013، (د ط)، ص-ص: 123-122.

(2) - حياة لصحف، مصطلحات عربية في نقد ما بعد البنيوية، المرجع السابق، ص:123.

(3) - محمد السرغيني، محاضرات في السيميولوجيا، المرجع السابق، ص: 05.

(4) عبد القادر شرشار، مدخل إلى السيميائيات السردية، المرجع السابق، ص:14.

(5) عبد المجيد العابد، مباحث في السيميائيات، دار القرويين، المغرب، ط (01)، 2008، ص:12.

مصطلح السيميوطيقا Sémiotique، بدون أن نتوقف عند المناقشات حول التوريطات الفلسفية أو المنهجية لكلا المصطلحين. نحن نخضع بكل بساطة للقرار المتخذ في يناير سنة 1969 بباريس من لدن الهيئة الدولية، التي تمخضت عنها الجمعية الدولية للسيميوطيقا، والتي قبلت (بدون أن تقصي استعمال السيميولوجيا) مصطلح السيميوطيقا، على أنه هو الذي ينبغي ابتداء من الآن أن يغطي جميع المفاهيم الممكنة للمصطلحين المتنافس فيها.⁽¹⁾

كما يستشهد الناقد المغربي جميل الحمداوي بقول غريماس حين رد على سؤال "روجي بول دروا" حول الاختلاف بين المصطلحين في حوار صدرته صحيفة "العالم" في 7 جوان 1974م تحت عنوان: "علم العلامات": « أظن أنه لا ينبغي أن نضيع الوقت في مثل هذه الجدالات الكلامية حينما تكون أمامنا أشياء كثيرة. فعندما تقرر منذ سنوات في 1968 إحداث جمعية دولية، وجب الاختيار بين المصطلحين. ويتأثر من جاكبسون وموافقة ليفي شتراوس وبنفست وبارت بالإضافة إلي تم التمسك بالسيميوطيقا غير أن مصطلح السيميولوجيا له جذور عميقة في فرنسا. ومن ثم تم الأخذ بتسمية مزدوجة، وقد يعتقد اليوم أن الأمر يتعلق بشيئين مختلفين. وهذا أمر مغلوط طبعا. وسنقترح في الغالب وتبعا لنصيحة هيلمسليف لتخصيص اسم السيميوطيقات للأبحاث المتعلقة بالمجالات الخاصة كالمجال الأدبي والسينمائي والحركي كما سنعتبر السيميولوجيا بمثابة النظرية العامة لهذه السيميوطيقات»⁽²⁾

الواضح من تصريح غريماس أنه يلغي الفروق بين المصطلحين، وأنها مترادفان، فقط يمكن إدراج تسمية السيميوطيقا على الدراسات التطبيقية للمنهج السيميائي، واعتبار السيميولوجيا للإطار النظري الذي يظمها.

تبيّن لجميل الحمداوي من خلال تصفحه لبعض الكتب التي ألفت في مجال السيميائيات أن السيميولوجيا والسيميوطيقا كلمتان مترادفتان وإن كان بينهما اختلافات دلالية

(1) - حياة لصحف، مصطلحات عربية في نقد ما بعد البنيوية، المرجع السابق، ص:123.

(2) - جميل حمداوي، مدخل إلى المنهج السيميائي، المرجع السابق، الموقع الإلكتروني:

<https://www.arabicnadwah.com>.

دقيقة فهي ممثلة في منحى الدراسة والبحث، حيث يعد علم السيمولوجيا التصور النظري لدراسة العلامات مجالاته نظرية عامة، تندرج تحته جميع السيميوطيقات، والسيميوطيكا الإجراة التحليلي والتطبيقي لمثل هذه الدراسات، ستنصب اهتمامها على المجالات التطبيقية. لذا يفضل أصحابها استعمال مصطلح السيميوطيكا في عنوان مؤلفاتهم التطبيقية، للتطبيق على النصوص كتحليل نص أدبي أو ديني؛ من أمثلة ذلك:

✓ لغريباس: عن المعنى: محاولات سيميوطيقية *essais sémiotiques: Du sens* " و"موباسان: سيميوطيقة النص، تمارين تطبيقية *la "sémiotique* Maupassant : *du texte : exercices pratiques*

✓ لفريق إيتروفن: والتحليل السيميوطيقي للنصوص *Analyse sémiotique des* - *textes*

كل هذا جعل جميل المحمداوي يستنتج أن السيمولوجيا هي علم ونظرية عامة ومنهج نقدي تحليلي وتطبيقي.⁽¹⁾

الذي جعل العديد من النقاد يوجدون خلافات بين منحى، ومفهوم السيمولوجيا والسيميوطيكا أنه بعد استمرار التوافق في المفهوم إلى غاية بدايات السبعينات، أخذ المصطلحان في التباين⁽²⁾، خاصة بعد تميز المصطلح الأمريكي السيميوطيكا لفترة عند تأسيس الجمعية الدولية للسيميوطيكا سنة 1969، فبدأ يحرص اهتمام السيمولوجيا على اللغة دون التعدي إلى مجال دراسي آخر، مما جعلها تظهر كلاحقة ودرس تابع للسانيات، وهذا لالتصاقها بسياق نظرية عامة للغة.⁽³⁾

(1) - جميل حمداوي، مدخل إلى المنهج السيميائي، المرجع السابق، الموقع الإلكتروني:

<https://www.arabicnadwah.com>.

(2) - محمد التهامي العمري، حقول سيميائية، منشورات مجموعة الباحثين الشباب، مطبعة آفوق، مكناس، المغرب، (د ط)، 2007 ص: 12.

(3) - محمد السرغيني، محاضرات في السيمولوجيا، المرجع السابق، ص: 6، 8.

وتأسيسًا على الذي سبق، أحدث بعض العلماء جملة من الاختلافات التي تُخرُج المصطلحين من دائرة الترادف، وتجعل لكل واحد منها أفهومه الذهني، المحدد بناء على تعريف:

- السيميولوجيا: بالعلم الذي يدرس العلامات وأنساقها داخل المجتمع.
 - السيميوطيقا: بالنظرية العامة للعلامات والأنظمة الدلالية اللسانية وغير لسانية.
 ومن المفاهيم التوضيحية المفرقة بين المصطلحين أن السيميولوجيا تهتم في دراسة الأنظمة بالاتصال القصدي فقط⁽¹⁾؛ أي تهتم بالعلامات وفق نظام معين من أنظمة التواصل الإنسانية، وذلك بالوقوف على مؤشرات وعلامته و معانيه، خاصة منها تلك الأنظمة اللغوية، من هنا كانت رؤيتها المنهجية رؤية اجتماعية مرتبطة بقصدية التواصل المتعلق بالإنسان دون غيره، بوصفه الفرد الفعّال في المجموعة اللغوية، لصياغته واصطناعه العلامة ومنحها معناها والضامن لتداولها في التواصل المجتمعي، فتشتغل السيميولوجيا على مستوى الاتصال الإنساني الموظف لأنظمة علامتية مصطنعة؛ أي العلامات العرفية والاصطلاحية التي ينتجها الإنسان.

في حين أن السيميوطيقا دراسة تهتم بالاتصال، ودلالات العلامات من كل صنف ونوع وفي مختلف العلوم، سواء أكانت اجتماعية أو طبيعية لا دخل للإنسان في تشكيلها والتواصل بها⁽²⁾، فاستخدم المصطلح في الوقت الراهن على نحو كبير وشامل لكل السيميائيات بما فيها سيميولوجيا سوسير وسيميوطيقا بورس⁽³⁾؛ بمعنى تنظر السيميوطيقا للعلامة في جميع تكويناتها، في مختلف العينات الكونية (الحيوانية، الإنسانية، الأشياء...) وتدرس جميع أنواع هذه الأنظمة الاتصالية من البسيطة إلى الأكثر تعقيدًا، معتمدة على عدة معارف وعلوم، منها: الأنثروبولوجيا، علم اللغة، الفلسفة، الدين والأخلاق، الاقتصاد الفلك...

(1) - دانيال تشاندلر، معجم المصطلحات الأساسية في علم العلامات (السيميوطيقا)، تر: شاكر عبد الحميد، أكاديمية الفنون، مصر القاهرة. (د.ط.)، 2002، ص: 191

(2) - رزيق بوزغاية، ورقات في لسانيات النص، المرجع السابق، ص: 60.

(3) - دانيال تشاندلر، معجم المصطلحات الأساسية في علم العلامات، المرجع السابق، ص: 192.

استُخدم مصطلح السيمولوجيا في بعض الأحيان للإشارة إلى الأعمال والدراسات المتوجّهة أساساً لتحليل النصوص⁽¹⁾، في حين استخدم مصطلح السيميوطيقا للإشارة إلى الدراسات التي تتخذ توجّهاً فلسفياً بصورة أكبر، ويعود هذا الارتباطها بالفلسفة - وتأثرها خاصة الفلسفة الظواهرية لهوسرل- للحد الذي اعتبر فيه المنطق وجهاً آخر للسيميوطيقا وأن « السيميوطيقا هي المنطق مأخوذاً من معناه العام، هي نظرية العلامات الضرورية تقريباً أو الشكلية.»⁽²⁾

يجيل الناقد المغربي المصطفى شادلي السبق في صياغة نظرية كاملة وفعّالة في علم الدلائل - السيمولوجيا- إلى اللغوي يالمسليف، الذي عرّفه بالنظرية الواصفة للسيميائيات - يقصد السيميوطيقا- وهذا تعريف كان - بحسب ظن الناقد- سيرضي الجميع لولا أن الاستعمال العالمي فرض بالتدرج استخدام مصطلح السيميوطيقا.⁽³⁾

يذكر الناقد المصطفى شادلي في نفس الموقع أن مجموعة من النقاد من بينهم " دييوا وجوريت ري- دييوف " كرسوا اختلافات بين المصطلحين، أهمها أن السيميوطيقا مجالها أوسع في الدراسة، من مجال السيمولوجيا.⁽⁴⁾ وأن اتخاذ مصطلح دون الآخر يرجع إلى التصور الثقافي المحض؛ بمعنى يتبع حاملي التصور اللغوي السوسيري مصطلح السيمولوجيا وأصحاب الفكر البورسي المصطلح الأمريكي السيميوطيقا.

ث- مفهوم السيميائية السردية في النقد المغربي:

تعد السيميائيات السردية من منظور غريماس « تساؤل حول السيرورات المنتجة للمعنى عبر توسط سردي هو الفاصل والرابط بين القيم المجردة وبين بعدها المشخص في وضعيات إنسانية بعينها. فبؤرة السردية لا توجد في ما هو سابق على النص، بل مودعة

(1) - دانيال تشاندلر، معجم المصطلحات الأساسية في علم العلامات، المرجع السابق، ص: 191.

(2) - جيرار دولودال، مع السيميائيات أو نظرية العلامات، المرجع السابق، 2004، ص: 23.

(3) - المصطفى شادلي، السيميائيات نحو علم دلالة جديد للنص، تر: محمد المعتصم، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط 01 2015، ص: 13.

(4) - المرجع نفسه، ص: 14.

في صيغ مجردة قابلة للتشخيص في فضاءات قادرة على احتضان الفعل الإنساني كما يتحقق في حياة الناس.⁽¹⁾

إن مشروع السيميائية السردية هو قراءة تحليلية للنص السردية، والنظر في معناه ودلالته بصورة منطقية، وفق قواعد وقوانين تضبط إخراج المعنى، وإنتاجه، وأي خطاب يمكن أن يدخل في بوظقة عملها تتبنى قراءته بالنظر في تركيبته الدلالية، وفق بناء السردية التي تضمن ترتيبه، وتنظيمه، ومساره الدلالي، فكانت فترة الستينات وما بعدها نقطة تحول في دراسة الظاهرة الإبداعية الأدبية سيميائياً، وهذا بالتوجه من تحليل الجملة إلى تحليل الخطاب، في أوسع أشكاله وأنواعه : مسرح ، سينما، حكاية، أسطورة، إشهار، رسم، قصة، قانون، خطابات سياسية واجتماعية ...، فشمّل مجال التحليل السيميائي للنصوص الخطاب السردية، والخطاب الإنساني ككل.

وهذه عينة من تعريفات المغاربة للسيميائية السردية كاتجاه نقدي من اتجاهات السيميائية عمومًا، فحسب:

- جميل حمداوي: تعد النظرية السيميائية السردية مقارنة نقدية جديدة تجاوزت الدراسة اللسانية للجمال إلى لسانيات النص والخطاب، « تحاول دراسة شكل المضمون تفكيكًا وتركيبًا قصد فهم آليات تشكل الدلالة والمعنى، وتبيان مجمل الطرائق التي تقطعها آثار المعنى توليدًا وتخطيطًا وتسريدًا، وذلك بالانتقال من مرحلة المحاينة إلى مرحلة التجلي مرورًا بمرحلة السطح»⁽²⁾ تهدف إلى دراسة وتحديد المسارات السيميائية التي يتشكل بها المعنى، توليدًا وتخطيطًا وتسريدًا وتمظهرًا، وهذا عبر نموذج سيميائي واحد ألا وهو نموذج سيميوطيقا الفعل والعمل.⁽³⁾

(1) - سعيد بنكراد، أليجيرداس غريماس ترسانة السيميائية، المرجع السابق، الموقع الإلكتروني:

<https://www.alittihad.ae/article/>

(2) - جميل حمداوي، السيميوطيقا السردية- من سيميوطيقا الأشياء إلى سيميوطيقا الأهواء-، منشورات المعارف، الرباط

المغرب، 2013، ص: ص: 61- 62.

(3) - المرجع نفسه، ص: 62.

- تستهدف السيميائية السردية دراسة شكل المضمون للوصول إلى المعنى الذي يبني من خلال لعبة الاختلافات والتضاد وبهذا تتجاوز بنية الجملة إلى بنية الخطاب... أي البحث عن دال أو شكل المدلول أو المحتوى. فهي تهتم بدراسة المحتوى أو المدلول عن طريق شكلته؛ أي دراسة شكل محتواه عبر استقراء المستوى السطحي بوصف وحداته وعلاقاته صرفاً ونحواً وتركيباً، والانتقال بعد ذلك إلى تحليل المستوى العميق برصد السمات والبنى الدلالية التي تولد كل التظاهرات الدلالية السطحية.⁽¹⁾
- معجم السرديات: هي البحث في تجليات السردية ودلالاتها، انطلاقاً من سائر الأشكال الخطابية الممكنة، تعمل على تحديد مجمل القوانين التي تفسر جزئياً هذا العنصر المركزي - السردية- في حياتنا وهو فعل الحكاية. تعالج تلك البنى الدلالية الخارقة للعنصر اللساني على نحو ما يتجلى في القصة والأسطورة والشعر....بتوفيرها لجهاز علائقي للقصة يستعاض به عن الدراسات الشكلية للمحكي كما عند بروب في تتبعه للوظائف.⁽²⁾
- شيباني: انشغلت السيميائية السردية باستجلاء تفاصيل الانتظام السطحي للخطاب مع مراعاة فحص البنية العميقة للدلالة، فدرجت بنزعتها المحايدة على تقنين المعطيات الدلالية العامة للنصوص بدعوى بناء نحو كلي للخطابات.⁽³⁾
- رشيد بن مالك: تتقدم كمنهجية للدلالة ينحصر ههنا الأول في توضيح، على شكل بناء مفهومي، ظروف التقاط وإنتاج المعنى.⁽⁴⁾
- محمد الناصر العجبي: تستمد النظرية السيميائية السردية أصولها من الدلالة، انطلاقاً من الظروف الحافة بإنتاجها ووسيلتها في ذلك تفجير الخطاب وتفكيك الوحدات المكونة له ثم إعادة بناؤها وفق جهاز نظري متسق التأليف.... لا يرمي إلى استقراء

(1) - أنظر مقدمة ترجمة كتاب: جوزيف كورتيس، مدخل إلى السيميائية السردية والخطابية، تر: جمال حضري، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2007، ص، ص: 10، 13.

(2) - محمد القاضي وآخرون، معجم السرديات، المرجع السابق، ص: 268.

(3) - عبد القادر فهم شيباني، سيميائيات المحكي المترابط - سرديات الهندسة الترابطية: نحو نظرية للرواية الرقمية، علم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط01، 2014، ص: 17.

(4) - رشيد بن مالك، قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص، المرجع السابق، ص: 183.

مضمون الإنتاج أو تعرف هوية المؤلف من خلاله بقدر ما يرمي إلى إنتاج الدلالة، وتوليدها استنادًا إلى نظام الوحدات المكونة له.... الوقوف على حركة إنتاج المعنى وتتبّع مراحلها على نحو تدريجي شبيه ببناء هرمي مكتمل العجبي.⁽¹⁾

نلاحظ من جملة التعريفات المساقاة من عنديات النقد المغربي، حول تحديد مفهوم السيميائية السردية كمنهج نقدي أنها فرع لا يتجزأ من العلم العام للعلامة؛ ألا وهو السيميائية، تنظر بفرعها المنبثق عن المنهج الأم في النصوص المحكية أو السرد لتفجير طاقاته الدلالية في صورة مشكلنة للمعنى، وتقنين معطياته النصية الدلالية.

2. السيميائية في النقد المغربي: أزمة المصطلح:

تعد إشكالية المصطلح في الساحة النقدية العربية من القضايا الشائكة المستعصية الحل، لتعاضم وتآزم مشاكل إنتاجه واستقباله وبناءه، كأنما شبك مد خيوط المعينات في كل ناحية واتجاه، في الوقت الذي يستحيل فيه قراءة نظرية معرفية إلا على ضوء مصطلحاتها، الضابطة لها ومفاهيمها المحددة لأطرها العلمية، فكانت أهمية المصطلح من أهمية النظرية المطروح فيها.

1.2 أهمية المصطلح:

إن الوحدة المصطلحية كلمة لها معنى محدد، أي وحدة ذات صيغة مضبوطة ومعنى مقصود في ذاته، قد تتشكل من كلمة فيكون المصطلح بسيطًا، وإن حوت أكثر من ذلك فهو مركب، يدل في بساطته أو تركيبه على مفهوم ثابت في ميدان ما (2)، يحمل منه وجهته الفكرية، وتنتمي إليه بشكل محدد، يتميز بالوضوح، والضيق في تخصصه، واستخدامه يكون في السياق الخاص به، فهو ليس كلمة أو لفظه كباقي الألفاظ المنتمة للغة ما، إنما هو

(1) - محمد الناصر العجبي، في الخطاب السردية نظرية غريماس (Greimas)، الدار العربية للكتاب، تونس، (د ط)، 1993 ص، ص: 29، 31.

(2) - سهيلة شرنان، إشكالية ترجمة المصطلحات العلمية في المعاجم المتخصصة، مصطلحات التسويق أمودجا، دار هومة الجزائر، د ط، 2013، ص: 27

في معناه الشمولي اللغوي « اتفاق طائفة على شيء مخصوص » (1)، ويقصد بالطائفة علماء تلك اللغة والأمة، تتخذ لفظًا، للتعبير به عن معنى معين، وخاص من المعاني العلمية. عملية ظهور المصطلحات كعلم حديثة النشأة والوجود انطلقت نواتها الأولى بأوربا بغية توحيد قواعد وضع المصطلحات على الصعيد العالمي، والذي فرضه التقدم المسجل في المعرفة الإنسانية والتكنولوجية والاقتصادية، وما يتطلبه التبادل في المعرفة والمعلومات والخبرات لتوثيقها. (2)

عنى العرب سابقًا بالمصطلح اتفاق قوم على تسمية شيء باسم بعد نقله عن موضوعه الأول لمناسبة بينهما أو مشابهتهما في وصف أو غيره. (3) والواضح من تعريف الجرجاني أن المصطلح هو لفظ مختار بعينه لتحديد به ظاهرة ما، فيخرج هذا اللفظ من وضعية معنوية أولية إلى وضعية معنوية جديدة، بين الوضعتين نقطة التقاء؛ كمشابهة أو اتصاف موحد. إذن المصطلح كلفظ منتخَب بعينه هو « ما تم الاتفاق عليه، كلمة أو مجموعة من الكلمات لها معنى معين » (4)، فهو « اللفظ أو العبارة أو الرمز الذي يعين مفهومًا داخل مجال من المجالات المعرفية، يتميز بخصائص عدة سمحت له باتخاذ مكانة بليغة المرتبة في الدراسات اللغوية. » (5) يكون استثمار المصطلحات بحركة متداعية؛ أي ينمو فيها المصطلح نموًا معرفيًا حيث يتغير دلاليًا بفضل الانزياحات الحاصلة فيه، ولكن لا تؤسس لمصطلح في مجال معين من العدم فتأخذ المصطلحات شرعها من نفس شريعة الأفكار التي تنمو وتتداعى فيها، متولدة ومولدة معتمدة على سابقتها كما يُعتمد عليها. ولدراسة صرح فكري، أو مجموع مشكل لتحصيل معرفي، وجب الوقوف على تحديد هوية مصطلحاته ومعانيها المختلفة.

(1) - إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، القاهرة، مادة (ص ل ح)، مج: 01، (ط 4)، 2004، ص: 520.

(2) - محمد طيبي، وضع المصطلحات، المؤسسة الوطنية للفنون، الرغاية، الجزائر، (د ط)، 1992، ص: 37.

(3) - علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني، معجم التعريفات، تخ: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، باب (الألف) (د ط)، 2011، ص: 27.

(4) - أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، القاهرة، مادة (ص ل ح)، ط 01، 2008، ص: 1314.

(5) - سهيلة شرنان، إشكالية ترجمة المصطلحات العلمية في المعاجم المتخصصة، المرجع السابق، ص: 37.

من بين الأسباب التي أكسبت المصطلح صفة العلمية كونه من وضع العلماء المختصين كل حسب مجاله و ميدانه، فلا يتوقع ظهور مصطلح ما لعلم من العلوم بطريقة عشوائية أو عن طريق الصدفة، إنما هو جهد من عالم أو علماء باتفاق بينهم، فالمصطلحات لا توضع ارتجالاً لا بد في كل مصطلح من وجود مناسبة أو مشاركة أو مشابهة كبيرة كانت أم صغيرة بين مدلوله اللغوي ومدلوله الاصطلاحي⁽¹⁾، ومنه فإن اتفاق جماعة من الدارسين لعلم ما على إطلاق كلمة بعينها، وإعطائها معنى جديداً تصبح عندئذ دالة على مدلول جديد يدعى مصطلح، يقارب في مدلوله الجديد بقدر ما مدلوله القديم المتأصل عنه.⁽²⁾ بذلك الاصطلاح يجعل للألفاظ مدلولات جديدة غير مدلولاتها اللغوية أو الأصلية.⁽³⁾

وتتوقف سيرورة المصطلح في الحياة الفكرية والعلمية على مدى استعماله، بمعنى آخر أن تداول المصطلح في مجاله المنتمي إليه هو المعيار الحكم عليه بالصلاحية من عدمها⁽⁴⁾ مما يجعله إما شائعاً معمولاً به، وإما متروكاً مهملاً.

تشكل المصطلحات مادة لغوية متواترة بين واضعيها من العلماء والأدباء، وبين المتلقين لها، فهي صيغة حاضرة في استعمالهم، وملكية مشاعة متداولة بينهم، باعتبار أنها الجوهر اللغوي الموصلة للتفاهم والتواصل، ولو عدنا إلى الفاعلية من وجود المصطلحات، نراها البنية التي تميز علم أو منحنى، تمده بالخصوصية وتضمن له حدوده ومركزيته.

و ليس المصطلح خاصاً بمجال ما، إنما ينشأ في مختلف العلوم والاتجاهات الفكرية ولكل علم منها كم من المصطلحات الدالة عليه، كالمصطلحات الفيزيائية، الطبية الفلسفية الدينية...، ولكن هذا لا يمنع دخول بعض المصطلحات تحت لواء علمين أو أكثر خاصة مع الدراسات والعلوم المعاصرة، التي تتسم بتشعباتها الفكرية وإمدادات مرجعياتها المعرفية من مختلف العلوم. فيحدث تقاطع مصطلحي بين المناهج والاتجاهات الفكرية المختلفة، فتكون

(1) - عوض محمد القوزي، المصطلح النحوي نشأته وتطوره حتى القرن الثالث الهجري، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر (د ط)، 1983، ص: 23.

(2) - سلمان الدرسوني: أثر المصطلح في الدرس اللغوي، نقلاً عن: سهيلة شرنان، المرجع نفسه، ص38.

(3) - عوض محمد القوزي، المصطلح النحوي نشأته وتطوره حتى القرن الثالث الهجري المرجع السابق، ص: 22.

(4) - سهيلة شرنان، إشكالية ترجمة المصطلحات العلمية في المعاجم المتخصصة، المرجع السابق، ص26.

مفاتيح اصطلاحية لمنهج معين هي قيد الاستعمال لغيره، مما يفتح باب ازدواجية وتعددية الاستعمال للمصطلح، واختلاف مفهومه لوظيفته في المجال المنتمي إليه. والواقع المتعارف عليه في لغة المعارف والعلوم المتنوعة أن وجود المصطلح الحامل لمفهوم بعينه يُكسب تلك المعرفة والعلوم اللغة علمية، فثراء لغتها بالمصطلحات دليل على نضجها العلمي، وجنوحها للموضوعية، واقترابها من الدقة والانضباط، ونزوعها للكمال المعرفي، فكلما كانت الاتجاهات المعرفية دقيقة المصطلحات كلما كانت مفاهيمها أكثر انضباطا وعلمية، فالمصطلحات «عنصر استمرار اللغة، و مفاتيح العلوم و ثرائها، وعنوان تميزها، ولا أدل على هذه الأهمية من أن أصبح يقاس نضج المعارف بحسب ما توفر في مصطلحاتها من دقة و نسقية و شمول»⁽¹⁾.

اعتنى الدارسون والعلماء والمعاصرون بالمصطلح لأهميته في الحياة الفكرية، مؤكدين على وجوب ضبطه داخل العلم والاتجاه المعرفي المندرج فيه، إذ به نعرف تسمية العلم وجميع معارفه. وتكتسي أهمية المصطلحات أيضًا من كونها وحدة اختصار، وتحديدًا للمعاني والأفكار والمعارف والمفاهيم المختلفة، وعليه فإن أي توظيف مغلوطة أو نقل سيء في ترجمة المصطلح يؤدي لا محالة إلى خلط في فهم مجال اهتمامه، وغموض في تطبيقه، علة ذلك أن أي مصطلح يختزل مفهومًا وقدرًا معرفيًا، يسهم بشكل كبير وفعال في الإحاطة بالخطاب المعرفي المرتبط به، ويساعد على ضبط نتاجه بصورة علمية دقيقة، ففهم واستيعاب المصطلح يوصل إلى فهم واستيعاب الظاهرة، ولاسيما الظاهرة النقدية الأدبية.

دعا المختصون في مختلف المعارف الإنسانية، إلى وجوب الحرص عند الضبط الدقيق للمصطلح في مجاله المندمج فيه، لأن فقد ضبط المصطلح يعني ضرورة فقد مفهومه وضبابية توظيفه وتطبيقه، خصوصًا مع وجود هذه العلوم المتداخلة، ويدخلنا في متاهات عدة وشتات لا خروج منه إلا بالتأصيل والعود لجذور إمداداته المعرفية المتغلغلة في وحدته التحصيلية المستحدثة، وتحديد مفهومه ودلالاته بكل دقة، فانقطاع المصطلح عن الأصل الجذري وانغماسه في المعاني الدلالية المستحدثة والمزاحة والمضافة فيه، تخرجه من نطاقه

(1) - سهلة شرنان، إشكالية ترجمة المصطلحات العلمية في المعاجم المتخصصة، المرجع السابق، ص: 23.

الأصلي إلى نطاقه الجديد، يستعمل بحسب الوظيفة الجديدة المؤسسة له، ولن تسهل عملية تبين القواعد والأسس المكونة للعلم المندرج تحته إلا بالعودة إليها.

2.2 إشكالية مصطلح السيميائية في النقد المغربي:

ويزخر النقد الحديث والمعاصر بكم هائل من المصطلحات اللغوية والأدبية والعلمية الضامنة، لنقل المفاهيم البانية لمقولاته وإجراءاته، فكل فرع من فروع، وكل وحدة مشكلة لمادة تحصيلية نقدية تملك في هيكلها كماً من المصطلحات، تحدد بها إجراءاتها وتبين هيئتها وهويتها بين العلوم و باقي الوحدات التحصيلية ...، فلا وجود لوحدة معرفية دون مصطلح كما لا وجود لمصطلح دون مادة تحصيلية تحكمه وينبثق منها.

في الوقت الذي أعاد فيه الغرب صياغته للكثير من المصطلحات، والمفاهيم التي مثلت لوقت ما مسلمات وثوابت أضفت إلى ظهور رؤى نقدية جديدة في النظرية السيميائية، تعطي فيها الصدارة إلى التلفظ بوصفه فعلاً محدثاً وصانعاً للموضوع السيميائي⁽¹⁾ فإن البحث العربي في هذا المجال مازال يردح تحت خصوصية التفكير العربي، وقناعاته في ممارسة نقدية لكثير من المؤسسات التعليمية، الغارقة في دراسة «حياة الشاعر وظروفه وأسلوبه الجزل وعاطفته الفياضة والحياشة، ليصدر بعد كل ذلك حكماً على عاطفته...» في الوقت الذي خطأ فيه البحث الأوربي خطوات عملاقة، مازلنا ضائعين في متاهات المصطلح كل باحث يترجم حسب ما يحلو له...، ولم تتوصل البحوث السيميائية إلى بلورة خطاب علمي لا يلتقي فيه أصحابه مشقة في تمرير المعارف السيميائية.⁽²⁾ هي إذا اعتبارات جعلت الساحة النقدية العربية بعيدة عن الرؤية النقدية العلمية المنهجية.

إن إشكالية المصطلح في النقد العربي المعاصر ليست عارضاً، اتخذت وجودها من خلال سيرورة الحركة الأدبية عموماً والنقدية خصوصاً، باتت تشكل في عصرنا الحالي حالة مستعصية، لاسيما مع الكم الهائل من الإصدارات الغربية الوافدة علينا، فشكل تلقي هذه

(1) - رشيد بن مالك، السيميائيات السردية، دار مجدلاوين عمان، الأردن، ط1، 2006، ص: 26.

(2) - المرجع نفسه، ص: 26.

المصطلحات في الثقافة العربية - أخص ذكرا مصطلحات السيميائية السردية - عبء كبيراً لما تحمله من إشكالية وصعوبة، سواءً في تركيبها أو استعمالها و توظيفها، إذ يخضع المصطلح الوافد على ساحتنا الأدبية والنقدية إلى تعدد المرادفات والاصطلاحات.

وكما نعلم أن جل المعارف والعلوم الإنسانية الموجودة هي وليدة بيئة أجنبية غير عربية فأصولها ووتيرة نموها غربية، لذا فدخلها إلى غير موطنها ونخص الساحة العربية، يتم بنقلها بمفاهيمها عن طريق الترجمة والتعريب، فإن « الخلل الذي تعرفه ترجمة المصطلح هو تأسيسها على الاستقبال الآني لمعارف متجذرة في التاريخ الثقافي الإنساني»⁽¹⁾، لذا وجب أن تخضع هذه العملية إلى خبرة وتخصص المترجم، ومدى استيعابه لتلك المعرفة المرغوب نقلها، وتدرك قدرة المترجم من خلال قدرته على ضبط حدود المصطلحات، فكلما كان أكثر وعياً لمفهومها كان الأقرب إلى صحة ترجمتها والإحاطة بالمصطلح، من حيث اللفظ المناسب لمفهومه ومعناه في العلم القائم فيه.

يعيق مشكل ضبط المصطلحات في النقد العربي، ابتعاده عن الحركة النقدية العلمية، إذ دخلت معه في دوامة الفوضى والاضطراب، التي يعيشها واقع المصطلحات الغربية في المشهد الأدبي العربي، من ذاك مصطلح السيميائية السردية في شقه الأول السيميائية التي يمثل الإطار العام المنبثق منه جميع اتجاهات السيميائية منها السيميائية السردية. ذلك أننا نجد تسميات عديدة لمفهومه من مثل: السيمياء - السيميائية - السيميولوجيا- السيميولطيقا- علم العلامات- علم المعنى- العلامتية، علم الدلالة...، وهي في مجملها استعملت كسميات لمدلول واحد.

يعود سبب وجود هذه المصطلحات الدالة على هذا المنهج إلى الاختلاف في تعريبه وترجمته من أصوله الغربية الفرنسية والإنجليزية إلى العربية، وكان الأجدر أن يتفق العلماء على مصطلح واحد له، لأنه شرط لا غنى عنه، ولا يجوز أن يوضع للمعنى العلمي الواحد أكثر من لفظة اصطلاحية واحدة، وما اختلاف المصطلحات العلمية في بلادنا العربية إلا

(1)- السعيد بوطاجين، الترجمة والمصطلح -دراسة في إشكالية ترجمة المصطلح النقدي الجديد، منشورات الاختلاف، الجزائر ط1، 2009، ص: 208.

داء من أدواء لغتنا الضادية⁽¹⁾ ، بلا ريب سيدخلها في دائرة الفوضى، فتُحدثُ هذه التسميات العديدة المترادفة لما تحيل عليه من مدلول ارتباكاً في فهم المفهوم والنظرية المنتمي إليها.

لعل حرص الساحة النقدية العربية على فهم العلوم- خصوصاً ونحن نقف موقف المستقبل لها- جعلهم يخصصون العديد من المجمعات اللغوية الخاصة بالمصطلح، تعمل على إنتاجه وترجمته ومقارنته، لتحديده وضبط مفهومه، منها: اتحاد المجامع العربية يضم (مجمع - العراق - مصر - سوريا - الأردن)، البنك السعودي للمصطلحات والمقاييس، المعهد القومي للمواصفات في تونس، مشروع راب (rap) للترجمة والتعريب بالرباط، مجمع الجزائر للغة العربية... وغيرها، التي وإن اجتهدت لم تعالج الإشكال ولم تذلل الصعوبات القائمة، لعدة أسباب تبين تصادم المصطلح عند تلقيه وترجمته، منها:

✓ يثبت المصطلح المقترح من الاتحاد المجامع العربية بعد مدة من عرضه للدراسة والمعاينة حيث تجمع وتقدم المصطلحات كمقترحات للاتحاد من قبل المجامع العربية المنفردة، فما يصدر عنه وما يثبتته منها يتم نشرها في مجلته الخاصة، إلا أن الاقتراحات تكون قد ثبتت قبله. فيتداول أكثر من لفظ لمصطلح واحد.

✓ تناول الكثير غير المختصين وغير المؤهلين لتعريب وترجمة المصطلحات، مما أشكل قضية تلقيه وتحديده. فمن « سلبيات ترجمة المصطلح كما يظهر مع المعاجم، وفي مجالات متخصصة يُفترض أن تتوخى بعض الاحترافية، إسناد فعل الترجمة لباحثين لا يجيدون اللغة العربية وقد لا يعرفون لغة ثانية تؤهلهم للتعامل الصحيح مع المعاجم قديماً وحديثاً.»⁽²⁾

✓ الاستقلال الإقليمي للمجمعات وُلد مركزية وجموية للمصطلح. ويعود سبب المركزية إلى أبعاد سياسية، إقليمية، فكرية...

(1) - محمد طبي، وضع المصطلحات، المرجع السابق، ص: 39..

(2) - السعيد بوطاجين، الترجمة والمصطلح -دراسة في إشكالية ترجمة المصطلح النقدي الجديد، المرجع السابق، ص: 208.

✓ تصادم المصطلحات للعمل الذاتي للمجامع العربية، أي كل مجمع يطلق مصطلحاته دون عرضها على الهيئة الموحدة له. و« نقص الانضباط على مستوى المجمع، ويتجلى ذلك في المقترحات والمقترحات المضادة»⁽¹⁾

✓ الأخطاء في الترجمة وتعريب المصطلح، لعدم الوقوف على أصوله وجذوره وما يقابله في اللغة المستقبلية.

✓ جمل بعض العاملين على المصطلح للطبيعة العلمية للمصطلحات، التي تتطلب الاقتصاد اللفظي، والتناسق الصوتي، المجاورة بين المصطلح ومعناه، والسعي وراء التأصيل للمصطلح، لا أن يكون دخيلاً، بعيداً عن التعدد الدلالي.

لأجل هذه الأسباب وغيرها خاض الكثير من النقاد المغاربة والعرب في قضية إشكالية المصطلح، منهم على سبيل الذكر الناقدين الجزائريين السعيد بوطاجين ورشيد بن مالك في وصفها الواقع النقدي للنظرية السيميائية عموماً في عالمنا العربي، مقارنة بنظيره الغربي، الذي شهد ويشهد قفزات نوعية من حيث التنظير والتطبيق، في حين ينقص التمثيل وأخذ العينات العربية كمنهج لتحديد آفاق وواقع النقد السيميائي عندنا، وهذا عائد إلى الأسباب الأكثر تغلغلا في القضية، منها:

➤ غياب وحدة عربية تختص في ترجمة مثل هذه العلوم الوافدة، تتكفل خاصة بترجمة موحدة لمصطلحاتها، يكون لها أولوية الاتفاقات على المصطلح والضبط لمفهومه، فيتم توحيده في ميدانه، فيخرج من التشعب والتهيه والاضطراب والميوعة إلى الدقة والشمولية جعل هذا الغياب الميدان الدراسي العربي يستقبل هذه العلوم في فوضى وخلط، يوقع سوء ترجمتها القارئ في تبه وسوء الاستخدام والتوظيف لهذا الكم من المصطلحات لعلم أو اتجاه معرفي واحد دون وعي. فلا نقف في حد المقولة الشرعية عند جملة لا مشاحة في

(1) - السعيد بوطاجين، الترجمة والمصطلح - دراسة في إشكالية ترجمة المصطلح النقدي الجديد، المرجع السابق، ص: 208.

الصطلح^(*)، إنما وجب الأخذ بالأحرص والأقوم، كما قال بعض الأصوليين والفقهاء من مثل ابن القيم الجوزية وأبو إسحاق إبراهيم الشاطبي أن الاصطلاحات لا مشاحة فيها، إذا لم تتضمن مفسدة⁽¹⁾، تحدث اضطراباً في الفهم، وعدم الإحاطة بالخطاب المعرفي. فتعود أزمة تعريب المصطلح لعدم وجود هيئة موحدة معمول بها ذات خبرة، تعمل على استقباله، فيكون أي إنتاج جديد وافد إلينا متفق على صيغة تعريبه واستعماله، وفق أصول تضبطه.

➤ انقطاع التواصل العلمي بين الباحثين العرب، وحتى داخل البلد الواحد أنتج محاولات فردية، وتعدد للخطابات النقدية المتعددة المقاصد والمصطلحات، فلا يتبين القارئ لا حدودها ولا معالمها، وهي في الآن ذاته لا ترقى لأن تكون عينات للقراءة⁽²⁾.

➤ أدى تفاقم الإشكال وتزايد المصطلحات الواجبة على ساحتنا العلمية والأدبية.

➤ أكثرية الأفلام الخائضة في إشكالية المصطلح العربي تسعى في الكثير من أعمالها إلى تحديد حيثيات المشكل ودوافعه وأسبابه، والعمل على إيراد بعض الاقتراحات كحلول لهذا الإشكال، دون استثمارها والعمل بها إن كانت ممكنة، وتطبيقها على ميدان الواقع العلمي والفكري والأدبي.

➤ إن المصطلح الوارد إلينا يكون محملاً بمرجعيات معرفية وفلسفات فكرية، توحى بأصوله المتولد منها، لذا فإن الإقبال على ترجمته وتعريبه تتطلب مختصين في مجاله منفتحين على أصوله، وهذا ما يغفل عنه في الكثير من الأحيان عند النقل.

* - مقولة شرعية يقصد بها : أن أي خلاف واقع في الأمور والجوانب الصلاحية لا يبني عليه أي حكم ولا اعتبار له إن اتفق في المعنى فهذا الاختلاف لا يفضي إلى مفسدة. فلا تنازع إذا اتفق على المعنى واختلف في التسمية.

(1) - أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد الشاطبي، الموافقات، دار ابن عفان، القاهرة، مصر، المجلد 01، (د ط)، 2008 ص: 411.

(2) - رشيد بن مالك، السيميائيات السردية، المرجع السابق، ص: 24.

➤ « لا نرى أن مشكلة استقبال المصطلح النقدي وترجمة ستحل قريباً بالنظر إلى هذا التمزق الواضح، والتراجعات المستمرة عن القرارات، ومحاولة مركزة الترجمة بطرق ملتوية بل أننا نعتقد أن المصطلح النقدي سيفرق في متاعب أخرى، لن نخرج منها لا بعد سنوات، خاصة إذا كان تابعاً لمنطق لا يؤسس على البعد العلمي الصرف.⁽¹⁾»

➤ المركزية الفكرية أو الثقافية التي تميز الفكر العربي، إذ نجد بوطقات معرفية تنهل من الاتجاه الفرنسي وتحتصر بذلك عملها في النقل من اللغة الفرنسية، ونقصد بها قطب المغاربة، واتجاه آخر يحصر عمله بالأخذ من الفكر واللغة الإنجليزية معروف بقطب المشاركة، وكل قطب ينتصر لوجهته. فليس الأهم فقط أن نساير الحركة العلمية والأدبية والثقافية العالمية، والإطلاع على ما استجد فيها، ليبقىنا في الساحة المعرفية العالمية، إنما الأهم الذي يساويه هو الاتفاق على النسخة العربية لهذه العلوم، وكيفية إعطائها الصيغة العلمية الموحدة عند نقلها، توحد جهود الباحثين والمفكرين العرب، إذ أن الترجمات المتفرقة من شأنها أن تسبب الزخم الموصل إلى الفوضى والضبابية في المفهوم والمصطلح.

وفي عملية إحصائية لأهم الأسباب التي رآها الناقد بن مالك عوامل تأخر البحوث في الدرس السيميائي، ويخص ذكراً السيميائية السردية العربية، ومنه النقد ككل تعود إلى:⁽²⁾

- اختلافات الترجمة في مجال البحوث السيميائية، إضافة ورود إشكاليات تحيط بعملية الترجمة لتلك البحوث الغزيرة أهمها: هل نولي الاهتمام بترجمة النصوص الخاصة بتاريخ البحث السيميائي؟ أم نترجم البحوث النظرية التطبيقية التي ظهرت قبل وفاة غريماس؟ وإن كان الأمر كذلك فإنه سيفرز الكثير من الجدل للقراءات المتولدة مع حركة الترجمة النشيطة لهذه النصوص، وهي دراسات في الواقع بعيدة عن الدراسات المستجدة التي ظهرت بعد وفاة " غريماس"، والتي قدمت اعتراضات لبعض الثوابت في دراسات الجيل الأول⁽³⁾، من ذلك

(1) - السعيد بوطاجين، الترجمة والمصطلح - دراسة في إشكالية ترجمة المصطلح النقدي الجديد، المرجع السابق، ص: 209.

(2) - رشيد بن مالك، السيميائيات السردية، المرجع السابق، ص، ص: 27-35.

(3) - المرجع نفسه، ص: 27.

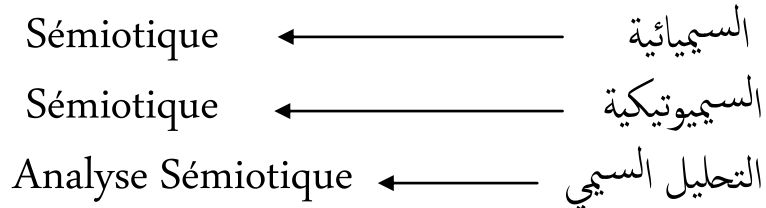
ستكون هذه الترجمات لمؤلفات قبل وفاة غريماس بمنأى عن اعتراضات السيميائيين أنفسهم لبعض أطروحاتهم، وهذا ما أشكل وضع السيميائية والبحث العربي وما سيؤول إليه واقعه.

- غياب الاستفادة من الجهود المبذولة في هذا النوع من البحوث والإحالة عليها لا سيما منها المصطلحية اللسانية.

- الجهود الفردية التي تؤدي إلى تضارب الخطابات النقدية وتضليل القارئ خاصة في الأمر المتصلة بالمفهومية للمصطلح، وعلاقتها بالسياقات الواردة فيها: فتكون الإجراءات ولا يفهم علة وجودها ولا الغاية من الحديث عنها.

- يعيد الناقد سبب التأخر في الاستفادة من الدرس السيميائي عند العرب إلى ما ذهب إليه عز الدين مناصره إلى أن النقد العربي ظل لزمناً طويلاً يعمل حول وظيفة النص وليس طبيعته، مما أخره عن الاستفادة من المنهج السيميائي في تحليل وقراءة النصوص.⁽¹⁾

ومن الأمثلة التي أعطاها الناقد توضيحاً لما سبق، ما جاء في كتاب: معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة لسعيد علوش:



وهي ترجمة خاضعة لعدة آليات في الترجمة (الترجمة للمصطلح الأول، التعريب للثاني وترجمة الجزء الأول فقط للمصطلح الثالث).⁽²⁾

ومن التوصيات التي حرص بن مالك على تقديمها لفك التآزم عن المصطلح، قوله «ينبغي أن نفكر ملياً فيما كتب من بحوث وفي الجهود التي بذلت ولا زالت تبذل، وفي الحلول التي يمكن من خلالها سد الثغرات، ومعاينة نقاط القوة بكل موضوعية»⁽³⁾، إذ هي التي ستشكل قاعدة أساسية تجمع فيها شمل الباحثين والدارسين واستشراف المستقبل والذي وجب لاستشرافه، ووجوب إدامة النظر في المصطلحية المعتمدة في الخطاب العلمي

(1) - رشيد بن مالك، السيميائية أصولها وقواعدها، دار مجدلاوي، عمان، الأردن، ط01، 2008. ص: 58.

(2) - رشيد بن مالك، السيميائيات السردية، المرجع السابق، ص: 29.

(3) - المرجع نفسه، ص: 27.

ومعاينة وضعه بدقة، والعناية بالتأصيل للمصطلحات والرجوع إلى ما تحمله من مفاهيم في اللغة الأصل التي تحدد وتتحدد عبرها.⁽¹⁾

إن عمق الاختلافات القائمة بين الباحثين في مجال ترجمة للمصطلح لا ينبغي أن يؤخذ ذريعة وحجة لإقصاء الجهود المبذولة في هذا المجال. وقد وضح صلاح فضل أن مجموعة من النقاد المغربية «يوشك أن يكون رأيهم قد استقرّ على هذا المصطلح " السيميائية"»⁽²⁾ فوجب تعبئة الجهود لتوحيد المصطلح، لتجاوزا لاختلافات حتى وإن كانت الاشتراكات لبعض الباحثين عفوية فهذا لا يهمل بقدر ما يهمل التوحيد، لأن « مستقبل السيميائية العربية يظل مرهوناً في بعض جوانبه بهذه الرغبة في درك جوهر الاختلافات والقيام بمسح شامل لما أنجز والوقوف عند القواسم المشتركة في البحوث العربية الراهنة.»⁽³⁾

يبن الناقد الجزائري بن مالك وفي وقفة تقييمية لوضع الدراسات والمصطلح في الساحة العربية أن هذه الدراسات خاصة التطبيقية عبارة عن خطاطات صورية شكلية ميكانيكية تأتي بلا حياة أو روح أثناء التطبيق لهذه المصطلحات والخطاطات، وإن عدم تطويعها وتليينها في عملية التطبيق يجعل القارئ العربي في نفور ومعاتات من هذه النصوص الشرقية، والمعول عليه في الدرس السيميائي هو أن يحدث التواصل مع القارئ أحد دعائم الحلقة التواصلية، غير أن القارئ العربي في نوع من الهروب من هذه التطبيقات، العائد بالدرجة الأولى إلى الخلط الواقع فيها وعدم قدرته على تمييز النقاط العملية لتتبار عن آخر مع تضاعف مشاكل الترجمة العربية خاصة مع الاختلاف المرجعي لهذا الدرس.

بيد أنه توجد عينات وصلت في إجادتها أعلى درجات التفكير والوعي لقيم السيميائية، والتي ستكون مسارا إيجابيا في مستقبل هذا المنهج في النقد العربي، خاصة تلك التي ظهرت في المجلات النقدية، منها: فصول، علامات، علم النص... وتلتقي الجهود هؤلاء التي قيدها الناقد لرصد المسحة الايجابية للواقع السيميائي العربي، مع بعضها البعض

(1) - رشيد بن مالك، السيميائيات السردية، المرجع السابق، ص: 27.

(2) - صلاح فضل، مناهج النقد المعاصر، دار الآفاق العربية، القاهرة، مصر، (د ط)، 1996، ص: 116.

(3) - رشيد بن مالك، السيميائيات السردية، المرجع السابق، ص: 33.

في منهجية البحث والتطبيق، وأنها أرست معالم " السيميائية الكلاسيكية في وسط رافض لهذا التوجه الفكري.⁽¹⁾

مما سبق، نقول أن لا يكاد يخلو عمل قد تحدث في النقد العربي إلا وقد جاء على إشكالية المصطلح الحديث والمعاصر، والأزمات المفهومية واضطرابات الترجمة التي يمر بها في الساحة النقدية العربية، على أمل أن يكون من حديثه بعض الحلول الناجحة التي تحد من إشكالاته وتعطي تطلعات مستقبلية لفك تعقيداته.

إذن: **واقع** السيميائية السردية مخدوش بجملة هذه الإشكاليات المتعددة الأطراف بين الناقد والقارئ وعملية الترجمة نفسها، التي تختلف بالوجهة المعرفية لكل ناقد ومترجم، من خلالها تكون عملية التلقي لها مختلفة ومتعددة أيضا، فنصل إلى فوضى تعدد المصطلح والمفهوم وعدم الدقة والخلط... مما ينجم عنها الرؤية الضبابية وعدم التعمق والتضارب في بعض الأحيان في الفهم والطرح للمادة المعرفية، مما أبعدها وسائر المناهج النقدية الحديثة عن بعد التجاوز والتنظير، فكان الاكتفاء فقط بالتلقي والاستقبال.

3. الخلفيات المعرفية للسيميائية السردية:

تدخل السيميائية السردية في ناموس القاعدة الكونية المنطقية، التي تعيد تكوين الظواهر إلى بعضها البعض، فما من نظرية أو منهج علمي أو نقدي إلا وتقف مقولاته على جملة من الأصول العلمية والمرجعيات الفكرية، التي يتكئ عليها في بناء أدواته وآلياته الإجرائية، تدخله في حلقات تواصل وتفاعل مع الفكر الإنساني ككل. وترمي عملية التكوير والتفاعل بين مختلف المعارف والعلوم إلى التجديد والتغيير والإبداع، والنفور من الجمود والثبات، المؤديان إلى القطعية والعدمية.

تتلاحم معظم المناهج مع بعضها البعض، من حيث أصولها ومرجعياتها، يستند كل منهج على غيره، في فعل تراكمي ليكون نفسه، « إذ لا البنيوية ولا نزعة التحليل النفسي ولا السيميائية ولا الأسلوبية نفسها، قادرة على أن ترعم للناس أنها من عدم، وأن كل أدواتها

(1) - رشيد بن مالك، السيميائيات السردية، المرجع السابق، ص: 24.

(1) التقنية وإجراءاتها المنهجية، وأصولها المعرفية، ومصطلحاتها المجسدة لمفاهيمها: جديدة»⁽¹⁾ «وأنا لا نكاد نظفر بمذهب نقدي واحد يقوم على أصل نفسه، وينطلق من صميم ذاته الأدبية»⁽²⁾، ليكون وليد لحظة إبداعية، لأننا لا نتصور ميلاد فكر من العدمية، التي لا تولد إلا العدم، «فلا يمكن ترسيخ وعي نقدي لنظرية ما دون الوقوف على السند المعرفي الذي يتيح فهم المسار التاريخي للأسس المعرفية لهذه النظرية.»⁽³⁾ المجسدة لمرجعياتها الفكرية المقعدة لها.

أكثر هذه الخلفيات المعرفية حضورًا في معظم المذاهب النقدية الخلفيات فلسفية التي تعتبر بداية تكوين جل المذاهب النقدية الموجودة في الساحة الأدبية، مما جعل العديد من المفكرين يعيدون فهم وتفسير النقد الأدبي الحديث للفلسفة وأصولها، فحسب دراسة تاريخية نقدية لومساط - وبروكس على ضوء الفلسفة في كتابهما "النقد الأدبي، تاريخ موجز"، أن النقد عاش في نطاق الفكر الفلسفي، حيث «اقتحم ميدان الدراسات الجمالية في القرن العشرين عدد غير قليل من الأدباء و النقاد الذين لا ينتسبون أصلاً إلى العالم الفلسفي ... ولكن من المؤكد أن هؤلاء أنفسهم قد استندوا في فهمهم للخبرة الجمالية إلى نظرة فلسفية ضمنية.»⁽⁴⁾ ونعيد وجود التفكير الفلسفي في بناء النظريات الأدبية الحديثة المعاصرة إلى الفلاسفة القدامى، الذين كان لهم الأثر الواضح في تولد مثل هذه الإنتاجات الفكرية والنقدية على المستويين الغربي أولاً والعربي ثانياً.

سيجد المتتبع لموضوع السيميائية السردية المؤسس عمومًا على دراسة المعنى، وطرق تحليل العلامات وتأويلها، أنها دراسات تعود إلى منابع صحيحة البعد في التاريخ الإنساني نرجعها إلى الفلاسفة اليونانيين القدامى، الذين اهتموا بقضايا العلامة وإشكالية المعنى والتأويل⁽⁵⁾، وإن كان الحديث عنها قد «اختلط زمنًا طويلًا، بحكم أهمية العلامات اللغوية في

(1) - رشيد بن مالك، السيميائيات السردية، المرجع السابق، ص: 10.

(2) - عبد المالك مرتاض، في نظرية النقد، دار هومة، الجزائر، 2005، ص: 79.

(3) - عبد القادر شرشار، مدخل إلى السيميائيات السردية، المرجع السابق، ص: 27 أو تحليل الخطاب الأدبي وقضايا النص

(4) - وساط وبروكس، النقد الأدبي - تاريخ موجز، نقلًا عن: نصرت عبد الرحمان، في النقد الحديث، دار جهينة، عمان، ط 1،

2007، ص 9.

(5) - محمد التهامي العمري، حقول سيميائية، المرجع السابق، ص: 05.

التواصل الإنساني، بالتفكير في اللغة. وعلى النحو، نجد نظرية سيميائية ضمنية في التأمّلات اللغوية القديمة في الصين والهند وفي بلاد اليونان أو في روما»⁽¹⁾، غير أنها تأملات واهتمامات لم تولد نظرية مؤسسة تأسيساً علمياً واضحاً، تحكمه رؤية منهجية دقيقة ومضبوطة، إنما جاءت عبارة عن مسائل متفرقة، وتأمّلات ماثورة في ثنايا الدراسات والعلوم المختلفة الموجودة وقتها⁽²⁾، يغلب عليها طابع النزعة الفلسفية. ومنها ننطلق.

1.3 المرجعيات الفلسفية :

إن الفلسفة حركة دائمة في المفاهيم والأفكار والنظريات، تتشكل من حصيلة الحراك الفكري البشري حول الكون والوجود، هي في تساؤل دائم عنها وعن معناها، من هنا كانت لها سيادة الحضور في كل رافد فكري، وليست العلاقة بينها وبين الروافد المنهجية والعلمية علاقة واضحة الحدود والمعالم؛ إذ قد تكون الضبابية تسيطر على أكثر تفاصيل تلك العلاقة، لذا يعتبر بعض السيميائيين أن العلاقة بين الفلسفة والسيميائية تشاكلية⁽³⁾، تحكمها ميزة التماثل في موضوع البحث والدرس. تعود علاقة السيميائية بالفلسفة منذ البحث عن الماهية والوجود مختزلين في العلامة - على اعتبار الكون علامة-، وهي من صميم الدرس اللغوي والسيميائي على حد السواء.

مثلت المقولات المتفرقة للفلاسفة القدامى خلفيات وأصول قديمة للتفكير السيميائي والاتجاهات المعاصرة التابعة لها، بل ذهب الكثير من الدارسين إلى أن أي بحث في أصول منهج نقدي يميلنا إلى أصوله في فلسفة ما، وأن المناهج التي تعتمد هذه الرؤى والتصورات الفلسفية ذات تأثير كبير على الساحة الفكرية- علمية أو أدبية- تمتاز بشيء من الثبات والديمومة، وسبب ذلك يعود إلى تأثير تلك الفلسفة الحاضرة فيها على الفهم الإنساني.⁽⁴⁾

(1) - أوزوالد دوكرو، وجان ماري شافار، المعجم الموسوعي الجديد في علوم اللغة، تر: عبد القادر المهيري وحادي صمود، دار سيناترا، تونس، 2010، ص: 179.

(2) - محمد التهامي العمري، حقول سيميائية، المرجع السابق، ص: 05.

(3) - آراء عابد الجرمانى، اتجاهات النقد السيميائي للرواية العربية، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2012، ص: 51.

(4) - محمد فليح الجبوري، الاتجاه السيميائي في نقد السرد العربي الحديث، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2013، ص: 22.

ولم يكن عمل الفلاسفة القدامى في مجالات المعرفة أو أي ميدان خاضوه قرين الخصوصية والانفرادية، يمكن أن يقدم طرحا مستقلا يجسد رؤية منهجية، إنما كان عملهم يتسم بالعمومية⁽¹⁾؛ أي رسم لخطوط عريضة ومعالم عامة، تخص المادة الخام التي تقوم عليها المناهج، ولا تحدد لمنهج. فهم لم يتناولوا أو يقدموا المناهج النقدية التي تبشر الإبداع، بل كان خطابهم الفلسفي عامًا مثل للسيميائية باتجاهاتها، أو أي منهج غير نهل منه خطابًا تأسيسيًا⁽²⁾، أُنتج على إثر الفوارق في الرؤى المنتخب له والاختلافات في تناوله، ميلاد العديد من النظريات المعرفية. فدخلت السيميائية في رزنامة المناهج المتأثرة بالفكر الفلسفي بمختلف مشاربه، المتبحر في ماهية وكيونة العلامة خاصة منها اللغوية، وكيفية استعمالها وتوظيفها... إلى ما يطلق عليه اليوم علم العلامات.

أوقف البحث الفلسفي وجود الإنسان على وجود العلامة، ذلك أن وجوده رهين المجتمع، «ولكننا يمكن أن نضيف أيضا أن وجود المجتمع رهين بوجود تجارة العلامات»⁽³⁾ فلا يمكن أن نشك في الدعوى القائلة بأنه لا يمكن دراسة ظواهر الوعي بمعزل عن العلامات⁽⁴⁾ فانصب تفسير الفكر الإنساني على تفسير لغته بوصفها علامة، تمثل الكون ككل.

تشتغل العلامات في المجتمع دالة على فكره وطريقة تعلمه، حين تأخذ هذه العلامات شكلا، يتمثل في تسمية شيء ما، وسلوكًا يتداوله الفرد، ويتم توظيفه في المجتمع نكون أمام لغة، وقد تصور البعض وجوب أن تكون هذه اللغة في المقام الأول لفظية، وطابعها اللفظي هو الشكل، فمن المستحيل أن نخمن أو نفكر دون كلام، دون لغة.⁽⁵⁾

اتفق الفلاسفة والمناطق على أن اللغة علامات و«رموز يعبر بها عن أفكارهم وأنها صورة ومفهوم أو محمول وموضوع»⁽⁶⁾، ركزوا في دراساتهم عليها وعلى «ماهيتها، وكيفية

(1) - محمد فليح الجبوري، الاتجاه السيميائي في نقد السرد العربي الحديث، المرجع السابق، ص: 21 .

(2) - إمبرتو إيكو، السيميائية وفلسفة اللغة، المرجع السابق، ص: 36.

(3) - إمبرتو إيكو، العلامة تحليل المفهوم وتاريخه، المرجع السابق، ص: 203.

(4) - أحمد يوسف، الدلالات المفتوحة مقارنة سيميائية في فلسفة العلامة، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط01، 2005، ص: 09.

(5) - إمبرتو إيكو، العلامة تحليل المفهوم وتاريخه، ص: 205.

(6) - حسين خمري، نظرية النص، المرجع السابق، ص: 284.

تكوينها واستقبالها وإيجادها، وكذلك وقفوا عند عملية توظيفها في التعبير عن أفكار مستعملها، ولم تغب اللغة عن أي فيلسوف لارتباطها بنظرية المعرفة. «⁽¹⁾ ولو عدنا إلى قدامى الفلاسفة اليونان مع أفلاطون وأرسطو وغيرها، نجد أن هؤلاء تحدثوا في أبحاثهم اللغوية عن مسائل في علم الدلالة والعلامة، «بل يرى الكثير أن ارتباط علم الدلالة بالفلسفة والمنطق أكثر من أي علم آخر، أو أي اتجاه معرفي آخر...»⁽²⁾ فكانت هذه الدراسات الأولى مفاتيح هامة وأصول مشتركة مع الدرس اللساني ومن بعده التحليل السيميائي، لعمله على أسرار اللغة والعلامة والمعنى.

لا تقتصر علاقة الفلسفة بالسيميائية وردها إليها بالتأمل في المنطق الصوري فقط أو النظر في منطق اللغات الطبيعية وعلم الدلالة والنحو والتداولية، فكل هذا من زاوية اللغات اللفظية فحسب، فقد نظرت فلسفة اللغة من الرواقيين إلى كاسيرير ومن علماء القرون الوسطى إلى فيكو ومن أغسطين إلى فيتغنشتاين، في جميع أنظمة العلامات، ففي الأصل قد طرحت المسألة السيميائية قلبًا وقلبًا⁽³⁾، دون التنظير لها.

ضف إلى ذلك أن كشف حدود المعنى في نص ما عمل أرق المناطقة والفلاسفة القدامى، فكانت معالجاتهم والنظر في إشكاليات تواجهه في الخطاب من قبيل التحليل المحايث، إنها نظرة في شكل المحتوى⁽⁴⁾ وهو عمل السيميائيين اليوم القائم على التحليل السيميائي المحقق في النظرة المنطقية العميقة للدلالة.

وللتوضيح الأعمق لاستفادات السيميائية السردية على يدي غريماس ومن تبعه من تلك النظريات الفكرية والفلسفية، التي جاء بها الظاهرانية، الذرائعية والنيثشوية والأفلاطونية والأرسطية، ومن المفاهيم والمقولات التي تأسست منها النظرية ك: المربع الدلالي، المعنى، اللفظ، العلامة، الوجود، مبدأ التناقض... سندرج بعض التقاربات المعرفية بين هذه الوجهات الفلسفية والمنهج السيميائي السردية بداية بـ:

(1) - محمد فليح الجبوري، الاتجاه السيميائي في نقد السرد العربي الحديث، ص: 22.

(2) - أحمد مختار عمر، علم الدلالة، المرجع السابق، ص: 15.

(3) - إمبرتو ايكو، السيميائية وفلسفة اللغة، ص - ص: 33-34.

(4) - أحمد يوسف، الدلالات المفتوحة، المرجع السابق، ص: 11، 13.

أ- أفلاطون : " 427-437 ق م "

لعل الفكر الإنساني ككل والغربي على وجه الخصوص قد ورث عن أفلاطون موضوع اهتمام السيميائية المجسد في قضية وإشكالية المعنى، حين اعتبره الفكرة أو الجوهر والمبدأ المفهوم من قبل الواقع والفكر معًا. وقد وظف أفلاطون لفظ Sèmiotique على أنه فن الإقناع⁽¹⁾، وبين أن هناك علاقة بين الدال والمدلول...، وصفها في محاورته مع أستاذه سقراط بالعلاقة الطبيعية الذاتية «مدعيًا أن تلك الصلة الطبيعية، كانت واضحة سهلة التفسير في بدء نشأتها، ثم تطورت الألفاظ ولم يعد من اليسير أن نتبين بوضوح تلك الصلة، أو نجد لها تعليلاً أو تفسيراً.»⁽²⁾

كما ميز أفلاطون الأفكار عن العالم المحسوس⁽³⁾، مؤكداً أن الأشياء لها جوهر ثابت يقابل الشكل أو العرض، الأمر الذي يصل بنا إلى وجود بنية سطحية، ومن الشكل أو العرض يستلزم ورود أخرى عميقة هي الجوهر، وهذا بالضبط ما استفادت منه المناهج الحديثة والمعاصرة بداية مع " دي سويسر وهيلمسييف، وفي ما بعد السيميائية المنطقية " مع بيرس، السيميائية السردية مع وغريماس، فنجد أن الأمر ذاته ينطبق على اللفظ أو العلامة اللغوية، باعتبار الدال يمثل العرض أو الشكل، والمدلول يشكل الجوهر الثابت.

تعد جدلية أفلاطون المكونة لنهجه الفلسفي والأدبي «جدلية تصاعدية... غايتها الوصول إلى الفكرة المثلى والروح المطلق الذي لا تناقض فيه»⁽⁴⁾ أنها بحث في الجوهر والمعنى الخالص، وهي فكرة ينبع منها العمل السيميائي في عمومته، الذي يسعى دومًا وراء كشف المعنى العلامة وإنتاجه وفق قوانين منطقية.

ويرى أحمد يوسف أن وجه التهجين بين السيميائية والرؤية الأفلاطونية واضح عبر المظهر النسقي، حين شرع أفلاطون في توحيد المذاهب الفلسفية التي كانت تعارض

(1) - جميل المحمداوي: مدخل إلى المنهج السيميائي، المرجع السابق، الموقع الإلكتروني:

<https://www.arabicnadwah.com>

(2) - أحمد مختار عمر، علم الدلالة، المرجع السابق، ص: 18.

(3) - أحمد يوسف، السيميائية الواصفة، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط 01، 2005، ص: 19.

(4) - محمد السويرتي، المنهج النقدي مفهومه وأبعاده وقضاياها، دار أفريقيا الشرق، المغرب، (د ط)، 2015، ص: 12.

التصورات الفلسفية السابقة الفكر السقراطي⁽¹⁾، وعملية توحيد الآراء والمقولات في نسق موحد هي عمل أي منهج علمي يسعى إلى ضبط مقولاته وإجراءاته التحليلية، من ذاك جهود كل السيميائيين بمختلف اتجاهاتهم، في محاولة منهم إلى إرساء نظرية عامة تتناول العلامات ومعانيها عمقًا وسطحًا.

ب- أرسطو^(*) :

سيطر الفكر الأرسطي على الساحة المعرفية العالمية أكثر من الفكر الأفلاطوني لأنه كان « الأكثر حضورا لسببين: الأول تمثل في وصل معظم كتبه مقارنة بما وصل لأفلاطون، والآخر لما يمتلكه من ذكاء وفطنة، فضلا عن تلمذته لأفلاطون نفسه مما جعله يتمكن من هضم أفكار سقراط وأفلاطون معًا».⁽²⁾

يرى أرسطو أن الكلام إنما يستعمل للتفسير وإظهار الأفكار؛ يقول: « وأما التفكيرات [الضمير] التي تُرى فنحوّ منها هذا الذي يكون من قبل الألفاظ»⁽³⁾، « فمن الاضطرار أن يكون في التفكيرات أيضا ما يرى (ظاهري) بأن يصير الذي يتفكر تفكيره هو مما يرى (ظاهري)، لأن التفكير سلوجموس (ربما السلوجسموس) ما [قياسات] (السلجسة المقايسة)»⁽⁴⁾، نوازن قول أرسطو بأن الكلام إنما هو إبانة للمعاني التي في الضمائر، وأن المعاني في النفس، يلحظ منها ويظهر ما يتلفظ به وتدل عليه الألفاظ فيكون تفسير الكلام بالدوال الحاملة للمعاني، وهو قول بتقسيم العلامة اللغوية إلى دال ومدلول.

نلاحظ من قول أرسطو وعيًا لمسألة أن العلامة تتمتع أن تكون مفردة ومتعددة في الوقت ذاته، كان تفريقه بين الكلام الخارجي والكلام الموجود في العقل- الموجود

(1) - أحمد يوسف، السيميائيات بين العلم والفلسفة، ضمن كتاب: السيميائية بين السرد والخطاب والأيقونة، إشراف: المصطفى شادلي، منشورات فكر، المغرب، (د ط)، 2013، ص: 83.

*- لقب بصاحب الفلسفة الأخلاقية، وهو لقب أطلق عليه لأنه ربط كل المعارف بالأخلاق.

(2) - محمد فليح الجبوري، الاتجاه السيميائي في نقد السرد العربي الحديث، المرجع السابق، ص: 24.

(3) - أرسطو طاليس، الخطابة، الترجمة العربية القديمة، تحقيق، عبد الرحمان بدوي، دار القلم بيروت لبنان، 1979، ص: 170.

(4) - المرجع نفسه، / 1401 أ / ، ص: 170.

في الضمائر- أساسًا لمعظم النظريات المهمة بمسألة المعنى⁽¹⁾، وهي أهم وأكثر القضايا التي نوقشت في الساحة الغربية خلال العصور الوسطى والتي تليها.

يوضح أحمد يوسف أن أرسطو طرح نسقية سيميائية، بجديته عن العلامة بطابع انطولوجي، تربط العلامات بالعوالم المعاينة الفعلية، هذا لأن العلامات تنظم داخل قوانين الوجود.⁽²⁾ خالف بذلك أستاذه أفلاطون في العلاقة الرابطة بين اللفظ بمدلوله إذ أرجعها إلى الصلة العرفية والعلاقة الاصطلاحية التي تواضع المجتمع عليها. في حين ردها أفلاطون إلى الصلة الطبيعية الذاتية.⁽³⁾

أستبدل أرسطو فكرة أفلاطون المثالية بفكرة المفهوم، وطابقها مع الجوهر، وعوض تعاليها وتسامياها بالصورة الكامنة في الأفكار، الواقعة أو المجسدة، حيث تمثل مقابلا للمفهوم الذي هو ما يمكن أن نستخلصه تجريدًا من التجربة المحسوسة، وليس هو التعبير بعينه عن الفكرة⁽⁴⁾؛ أي ليس الشيء المتحصل عليه عبر فكرة ما، وعلى هذا يمكن التحصل على صورة تجريدية.

وقد تحدث كل من أرسطو وأفلاطون عن العلامة بوصفها صورة صوتية، تحيل على معين أو شيء ما، إلى جانب الوظيفة التداولية المتمثلة في العملية التواصلية للعلامات، بمعنى « ثمة دلالة تتكون من دال ومدلول وهناك طبيعة تداولية مرجعية.»⁽⁵⁾

يُنَّ إيكو أن أرسطو اعتبر الكلمات نوعًا من علامات - وإن لم يقل ذلك بصريح العبارة- مستشهدًا بقوله: « إن الألفاظ دالة [أو الرموز] على معاني التي في النفس كما أن الحروف التي تكتب هي دالة [رموز] على هذه الألفاظ، وإنها ليست واحدة عند كل الأمم وهذا ما يحيلنا للقول أنها [ألفاظ بحروفها] جاءت عن طريق التواضع، وتختلف عن الأصوات الطبيعية للحيوانات باعتبارها دالة.»⁽⁶⁾ وأن المعاني المجودة في النفس تختلف

(1) - أحمد مختار عمر، علم الدلالة، المرجع السابق، ص: 18.

(2) - أحمد يوسف، الدلالات المفتوحة، المرجع السابق، ص: 19.

(3) - أحمد مختار عمر، علم الدلالة، المرجع السابق، ص: 18.

(4) - أحمد يوسف، الدلالات المفتوحة، المرجع السابق، ص: 19.

(5) - محمد فليح الجبوري، الاتجاه السيميائي في نقد السرد العربي الحديث، المرجع السابق، ص: 24.

(6) - إمبرتو إيكو، السيميائية وفلسفة اللغة، المرجع السابق، ص: 72.

عن الألفاظ والحروف لأنها أمثلة أو صور [بعبارة اليوم إيقونات] للموجودات كأنه يؤكد أن الكلمات والحروف هي سيميا أي علامات للمعاني التي في النفس، فهي بلا شك أدلة وعلامات على وجود تفاعلات نفسية، تدل على أن الإنسان عندما ينطق بكلمات فذلك يعني أنه يريد التعبير عن شيء ما.⁽¹⁾

وحسب أرسطو، أن قول الفعل بصفة منعزلة (التلفظ بالعبارة) - باعتبار أن الفعل هو علامة- ليس الإشارة إلى كوننا بصدد تأكيد وجود شيء ما⁽²⁾، إذ الحكم لا يصدق إلا إذا كانت «رابطتا الوجود المتصلة أو المنفصلة لمضمونين فكريين أقاما في الحركة الذاتية للتفكير انعكاسين مطابقين لرابطتين واقعتين»⁽³⁾، ولكي يكون هذا الفعل علامة وجب أن يرتبط بأجزاء القول الأخرى أي الموضوع و المحمول، ومنه يدل فعل الوجود على المعنى والمضمون عندما يرتبط بسياقات مختلفة تثبت وجوده بالفعل. ولكن الفعل في حد ذاته يمكن أن يكون علامة لوجود الشيء، فهو " دائما علامة على ما تقول بخصوص شيء آخر." ⁽⁴⁾ فلنمخ قانونًا ملزمًا لدلالة العلامة هو الاختلاف، وهو مبدأ التفكير، والتحليل في السيميائيات المعاصرة، كما نجد توظيف غريباس لفكرة وجود رابطتي الاتصال والانفصال لمضمون ما حين اعتبر أن الذات تكون إما في حالة اتصال بموضوع القيمة، أو في انفصال عنه.

يقول أرسطو في كتابه الخطابة تحقيق عبد الرحمن بدوي: « وقد يؤتى بالتكفيرات (مفردها التفكير = الضمير) من الصادقات (ربما الواقع) ومن الدلائل...، فالدلائل منها ما هو بمنزلة الجزء من الكل، وما كان من هذا النحو اضطراريا فهو دلالة، وما كان منه غير اضطراري فليس يسمى...، وقد أعني بالاضطرارية تلك التي تكون منها السلوجسمات (المقاييسات)، وما كان من الدلائل هكذا فهو دلالة»⁽⁵⁾ ولعل أرسطو يقصد أن المعاني التي هي في نفس وضمير الفرد تأتي من الواقع، كمرجع لها، وما تحمله من دلائل عليه تترجمه

(1) - إمبرتو ايكو، السيميائية وفلسفة اللغة، المرجع السابق، ص: 73.

(2) - المرجع نفسه، ص: 74.

(3) - أحمد يوسف، الدلالات المفتوحة، المرجع نفسه، ص: 20.

(4) - إمبرتو ايكو، السيميائية وفلسفة اللغة، المرجع السابق، ص: 73.

(5) - أرسطو طاليس، الخطابة، الترجمة العربية القديمة، مقطع/1357-ب/ المرجع السابق، ص: 14.

الألفاظ التي هي تدليل على وجود علاقة لزومية بين المعنى والمرجع، فما كان بين المعنى والمرجع من لزومية العلاقة يجعلنا نسميها بالعلامات الدالة أو الدلالة، هذه الدلالة تمس لغة الخطاب المكتوب أو الشفهي، كما تمس ما هو غير لغوي أيضًا. قسم أرسطو العلامات إلى قسمين:⁽¹⁾

الأول: التقميريون: بمعنى العلامة، عرفها إيكو تحت مصطلح الدليل – بترجمة أحمد الصمعي - إنها العلامة الضرورية تترجم في الحكم الكلي، وليس بلزوم الشرط⁽²⁾، مثال: كل من لديه حمى هو مريض، حكم يسقط على كل من أصيب بحمى فإنه مريض، وليس شرطاً أن غيابها يمثل الصحة والعافية، إذ قد يكون مريض بألم في البطن دون أن تكون لديه حمى. فهي علامات ضرورية « التي تُردُّ إلى سياق منطقي غير قابل للتنفيذ لتعارضه مع المنطق العقلي. »⁽³⁾

الثاني: صنف هذه العلامات لم يعط لها أرسطو اسماً بعينه، ربما من باب أنها علامة ضعيفة على حد تعبير إيكو، لأنها تنقف على أحكام ظنية احتمالية، أي إثباتها للأحكام جزئي⁽⁴⁾ فهي علامات غير ضرورية، تلك العلامات التي تختمل التنفيذ والنقض وان صحت في الواقع، وقد قسمها أرسطو إلى قسمين: علامات علاقتها كعلاقة الجزئي بالكلي، مثل حكم بعدالة سقراط باعتباره حكماً، فإنه لا يصح تعميم ذلك على كل الحكماء، وإن صحت عدالته وعلامات علاقتها كعلاقة الكلي بالجزئي، كأن تقول إن رجلاً أصيب بالحُمى لعسر تنفسه فهذا يمكن تنفيده ونقضه وإن صحت المقولة الواقعية، فليس من الضروري أن يصاب بالحُمى من تعسر نفسه.⁽⁵⁾

صب أرسطو اهتمامه في الكشف عن جوهر الأشياء والظواهر بالبحث في ذاتها والنظر إلى الموجودات في الكون على أنها أشياء حية تحمل نموها واكتمالها في ذاتها، فكان

(1) - أرسطو طاليس، الخطابة، الترجمة العربية القديمة، مقطع/1357-ب، ص: 14.

(2) - إمبرتو إيكو، السيميائية وفلسفة اللغة، المرجع السابق، ص: 75.

(3) - محمد فليح الجبوري، الاتجاه السيميائي في نقد السرد العربي الحديث، ص: 26.

(4) - إمبرتو إيكو، السيميائية وفلسفة اللغة، المرجع السابق، ص: 75.

(5) - محمد فليح الجبوري، الاتجاه السيميائي في نقد السرد العربي الحديث، المرجع السابق، ص: 34.

العمل على جوهر المادة دون التعرض لخارجها، كما ربط جمالية وفنية الكلمة بالمعرفة، فكان تقويم الأدب عنده وفنيته متعلقين بمدى نقل هذا الأدب للعلم والمعرفة وأن أثره الجمالي المتولد في إحساس ونفسية وذهن المتلقي مرهون بما يخلفه من معرفة.⁽¹⁾ هو الحديث عن التعامل مع نسق العلامة (الخطاب) من جوهرها في ذاتها دون العودة إلى مرجعها، وربط الفنية بالمعرفة يجعلها لا تقف عند حدود النص أو قائله إنما تتعداهما إلى المتلقي، وهذا ممكن طرح المناهج المعاصر، ولاسيما منها السيميائية والسيميائية السردية.

وضح طائع الحداوي أن أرسطو في كتابه " العبارة " قد اعتبر كل ما يلفظ بالصوت دال على ما هو كامن في النفس، وما يكتب دال على ما يخرج بالصوت، بذلك كل ما تتكون منه اللغة منطوقة أو مكتوبة هو عبارة عن دلائل، ويبقى أن نعرف كيف تدل هذه الدلائل على ما تدل عليه⁽²⁾، بعبارة أخرى يكون اللفظ المنطوق أو اللفظ المدون هو المعبر ودال عن ما في النفس. فلا وجود للفظ فوق حدود التصور والفكر، وهذا ما قالت به المناهج الفكرية والنقدية المعاصرة.

فرق أرسطو في حديثه عن العلامة بين الصوت والمعنى، رابطًا المعنى بما يتعلق بالفكر من تصور، حيث تتطابق المعاني مع التصورات الذهنية الموجودة في عقل المفكر يعبر عنها بالألفاظ أو رموز لغوية، تجسد بالصوت الذي هو تعبير عن الشيء الموجود في العالم الخارجي وهذا ما يكون العلامة. والتي عنده تقوم على ثلاثة أمور هي⁽³⁾ :

- وجود خارجي : الأشياء .
- تصورات ذهنية : المعنى أو الفكرة .
- صورة صوتية : الرمز اللغوي أو الكلمات .

(1) - فؤاد المرعي، نظرية الشعر في اليونان القديمة، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت عدد03 جانفي 1997، ص: 212.

(2) - طائع الحداوي، سيميائيات التأويل الإنتاج ومنطق الدلائل، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط01، 2006 ص: 67.

(3) - أحمد مختار عمر، علم الدلالة، المرجع السابق، ص: 17.

يدخل تمييزه وتعيينه أجزاء العلامة في صميم الدراسات الدلالية، وما طرحته حول مسائل المعنى، استفادت منه بداية اللسانيات " (دي سوسير، يلمسيلف...) ومن بعدها السيميائية (بوس، بارت، ايكو...)، السيميائية السردية (غريماس...)

ميز أرسطو أيضًا بين الأسماء والأفعال على أن الاسم يدل على شيء معين بالمواضعة، في حين الفعل يحمل في ذاته البعد الزمني، يؤكد بذلك فكر ديمقريطس «الذي قال أن الحكم يتألف من اسم وفعل، ويدل الأول على جزء الحكم المتعلق بالموضوع والذي تدور حوله المسألة، ويدل الثاني على كل ما يقال عن الموضوع»⁽¹⁾، وإن كان أفلاطون سببًا في تصنيف الجملة الاسمية والفعلية، إلا أن أرسطو أضاف الروابط أو الحروف كقسم من أقسام الكلام، كذا حدد العلاقات التي تحكم الحكم، فهي إما اتصال أي حالة إثبات أو انفصال حالة نفي، وهذا ما استخدمه بعد ذلك غريماس في علاقة الذوات بمواضيع القيمة في الخطاب السردية والنص الأدبي، وبها جسد البرنامج السردية في التحليل السطحي للنصوص السردية، وتحدد شكلي التحويل، إما اتصالي أو انفصالي.

نلاحظ مما جاء به أرسطو، والذي سبق به غيره بأشواط تعدد بالقرون، أنه تعرض إلى دلالة الخطاب، النص، وليس للمفردة منعزلة، وأشار إلى تعدد المدلولات للدوال، بل حاول أن يعطي المتلقي حرية في التأويل⁽²⁾، وهذا من صميم عمل السيميائية والسيميائية السردية بوصفها منهجًا نقديًا.

ت- الرواقيون:

لا تقف الإرهاصات الأولى للسيميائية السردية عند فكر الفلاسفة اليونانيين الكبار سقراط وأفلاطون وأرسطو، إنما نجد وجهة الرواقيين التي مثلت أطروحات غير اليونانيين على أرض الإغريق، نمت أفكارهم وترعرعت في ظل فلسفاتهم، فاستطاعوا أن يحتووها وتأثروا بما أوجده كل من أفلاطون وأرسطو حول ماهية العلامة اللغوية ولكنهم كانوا أكثر دقة في عرض هذا الدرس اللغوي⁽³⁾، وأكثر تفصيلًا لمسائله.

(1) - أحمد يوسف، السيميائية الواضفة، المرجع السابق، ص: 22

(2) - محمد فليح الجبوري، الاتجاه السيميائي في نقد السرد العربي الحديث، المرجع السابق، ص: 27.

(3) - المرجع نفسه، ص: 27.

تحدث الرواقيون في دراساتهم عن العلامة اللغوية، حيث أقاموها على ثلاثة عناصر؛ هي: العبارة، والمضمون، والمرجع، حيث يمثل المضمون الفكرة والصورة الذهنية وتمثل العبارة اللفظ، مفرقين بين نبر الصوت للغات والحروف؛ أي بين الصوت الذي ينطلق من الحنجرة إثناء النطق، والعنصر اللغوي الذي يتركب منه اللفظ أو الكلمة في حد ذاتها والتي تقوم عند وصلها بالمضمون، ولديها قابلية للاتصال به، كما ميّزوا بين وجهي العلامة الدال والمدلول⁽¹⁾، ما يعادل فهم دي سوسير للعلامة اللغوية ذات الوجهين الدال يساوي اللفظ كصورة صوتية، والمدلول المعادل للمضمون كصورة ذهنية أو تصور.

سبق الرواقيون المحدثين في تحديدهم العلاقة بين اللفظ والفكرة (الصورة الذهنية) عند حديثهم عن أن الهمجيين -و ما يماثلهم - الذين لا يميزون الكلمة بمادتها الصوتية أنهم لا يمتلكون لها صورة ذهنية فهذا خاطئ، بل عدم تمييزهم راجع إلى عدم إقامة العلاقة بين طرفي الكلمة؛ الصورة الصوتية والصورة الذهنية.⁽²⁾

وإن كان أفلاطون ربط المضمون أو المعنى بالفكرة ذات البعد الميتافيزيقي، وربطها بالعالم المتعالي عالم المثل، وأرسطو أسنده إلى البعد النفسي والأخلاقي، فإن الرواقيين ربطوه -رغم فكرهم المادي الذي يعتبر المضمون ببعده النفسي مادياً، مادام يمثله أيضاً جسداً- بشيء غير مادي، لشموله الأشياء غير المادية؛ كالأزمنة والفراغات...، إلى جانب الموجودات المادية، وحتى الأفعال والأحداث التي تعبر في كثير من الأحيان عن غير المادي، فما هو غير مادي ليس الشيء، إنما هو حالة الشيء وحالة الوجود.⁽³⁾

ومن بين ما يعتبر غير مادي عند الرواقيين "القول"، وهو نوعان: القول تام وغير تام فالتام الذي يشكل قضية وهي عندئذ غير مادية، وغير التام هو أجزاء من قضية وقطع منه تنتظم في القضية من خلال مجموعة من العلاقات التركيبية. ودخول القول غير التام في أجزاء

(1) - محمد فليح الجبوري، الاتجاه السيميائي في نقد السرد العربي الحديث، المرجع السابق، ص: 29.

(2) - إمبرتو إيكو، السيميائية وفلسفة اللغة، المرجع السابق، ص- ص: 76-77.

(3) - المرجع نفسه، ص: 78.

القضية يجعل منه الموضوع والمحمول^(*) معاً في القضية، وهو بالتالي مقولات تعبير (نحوية ومعجمية) تدخل في عمق مقولات مضمون.⁽¹⁾

ويشكل الموضوع المثال الأعلى للحالة التي تعد مضموناً معبراً عنه، أو يمكن التعبير عنه، بما يعادل بتعبير غريباس وضع الفاعل، بذلك يكون الموضوع المثل الأعلى للقول غير التام، غير المادي، فتجرد علم الدلالة مع الرواقين من الصبغة النفسية، فالمضامين لا تمثل صورة ذهنية أو فكرة أو انطباعات، إنما هي « عناصر غير مادية يتم البيان عنها بعبارات لغوية تترايط لتنتج أقوالاً تعبر عن قضايا، وإنّ القول التام من حيث هو تمثيل للفكر هو ما يمكن نقله عن طريق الخطاب.»⁽²⁾

مجمّل القول، ودون جزم، أن الرواقين قد قالوا أن العلامات هي الكلمات، هم يرون أن وجود العلامة يتحتم وجود قضايا، والقضايا وجب أن تنتظم في تراكيب منطقية، يعكسها التراكيب اللغوية، ويجعلها ممكنة، فالعلامات تبرز فقط عندما يمكن التعبير عنها بصفة عقلية عن طريق عناصر وبنيات اللغة، واللغة تركيب لأنها تعبر عن أحداث محمّلة بالمعنى.⁽³⁾

ث- القديس أوغستين :

يجيء فضل الحديث عن العلامة بالمنحى العلمي إلى القديس أوغستين الذي ميز بين العلامات الطبيعية والعلامات التواصلية (الرمز)، وبين وظيفة العلامات عند الحيوان وعند الإنسان⁽⁴⁾، كما سُمّي الكلمة المنطوقة قولاً. وفي حديث هذا الفيلسوف عن التأويل

* - (المحمول وفي النحو بالخبر أو الفعل، وإنما سمي الموضوع موضوعاً لأن المحمول صفة من صفات الموضوع أو فعل من أفعاله. والصفة لا بد لها من موصوف، والفعل لا بد له من فاعل. عند المناطقة المسند أي حدّ يضاف إلى الموضوع في القضية أو يسند إليه مثل : محمد أمين ، محمد هو الموضوع ، وأمين هو المحمول، والموضوع المسند إليه في النحو بالمبتدأ أو الفاعل أو نائب الفاعل)

(1) - إمبرتو إيكو، السيميائية وفلسفة اللغة، المرجع السابق، ص: 78.

(2) - المرجع نفسه، ص: 79.

(3) - المرجع نفسه، ص: 79.

(4) - جان ماري سشايفر، العلاماتية، تر: مندر عياش، مقالات مترجمة ضمن كتاب: العلاماتية وعلم النص، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط(01)، 2004، ص: 14.

النصي للنصوص المقدسة مقارنة لما جاء في نظرية "فنفتين" الألماني عن اللغة مبيئاً تشكّلها إلى جانب الإصدار الصوتي من معناها المدرك، لارتباطها بالعقل والقلب معاً.⁽¹⁾ يستثمر أوغستين في كتابه: "de magistro" ما جاء به سابقه، من أن العلامات اللغوية صنف من أصناف العلامات الموجودة غير اللغوية، وبين أن أدوات الربط أيضاً يمكن أن تكون لها مضامين، سبق بذلك دي سوسير بحوالي 16 قرناً، وسبق السيميائيين في وجهة نظره حول العلامات وأنواعها وإمكانية تدليلها على المعاني لغوية كانت أم غير لغوية.

ج- السفسطائيون:

يفتح السفسطائيون عدة قضايا حول المعنى والعلامات، عند حديثهم عن اللسان واللغة بما يحمله من مقولات مقارنة للمقولات السيميائية الحديثة، ففي عام 1632 نشر الفيلسوف الإسباني (ج.بوانسو)، رسالة في العلامات Tractatus ضمن الجزء الثاني من كتابه "فن المنطق" (Ars logicae)، اقترح فيها ما من شأنه أن يشكل أول نظرية عامة في العلامات⁽²⁾، أقام فيها تمييزاً بين التمثيل والدلالة، ووضح خصوصية علاقة المعنى الكامنة في بنية العلامة، التي لا يتسنى لها أبداً أن تمثل ذاتها بذاتها، بينما الشيء يستطيع أن يمثل ذاته...، وليست العلامة في حاجة أن تتجسد في شيء ظاهر مرئي، إنما يمكن التعرف عليها بعلاقة "القائم مقام"، أي.....، وهو تعريف - كما يقول جان ماري- يفتح الباب أمام إمكانية سيميائية عامة، تتضمن أيضاً الأفكار الذهنية.⁽³⁾

2.3 المرجعيات الحديثة:

أما في العصر الحديث فقد عجز قرن 17 بالكثير من الدراسات حول العلامة ومتعلقاتها، خاصة مع المفكرين الألمان والانجليز. فظهرت عدة أسماء هامة في هذا العصر منها: لوك، أرنست كسيرار، وهوسرل، وموريس، وروسال، وكرناب، إيريك سينس وتروتسكوي، جاكسن، بنفست...، أخذت الكثير من مقولاتهم حول العلامة المنظور الإبستيمولوجي، وإن كانت تدور في معظمها حول العلامة اللغوية، وأن اللغة تدخل في

(1) - إمبرتو ايكو، السيميائية وفلسفة اللغة، المرجع السابق، ص: 77.

(2) - جان ماري سشايفر، العلاماتية، المرجع السابق، ص: 15.

(3) - المرجع نفسه، ص: 15.

صلب أنظمة العلامات الأخرى.⁽¹⁾ وتعد الدراسات الإشارات اللغوية من طرف جان لوك غودار في عصر التنوير من أهم الأعمال التي مهدت للسيميائية، حيث استعمل لوك مصطلح السيميوطيقا* العام 1690، وعنى به العلم الذي يهتم بدراسة معرفة العلامات متحدثاً على الأفكار الذهنية، وعلامات التواصل المابين إنساني، أي متعلقة بطرق التفاهم الإنساني.⁽²⁾ نستشف مرجعيات السيميائية السردية، التي صاغها غريماس من مقولات المناهج الحديثة والمعاصرة، من كتابات النقاد المغاربة المنظرين للمنهج، خاصة عند "سعيد بنكراد" في كتابه "السيميائية السردية"، وعند "رشيد بن مالك" في كتابه "مقدمة في السيميائية السردية". ويرجع بن مالك سبب تتبعه لمرجعيات السيميائية السردية في الأصول اللسانية والشكلانية إلى الوقوف على بعض المصطلحات الأساسية في التحليل السيميائي، قصد تبين أصولها، وضبط مفاهيمها في حقولها الأصلية، مع مراعاة الطريقة التي تم بها نقلها.⁽³⁾ وقد حددت الخلفيات المعرفية للسيميائية السردية في عدة أصول معرفية، متنوعة الرؤى والمذاهب، جمعها بنكراد في المنابع الآتية⁽⁴⁾:

- الإرث اللساني السوسيري.
 - مدرسة براغ.
 - أعمال يرونديل و هلمسليف.
 - تراث الشكلانيين الروس و خاصة بروب.
 - الإرث الفرنسي "تنيير وسوريو".
- أ- الأصول اللسانية للنظرية السيميائية:

اشتغلت اللسانيات على اللغة وأعدتها الدرس الوحيد الذي عليها دراسته بصورة علمية، وفق إجراءات وضعها علماءها اللسانيين بمختلف اتجاهاتهم المعرفية، أصبحت فيما بعد

(1) - أنظر: أوزوالد دوكرو، وجان ماري شافار، المعجم الموسوعي الجديد في علوم اللغة، المرجع السابق، ص: 179-183.

* ترجمه مندر عياش بالعلاماتية

(2) - جان ماري سشايير، العلاماتية، المرجع السابق، ص: 15.

(3) - رشيد بن مالك، مقدمة في السيميائية السردية، دار القصة، الجزائر، (د ط)، 2000، ص: 36.

(4) - سعيد بنكراد، مدخل إلى السيميائية السردية، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط 2، 2003، ص: 28.

مدادا لكثير من المقاربات النقدية، حيث مدتها « بجهاز من المفاهيم دفعها إلى تغيير طرائق تعاملها مع النص الأدبي، والنظر إلى بنياته اللغوية نظرة مغايرة لما كان عليه تاريخ النقد في السابق.»⁽¹⁾ وأولى مرتكزات الالتقاء بين السيميائية السردية واللسانيات البحث في الدلالة بصورة علمية، وموضوع قائم بذاته يبدأ مع دي سوسير المتنبئ بدرسه ومنهجه، وكل من جاء بعده وعرفوا في مجال السيميائيات.

لم يجد النقاد المغاربة عن ما أقر به جموع النقاد عبر العالم من أن الرؤية العلمية للمسألة الدلالية حديثة العهد، وتشكلت معالم البحث فيه بصورة واضحة بظهور كتاب علم الدلالة البنيوية لغريماس.⁽²⁾ فالركيزة المعرفية التي بنت عليها اللسانيات حقلها بصفقتها أول درس وصفي دقيق للغة بأسس علمية هو الدال أو اللفظ وإقصاء الدلالة أو المعنى من حسابها كما يتضح جلياً عند دي سوسير وبلوفليد⁽³⁾، جعل الاهتمام بالمعنى يتأخر.

ويعيد الناقد الجزائري بن مالك تأخر الاهتمام بالدلالة إلى تأخر الاهتمام العلمي بالمسائل اللغوية، القائم على عمليات الوصف والتحليل والمعاينة، إذ جاء مع حداثة النظر فيها، خاصة مع محاضرات دي سوسير وانجازاته اللسانية، التي أعادت هيكلة الدرس اللغوي، في حين أن مسألة الدلالة كبحث فلسفي تناولها عائد إلى قديم كتابات اليونانيين والسفسطائيين كما سلف الذكر.

وتعد الدلالة حسب بن مالك قبل سنة 1966 عائقا يصعب تجاوز تأثيراته وهذا لعدة أسباب منها⁽⁴⁾:

- الدراسات في مجال الصوتيات (براغ)، والنحو (مدرسة كوينهاغن) تقدمت تقدماً كبيراً على حساب علم المعنى الذي ظل منسياً.
- فلم يكن للعالم في تلك الفترة أحقية الكلام عن المعنى، على اعتبار -كما جاء عند بلومفيد- أن الجمل والكلمات القابلة للتحليل والوصف والمعاينة هي التي تمدنا بالمعنى

(1) - أحمد يوسف، القراءة النسقية " سلطة البنية ووهم المحاينة"، المرجع السابق، ص: 69.

(2) - رشيد بن مالك، مقدمة في السيميائية السردية، المرجع السابق، ص: 7.

(3) - أحمد يوسف، القراءة النسقية " سلطة البنية ووهم المحاينة"، المرجع السابق، ص: 70.

(4) - رشيد بن مالك، مقدمة في السيميائية السردية، المرجع السابق، ص: 8.

وهذا الأخير ليس بالشيء الملموس، فالدلالة مجردة غير ملموسة وغير قابلة للمعاينة والملاحظة العينية، وموضوع البحث التجريبي يخضع للملاحظة والقياس، فإنه بذلك يستحيل التقاطها وتحليلها علمياً، بالتالي لا تشكل الدلالة موضوع حقيقي للبحث. مما جعل النقد قبل 1966 يعطي أولوية الدراسة والمعاينة للدال لقابليته للملاحظة والتجريب، عكس المدلول غير القابل للتقسيم إلى وحدات وبنيات مميزة.

- التساؤلات الحاصلة في بحوث اللسانيين حول أهمية ودور المعنى كانت في منهجية وصف اللغة، مما جعلهم يقللون من أهمية دور المعنى إلى درجة الإقصاء إقصاءً كاملاً لأن الحديث عن المعنى يقود في رأيهم إلى إشكالات فلسفية أقرب منها إلى اللسانيات.

- صرف اللسانيون النظر عن الدعم المنهجي المقدم من أطروحاتهم النظرية للسيميائية جعل الدراسة محصورةً في النسق اللغوي، بعيداً عن أي سياق معالج للمعنى كموضوع معرفي وبنية نصية، « بل استبعد أحياناً وبقي أحياناً أخرى محصوراً في إطار الكلمة والجملة.⁽¹⁾»

- تختلف السيميائية عن اللسانيات في كونها لا تنظر في الجملة؛ إنما تنظر في الخطاب وهذا استقراء للنظام الدلالي الذي تحمله، دون الاستناد إلى ضم الوحدات الدلالية الصغرى بعضها إلى بعض؛ إنما يادراك الخطاب كلياً وكجملة واحدة، في حين تقف اللسانيات على الوحدات الدالة الصغرى المميزة المستنبطة من نظام الجمل⁽²⁾.

ومن هنا كان الاستبعاد للدلالة مبنياً على النظرة التجريبية، المؤكدة على استحالة فحص الدلالة ومعاينة موضوعها المجرد، غير القابل للملاحظة كما هو حال الأشياء الملموسة. وإن ابتعاد الدرس اللساني عن معاينة المعنى عائد بالدرجة الأولى إلى اهتمام أصحابها بقوانين إنتاج اللغة، ووصفها وصفاً علمياً، فما يميز اللسانيات الحديثة التي تستخدم المنهج العملي في دراسة اللغة عن المناهج التقليدية هو أنها تنظر إلى اللغة نظرة وصفية، تعتمد على الملاحظة المباشرة للظواهر اللغوية الموجودة بالفعل.⁽³⁾

(1) - رشيد بن مالك، مقدمة في السيميائية السردية، المرجع السابق، ص: 8.

(2) - محمد الناصر العجيجي، في الخطاب السردية نظرية غريماس (Greimas)، المرجع السابق، ص: 25.

(3) - نعمان بوقرة، المدارس اللسانية المعاصرة، مكتبة الآداب، القاهرة، (د.ط.)، 2004، ص: 67.

طرح الناقد بن مالك تساؤلاً جوهرياً عن كيفية دراسة المعنى، حيث استفهم عن البديل الكفيل بدراسة كل ما نقول أو نكتب أو نسمع. لأن المتكلم عند تلفظه لا يتكلم بالكلمة أو الجملة، ولكنه يتكلم حديثاً؛ بمعنى يتلفظ نصّاً متكوّناً من عبارات وكلمات مشحونة بدلالات ضمن سياق ما، فإن كانت الدلالة غير مرئية ولا قابلة للمعرفة، فإننا يمكن الحديث عنها ودراستها بطريقة دالة.⁽¹⁾ فتجيء الإجابة عن استفهامه في أطروحات هيلمسليف الذي بادر بتقسيم الدال والمدلول إلى مزدوجتين، أعطى من خلالها المجال لدراسة المعنى كأبي عينة ملاحظة.

إن تقسيم مادة المعنى إلى وحدات دلالية صغرى، يعطي المعنى مسوغاً لدراسته دراسة وصفية علمية، نستطيع بتشكيله من وحدات معنوية قاعدية تجزئة المكون الدلالي الكلي إلى عينات قابلة للتحليل والوصف، وبالارتكاز على فرضية هيلمسليف التي بمقتضاها يمكن فحص ماهية المضمون بالأدوات المنهجية المطبقة على صعيد التعبير. يُطرح المعنى ليس كمادة تجريدية إنما كشكل قابل للمعاينة⁽²⁾، مثله مثل الدوال، بالمستطاع الاهتداء إليه واستخراجه بمجرد القيام بتأويل تلك الوحدات الدلالية. فبتفصل العالم الدلالي إلى وحدات معنوية صغرى (سيمات) يناظر السيمات المميزة لصعيد التعبير⁽³⁾ نكون قد امتلكننا الشرعية لدراسة المعنى وفق المبادئ العلمية المقتنة.

يبين الناقد محمد ناصر العجمي أن السيميائية جاءت ردّاً على اللسانيات الموغلة في الدراسات اللغوية، القائم هدفها على محور الدال دون المدلول⁽⁴⁾، بالمسوغات السابقة الذكر في حين كان هدف السيميائية المعنى، ورغم ذلك لا يمنع الأمر من وجود وشائج اتصال بين الاتجاهين، وإن مجرد الحديث عن أسبقية أحدهما عن الآخر تثبت وجود التقاء بينهما، كما لا يمنع وجود الكثير من اللسانيين قد خاضوا في مسائل الدلالة بطريقة مهدت لميلاد نظريات حولها من مثل السيميائية.

(1) - نجان بوقرة، المدارس اللسانية المعاصرة، المرجع نفسه، ص: 8.

(2) - محمد ناصر العجمي، في الخطاب السردى نظرية غريماس (Greimas)، المرجع السابق، ص: 26.

(3) - رشيد بن مالك، مقدمة في السيميائية السردية، المرجع السابق، ص: 10.

(4) - محمد ناصر العجمي، في الخطاب السردى نظرية غريماس (Greimas)، المرجع السابق، ص: 22.

فرغم انتساب بارث للدرس اللساني، إلا أن كتاباته الهامة حول الدلالة أعطته الشرعية في التميز عن جملة اللغويين وقتها، إذ كان لالتزامه العلمي الدقيق المصطلح والمنهجية الأثر في تطور هذا الدرس، إضافة إلى أطروحته الجديدة الجريئة منها اعتبار السيميائية جزءاً من اللسانيات، استطاع إثرها نقل النموذج اللساني إلى موضوعات أخرى ومجالات غير لغوية.⁽¹⁾ ولاسيما أن سيميوطيقا الدلالة التي تدرج في إطارها أبحاث رولان بارت السيميائية. قد التجأ فيها منهجياً إلى « اشتقاق بعض الثنائيات اللسانية، وطبقها على موضوعات سيميائية غير لغوية ذات طبيعة اجتماعية؛ كالألْبسة والأطعمة...إلخ. أهم هذه الثنائيات: اللسان/الكلام، الدال/المدلول، المركب /النظام، التقرير /الإيحاء»⁽²⁾ وهي ثنائيات كانت من صميم عمل دي سوسير.

يحدد الناقد محمد العجيمي من خلال ما جاء به بارت مفهوم السيميائية- تحت مسمى علم الدلالة- على أنها درس في الوحدات الدلالية الكبرى، ووظيفتها «تكن بالتحديد في إبراز حركية الدلالة وإعادة بنائها، سبيلها إلى ذلك تعيين الوحدات الدالة، وتنظيمها وفق سلم تراتبي متكامل البناء.»⁽³⁾ فنفهم من هذا أن السيميائية تعمل على رصد الدلالة وحركتها داخل النص وإعادة بنائها فيه، لها في ذلك من علم اللسانيات رصد الوحدات الدالة في الجمل وتنظيمها من جديد وفق نظام ترتبي تام البناء، بتتبع تسلسلها الأفقي فتلتقي مع اللسانيات في هذه النقطة من حيث منهجية التحليل.⁽⁴⁾

يرى جميل المحمداوي في مقال له أن السيميائية مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالنموذج اللساني البنيوي المؤسس من السويسري فرديناند دو سوسير، الذي أحدث القطيعة الإبيستمولوجية في ميدان الدراسات الألسنية مع الفيلولوجيا وفقه اللغة واللسانيات التاريخية الدياكرونية، مما جعل من اللسانيات العلم الشامل والرائد لاستفادة مختلف المدارس والمشارب المعرفية منه

(1) - رولان بارت، مبادئ في علم الدلالة، تر: محمد البكري، دار الحوار، اللاذقية، سوريا، ط2، 02، 1987، ص: 09.

(2) - جميل محمداوي، مدخل إلى المنهج السيميائي، الدراسة والمنهج التعليمية، المرجع السابق، الموقع الإلكتروني:

<http://www.startimes.com/?t=22378333>

(3) - محمد الناصر العجيمي، في الخطاب السردية نظرية غريماس (Greimas)، المرجع السابق، ص: 26.

(4) - المرجع نفسه، ص، ص: 25، 27.

كالنقد الأدبي والتحليل النفسي وعلم الاجتماع وغيرهم وصولاً إلى السيميولوجيا باعتبارها علمًا حديث النشأة⁽¹⁾، استقت من المباحث اللسانية الكثير من التقنيات والإجراءات والمفاهيم تحليلية، جعلت منها المرتكزات الأساسية لقيام المبحث السيميائي الحديث.

أورد غريماس في مقال شهير له عنوانه "ب" راهنية سوسير"، أهم الخطوط التي جاءت منها الممارسة السيميائية النصية، والتي تمثل الأساسيات في تكوينها، منها التحليل المحايث، والبنية التراتبية المستقلة، واللغة الواصفة، ومبدأ الاختلاف بين الوحدات⁽²⁾. وجلها مبادئ في اللسانيات العامة.

كذا يكون اتفاق اللسانيات مع السيميائية في أن كلاهما نظام يقوم على وحدات تحكمها علاقات الاختلاف والتقابل، تفهم بالنظر فيها دون عزلها عن بعضها⁽³⁾ ويعمل التحليل اللساني والبنوي ومن بعدها السيميائي على رصد هذه الاختلافات والفوارق التي توضح أن التشابه ما هو إلا حالة خاصة من التباين، وأن الفروق تمكننا من تقطيع النسق الذي ندرسه، وإبراز ما يحمله من ثنائيات وتباينات، مما يجعل له دلالة⁽⁴⁾، ويبرز العلاقات التي يتشكل منها النص، التي نصل منها إلى معنى الوحدات الدالة في النص المدروس.

تعمل السيميائية في دراسة النصوص السردية على استقراء البنيات العامة، التي بنيت عليها تلك الظاهرة السردية، ومرحلة بدئية يتم حصر الفروقات النوعية في ذلك الجنس من السرد، وهذا يتيح فرصة تنظيم المادة في مستويات تسمح لنا باستقراء جانب من جوانب الدلالة⁽⁵⁾ عن طريق تحليلها، وتفجير الخطاب الحامل لها إلى وحدات مكونة له، ثم إعادة بنائه بعد تفكيكه، وفق جهاز نظري متناسق التأليف⁽⁶⁾. فنجد لسانيات النص

(1) - جميل حمداوي، مدخل إلى المنهج السيميائي، المرجع السابق، الموقع الإلكتروني:

<http://www.startimes.com/?t=22378333>

(2) - المصطفى شادلي، السيميائيات نحو علم دلالة جديد للنص، المرجع السابق، ص: 16.

(3) - محمد الناصر العجمي، في الخطاب السردية نظرية غريماس (Greimas)، المرجع السابق، ص: 28.

(4) - الطاهر وعزيز، بنوية كلود ليفي- ستروس - المرجع السابق، ص: 47.

(5) - محمد الناصر العجمي، في الخطاب السردية نظرية غريماس (Greimas)، المرجع السابق، ص: 29.

(6) - مرجع نفسه، ص: 29.

تركز في دراستها على « انبناء النص، وكيفية تركيبه وتوليدته وتحويله من جملة نووية صغرى إلى خطاب نصي مسهب وممطط، بمعنى معرفة كيف تتوسع البؤرة المحورية دلاليا وتركيبيا وسياقيا لتتحول إلى فقرات ومقاطع ومتواليات حتى تصبح نصا متسقا ومنسجما.»⁽¹⁾ وهو نهج اللساني عامل على استقرار الوحدات اللغوية المشكلة لجمل النص، ولا شيء غير وحداته اللغوية التي يتركب منها.

إن الدراسة الداخلية الوصفية للبنيات اللسانية، تبتعد عن كل ما هو خارج المنظور اللغوي، وهو الإطار العام الذي تسعى فيه السيميائية السردية إلى الابتعاد عن العملية النقدية والتحليلية التقليدية، المركزة أكثر على استخراج الفكرة المتضمنة في النص والدواعي إلى التعبير عنها، وموقف الكاتب منها، وربط ذلك بيئة وظروف المؤلف، بوجه عام لا ترمي السيميائية إلى استقرار مضمون النص والتعريف بهوية صاحبه بالقدر الذي يرمي فيه إلى « إنتاج الدلالة وتوليدها، استنادًا إلى نظام الوحدات المكونة له»⁽²⁾، وهذا من خلال الإجابة عن سؤال الجوهرية: كيف؟ وليس: ماذا؟ الأمر الذي جعلها ترتبط بالنص ولا تتعداه وتلتزم به دون سواه، وأكسبها صفة " الآنية " .

تستهدف السيميائية بجميع اتجاهاتها بما فيها السيميائية السردية النص بالدراسة لإبراز آليته في خلق المعنى وتبليغه، عن طريق رصد وكشف العلاقات القائمة بين بنياته ووحداته الدلالية الصغرى والكبرى، وهذا وفق مبدأ الاختلاف والتقابل القائم فيه، وهي رؤية دي سوسيرية تعنى بالكلمات داخل الخطاب حيث تكتسب قيمتها من تقابلها مع سابقتها ولاحقتها، من ثم كانت العلاقة بين هذه الوحدات حضورية آنية⁽³⁾، والآنية « والاختلاف والتقابل من أشهر المقولات التي جادت بها اللسانيات.»⁽⁴⁾

(1) - جميل حمداوي :محاضرات في لسانيات النص ، الألوكة للنشر ،(د.م)، ط2015،، 01م، ص: 03 .

(2) - محمد الناصر العجيمي، في الخطاب السردية نظرية غريماس (Greimas)، مرجع سابق، ص: 30.

(3) - عبد الجليل مرتاض، اللسانيات الأسلوبية، دار هومة، الجزائر، (د ط)، 2013، ص - ص: 82 - 83.

(4) - محمد الناصر العجيمي، في الخطاب السردية نظرية غريماس (Greimas)، مرجع سابق، ص: 30.

وقد أحصى رشيد بن مالك أهم آليات الدرس اللساني في النظرية السيميائية التي بمقتضاها يتم معاينة العناصر الدلالية⁽¹⁾، نختزلها في الآتي:

1) مبدأ المحايثة:

يعد من أهم المبادئ اللسانية التي توصلت بها السيميائية في معاينة النصوص الأدبية حيث يعتمد على البحث في الشروط الداخلية للظاهرة، والعمل على ماهيتها في ذاتها مستقلة عن المعطيات الخارجية، ومبدأ المحادثة مبدأ من خلاله يتم « وصف اللغة من حيث هي تنظيم قائم بذاته... »⁽²⁾، وإن موضوع اللسانيات الوحيد هو اللغة التي ينظر إليها كواقع قائمة بذاتها، يبحث فيها لذاتها. ويعتبر ليفي ستروس أن كل ما يمكن تحليله ينبغي أن ينظر إليه بوصفه نسقًا مغلقًا يمكن تفسيره وتحليله من عناصره الداخلية دون الحاجة إلى الاستنجد بتفسيرات خارجية.⁽³⁾

وكباقي النقاد الذين يتنوا الأصول اللسانية في الدرس السيميائي، فإن بن مالك وضح أن السيميائية تسعى إلى « دراسة التجليات الدلالية من الداخل، مرتكزة في ذلك على مبدأ المحايثة: " immanence "، الذي تخضع فيه الدلالة لقوانين داخلية خاصة مستقلة عن المعطيات الخارجية»⁽⁴⁾، فتكون الدراسة منها وإليها، دون النظر لمتعلقات خارجة عن نسقها الذاتي، وهذا ما عبر عنه دي سوسير في اعتبار اللسانيات درس مستقل عن باقي العلوم سواء في الموضوع أو المنهج شأنها شأن لعبة الشطرنج لا تحتاج دراسة قواعدها إلى البحث في أصولها⁽⁵⁾، وقد تبنى هيلمسليف مبدأ المحادثة ليؤكد على وجب استبعاد الوقائع غير اللسانية عن عملية الوصف، والنظر - حسب ما أدرجه عنه بن مالك- إلى موضوع اللسانيات على أنه شكل.⁽⁶⁾

(1) - رشيد بن مالك، مقدمة في السيميائية السردية، المرجع السابق، ص: 9، 14.

(2) - الطاهر وعزيز، بنويوة كلود ليفي ستراوس، مطبعة فضالة، المغرب، (د.س)، ص: 45.

(3) - نجان بوقرة، المدارس اللسانية المعاصرة، المرجع السابق، ص: 68.

(4) - رشيد بن مالك، مقدمة في السيميائية السردية، المرجع السابق، ص: 9.

(5) - فردينان دي سوسير، علم اللغة العام، المرجع السابق، ص: 41.

(6) - رشيد بن مالك، مقدمة في السيميائية السردية، المرجع السابق، ص: 9.

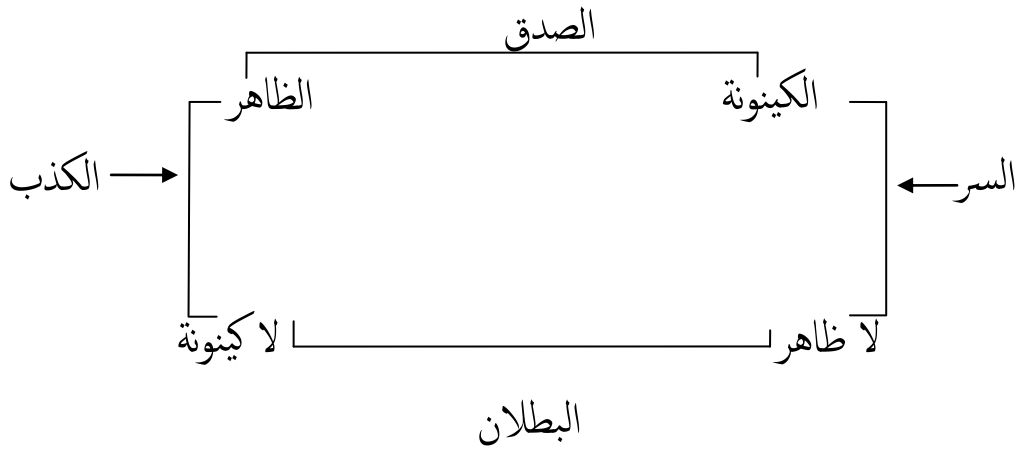
وفي نفس الصفحة يرى الناقد بن مالك أن غريماس تبني مبدأ المحايثة في بحوثه السيميائية من منظورين:

● المنظور الأول: مبني على مقولة التصديق المتفرعة بدورها إلى محورين:

- محور المحايثة. (الكينونة)

- محور التجلي. (الظاهر)

ويتفرع عن هذين المحورين أربع مقولات تظهر في المربع التصديقي الآتي:



● المنظور الثاني: منظور مبني عند غريماس على المقابلة: المحايثة / السمو، العلو « أين يمكن أن تسخر على الرسم السردى لإبراز تباين موقعي الفاعل والمرسل»⁽¹⁾، حيث يكون التقابل بين البنية التحتية والفوقية للنص، بين الخفي والمتجلي، بين الكائن في غور النص والظاهر منه، يتيح لنا إبراز التباين في موقع كل من الفاعل كعامل والمرسل كعامل آخر.

والجدير بالذكر أن الناقد في الغلاف الأخير من كتابه مقدمة في السيميائية السردية يقول أن « هذه السلسلة موجهة أساسا إلى الجامعيين: أساتذة باحثين طلبية، والهدف منها هو رفع الرصيد المعرفي بأسلوب منهجي، يعتمد على الدقة والجدية.»⁽²⁾

(1) - رشيد بن مالك ، مقدمة في السيميائية السردية، المرجع السابق، ص: 10

(2) - أنظر صفحة الغلاف الأخيرة من كتاب رشيد بن مالك ، مقدمة في السيميائية السردية .

غير أن التقديرات لأصول النظرية السيميائية عند بن مالك والمقولات المستشهد بها لإثبات الخلفيات اللسانية جاءت مختزلة في الطرح والتقديم، يجد القارئ المطلع عليها وعلى مفاهيم السيميائية المطروحة في ثنايا الكتاب صعوبة في فهمها وربطها، تحتاج لتحليل وعمق قراءة لتوضيح وجهة النظر المرجوة منها، فيتسنى للقارئ بعد بسطها الاستفادة منها وفهمها ونخص بذلك القراء الطلاب الذين مازالوا في طور البحث وفهم المنهج، فلا ريب سيجدون صعوبة في الإلمام بالفكرة إلا إذا عادوا إلى ما يشرح ويفسر تلك الأطروحات بشكل أيسر. فمثلاً عند العودة إلى قوله: «ويؤسس غريماس المنظور الثاني على المقابلة المحايثة/ السمو أين يمكن تسخر على الرسم السردى لإبراز تباين موقفي الفاعل والمرسل»⁽¹⁾، دون تعقيب أو شرح لهذا المنظور، مع العلم أن قول فيه إحالة^(*) لغريماس، تعود للحوار الذي جرى معه من طرف خليل أحمد، نشر في مجلة الموقف الأدبية العدد 15، هذا القول يحتاج إلى تبسيط وتفصيل لحديثه، حتى يتبين القارئ عملية الاستفادة من وجهة المحايثة في إبراز التباين الحاصل بين الفاعل والمرسل من حيث الموقف.

(2) مبدأ الاختلاف:

من أهم المقولات الأساسية للسانيات العامة مبدأ الاختلاف، يقول دي سوسير: « ليس في اللغة سوى الفروق [الاختلاف]، والأهم من ذلك: أن الفرق ينطوي عادة على عناصر ايجابية يظهر بينها الفرق: أما في اللغة فلا يوجد سوى الفروق أي العناصر السلبية دون العناصر ايجابية... وكل ما تملكه هو الفروق الفكرية والصوتية التي نبعت من النظام.»⁽²⁾، وقد استعمل دي سوسير هذا المبدأ للدلالة على أن المفاهيم المتباينة تعرّف ليس بشكل إيجابي من مضمونها، وإنما بشكل سلبي من علاقتها مع العناصر الأخرى للنظام.⁽³⁾ فكما أن معرفة الأنا تحتاج لمتغير مختلف عنها يتمثل في الآخر، وعلاقته بها، لتحديدها

(1) - رشيد بن مالك ، مقدمة في السيميائية السردية، المرجع السابق ، ص: 10.

* - إحالة القول كآتي ، أ.ح، غريماس، مرجع سبق ذكره، ص 18. (لم يحدد الكتاب المقتبس منه، مع العلم أنه استثمر أكثر من كتاب لغريماس، وأغلب الظن أنه خاص بالحوار الذي جرى مع غريماس، والمنشور في مجلة الموقف الأدبية.)

(2) - فردينان دي سوسير، علم اللغة العام، المرجع السابق، ص: 139.

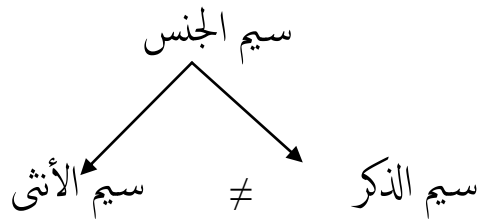
(3) - رشيد بن مالك ، مقدمة في السيميائية السردية، المرجع السابق، ص: 10.

ووصفها، كذلك اللغة والأشكال الداخلية لدلالة النص ترتكز بدورها على مبدأ الاختلاف للوصول إلى تعيين ومعرفة المضامين الداخلية لتلك اللغة ولذلك النص.

يقوم مبدأ الاختلاف على إقامة علاقات سلبية تحكم بين الوحدات والعناصر الدلالية، المرتبطة في ما بينها البين وفق النظام والسياق المتولدة فيه، فتكون على حدّ أدنى بين عنصرين تحكمهما علاقة سلبية منتجة وفق علاقة الاختلاف، فإن أي مفهوم أو عنصر يتباين اختلافاً أو ضدًا مع غيره، وتكون علاقتهما تحت عنصر أشمل وأوسع في المعنى منهما

مثال:

[ذكر عكس أنثى يدخلان تحت محور أشمل موحد لهما هو الجنس.]



يوضح بن مالك استثمار غريماس للمقوم اللساني "مبدأ الاختلاف" « داخل تصور جديد، يقضي فيه الاقتراب من المسألة الدلالية استيعاب الاختلافات المنتجة للمعنى دون الاكتراث لطبيعتها»⁽¹⁾، و« إن السيم بوصفه وحدة دلالية قاعدية لا يحقق وجوده إلا في علاقته بعنصر آخر، ولئن كانت وظيفته خلافية بالدرجة الأولى فإنه يستحيل أن يدرك خارج إطار البنية»⁽²⁾؛ أي يندرج وينتج المعنى إجمالاً باستحضار والإحاطة بعلاقات الاختلاف التي تحكم عناصر الدلالة، دون النظر في طبيعة تلك الاختلافات، والواقعة في إطار بناء حاضر على الأقل بعنصرين أو أكثر، تربطها علاقة ما بطريقة أو بأخرى، فتكون الإحاطة بالدلالة وإدراك المعنى منوط بدخول سيم ما ممثل لوحدة معنوية صغرى في علاقة مع سيم مخالف له ضمن نظام بنية دلالية كلية، فيستدعيه ويدخل معه في بنية سيم أوسع معنويًا وأشمل دلاليًا منهما.

(1) - رشيد بن مالك ، مقدمة في السيميائية السردية، المرجع السابق، ص: 10.

(2) - المرجع نفسه، ص: 10

وليس بعيداً على أي تصور نقدي أن غريماس قد استنتج من هذا المبدأ اللساني أهم قاعدة إجرائية منطقية في التحليل السيميائي السردية في مستواها العميق ألا وهي " آلية المربع السيميائي" المرتكز على التباينات والاختلافات المفترض وقوعها بين سيم نووي مستقطب من النص.

(3) تحديد مفهوم القيمة:

يعود مفهوم القيمة إلى اللغوي فردناند دي سوسير الذي أدرجه عند حديثه عن القيمة اللسانية ضمن أساسيات الدرس اللساني العام. ويعد مفهوم القيمة (Valeur) من المفاهيم الأساسية، استثمرته الحقول العلمية والنظريات الاجتماعية والاقتصادية والدراسات اللغوية والتصورات الجمالي والفكرية، لا سيما منها السيميائية السردية، حيث يكتسي هذا المفهوم أهمية كبيرة عندها، باحتلاله موقعا هاما داخل المسار التوليدي برمته، وبصفته اقتصادا عاما منظما للنظرية.⁽¹⁾

ولا يمكن الوقوف على ضبط دقيق لمفهوم القيمة السيميائي الوارد في كتاب غريماس " في المعنى" إلا بعد استحضار أصوله الدلالية من البحوث اللسانية، التي أضفت المشروعية العلمية لهذه المفاهيم وللمنهج السيميائي ككل، والقيمة - حتى وإن كانت خارج اللغة- في مفهومها اللساني عند دي سوسير تخضع لمبدأ المفارقة والتناقض، القائم على عاملين هامين لتواجدها، هما⁽²⁾:

* التباين: شيء مختلف يمكن استبداله بالشيء الذي نريد تحديد قيمته.

* المقارنة: شيء مشابه يمكن مقارنته بالشيء الذي نريد تحديد قيمته.

فمن الضروري الاعتماد واللجوء إلى هذين العاملين إذا أردنا تحديد قيمة شيء ما؛ فمثلا- والتمثيل لدي سوسير- لتحديد قيمة قطعة نقدية ذات خمسة فرنكات، وجب⁽³⁾ أما:
- تبديلها بكمية محدودة ثابتة من شيء يختلف ويتباين عنها، كالخبر أو فاكهة مثلا.

(1) - عبد المجيد نوسي، نظام القيمة في السيميوطيقا السردية، الموقع الإلكتروني لوزارة الثقافة المغربية:

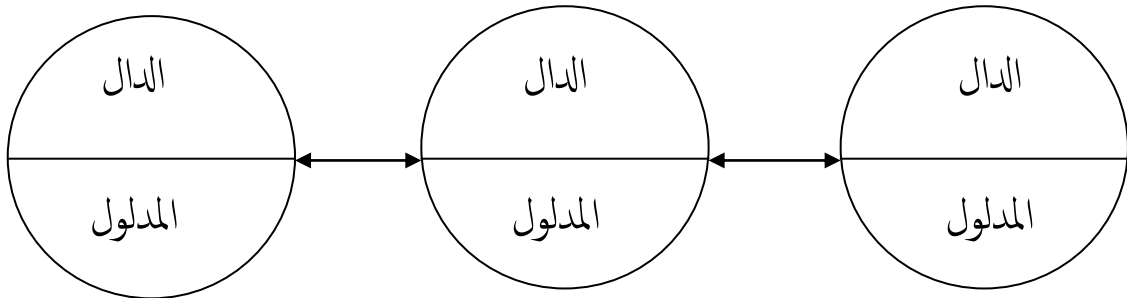
[/ http://www.minculture.gov.ma/index.php](http://www.minculture.gov.ma/index.php)

(2) - فردناند دي سوسير، علم اللغة العام، المرجع السابق، ص: 134.

(3) - المرجع نفسه، ص: 134.

- مقارنتها بمثيلتها من العملات النقدية الأخرى، المماثلة لقيمتها نقدًا كدولار أو غيره أو مقارنتها بقيمة مشابهة لها في النظام نفسه، كقطعة ذات الفرنك الواحد.

والأمر ذاته في اللغة، فتحديد قيمة الكلمة تباينًا يكون مثلًا بالفكرة و مقارنة يكون بكلمة من نفس طبيعتها. وما دامت الكلمة قابلة للتبديل بهذا اللفظ أو المفهوم أو ذلك، وأنها تملك هذه الدلالة أو تلك، فإن قيمتها لا تتحدد سلفًا.⁽¹⁾ بل في السياق الواردة فيه، كما هو واضح في خطاطة دي سوسير أدناه، المبينة أن اللغة نظام من العناصر المعتمد بعضها على بعض، تنتج قيمة كل عنصر من وجود العناصر الأخرى في وقت واحد⁽²⁾:



بتعبير آخر، يعتبر دي سوسير اللسان نسقًا من القيم الخالصة، عناصر هذا النسق متلازمة ومتضامنة، وأن قيمة كل عنصر تنتج عن الحضور الموازي للعناصر الأخرى، لذلك فإن قيمة كل عنصر لا تتحدد إلا في علاقتها الاختلافية مع العناصر الأخرى، وهي تطرح بهذا مسألة المعنى الذي لا يتحقق سوى من خلال العلاقات الاختلافية.⁽³⁾ وهذا ما تستعيره السيميائية السردية بالاعتماد على مبدأ الاختلاف في تحديد القيم عبر مستويات المسار السردى الضابط للتحليل السيميائي للسرد.

لا يأخذ اللفظ دلالاته و قيمته المعنوية في ذاته مسبقًا، قبل أن يكون في سياق أو نظام نسق يضمه، فما أنه قابل للتبديل أو المقارنة بما يساويه من لفظ سيكون له معنى

(1) - رشيد بن مالك، البنية السردية، في النظرية السيميائية، المرجع السابق، ص: 17-18.

(2) - فردينان دي سوسير، علم اللغة العام، المرجع السابق، ص: 134.

(3) - عبد المجيد نوسي، نظام القيمة في السيميوطيقا السردية، الموقع الإلكتروني لوزارة الثقافة المغربية:

[/ http://www.minculture.gov.ma/index.php](http://www.minculture.gov.ma/index.php)

أو معانٍ مجاورة لذلك اللفظ، وسيط التغيير، من ثم قيمته ليست مرهونة في وجوده منفرداً معزولاً عن سياقه، بل عند دخوله في عملية النسيج السياقي للخطاب القائم على مبدأ المفارقة.

يشرح عبد المجيد نوسي كيف اتخذ مفهوم القيمة اللساني بعدا منطقيًا ودلاليًا في السيميائية السردية، ويتضح ذلك عند استثمار غريماس لهذا المفهوم في بلورة المفاهيم الأساسية للمربع السيميائي القائم على تحديد البنية الأولية بصفاتها مكونة من عنصرين تحكمهما العلاقة الاختلافية، وحضور أحدهما يستدعي الآخر ضرورة؛ مما يعني أن عنصرًا واحدًا لا يمكن أن يحمل معنى في ذاته، بل في علاقته ذات الطبيعة المزدوجة (الاتصالية والانفصالية) مع غيره، فتشكل العلاقة شرطًا أساسيًا لحضور المعنى. ويكون تمييط هذه العلاقة على مستويين⁽¹⁾:

- لإمكانية استيعاب العنصرين في كليتهما، يجب أن يكون بينهما قاسم مشترك هو علاقة الاتصال.

- للتمييز بينهما، يجب أن يكونا مختلفين، وهو ما تمثله علاقة الاختلاف وعلى مستوى أعم علاقة الانفصال.

مثل: (إنساني / حيواني)، (طبيعي / ثقافي)، (مؤنت / مذكر)؛ فالمعنى أي عنصر من عناصر هذه الثنائيات لا يدرك على مستواه المفرد، بقدر ما نلمس دلالة بنيته من منظور اختلافي، يقيمه نسق الخطاب أو السياق المصاغ فيه، فلا يمكن إدراك دلالة مقوم (إنساني طبيعي، مؤنت) إلا من خلال مخالفة دلالاته مع المقومات الأخرى داخل نفس البنية الدلالية (حيواني، ثقافي، مذكر)، فيظهر مفهوم القيمة عند غريماس ببعديه⁽²⁾:

- المنطقي: اعتمادا على العلاقات المنطقية التي تسم المربع السيميائي: التضاد، التناقض...

- الدلالي: الفضاءات التركيبية للمربع السيميائي، تستثمر دلاليًا اعتمادًا على المقومات السياقية.

(1) - عبد المجيد نوسي، نظام القيمة في السيميوطيقا السردية، الموقع الإلكتروني لوزارة الثقافة المغربية:

<http://www.minculture.gov.ma/index.php>

(2) - عبد المجيد نوسي، نظام القيمة في السيميوطيقا السردية، المرجع السابق، الموقع الإلكتروني لوزارة الثقافة المغربية:

<http://www.minculture.gov.ma/index.php>

ب- الأصول الشكلانية لنظرية السيميائية السردية:

بداية، جاءت الشكلانية الروسية كثورة للتغيير في نمط التفكير والكتابة، وتقديم أطروحات نقدية مزدوجة بين البنية اللغوية والجمالية، «ساعين إلى تقليص الهوة بين حقلها اللغوي و الجمالي، و معمقين الاهتمام بقراءة النص الأدبي من الداخل، جاعلين القيمة الجمالية الفنية مستقلة عن المعنى.»⁽¹⁾ وقد أطلق اسم الشكلانية من طرف خصوم الحركة، كصفة ذم ملصقة بهم، « واحتقارا للمسار الذي اتخذته جملة من النقاد ركزوا في دراستهم للأعمال الأدبية بشكل عام على الجانب الشكلي والتركيب البنائي الداخلي»⁽²⁾، لكن بعد ذلك تقبلوهم كشكل من أشكال التحدي و المواجهة.⁽³⁾

جعلت الشكلانية الآثار الأدبية نفسها محور دراستهم و اهتمامهم النقدي أسقطت ما عداها من مرجعيات، تتصل بحياة المؤلف و سيرته و بيئته، « وسعوا إلى خلق علم أدبي مستقل، انطلاقا من الخصائص الجوهرية للأدب»⁽⁴⁾، ألحوا من خلاله على استقلال علم الأدب عن باقي العلوم الأخرى، خاصة النقد الاجتماعي ببعده الإيديولوجي المسيطر وقتها على الأدب الروسي، والذي أبعدته عن خصوصيته، موجها إياه إلى البحث في الاتجاه الواقعي بكل أنواعه؛ التسجيلي الاشتراكي... وصولا إلى البعد الإيديولوجي.

بيد أن عمل الشكلانيين على شكل الأدب المتمركز في لغة الإبداعات والكتابات الفنية سجن النقد الأدبي في بوظقة ضيقة من الدراسة، وجعل الأدب يجتجح مبتور المعنى ففقدت الدراسات النقدية أوجها وعطاءها التأويلي والتحليلي، مما جعل السيميائية والسيميائية السردية منعرجا هاما في دراسة النصوص، جاءت حلا ناجعا لكل الصعوبات وما استعصى على الشكلانية ومن بعدها البنيوية من إشكالات نظرية وتطبيقية، انفلتت بمفاهيمها ومصطلحاتها من عقل الدراسات اللسانية والشكلانية وبالأخص البنيوية، فكان شغلها

(1) - شفيق الباقي، نظرية الأدب، نقلا عن: بسام قطوس، مدخل إلى مناهج النقد المعاصر، دار الوفاء، الإسكندرية، مصر، ط 01 2006، ص: 77.

(2) - بشير تاويريريت، محاضرات في مناهج النقد الادبي المعاصر، دار الفجر، قسنطينة، الجزائر، ط1، 2006، ص: 33.

(3) - جان لوي كابانس ترجمة فهد عكام، النقد الأدبي والعلوم الإنسانية، دار الفكر دوريا، ط01، 1982، ص، ص: 90.

(4) - بسام قطوس، مدخل إلى مناهج النقد المعاصر، المرجع السابق، ص: 76.

الشغل التركيز على قضايا المعنى، وإمالة اللثام والكشف عن المعنى ودلالة النص الكلية⁽¹⁾، عبر هذا المشروع الصارم القائم على المنطقية في العمل.

يرى بن مالك عند رصد الأصول العلمية للبحث السيميائي حتمية النظر في الإطار التنظيري العام لأعمال هؤلاء الشكلانيين الروس، والممتد ما بين 1915-1930، حيث أن المبدأ الأساسي الواسم لهم قائم على معارضتهم النظرة التقليدية والمناهج الكلاسيكية « أرادوا أن يجعلوا النقد الأدبي بعيداً عن ميدان العلوم الإنسانية الأخرى، التي كانت تحتكر البحث فيه وخاصة علم الاجتماع و علم النفس.»⁽²⁾ واعتبروا في دراستهم أن الأدب مجموعة شكلية قائم على قوانين وأسس خاصة، يتم التركيز على العناصر النصية والعلاقات المتبادلة فيما بينها، وعلى الوظيفة التي تؤديها في سائر النص.⁽³⁾

تعامل الشكلانيون الروس مع نصوص الشعراء المستقبلين على أساس أنها فحرت الشكل الفني، وأحدثت فيه التجديد، فبحثت في لغتهم عن لغة فنية جديدة، و« دعت إلى لغة ما وراء العقل في التركيب الشعري، ولم يكن الشكلانيون يهتمون بمدلولات الشعر المستقبلي، وإنما بالطريقة التي يقولون بها الشعر.»⁽⁴⁾ فتعدى هدفهم إسقاط الدراسات السياقية، إلى خلق استقلالية للنقد الأدبي عن العلوم الإنسانية وتوجيه النقد إلى النص مباشرة دون النظر إلى غيره.

بذلك اعتبر النص مادة منتظمة معزولا عن السياقات الخارجية، نخص السياق التاريخي، وهو مبنى مستقل تام الاستقلال عن أي مرجع وأي توقع للقارئ والمؤلف على حد سواء، « فالأدب بوصفه نظاماً متجانس العناصر لا يعكس التعبير المباشر عن الكاتب، ولا يشكل في جميع الحالات إسقاطاً لتجربته السيكولوجية.»⁽⁵⁾ فجاء عمل الشكلانيين على تحليل الظاهرة الأدبية المتمثلة في كينوتها النصية، بوصفها بنية مستقلة

(1) - سعيد بنكراد، السيميائيات السردية، دار الحوار، اللاذقية، سوريا، ط01، 2012، ص: 35، 55.

(2) - حميد لحداني، بنية النص السردية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط3، 2000، ص: 11.

(3) - رشيد بن مالك، مقدمة في السيميائية السردية، المرجع السابق، ص: 29.

(4) - عمر محمد الطالب، مناهج الدراسات الحديثة، دار اليسر، المغرب، ط01، 1988، ص: 195.

(5) - رشيد بن مالك، مقدمة في السيميائية السردية، المرجع السابق، ص: 29.

وجوهر التحليل يكمن في الكلمات وليس في الأفكار، فلا المعنى أو المضمون أو المؤثرات الخارجية التي تمنح للأدب هويته، إنما الصياغة وطريقة التركيب، ودور اللغة فيه هو ما جعل من الأدب أدبًا، الأمر الذي قادهم إلى المناداة بـ"أدبية الأدب".

أن النص الأدبي عند الشكلايين يميز بشكله، فبحثوا في آلياته وتقنياته، بغية الوصول إلى تحديد الأدبية، فأهملوا « نظريات علم الجمال، وكل العلوم التي كانت دعامة للقراءات السياقية، مثل علم النفس و علم الاجتماع... الخ، مثلها أيضا كمثل اللسانيات العامة التي طردت من حقلها هذه العلوم وانتزعت منها موضوعها الخاص. »⁽¹⁾

وضمن هذه الرؤية النظرية والمنهجية العامة لأشكال الأدب درس فلاديمير بروب^(*) الحكاية بعمق بحكم انتمائه لهذه المدرسة، ويعتبر كتابة الموسم مورفولوجية الحكاية *morphologie du conte* من الكتب الحاسمة في تطوير الدراسات البنيوية السيميائية والنموذج الأكبر نضجًا في بحوث الشكلايين⁽²⁾، تمكن خلاله من استخراج بنية ثابتة للحكاية الشعبية، عند دراسته ما يناهز المائة حكاية شعبية روسية، دراسة اعتمدت النظرة الهيكلية الوصفية، حيث « الحكاية هيكل، بنية مركبة، معقدة، يمكن تفكيكها واستنباط العلاقات التي تربط بين مختلف وظائفها في مسار قصصي معين. »⁽³⁾ يقول الدكتور بوطاجين: « عندما نعود إلى الوراء نواجه نظريات الشكلايين الروس، وأول كتاب نتذكره دون أي عناء هو مورفولوجيا الحكاية الشعبية لفلاديمير بروب، أول من شكلن القصة

(1) - أحمد يوسف، القراءة النسقية، المرجع السابق، ص: 94.

* - وضح بن مالك ميل بروب للبنيوية، واعتبار نفسه بنيويًا مستقلًا عن تأثيرات الجماعة الشكلائية، وهذا لعدة مسوغات منها:
- غيابه عن تأسيس حلقة اللسانيات بموسكو 1915، ومجمع دراسات الكلام الشعري opiaz - لبيتر سبورغ 1916. وهما من أهم النشاطات الشكلائية الروسية.

- عدم رضاه عن تسمية الشكلائية - ويظهر ذلك في المسجالة التي كانت بينه وبين لفي شتراوس.
وإن اعتبر بروب نفسه مستقلًا عن الشكلائية، فإنه تبني العديد من المبادئ العامة لموافقة وفكر الشكلائية، أهمها « الفصل بين الموضوع والمنهج. » أنظر: رشيد بن مالك، مقدمة في السيميائية السردية، المرجع السابق، ص: 29.

(2) - المرجع نفسه، ص: 29.

(3) - سمير مرزوقي وجميل شاكر، مدخل إلى نظرية القصة تحليلًا وتطبيقًا، دار الشؤون الثقافية العامة "آفاق عربية"، بغداد العراق، (د ط) 1986، ص: 19.

واعتبرها مجرد وظائف تظهر وتختفي بحسب خصوصية النص.⁽¹⁾ بذلك أعطى بروب ومن بعده دراسات عن المحكي، استفاد غريماس منها، ليضع نظرية العامل من مفاهيمها ومقولاتها المنطقية، وتصبح إجراءً تأويلياً تابعاً للمستوى السطحي في المنهج السيميائي السردية. وبالعودة إلى مشروع بروب في الحكاية الشعبية نجده توصل من خلاله إلى ضبط عدد محدود من الوظائف التي تحوي عليها القصة العجيبة، وهي واحدة وثلاثين وظيفة متحركة في الحكايات الشعبية خاضعة إلى نظام ثابت، تتاليها في أي الحكاية نفسه على الدوام، مع عدم لزوم ورودها جميعاً في الحكاية الواحدة؛ يقول بروب « وفي معظم الحالات ستم تسمية الوظيفة باسم يعبر عن الفعل (الخطر - الاستجواب - والهروب) ومن ثم فإنه لا يمكن للفعل أن يتحدد خارج موقعه في مجرى المقصوص *récit*، فلا بد من الاهتمام بما للوظيفة من دلالة في سير الحكمة.⁽²⁾ وعليه يعرف بروب الوظيفة على أنها « ما تقوم به الشخصية من فعلٍ محددٍ من منظور دلالاته في سير الحكمة.⁽³⁾ تقوم على مبدئين أساسيين هما⁽⁴⁾:

- الوظائف هي الإجراءات المكونة الأساسية للقصة؛ أي توجب فهم الفعل في سياقه السردية المتواجد فيه ومسرى الحكاية المنتمي إليها، فالفعل أو الحدث عند اعتباره وظيفة ما فذلك يعني أنه رهين سلسلة من الأحداث أو الأفعال السابقة له واللاحقة به الناتجة عنه⁽⁵⁾، وعليه دلالة أي وظيفة مستمدة من تطور ونمو الحكمة.

- أن العناصر الثابتة الدالة في القصة هي وظائف الشخصيات أي كانت هذه الشخصيات وأيا كانت الطريقة التي تؤدي بها هذه الوظائف؛ أي ينظر للوظيفة انطلاقاً من الفعل في حد ذاته، بغض النظر عن الشخصية التي تؤديه.

-
- (1) - السعيد بوطاجين، إشغال العاملي - دراسة سيميائية - منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2000، ص: 14.
- (2) - فلاديمير بروب، مورفولوجيا القصة، تر: عبد الكريم حسن، سميرة بن عمو، دار شرع، دمشق، سوريا، ط1، 1996 ص: 38.
- (3) - المرجع نفسه، ص: 38.
- (4) - المرجع نفسه، ص: 38.
- (5) - سمير مرزوقي وجميل شاكور، مدخل إلى نظرية القصة تحليلاً وتطبيقاً، المرجع السابق، ص: 20.

يضيف الناقد بن مالك أن تحليل بروب للحكاية الشعبية مبني على وصف أجزائها وعلاقة هذه الأجزاء ببعضها البعض ثم بالكل، حاصرًا قوة النموذج الوظيفي لبروب في أمرين هامين هما⁽¹⁾:

- مرونة وقابلية تطبيقه على أي نص سردي؛ وهي قوة إجرائية.
 - القدرة على إبراز مبدأ الاختلاف طوال سير الخط السردي؛ وهي قوة منهجية.
- وعليه يكون بإجماع النقاد المغاربة النموذج الوظيفي لبروب المرجعية الأساسية للنموذج العملي لغريماس، « مشروطًا بطبيعة العلاقات التي تقوم بها الشخصيات والوظائف المسندة إليها في صلب القصة »⁽²⁾، حيث اختصر غريماس وظيفة الشخصية ودورها في إجراء العامل، فأورد للقصة ستة عوامل موزعة في نموذج سنأتي على تحليله لاحقًا.
- يوضح الناقد أن بروب قد أشار عند عرضه للوظائف إلى موضوع الرغبة⁽³⁾ وهذا عند حديثه عن الافتقار manque والانتقال إلى هناك (...)، الذي من خلاله يتمكن البطل من استرجاع موضوعه المفقود. وموضوع الرغبة عند بروب يساوي موضوع القيمة عند غريماس؛ حيث الذات ترغب في موضوعها، فتسعى وفق برنامجها وخطاتها السرديين من أجل تحقيقه وكسبه.

يتمثل موضوع الرغبة عند بروب في إصلاح الافتقار، إذ كل الوظائف ملتحمة شديدة الوثاق والالتحام، تستقطبها غاية واحدة هي إصلاح الافتقار الحاصل بداية الحكاية الشعبية في الوضع الأصلي، ويحدث الافتقار بعد العنصر التركيبي الذي تبدأ به الحكاية، والمتمثل في وضع السعادة والتوازن، وحين تحل الانتكاسة في هذا الوضع تظهر وظيفة الافتقار كوظيفة ضرورية في كل الحكايات الشعبية العجيبة، والتي هي حيك للعقدة⁽⁴⁾.

يوضح رشيد بن مالك اعتراض غريماس لطرح بروب في شأن هذه المسألة فبالرغم من أهمية ما جاء به بروب من منظور وإجراءات تحليلية؛ والتي صارت بتطورها إجراءات كشفية

(1) - رشيد بن مالك ، مقدمة في السيميائية السردية، المرجع السابق ، ص: 30.

(2) - رشيد بن مالك ، مقدمة في السيميائية السردية، المرجع السابق ، ص: 30.

(3) - المرجع نفسه، ص: 30.

(4) - سمير مرزوقي وجميل شاكر، مدخل إلى نظرية القصة تحليلًا وتطبيقًا، المرجع السابق، ص، ص: 21، 30.

للتحليل السيميائي، قد أهمل الشروط المحققة لوجود الموضوع، مما يوحي إلى فكرة صهر القيمة في الموضوع مباشرة، بذكر الأخير تتحدد القيمة فيه دون تحديدها فرأى غريماس أنه يستحيل فهم الموضوع بقطع النظر عن القيمة المستثمرة فيه.⁽¹⁾ من هنا لا بد من تحديد القيمة في الموضوع المرغوب، ليصبح موضوع قيمة تدور حوله كل الإجراءات التحليلية في السيميائية السردية، خاصة في مستوى تحليلها السطحي (البين بين).

من بين من أستغل مصطلح الوظيفة قبل غريماس تنيير، « ويجوله إلى عامل... مع مجيء غريماس شهدت نظرية العامل عدولا آخر دون أن تتخلص من تأثيرات بروب وتنيير.»⁽²⁾ فقلص العوامل إلى حدها الأدنى، وضبطها بشكل مؤسس معرفيا وبنائيا محتفظا بستة عوامل.⁽³⁾ وأكثر النقاد المغاربة الذين وضخوا الخلفيات المؤسسة لنظرية العامل عند غريماس المغربي سعيد بنكراد، وقد ضبط هذه الخلفيات المعرفية في ثلاث دراسات، بنى غريماس نموذجها عليها⁽⁴⁾، هي:

مورفولوجية الحكاية: دراسة للمحكي الشعبي: فلادمير بروب.

النموذج النحوي: دراسة للعوامل: لوسيان تنيير.

النموذج الدرامي: دراسة النصوص المسرحية: لإتيان سوريو.

(1) مورفولوجية الحكاية لبروب:

وضحنا أعلاه أن بروب حدد واحداً وثلاثين وظيفة للحكاية الشعبية، تقوم بها سبع شخصيات محددة بدورها، وهذه الوظائف التي ترد في المحكي بمنطقها الخاص ليس شرطاً أن تكون جميعها فيه، نضيف إلى جانب ذلك إن كل شخصية تتحدد عبر دائرة من الأفعال التي تعين لها انطلاقها، وولوجها في المحكي منذ ظهورها إلى غاية الوصول إلى النهاية، من هنا فإن غريماس-بترجمة سعيد بنكراد- اعتبر أنه « إذا كان بإمكاننا تحديد الوظائف 1 و 2 و 3 كعناصر مكونة لدائرة فعل العامل (ع1)، فإن ثبات هذه الدائرة من حكاية إلى أخرى

(1) - رشيد بن مالك ، مقدمة في السيميائية السردية، المرجع السابق، ص- ص: 30-31.

(2) - السعيد بوطاجين، إشغال العملي-دراسة سيميائية-، المرجع السابق، ص: 14.

(3) - المرجع نفسه ، ص: 14.

(4) - سعيد بنكراد، السيميائيات السردية، المرجع السابق، ص: 88.

هو ما يبيح لنا النظر إلى الممثلين م1، م2، م3 باعتبارهم متغيرات متنوعة لعامل واحد محدد من خلال دائرة فعل ما⁽¹⁾ فعند معاينة الظهور المتغير لجملة الممثلين إزاء وجود عناصر ثابتة، تشكل قوالب لأفعال متحوّلة، ضمن دائرة فعل معينة، تكون بين هذه الأفعال الثابتة التي تسمى بالعوامل علاقات بمجموع الممثلين الذين في تأليفهم تجسد حكاية خاصة، وهذه العلاقات الرابطة تكون بين عناصر نموذجية، مشكلة عوامل يملكون في علاقتهم بالممثلين وضعًا ميتا- لغويًا، ويفترضون تبعًا لذلك، تحليلًا وظيفيًا أي تأسيس دوائر للفعل⁽²⁾، يحددها بروب في سبعة الدوائر^(*) هي⁽³⁾:

1- دائرة فعل المعتدي.

2- دائرة فعل الواهب.

3- دوائر فعل المساعد.

4- دائرة فعل الأميرة.

5- دائرة فعل الموكل.

6- دائرة فعل البطل.

7- دائرة فعل البطل المزيف.

من هنا كان مثلًا ارتباط ظهور الشخصية (الواهب) بدائرة الفعل والوظائف التي منحت له، فكانت هذه الدوائر بما تحمله من أفعال تحويلية أو وصفية عند غريماس عوامل ثابتة في كل محكي، تضمن عمل فعل الفاعل أو القائم بالدور تبعًا للفعل المسند.

يعد عمل غريماس على مشروع بروب نقطة هامة في بناء نظريته السيميائية السردية ونموذجه العملي، وكل ما جاء به من تعديل، وتبسيط، واختزال للنموذج الوظيفي البروبري

(1) -Algirdas Julien Greimas, Semantique Structurale, Op cit, P :174-175.

(2)– Ibid. p.175

*- يترجم عبد الكريم حسن وسيميرة بن عمو دوائر الفعل بحقل العمل (حقل عمل المعتدي، حقل عمل الماخذ، حقل عمل المساعد حقل عمل الأميرة، حقل عمل الطالب، حقل عمل البطل، حقل عمل البطل المزيف)
(3) - فلاديمير بروب، مورفولوجية القصة، المرجع السابق، ص- ص: 97- 98.

نختزلها في هذه النقاط التي رصدها علي سحنين⁽¹⁾ :

- الملفوظ السردية بدل من الوظيفة.
 - العامل بدل من الشخصية.
 - البنية العميقة والسطحية بدل السطحية.
 - الترسمة العاملة وخطاطتها السردية بدل من تتابع الوظائف أو المتتالية.
- استفاد غريماس الصفة التجريدية من آليات اشتغال الحكاية عند بروب على مستوى بنيتها السردية، فقد كانت دراسة بروب بالغة التجريد؛ مما لم يسمح له بالغوص في المكونات الخطائية والبنات الدلالية للحكاية التي تمنح النص كونه الخاص، والتي يمكن توليدها من النص السردية ذاته. كما أهمل الحديث عن طبيعة نموذج الوظيفة والعلاقات الرابطة بين مجمل عناصره المكونة له.⁽²⁾

(2) نموذج سوريو:

ظهرت دراسة العوامل عند إتيان سوريو E.Souriau، في كتابه (مائتا ألف موقف درامي)، وجاءت بعد دراسة فلاديمير بروب للوظائف ودوائر الفعل، خص بها النص المسرحي والدراما، وعمل سوريو على النص السردية المسرحي، أنتج نموذجًا عامليًا مكثفًا، يلخص مجموع التطورات والتحويلات التي يزخر بها النص المسرحي⁽³⁾ حيث اختزل فيه الوضعيات التي أسند لها سيرورة الحدث والتغيرات الحاصلة في المسرحية، من خلال منطق سيميائي فلكي⁽⁴⁾، وتمثل العوامل الدرامية عند سوريو في هذه المفاهيم الفلكية:⁽⁵⁾

1- الأسد: القوة الثمينة الموجهة.

(1) - سحنين علي، السيميائيات السردية نظرية غريماس الأصول العلمية والمرجعيات الفكرية، مجلة أيقونات، رابطة البحوث

السيميائية " سيميا"، الجزائر، العدد03، 2012، ص-ص: 50-51.

(2) - سعيد بنكراد، مدخل إلى السيميائية السردية، المرجع السابق، ص: 44.

(3) - المرجع نفسه، ص: 45.

(4) - جميل المحمداوي، فلاديمير بروب ومورفولوجية الحكاية العجيبة، المرجع السابق، الموقع الإلكتروني:

<http://www.almothaqaf.com/b1a-8/882791>

(5) - Algirdas .Julien .Greimas, Sémantique structurale, recherche de méthode, Op cit , P : 176.

- 2- الشمس: ممثل الخير.
 - 3- الأرض: المستفيد المحتمل من هذا الخير.
 - 4- المريخ: الحكم واهب الخير.
 - 5- الميزان: لتمثيل الحكم الذي يهب الخير.
 - 6- القمر: الهجوم الجديد، مضاعفة إحدى القدرات السابق.
- هي إذن عناصر متكررة حسب الأفعال التي ثبت وجودها في أي محكي، وعلى أساسها استطاع هذا النموذج أن يطبق على نصوص مختلفة غير النص المسرحي، والتي حملت نفس النتائج التي تمكن الناقد من تجليتها من الحكايات الشعبية (المسرحية) والعائق في تصنيف هذا النموذج- حسب بنكراد-⁽¹⁾ «هو الاستثمار الدلالي الذي خضع له في مرحلة مبكرة من صياغته، أي في مستواه التجريدي (نلاحظ أن كل خانة معينة من خلال اسم يجيل على سلوك محدد معطى بشكل سابق والحال أن أي استثمار دلالي لا يتم إلا من خلال التحقق العيني للنصوص»⁽¹⁾ بمعنى أن أية خانة من الخانات التي أوردها سوريو في معطى نصي ما تحيل إلى معنى جاهز، عينه النموذج مسبقاً، ومنه أن الحضور الدلالي لأي عامل مستمد من هذا النموذج مسبق في النص قبل تطبيقه عليه ومنطق التحليل يفترض أن دلالات النصوص تتحقق بحضور النصوص وأثناء تحليله، ولا تسبقه.
- ومن تجريد بروب وتجريد سوريو بنى غريماس نموذجاً عاملياً كثر دقة وتجريداً من صاحبيه، وهذا جدول توضيحي صنف فيه عبد القادر شرشار الجرود الثلاثة للعوامل أو الفواعل السردية⁽²⁾:

(1) - سعيد بنكراد، مدخل إلى السيميائية السردية، المرجع السابق، ص: 45.

(2) - عبد القادر شرشار، تحليل الخطاب الأدبي وقضايا النص، اتحاد الكتاب العرب، سوريا، (د ط)، 2006، ص: 53.

تمنخصيات المسرح (سوريو)	الشخصيات الخرافية (بروب)	النموذج العاملي (غريماس)
القوة الموضوعاتية الموجهة	البطل	الذات
ممثل الخير، والقيمة الموجهة.	الشخص المرغوب فيه.	الموضوع
الحكم واهب الخير	أبو الشخص المرغوب فيه، المنتدب	المرسل
المتحصل المفترض على القيمة	البطل	المرسل إليه
المساعد	الواهب، المساعد	المساعد
الضديد	الخائن	الضديد

جدول المقارنة بين جرود العوامل (الفواعل)

يضيف الناقد الجزائري عبد القادر شرشار أنه وعلى الرغم من الهزات التي عرفها نموذج غريماس العاملي، والتي تسببت فيها التطبيقات اللاحقة لقواعد المربع السيميائي على كل عناصر النموذج، إلا أن الضوابط التي خضع لها التجريد النظري الجديد لنظرية غريماس أقنعت بصواب التعديلات التي أجراها على نموذجي: بروب وسوريو⁽¹⁾. خصوصاً عند انتقال بالنموذج من صورته التجريدية إلى صورته العملية الإجرائية باسناد تطبيقه إلى الخطاطة السردية التي بواسطتها نصل إلى جوهر وكنه الترسمة العملية.

(3) نموذج لوسيان تنيير:

يوضح بنكراد أن النحو البنيوي الذي جاء به تنيير قد كان دعامة فكرية لغريماس في بناء نموذجية العاملي، «وتتمثل استفادة غريماس من فكر تنيير... في التعريف الذي يعطيه هذا الأخير للملفوظ، فالملفوظ عنده فرجة دائمة يمكن تلخيصها في التوزيع التالي: هناك

(1) - عبد القادر شرشار، تحليل الخطاب الأدبي وقضايا النص، المرجع السابق، ص: 53.

فاعل، وهناك فعل وهناك مفعول به»⁽¹⁾، ميزة هذه الفرجة الثبات في الأدوار بمعنى حين معاينة أي عمل وجب إيجاد عناصر فاعلة تقوم بأدوار، حيث يحمل هذا الدور فعلاً يقع على ذات معينة، فيبنى الدور على فعل فاعل ومفعول به. بذلك فأى خطاب يحمل في بنائه البنية السردية، وقد تتغير مواضع الفعل ونوعه والذوات التي تقوم به، كما قد يتغير ويتنوع المفعول به، « لكن العضو الضامن لاستمرارية الملفوظ "الفرجة" هو هذا التوزيع بالذات»⁽²⁾ بالعودة إلى عمل تنيير في تحليل النصوص وبنية الملفوظ التي تعادل عنده بنية الفرجة، نجده يمتاز بالتحليل التبعي؛ أي ينطلق التحليل عنده من الفعل أولاً ثم يليه تحليل مكونات الجملة أو المركب الفعلي ثانياً، وثالثاً تحليل المركبات الأخرى من الأسماء والأوصاف والحروف والظروف والضمائر... والتي ترتبط بعلاقة مع الفعل، وبهذه السيورة يتدرج التحليل في مستويات متلاحقة، تجمع بين الجانب التركيبي بتنوع عناصره وصولاً إلى الجانب الدلالي الحامل للعلاقات النحوية.⁽³⁾ فيجاء تحليله مبنياً على مستويين: مستوى سطحي وآخر عميق، ومتدرج من البسيط إلى المعقد.

إن ثبات عناصر الجملة- بالمفهوم النحوي- أو الملفوظ والفرجة - بالمفهوم البنيوي والسيميائي- المتمثلة في الفعل والفاعل والمفعول به، ووجودها في أي ملفوظ، حمل غريماس على تعميمها على سائر الخطابات، وليس فقط على مستوى الجملة، إنما على مستوى النص بما أن الهيكل للعوامل ثابتة في أي خطاب، ولا يمكن أن تخرج عن هذه العوامل، أو إضافة عدد غيرها، كما لا يمكن « توسيع دائرة الإمساك التركيبي بالدلالة إلى ما هو أبعد من الجملة.»⁽⁴⁾، لأن أي بنية دلالية أولية أو صغيرة لا تحدد إلا عند تمثلها في شكل بنائي دائم بسيط، وهو الملفوظ أو الفرجة بتعبير تنيير.

(1) - سعيد بنكراد، السيميائيات السردية، المرجع السابق، ص- ص: 91- 92.

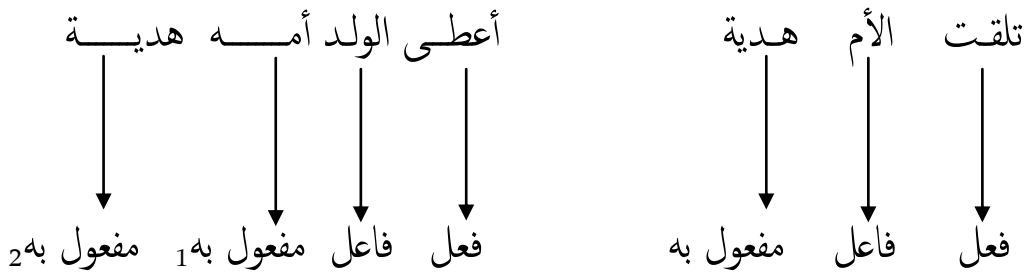
(2) - المرجع نفسه، ص: 92.

(3) - سعيد حسن بحيري، عناصر النظرية النحوية في كتاب سيويوه -محاولة لإعادة التشكيل في ضوء الاتجاه المعجمي الوظيفي- المكتبة الانجلو مصرية، القاهرة، ط 01، 1989، ص: 83.

(4) - سعيد بنكراد، مدخل إلى السيميائية السردية، المرجع السابق، ص: 46.

تحمل الجملة في تركيبها بنية دلالية مصغرة، وإن احتوت أكثر من فعل وفاعل ومفعول به، تتمظهر في حدود ملفوظ، سماه تنيير الفرجة، تظهر في حدود هيكلتها العاملة التركيبية الثابتة، من هنا تمكن غريماس بالخروج بتصوير للهيكل العاملة بمنظورها السيميائي السردية من خلال استثمار الفحص اللساني للجملة اللغوية، بعد أن أجرى عليه تعديلين، هما⁽¹⁾:

1- تقليص العوامل التركيبية ثم ردها إلى بنيتها الدلالية مثال:



تتكون الجملة التي قد تحوي ملفوظًا أو فرجة بسيطة من فاعل وفعل ومفعول به هي بنية دلالية بسيطة ومصغرة، غير أن الجملة قد تحوي تغييرًا في بعض العناصر التركيبية عند كل بناء، في حين عند النظر إلى بنيتها الدلالية تظل واحدة، مثلًا الأم في الحالتين مرسل إليه وإن تغير موضعها في البناء التركيبي للجملة؛ (مرة فاعلاً ومرة مفعول به).

2- تجميع كل الوظائف في متن خطابي ما، المشكلة لأي دور عاملي، ثم إسناده لذلك العامل المعني به حتى يأخذ حيزه الدلالي الخاص به. ومن مجموع العوامل الموجودة وما يجمع بينها من علاقات يكون تجلي الدلالة الكلية للنص على مستوى بنيتها السطحية. وعلى هذا الأساس « تصبح الجملة باعتبارها مسرحًا للفرجة، منطلقًا لتوليد بنية تركيبية كبيرة: بنية الخطاب السردية، باعتباره يتشكل من الجملة ويتجاوزها في الوقت ذاته.»⁽²⁾

من هذه النماذج الثلاثة وضح بنكراد بناء غريماس للترسيمة العاملة، حيث طرحت تلك النماذج في تصورهما العام، إمكانية حصر عناصر ثابتة يمكن حضورها في أي متن مثلت نماذج جاهزة ودائمة في النص سواء أحمل هذا النص صيغة تركيبية بسيطة أو معقدة

(1) - سعيد بنكراد، مدخل إلى السيميائية السردية، المرجع السابق، ص- ص: 46-47.

(2) - سعيد بنكراد، السيميائيات السردية، المرجع السابق، ص: 93.

أقرت صالحة تطبيقها من أضغر بنية وهي الجملة إلى أكبرها وهي الخطاب ككل. فجاء بناء غريماس الثابت مبني على ست عوامل تحكمها ثلاثة أزواج. وهو الشكل الذي سنصفه ونحلله في الآتي من البحث .

يجيل جميل حمداوي الترسمة العاملة إلى مورد فكري آخر تجسد في اللساني الأمريكي شارل فيلمور الذي تأثر به كريماص، إذ يمكن « أن يتحدد مفهوم العامل أيضا في علاقته بالتصور الذي أعطاه شارل فيلمور لنحو الحالات، وإذا لم تكن هناك إشارة واضحة عند كريماص في كتابه (علم الدلالة البنيوي) (1966)، فإنه يشير في المعجم مع كورتيس إلى أن مفهوم العامل يمكن أن يؤول في إطار نحو الحالات. على أن جون بتيتو (Jean Petitot) في معرض حديثه عن الإيستولوجيا الكريماصية، قد وقف عند نحو الحالات وبين تجلياته على مستوى النحو السردى عند كريماص.⁽¹⁾»

يبدأ عمل شارل فيلمور في تحليله للجملة من اعتباره أن كل الفعل في الجملة تلتصق به حالات عميقة محاثة له، مما جعله يطلب الفاعلية أو المفعولية أو المكانية...إلخ. وهذه الحالات سماها فيلمور بالأدوار الدلالية.⁽²⁾ فيرمي شارل فيلمور من إلحاق الأفعال بأطر من الحالات ليبين أنها هي الضامنة لتلك الأفعال القدر من المعلومات والأبعاد الدلالية والمقتضيات المعنوية، ومنها نفوس في تحليل كل التركيبات الجمالية من عناصرها السطحية إلى محتواها الدلالي الكامن في المستوى العميق.

يحدد جميل حمداوي المحتوى المفهومي لتصور فيلمور الأساسي القائم على وجود لائحة متناهية من الكلليات الحالية أو حالات عميقة، في⁽³⁾:

(1) - جميل حمداوي، فلاديمير بروب ومورفولوجية الحكاية العجيبة، المرجع السابق، الموقع الإلكتروني:

<http://www.almothaqaf.com/b1a-8/882791>

(2) - عبد الرزاق السومري، الجملة في النظرية التوليدية - قراءة في أعمال نوا تشومسكي من النحو التوليدي إلى البرنامج الأدني، الموقع الإلكتروني:

<http://www.academia.edu/31100941>

(3) - جميل حمداوي، فلاديمير بروب ومورفولوجية الحكاية العجيبة، المرجع السابق، الموقع الإلكتروني:

<http://www.almothaqaf.com/b1a-8/882791>

- 1-الفاعل ، حالة الفاعل L'agent: فاعل الفعل (+حي) الذي يصفه الفعل اللغوي.
 - 2-الهدف Datif: حالة الكائن المتميز بمقوم:)+ حي (الخاضع لتأثير حالة أو الفعل الذي يصفه الفعل.
 - 3-الأدائية L'instrumental : حالة القوة أو الموضوع(- حي) والمتدخلين سببيا في الفعل أو الحالة.
 - 4-المحلي Le local : الحالة التي تميز المكان أو التوجه المكاني للحالة أو الفعل.
 - 5-المحايد L'objectif: الحالة الأكثر حيادًا دلاليًا، حالة العوامل التي يحدد دورها الموصوف بواسطة الفعل انطلاقًا من التأويل الدلالي للفعل نفسه.
- كل هذه النماذج السابقة الذكر تثبت استثمار غريماس لفكر اللسانيين بالخصوص وفهم مركزية عملهم على النواة الأساسية الجملة المشككة لجملة الخطاب، واستقطاب العوامل الثابتة الموصلة للعلاقات بين عناصر هذه العوامل، يمكن بها التحول إلى الدلالة في المستوى العميق للخطاب.

3.3 السمات النقدية في السيميائية السردية .

توصلنا الإطلالة السابقة على المرجعيات الفكرية للمنهج السيميائي الغريماسي، إلى استنباط أهم الميزات النقدية لهذه النظرية، والتي يمكننا تحديدها من أهم الدراسات المغاربة السيميائية، خاصة تلك التي عادت في تحديدها للمرجعيات المختلفة لهذه النظرية وكذا تلك التي وقفت على أهم مقولات غريماس السيميائية، المشككة لمنهجه النقدي والمميزة له. وأهم هذه السمات، الآتي:

أ- الشمولية والتوسع :

إن الإرث المعرفي الذي مثل أرضية فكرية لغريماس - ومن عمل عمله-، أهله إلى بناء مشروع دراسي للنصوص السردية أو أي نوع من الخطابات الإنسانية، وأن يكون نظرية ومنهجًا للتحليل والقراءة، و« لعل ما أعطى صفة النظرية لسيميائية غريماس هو هذا الإثراء الذي تميز به مشروعه العلمي عبر التلاحق الذي ميزه، وأهله لأن يكون أشمل نظرية لتحليل

الخطاب والإنساني»⁽¹⁾، وأن شمولية هذه النظرية جعلتها صالحة للتطبيق على أي نوع من الخطابات المنتجة وأي ملفوظ إنساني، وليس حكراً على الحكيم والسرد دون سواه. فسيميائية غريماس «تطمح في ذلك إلى الكلية والشمولية من خلال البحث فيالثوابت التي تشكل الدلالة وتبنيها وبذلك فهي نقل للمعلومة اللغوية من المستوى البسيط إلى مستواها المركب كعلامة نصية»⁽²⁾

وإن تواجد هذه المقولات والمرجعيات في صميم النظرية السيميائية لم يكن وجود تكرار فقط، أو أخذ واجترار لما هو كائن، إنه الاستثارة والتجاوز لا الذوبان والتبعية فقد أثمر إلى حد طرح آليات فعالة لدراسة الخطاب الإنساني وإنتاج الدلالة، في استقلالية تجعل تلك الإرهاصات أرضية صلبة، موصلة إلى الخلق والإبداع الأدوات جديدة أشبه بالحفريات منقبة عن المعنى بصورة منطقية على أساس أن السيميائية السردية منهج لقراءة المعنى ودلالات الخطابات بصورة منطقية .

جعل سعي وتوجه السيميائية السردية، وجنوحها نحو الشمولية إجراءاتها التطبيقية ومقولاتها العلمية قابلة للانفتاح والتجدد، كما جعلها نظرية منفتحة في قراءة الدلالة ومعنى النص، تهدف إلى « إنشاء نظرية للدلالة، وليس نظرية تواصلية قصدية (فقط)، وإنما نظرية تتكفل بالألسن وباللغات كلها.»⁽³⁾ بدليل توسع مفاهيمها ومقولاتها لتشمل أهم مقولات ومفاهيم النظريات العلمية السابقة لها، والتي شهد لها بالتميز والقبول في المحافل الأدبية والنقدية؛ منها خاصة اللسانيات والسيميائيات بمختلف اتجاهاتها، والتيارات النصية قبلها؛ من أمثال: الشكلانية والبنوية... وغيرهما.

وتعد كتابات غريماس " علم الدلالة البنيوي " "القاموس المعقلن"، و" في المعنى 1 و2"، من أهم الدعائم المؤسسة لنظرية تدرس السرد، وكل خطاب يخضع للقابلية السردية

(1) - هدى التونسي، الكرامة الصوفية: مقارنة سيميائية- ضمن: من كرامات الصوفية- دراسات سيميائية- تنسيق: حسن مسكين دار جذور للنش، الرباط، المغرب، 2006، ص: 27.

(2) - عبد القادر شرشار، مدخل إلى السيميائيات السردية، المرجع السابق، ص: 27.

(3) - عبد القادر شرشار، مدخل إلى السيميائيات السردية، المرجع السابق، ص: 34.

تطرح نظرية قابلة للانفتاح والتوسع وقابلة للتطور والتجدد، خاصة مع تكثيف المدرسة الباريسية جهودها في هذا المجال.

يعيد غريب إسكندر شمولية المنهج واتساعه إلى سببين؛ الأول يخص العلم ذاته والثاني يختص بتعدد حقول السيمياء ومجالاتها، « فإذا كانت السيمياء هي النظرية العامة للعلامات، وكل فكرة إنما هي علامة، أدركنا اتساع النظرية السيميائية في شمولها لمختلف الحقول مثل: اللغة، الفن، الأدب، الطب، الاقتصاد...»⁽¹⁾

كما ترجع شمولية النظرية إلى مدى اهتمام السيميائيين السرديين على رأسهم غريماس بتطبيق آليات هذا المنهج على مختلف الخطابات الإنسانية من : قانون، إشهار صورة خطابات اجتماعية، رواية...، وهذا لغنى النظرية في أسسها المعرفية التي نبتت منها، لتحدد رؤية غريماس المنهجية لكل الأنساق الدالة، وتجلي مظاهر السردية فيها، فباكتشاف البني السردية المشكلة لمختلف النصوص والتي تعد قوامها الدلالي، تحولت قواعد تحليل الرواية إلى كل خطاب سردي أو غير سردي، من خلال إمكانية تطبيق القواعد السيميائية السردية على البنيات السردية، لأن اهتمام غريماس وكل من سرى مسراه لا ينصب على الطابع السردى للنص، بقدر ما يهتم بالسردية المتجلية في الخطابات التصويرية (رواية، قصة مسرحية...) وغيرها ذات المنحى التجريدي (مقال، تاريخ قانون...)⁽²⁾. وعليه يمكن إرجاع شمولية النظرية واتساعها إلى مقومين هامين:

1- الاتكاء على رؤى ومرجعيات فكرية مختلفة.

2- الاتكاء في تطبيق الإجراءات المنهجية على البنى السردية الحاضرة في جميع الخطابات الإنسانية، سواء في التحليل السطحي أو العميق.

ب- المرونة :

نقصد من هذه الميزة أن النظرية بدراستها تحليلها كل الأنساق الدالة، لغوية وغير لغوية، وكل أنظمة التواصل، أعطائها ذلك الطواعية في استعمال آليات النظرية مع جميع

(1) - غريب إسكندر، الاتجاه السيميائي في نقد الشعر العربي، المرجع السابق، ص: 09.

(2) - سعيد بنكراد، مدخل إلى السيميائية السردية، المرجع السابق، ص: 8.

الخطابات الإنسانية ومرونة تطبيقها، فهذه الشمولية والامحدودية في استيعاب الخطابات جعلها تنشط بإجراءاتها ومقولاتها نحو فتح آفاق جديدة، لمعالجة المعنى في النصوص المختلفة الأساليب والموضوعات والأجناس الكتابية.

ت- التكون تشكل:

يرى مارسيلو داسكال أن صورة السيميائيات حاليًا ما تزال طفولية؛ إذ لم تتحول إلى سيميائية واحدة موحدة جامعة لتجانس منهجي ومفهومي.⁽¹⁾ والحال نفسه يمكن قوله عن السيميائية السردية، إذ لم يكتمل نموها بعد، بل مازالت في طور التكون والتشكل لوجود جملة من النظريات لم تتوحد بعد تحت لواء معرفي متكامل يوضح حدودها المنهجية وآلياتها التحليلية، وما نستنتجه من كل ذلك هو أن السيميائية في عمومها باتجاهاتها المختلفة لم تكتسب بعد أركان العلم أو نظرية موحدة، فهي جملة من النظريات التي لا تكون صريحًا متكاملًا من المعرفة، وإن «ينظر المتحمسون للسيميائيات إليها باعتبارها "علم العلوم". لكن دارسين آخرين ينظرون إليها نظرة مخالفة. إذ عدها بارث علمًا غير كافٍ، وأكد تودوروف أنها مازالت في طور تأسيس أصولها المعرفية على أرضية ثابتة، وأنه -رغم كل ما بذل من مجهود- لا يمكن الحديث عن بناء علمي متكامل. بل إن السيميائيات تظل مجموعة من الاقتراحات أكثر منها كيانا معرفيا قائما على أساس متين.»⁽²⁾ وسبب ذلك يعيده تودوروف ودوكرو إلى أهمية اللسانيات في دراسة العلامة مما جعل الكثير من النقاد منهم تودوروف يدعون إلى فصل السيميائيات عن اللسانيات وربطها بالرمزية اللغوية .

ث- الموضوع: المعنى:

إن اعتماد السيميائية السردية على اللسانيات والشكلانية والبنوية غيرها من مناهج الشكل إعطائها بعدها البياني الشكلي، كما كان محتواها الدلالي ونماذجها المعنوية أيضا تبعا لكثير من الاتجاهات والبحوث النقدية منها الميثولوجيا وأعمال الفلكلوريين، فيصرح جون لوك كوكي أنه إذا كانت السيميائيات قد وجدت نماذجها الشكلية والبنائية في أعمال دي

(1) - مارسيلو داسكال، الاتجاهات السيميولوجية المعاصرة، المرجع السابق، ص - ص: 17 - 18.

(2) - فريد أمعضشو، -منهج غريماس، - المنهج السيميائي، الموقع الإلكتروني:

سويسر أو في أعمال حلقة براغ [النظام الصوتي] أو في أعمال يامسلاف " نظرية الكلام فإن الأنثروبولوجيين والفلكلوريين هم الذين قدموا لها أولى النماذج الدلالية.⁽¹⁾

تجاوزت بذلك السيميائية النظر في الوحدات المشكلة للأنظمة والنماذج، والتحليل المادي القائم على منظور الدراسات الشكلية بمختلف أنواعها، تجاوزه إلى مرحلة أكثر توغلاً في النص أو الخطاب، تعتمد على استكشاف جملة القواعد والقوانين الثابتة والثابتة التي بموجبها تتشكل الدلالة، وهو المنحى اللساني الصعب الخاص بالمدلول/ المعنى، فلقد أصبحت العلامة مع هؤلاء معتمًا، مع العلم أن المعنى كما يشمل العلامة الواحدة يشمل أكثر من علامة، فتتولد النصوص وتشتغل تظاهراتها النصية اللامتناهية العدد والمختلفة المستويات والأجناس⁽²⁾، بتلك آليات التحليل السيميائي المنطقية المشكلنة للمعنى، الأمر الذي يجعلنا نؤكد أن عمل السيميائية منوط باكتشاف الدلالة وتحليل النصوص وإنتاج المعنى، فتحددت السيميائية بوصفها لغة واصفة في علاقاتها بعالم المعنى باعتباره موضوع التحليلها وجوهر عملها. يعود الاهتمام بالأصول المعرفية للمعنى إلى ما جاء به الفولكلوريين وعلماء الأنثروبولوجيا، القائم على إعطاء قراءات متعددة للمعنى والدلالة، حيث تركز أعمال الأنثروبولوجيين على دراسة جميع النظم المادية والروحية في المجتمعات، فالجماعة الجماعية عندهم شأنها شأن اللغة⁽³⁾، فاشتغلوا على صياغة النماذج بهدف تحليل المراحل الأولية للثقافات البشرية، واكتشاف الصورة المشتركة بين شتى تظاهراتها الاجتماعية خاصة فهي حزم دلالية بها يرسم تاريخ الجملة العناصر والمركبات الحضارية المادية والمعنوية، ويتم إعادة تركيب تاريخ المجتمعات البالية⁽⁴⁾، وفي هذه الإعادة الاعتماد على أكثر من فرضية وأكثر من قراءة، وإن بناء المعنى لنص مجتمع يبقى معناه محتملاً من الفرضيات الممكنة، وعلى الأساس يلتقي المنهج السيميائي مع علم الفولكلوريين والأنثروبولوجيين، في عدم إقصاء أي تفسير أو مقارنة معنوية

(1) - نادية بوشفرة، مباحث في السيميائية السردية، دار الأمل، تيزي وزو، الجزائر، 2008، ص: 15.

(2) - جميل حمداوي، مناهج النقد العربي، المرجع السابق، ص: 129.

(3) - محمد بن أحمدودة، الأنثروبولوجيا البنيوية، دار محمد علي الحامي، صفاقص، تونس، ط 01، 1987، ص: 56.

(4) - أنظر: محمد بن أحمدودة، الأنثروبولوجيا البنيوية، المرجع السابق، ص: 59، 67.

ما دامت تخضع إلى جملة من الشروط القانونية المطبقة الباحثة عن المعنى، فاعتبرت السيميائية من المناهج النصية التي تؤمن بالتعدد في القراءات والوجهات الدلالية للنص.

ج- السيميائية منهج نقدي:

يرى محمد مفتاح أن السيميائية أشمل نظرية تقرأ بها النصوص وتحلل بها الخطابات الانسانية.⁽¹⁾ فالسيميائية علم يهدف لدراسة العلامة، المجسدة للتواصل بين الناس داخل المجتمع، بإجماع العلماء المنظرين لها، منهم: دي سوسير، كولن شيري، جورج مونان غريماس، تودوروف، بارت، جون دوبوا...، وإن اعتبرها بعض المؤطرين في الساحة النقدية العربية مجرد صيحة أو موضة تأخذ وقتها وتنتهي لافتقارها - حسب رأيهم- أساسيات التحليل المنهجي^(*)، فإن الأغلبية منهم صنفها كمنهج استقرائي يسعى لاستنباط النصوص وفهم أنساق العلامات وتأويلها، له إجراءاته وأدواته التحليلية النقدية تطبق على الإبداعات الأدبية، منهم: محمد مفتاح، السعيد بنكراد، السعيد بوطاجين، رشيد بن مالك، عبد الحميد بورايو، عبد المالك مرتاض...، بها تقارب النصوص ونحللها ونشرحها للوصول إلى معناها والقبض عليه.

(1) - محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري- إستراتيجية التناس-، المرجع السابق، ص: 9.

* - ذهب إلى هذا عبد الرحمن بوعلي في مقدمته عند ترجمته كتاب دولودال: السيميائيات أو نظرية العلامات.

II. واقع السيميائية السردية في النقد العربي المغربي:

ليس من الصعب على أي تناول لواقع النقدي العربي عمومًا والمغربي خصوصًا أن يجزم بتبعيته للنقد الغربي، وعدم استقلاليته عن جل مقولاته وأصوله الغربية، وأنه واقع تلقى واستقبال، يكثر فيه الإقبال على المنهج المستقبل بالبحث عمّا يقابله في الإرث العربي القديم، والكثير الذي أسفر على إشكالية تلقي هذه المناهج في صحة ما ينقل ويترجم وضبط المقولات المفهومية وغيرها من هذه المطبات التي يعاني منها النقد العربي الحديث والمعاصر.

1. واقع استقبال السيميائية السردية:

يدخل واقع السيميائية السردية في الساحة النقدية العربية في نفس المنحنى الذي شكل وجه النقد العربي ككل، فهو « إما مجتزأ لإرث نقدي ابتدع قبل قرون عدة، وإما مستقبل لمنهج نقدية غربية»⁽¹⁾، فالسيميائية السردية تردح هي الأخرى تحت نفس الإشكاليات التي يتخبط فيها النقد العربي ومدارها إشكالية استقبال الأخير المناهج النقدية والثقافة الغربية، مما أدى إلى « تداخل مصطلحاتها ومفاهيمها وتشابكها مع مناهج أخرى وتأخر الإفادة منها، وقد جاء وصولها في مرحلة ضعفت فيها أسئلة الهوية الثقافية، والتفسير المشنج للحماس في الاستقبال...»⁽²⁾ ثم إنه في ظل غياب وجهات توحيد جهود الدارسين العرب سواء في الاستقبال أو الإنتاج، فإن السيميائية السردية وجدت ساحة نقدية عربية مفتوحة لتلقيها دون جدل في نقد نقلها، فكان طرحها عائد لدراسات وترجمات جهود فردية مستقلة، والشأن نفسه في الاستقبال، فاستقلالية الناقد والقارئ في التأويل والتفكيك والاهتمام بتعداد القراءات ونظريات القراءة جعلت معطيات السيميائية السردية، والسيميائية عمومًا تصل إلى الثقافة العربية دون ضجيج⁽³⁾، على أنها ظل وانعكاس لما هو موجود في الساحة النقدية الغربية.

ويعود تاريخ استقبال هذا الدرس السيميائي السردية إلى سنوات الثمانينات من القرن العشرين، بداية مع سعي أقطار المغربي العربي الكبير، ثم باقي البلدان العربية الأخرى

(1) - محمد فليح الجبوري، الاتجاه السيميائي في نقد السرد العربي الحديث، المرجع السابق، ص: 115.

(2) - أراء عابد الحرمانى، اتجاهات النقد السيميائي للرواية العربية، المرجع السابق، ص: 71.

(3) - المرجع نفسه، ص: 71.

عبر محاضرات ودروس الأساتذة، ونشر كتب ودراسات ومقالات تعريفية بها⁽¹⁾، فاشتغل النقاد العرب والمغاربة منذ الثمانينات على التنظير للمنهج السيميائي السردية من خلال باب الترجمة، ثم الشرح والتحليل لمقولاته النقدية، فكانت مدة الثمانينات من القرن العشرين « مدة جس نبض واختبار لهذا المنهج لإمكانية تطبيقه على النص العربي فجاءت تطبيقاته غير صافية أو خالصة لهذا المنهج »⁽²⁾، إنما يعترها خلط ومزج لعدة رؤى منهجية في التحليل والتطبيق على نص واحد.

ثم حملت فترة التسعينات جملة من الأعمال النقدية عند المغاربة، جاءت كمحاولات كبرى لبناء نظرية عامة للمنهج السيميائي والسيميائي السردية خصوصاً منها دراسات: رشيد بن مالك، سعيد بنكراد، سمير المرزوقي، عبد اللطيف محفوظ، محمد مفتاح، عبد الحميد بوريو، السعيد بوطاجين، وجمال حضري، ومحمد الناصر العجمي، ومحمد القاضي...، وقد وجدت عدة دراسات حاول أصحابها التقديم لهذه الأعمال، وتبين مدى مساهمتها في الساحة النقدية المغربية والعربية، من هؤلاء قادة عقاق في دراسته الخطاب السيميائي في النقد المغربي، حيث مسح فيها جهود النقاد السيميائيين المغاربة المتنوعة بين التأصيل والترجمة والتنظير والتقويم، وأعمار محسن في مقاله المرسوم بـ "مدخل إلى الدراسات السيميائية بالمغرب أكتفى بتقديم الانجازات العلمية في المغرب دون تقفي أثرها، حيث لا يلقي القارئ فيها القروفات الجوهرية بين باحث وآخر"⁽³⁾، إنما بعض القواسم المشتركة بين هذه الدراسات. تعتبر هذه الدراسات العربية في السيميائيات مرآة عاكسة للجهود المبذولة في سبيل رقي بالنقد العربي إلى الرؤية العلمية، وتعكس أيضاً الطاقات المعبأة من أصحابها لقراءة التوجهات المنهجية وفهمها لتحليل النصوص السردية من منظور سيميائي⁽⁴⁾، فمثل كتاب مدخل إلى السيميائية السردية لرشيد بن مالك باكورة تنظير النقد الجزائي للمنهج مستقل عن السيميائية عامة في الدراسة، ويجعلنا كل ما قدمه بنكراد من وفرة في التأليف تطبيقاً

(1) - جميل حمداوي، مناهج النقد العربي الحديث والمعاصر، المرجع المعاصر، ص: 112.

(2) - محمد فليح الجبوري، الاتجاه السيميائي في نقد السرد العربي الحديث، المرجع السابق، ص: 165.

(3) - رشيد بن مالك، السيميائيات السردية، المرجع السابق، ص: 25.

(4) - المرجع نفسه، ص: 34.

وتنظيراً نصنّفه من أوائل القائمين على بناء وجهة عربية للنقد السيميائي السردية، ضف إليها أن أعمال فيلق الناقد المغاربة هي «سلسلة التلقي التاريخي لمنهج السيميائية السردية العربية ابتداء من مرحلة استقبال هذا المنهج ولا سيما في بداية التسعينات وصولاً إلى مرحلة التفكير في إيجاد تصور سيميائي عربي»⁽¹⁾، والناظر مثلاً لأعمال بوريو وبنكراد يجدها مروضة للخطاب النقدي السيميائي من ذاك التعقيد المصطلحي الذي يمكن أن يقع فيه القارئ؛ وهذا من خلال التبسيط الذي تحلل دراساتهم السيميائية. فكان التعامل مع هذا المنهج على أنه وسيلة لا غاية، سخرها لفهم المشكلات التي يطرحها التصدي للمعنى المتخفي في الممارسات الإنسانية الدالة، والمجسدة في اللسان وغير اللسان.⁽²⁾

والذي يجعل حظ المغاربة أكبر من المشاركة في هذا الاتجاه النقدي مساعيم الحثيثة المؤسسة لمؤسسات وجمعيات أدبية ومجلات نقدية مختصة بالمنهج، منها للذكر فقط: مجلة علامات المغربية، مجلة السيمياء النص الأدبي عن جامعة ورقلة الجزائرية، وكذا الكثير من المواقع الالكترونية، بل نجد من فتح قناة تعليمية للمنهج السيميائي على شبكة التواصل اليوتيوب؛ وهو صنيع الأستاذ عبد الحميد المالكي من ليبيا؛ حيث فتح قناة السيميولوجيا فكان صيت المغاربة في التنظير والتطبيق للسيميائية السردية مشهود له في الساحة النقدية العربية، مرجحة كفتهم عن كفة نظرائهم المشاركة، بل أصبح المشرق العربي مستقبلاً لترجمات المغاربة وتطبيقاتهم، حتى شعر نقاده بعجزهم إزاء ما يطرحه المغاربة ولا سيما أنهم - المغاربة- مسلحين بالثقافة الفرنسية قلب المنهج، ويتقنونها بشكل مطلق.⁽³⁾ والذي يميز تواليف المغاربة في ميدان السيميائيات أنها مزوجة بين الترجمة للمراجع الغربية والتأليف والإنتاج لدراسات شارحة لمضامينها، واتجاهاتها المختلفة متنوعة بين التنظير والتطبيق.

استطاعت هذه الدراسات المغربية الرقي بالنقد العربي من النظرة العيارية إلى النظرة العلمية، وستكون فاعلة بلا شك في المسار الايجابي الذي سيؤول البحث السيميائي

(1) - محمد فليح الجبوري، الاتجاه السيميائي في نقد السرد العربي الحديث، المرجع السابق، ص: 165.

(2) - رشيد بن مالك، السيميائيات السردية المرجع السابق، ص: 34.

(3) - محمد فليح الجبوري، الاتجاه السيميائي في نقد السرد العربي الحديث، المرجع السابق، ص 165.

إليه مستقبلاً⁽¹⁾، تهدف إلى بناء إستراتيجية بحثية مفرزة لقيم علمية، دالة على درجات متفوقة من التفكير والتمثيل والوعي. وسأقف بإيجاز على عينات منها، بعد إطلالة سريعة على واقع السيميائية السردية في ليبيا.

2. السيميائية السردية في ليبيا، أين؟ :

اختزل مشهد السيميائية السردية في ليبيا من جملة مقولات مقتطفة للناقد الليبي الذي وصف المشهد بمراًى العين، حيث يقول عبد الحميد المالكي في كتابه سلطة الكلام وإرادة القوة- وهو العينة الوحيدة التي تحصلنا عليها من ليبيا لها كتاب في السيميائية السردية-: « وليس بيان المشروع السيميائي أن هناك فرقاً بين الكلام عن مشروع لموضوع وبين الكلام عن الموضوع كمشروع، أما لماذا الكلام عن المشروع وايس عن البيان؟ لأن مشروع مغامرة غير مضمونة النتائج بالمعنى العلمي للكلمة، أن يتم الإعلان عن بيان لمشروع علمي: السيميائيات السردية بالغة العربية ومن الجماهيرية الليبية، وبدون تواضع زائف، لأنه يخص أيضاً تواضع إمكانياتنا (=المستوى= الأهلية) المعرفية من جهة أخرى.»⁽²⁾ ويقول أيضاً: « لا أعلم، في حدود ما نعرف أن هناك عاملون متخصصون في حقول السيميائيات ببلادنا»⁽³⁾ وفي اقتباس ثالث يقول: « أين هو الشغل الليبي؟ بمعنى أن يذكر في هوامش ومراجع الدراسات بالكتب والدوريات العربية وبدون عقد اضطهاد وادعاء بالعزلة والحصار والإحساس بالمؤامرة والتهميش، أي أين هم المفكرون والفلاسفة (أنصاف الآلهة) المكرسون والمعمدون (لدينا في ليبيا) من المشهد الثقافي العربي؟ والمكرسون تحت تسميات مللنا من سماعها: رمز الثقافة الوطنية، أعلام الفن والإبداع...»⁽⁴⁾

(1) - رشيد بن مالك، السيميائيات السردية، المرجع السابق، ص: 42

(2) - محمد عبد الحميد المالكي، سلطة الكلام... إرادة القوة في تقنيات محترفي الإلقاء مشروع بيان السيميائيات السردية، المرجع السابق، ص: 14.

(3) - المرجع نفسه، ص: 15.

(4) - المرجع نفسه، ص: 15.

هي العينات التي تثبت جزماً غياب السيميائيات باتجاهاتها عن الساحة النقدية الليبية وليس هذا فقط بل أن هذا المنهج غائب أيضاً عن كراسي الجامعات الليبية، وربما نختزل هذا المشهد المعتم في النقاط الآتية⁽¹⁾:

1- رفض الخطاب الرسمي المكرس لمشروع السيميائيات بدعوى أنها موضة مستوردة وتسويق وأوهام.

2- عدم الاقبال على المثابرة والشغل أو كما قال (عدم ثني الركبتين).

3- عدم المتابعة لما يجري ويستجد في العالم كمل من منجزات وأبحاث علمية

4- عدم المتابعة على الأقل لما يستجد في الساحة الجوارية المغربية وما بنجز فيها ثقافياً وعلمياً وأديباً.

5- الاحتفاء ومتابعة المكرسين والصدى بالمشرق العربي وفنون العلاقات الشخصية وما يكون من تبادل لنشاطات الوفود الثقافية والانهار بما يسمى سلطة المحفل. التي تحارب كل جديد مغاير لخطاباتهم.

6- إن طرح مشروع إنجاز السيميائية في ليبيا يتطلب النظر إليه بجدية البحث والمسألة ومدى انتقاء شروطه العلمية والمنهجية، وليس غير ذلك.

3. أهم الدراسات السيميائية السردية في النقد العربي:

لا يختلف اثنان على أن باع المغاربة في إثراء هذا المنهج أوسع واتضح منه عند المشاركة، أو باقي العرب، وأن أهم الإيضاعات النظرية والتطبيقية، كان منارها الجزائر والمغرب تحديداً.

والجدير بالذكر بعد عملية الإحصاء لأكثر الأعمال النقدية المغربية تداولاً نرى أن هناك تواليف حول المادة النقدية عنواناً مضموناً وأخرى تعرضت للمنهج بعناوين مختلفة ناهيك عن الدراسات والمقالات النقدية، وتدخلات الملتقيات المنشورة في دوريات أو على الشبكة العنكبوتية.

(1) - محمد عبد الحميد المالكي، سلطة الكلام... إرادة القوة في تقنيات محترفي الإلقاء مشروع بيان السيميائيات السردية، المرجع السابق، ص: 13، 17.

من هذا الموقع سوف نلقي الضوء على عينات من الدراسات النقدية المغاربية التي أسهمت في تواجد فكر نقدي، مشكلا قطبا مغاربيا للسيميائية السردية. وإني سأكتفي في هذه الجزئية بعرض أهم الأسماء ذائعة الصيت عند العرب عامة والمغرب خاصة، في خطوة تعتمد على آلية الجمع البيداغوجي. حيث سأعرض قراءة في وجهتين نقديتين مغاربيتين في السيميائية السردية - رشيد بن مالك من الجزائر ثم محمد الناصري من تونس، و جمال حضري من المغرب.

1.3 الجهود النظرية في السيميائية السردية عند رشيد بن مالك:

إن البحث في قراءة المعنى، وكيفية إنتاجه في الدراسات المغاربية للنصوص والمؤلفات في السيميائية السردية على خطا غريماس، يقودنا الحديث عن تجربة نقدية وبصمة متجددة في الساحة النقدية الجزائرية، ونعني به تجربة الناقد رشيد بن مالك والأخذ من مشروعه أهم الأسس التعديدية للنظرية النقدية.

يتربع البعد التنظيري للنظرية السيميائية السردية عند رشيد بن مالك على عدة مؤلفات متنوعة بين الترجمة عن أصول النظرية من منابعها ذات الاتجاه الباريسي المتولدة فيها، وبين التأصيل المصطلحي للمفاهيم والتقديم والشرح لمقولات النظرية وإجراءاتها المنهجية، والتي تتضح بها الرؤية للمنهجية عند الناقد الجزائري. أهم كتبه السيميائية السردية:

- مقدمة في السيميائية السردية، دار القصة، الجزائر، 2000.
- البنية السردية في النظرية السيميائية، دار الحكمة، الجزائر، 2001.
- تاريخ السيميائية- مترجم عن آن إينو- دار الآفاق، الجزائر، 2004.
- السيميائيات السردية، دار مجدلاوي، عمان، الأردن، 2006.
- قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص، دار الحكمة، الجزائر، 2012.
- السيميائية مدرسة باريس - مترجم عن جان كلود كوكي- دار الغرب، وهران، الجزائر 2013.
- من العجميات إلى السيميائيات، دار مجدلاوي، عمان، الأردن، 2014.

لا تغالي إن قلنا أن الناقد الجزائري رشيد بن مالك كان على طبيعة الذين استقبلوا منهج السيميائية السردية تنظيرا وترجمة وتطبيقا، ويعد من الباحثين القلائل الذين يتلقون المعرفة الغربية من مظانها ومصدرها الأصلية مباشرة دون واسطة لمعرفته باللغات الأجنبية⁽¹⁾، فيفتح الخطاب النقدي عنده على أكثر من صعيد من حيث التأليف والدراسة، مما جعل الساحة الجزائرية منها والمغاربة والعربية ككل تستفيد من هذا الفضاء المعرفي المتعدد التصنيف والتنظير، فنجد الكتب المترجمة، نجد الدراسة والمؤلف التأصيلي والمنظر، نجد القواميس الشارحة، والتطبيقات الداعمة للنظرية، وتعود بدايات هذه العناية بالمنهج والتأليف في مقولاته في تسعينات القرن الماضي، حيث أصدر كتابه " مقدمة في السيميائية السردية سنة 1992، وهو « أحد أهم المؤلفات التي تنزع إلى التأصيل والتأسيس، عبر رد النظرية إلى أصولها ومنابعها الأولى وتفحص دلالات المفاهيم والمصطلحات ضمن هذه الأصول»⁽²⁾، ونال إجازة الدكتوراه عن أطروحته السيميائية بين النظرية والتطبيق، سنة 1994، ناهيك عن عدة مؤلفات متنوعة بين التنظيري والتطبيق والترجمة لجملة من الدراسات والكتب الغربية منهم " نجان كلود كوكي وجوزيف كورنيس ودي سويسر وأن إينو- كريستيفا- غريماس..... نقلها إلى العربية " متوخيا الدقة والضبط في نقل هذه الجهود السيميائية ليكون القارئ العربي على وعي بهذا المنتج الحدائوي"⁽³⁾

وتأتي جهود بن مالك امتدادا لجهود البحث العربية العاملة على تغيير وجهات التحليل النصي من كثافة أدوات التحليل التقليدية إلى استبدالها بمفاهيمه وأدوات إجرائية جديدة يعود منظور التقدير فيها إلى بدايات الثمانينات من القرن العشرين» حيث تعرض هذا الخطاب النقدي العربي بعامة والمغاربي بخاصة إبان هذه الفترة إلى هزة عنيفة، زعزعت الكثير من قناعاته ودفعته إلى إعادة النظر في أدواته التحليلية وفي نمط تعامله مع النصوص»⁽⁴⁾

(1) - قادة عقاق، الخطاب السيميائي في النقد المغاربي، دار الأملية، قسنطينة، الجزائر، 2014، ص 71

(2) - المرجع نفسه، ص: 71.

(3) - محمد فليح الجبوري، الاتجاه السيميائي في نقد السرد العربي الحديث، مرجع سابق، ص: 189.

(4) - قادة عقاق، الخطاب السيميائي في النقد المغاربي، المرجع السابق، ص: 67.

وأمام سبيل من الأطروحات النظرية التي وردت الساحة العربية حاملة في مقولاتها وأجواءها ما يزيك أفضلها في النص الأدبي لا بد من أن يكون للسيميائية السردية السبيل لولوج وتقديم نفسها على أنها حل من كم من الحلول في سر أغوار النص ومشروعية أسسها ومفاهيمها في قراءة النص وكشف خباياه وأسراه.

يثر الكثير من النقاد العرب جهود بن مالك في بناء المنهج في الساحة العربية فضلا عن دقة الضبط لمفاهيم المصطلحية واجراءات المنهج خاصة من خلال قاموسه " قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص " سنة 2000 يقول عبد القادر شرشار في ذلك " يقدم مصطلحات المادة السيميائية بطريقة عملية يسهل على القارئ العربي فهمها والاستعانة بها"⁽¹⁾ حيث يقابل للنص المصطلحي بثلاث لغات العربية والفرنسية والإنجليزية مع توضيح مفهومه باللغة العربية، فكان هذا القاموس من أهم الأسس التقعيدية للنظرية السيميائية في الوطن العربي، وقد تميزت مؤلفاته إلى جانب الشرح والتحليل، يقول فيه بشير تاويريت أنه أحد أساطين التأسيس للسيميائية السردية في الجزائر.⁽²⁾ يعلن الناقد بن مالك في مقدمة الكتابه السيميائيات السردية أن دراسة تهدف « إلى إلقاء حزمة أخرى من الضوء على السيميائية، بوصفها خيارًا منهجيًا مغايرًا للمناهج النقدية التقليدية.»⁽³⁾

والذي يحيلنا عليه عنوان المؤلف "السيميائيات السردية" إلى وجود عدة طرق واتجاهات للسيميائية السردية على أساس الجمع اللاحق بالجزئية الأولى من العنوان " السيميائيات " مضافة إلى فرع الثاني من العنوان " السردية" - وليس بن مالك فقط من يصطلح اسم المنهج بالجمع (السيميائيات)- فالذي يلتقى في فكر المتلقي للكتاب في الوهلة الأولى وجود أكثر من اتجاه، غير أنه عند الإطلاع على المضمون النقدي وتفصيل أجزاءه نراه يوضح اتجاهًا واحدًا للنظرية السيميائية السردية، متعلق بالوجهة الغيرماسية، ولست أدري مسوغ هذا الجمع، هل يوجد أكثر من اتجاه في السيميائية السردية؟ ، بل لامبرر له إلا إذا ألحقناه باب إشكالية المصطلح وفوضى واضطراب المصطلح في الساحة العربية.

(1) - عبد القادر شرشار، السيمياء والنص الأدبي ، ص: 97

(2) - محمد فليح الجبوري، الاتجاه السيميائي في نقد السرد العربي الحديث ، مرجع سابق ، ص: 190

(3) - رشيد بن مالك، السيميائيات السردية، المرجع السابق، ص: 7.

والذي عليه منهجية العمل في مؤلفاته باستثناء قاموس، أنها متزاوجة الدراسة بين التظير والتطبيق تسمح للقارئ في الآن نفسه من فهم مقولات المنهج السيميائي السردية المنتجة للدلالة المحيطة بالمعنى والتعرف على آليات تطبيق هذا المنهج على مختلف صور السرد العربي بين الرواية والقصة والحكي الشعبي، ضف إلى هذا تبيين الدعامة النقدية الجزائرية الهامة عبدالحמיד بوريو لأكثر الجهود التأليفية لبن مالك تجعل أعماله أكثر مصداقية وجدية.

إن التعامل مع الفكر التنظيري لبن مالك يستدعي ملامسة جل مؤلفاته في النظرية خاصة منها: مقدمة في السيميائية السردية " بنية سردية وقاموسه في السيميائية وفي كتب كما أسلفنا الذكر تتربع على جانبي التنظير والتطبيق .

إن تتبع كيفية إنتاج المعنى في أعمال رشيد بن مالك على ضوء النقد السيميائي السردية، يحتم علينا قراءة لأعماله النظرية والتطبيقية في المنهج، ونوع من المسح لأهم المقولات المعبرة عن تجربته في النقد السيميائي السردية، ورصد مثل هذه المقولات لن يكون في مدونة بعينها أو خاص بقسم من دراسات الناقد، إنما سيضم - بما يسمح به أمد البحث- النظر في جهوده عبر عينة من مؤلفاته، الدالة على مكاتته النقدية في الساحة الأدبية الجزائرية والمغربية والعربية على حد سواء، والتي كانت إطاراً نظرياً وتطبيقياً لهذا المنهج مساعدة على « تطوير السيميائية العربية، ليست نسخة حرفية أو مطابقة للسيميائية في الغرب.»⁽¹⁾ ، فتكون بذلك رؤية ذات أبعاد نهل واستثمار لا تقليد وتبعية، على سبيلها يقرأ المعنى ويستظهر، وليس اجتزاراً للمعلومات وقولبة لما هو موجود دون تمحيص، فقد « أن الأوان لتقديم قراءات موضوعية حول ما تحقق في ضوء الانجازات السيميائية الأوروبية الراهنة، وبلورة رؤية كفيلة بتوسم نقاط القوة والضعف، ليتم على أساسه صناعة خطاب نقدي جديد بهذا الاسم.»⁽²⁾

(1) - رشيد بن مالك، السيميائيات السردية، المرجع السابق، ص: 7.

(2) - المرجع نفسه، ص: 7.

نستشف من المسار التنظيري للسيميائية السردية عند رشيد بن مالك من المدونات خاصة منها السيميائيات السردية، البنية السردية في النظرية السيميائية، مقدمة في السيميائية السردية، في محتواها عرض بين التنظير والتطبيق والترجمة، فشكلت ثلاثتها إضافة إلى قاموسه " قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للسردية للنصوص " نتاج بالغ الأهمية، لما فيها من تأصيل وكشف لآليات النقد السيميائي السردية، يبشر بصناعة خطاب علمي يثري خزانة النقد العربي و« يجد هذا الخطاب النقدي التأصيلي الذي ينهض به الباحث رشيد بن مالك مشروعيته، في تلك المشقة الكبيرة التي يجدها القارئ العربي في فهم تلك الأعمال التطبيقية العربية على قلتها، وعسر استساغتها، وفك رموزها، ومصطلحاتها التي تتوسل في معالجتها للنص الأدبي بأدوات سيميائية.»⁽¹⁾

يقول الدكتور عبد الحميد بورايو في تقديمه لكتاب رشيد بن مالك " البنية السردية: «عن طريق هذا الكتاب، ومجموعة أخرى من الكتب التي ظهرت وستظهر قريباً في الجزائر يمكن القول أن هناك نقلة نوعية عرفها ميدان البحث الجامعي في مجال الدرس الأدبي سوف يكون لها عميق الأثر في تطور البحث الأدبي ونشر الوعي العلمي بأهميته وآلياته، وربط جسوره بمختلف مستوياته ومناهجه في البلاد العربية وفي العالم.»⁽²⁾ فكان للدرس السيميائي السردية حضوراً في النقد الجزائري، سواء على مستوى الطرح المقولات والإجراءات أو على مستوى التطبيق على النصوص الأدبية، بفضل جهود أعلامه من مثل: عبد الحميد بورايو، رشيد بن مالك، السعيد بوطاجين. وجميعهم يغلب عليهم الطابع الأكاديمي في أطروحاتهم للمنهج، فكانت إجاداتهم إرثاً للبحث الجامعي، وجسراً معرفياً للطلاب وللقراء المهتمين بهذا الجانب، قريت وكشفت لهم أصول وخبايا النظرية، وكيفية معالجتها للنصوص السردية بمختلف أنواعها، وأضحيت بصمة في الخطاب النقدي العربي قاطباً، أماطت اللثام على إشكاليات المنهج، وتطوره وآلياته التطبيقية وحدوده المصطلحية، التي تثرى المعجم

(1) - قادة عقاق، الخطاب السيميائي في النقد المغربي، المرجع السابق، ص: 73.

(2) - رشيد بن مالك، البنية السردية في النظرية السيميائية، المرجع السابق ص: 5.

العلمي النقدي العربي من خلال « اقتراح ترجمة عدد من المصطلحات الجديدة التي تضاف إلى الجهاز المفهومي للسيميائيات السردية»⁽¹⁾

2.3 الرؤية النظرية لمحمد ناصر للسيميائية السردية:

يعد محمد الناصر العجمي من الأعلام التونسية على المتناول للسيميائية السردية، فقد بسط في كتابه: في الخطاب السردى - نظرية غريماس - مقولات غريماس النقدية في هذا المنهج، موزعة على أعماله منها: في المعنى I و II وقاموس السيميائيات البنيوية الدلالية وغيرها، وقد اعتقد بعض النقاد أنه لا يرقى إلى مصف التآليف المؤسسة، و«لا يصنف ضمن هذا المستوى من الخطاب التأصيلي، إلا من حيث كونه... يحاول ضمن مبحث وسمه ب " المنطلق والآفاق " التعريف بعلم الدلالة... بالقدر الذي يسمح بوضع نظرية غريماس ضمن إطارها المعرفي العام...»⁽²⁾

وقد صرح الناقد منذ البداية أنه سيتناول النظرية الغريماسية - بعرض المقولات المتفق عليها أو شبه الإجماع عليها ومع تجنب الخوض في الجزئيات المتجادل عليها عند انتقاد والتدرج من القضايا الأقل تشعباً نحو الأكثر إشكالية وعمقاً في التجريد، خاصة المتعلقة بالمستوى العميق. والذي عليه الناقد في بناء جهازه المصطلحي أنه اعتمد على مجهوداته الفردية في ترجمة المصطلحات إلا في ما ندر منها، لذا فهو يقر « بأن عددًا من المصطلحات المترجمة يحتاج إلى إعادة نظر وتعديل»⁽³⁾.

من الشائع في النقد السيميائي المغربي أن المصطلح الغربي-Sémiologie ومرادفه Sémiotique قد عرّبا إلى السيميولوجيا والسيميوطيقا والسيميائية، فهي الترجمات الأكثر حضوراً لهذين المصطلحين، غير أننا نجد محمد الناصر لم يقف على ترجمة واحدة للمصطلحين، فقد ترجمهما ب: علم الدلالة⁽⁴⁾، وعلم العلامات⁽⁵⁾، وفي وضع ثالث العلامة⁽⁶⁾

(1) - رشيد بن مالك، مقدمة في السيميائية السردية، المرجع السابق، ص: 36.

(2) - قادة عقاق، الخطاب السيميائي في النقد المغربي، المرجع السابق، ص: 85.

(3) - محمد الناصر العجمي، في الخطاب السردى نظرية غريماس (Greimas)، المرجع السابق، ص 17.

(4) - المرجع نفسه، ص: 21.

(5) - المرجع نفسه، ص: 24 (على أساس أن السيميولوجيا التي تبناها دي سوسير تعني بترجمته علم العلامات).

(6) - المرجع نفسه، ص: 25.

ويراه العلم الذي يؤسس لوعي بنيوي لاستقراء الدلالة، ويتيح له هذا الاستقراء عدة أساليب تسمح بتحليلها، أي وصف القواعد العامة المنتجة للمعنى الإنساني وصفا دقيقا وهو تعريف يستند فيه إلى ما قاله هينو⁽¹⁾، طارحًا عدة تساؤلات حول حدود هذا التعريف الذي لا يحد فقط على الدلالة؛ إنما تشمل عددًا من العلوم الإنسانية، خاصة منها علم الاجتماع والتحليل النفسي، وأن المختصين في هذه العلوم يصنّفون أيضا من علماء الدلالة، وفحوى هذه التساؤلات يدور حول ما الرابط الذي يربط بين هذه العلوم وعلم الدلالة، وما من الذي يفرقها بينها⁽²⁾. في حين كانت نصوص العجيمي ذات منهج زخرفي وأن خطابها النقدي الحافل يزخم من المصطلحات الذي لم يكن لإقامة وصله عملية بالقارئ إنما أنجز في جوانبه التطبيقية لأجل تقديم الإجراءات السيميائية " على أنها عناصر ديكور وغاية في حد ذاتها من هنا اتسمت هذه الإجراءات بالتطبيق الآلي على النصوص⁽³⁾

ومن مآخذ التي حسب على الناقد التونسي العجيمي أ كتابه وإن بسط فيه الكثير من المفاهيم والمقولات الغريماسية في قلة من الصفحات إلا أنه لم يحقق الفائدة المرجوة من الكتاب وذلك ربما - كما ذكر الدكتور عقاق - لتعجل الناقد في بسط تلك المفاهيم قبل إحكام المداخل وضبط الأسس المعرفية للنظرية، الضابطة للسياق العام الذي أنتجها، حيث دونه يصبح استيعاب النظرية صعبًا إن لم يكن مستحيلًا.⁽⁴⁾

ودون الخوض أكثر في الكثير من السلبيات التي ساقها الناقد السوري عبد الله أبو هيف حول محاولة العجيمي حول المنهج حتى اعتبره منتج تابع لعلم السرد، وأنه من النقاد الواقعيين تحت تأثير الفكر الغربي والولعين ببريق انتاجهم ونظرياتهم⁽⁵⁾، إلا أننا نعطي علامة أيجابية في كتاب العجيمي تتمثل في تمثيلة الآني للجزئيات الإجرائية التي وضحها عن النظرية طبقتها على نص من كليلة ودمنة هو الأرناب والفيلة، مما تزيد بسط الفهم أمام القارئ في

(1) - محمد الناصر العجيمي، في الخطاب السردية نظرية غريماس (Greimas)، المرجع السابق، ص: 23.

(2) - المرجع نفسه، ص: 23

(3) - رشيد بن مالك، السيميائيات السردية، المرجع نفسه، ص: 35

(4) - قادة عقاق، الخطاب السيميائي في النقد المغربي، المرجع السابق، ص: 73.

(5) - أنظر: عبد الله أبو هيف، النقد العربي الجديد في القصة والرواية والسرد، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ط01، 2000 ص، ص: 388.

نفس الموضوع التنظيري لها. وتجدر الإشارة أن العجبي أول من ألف في نظرية غريماس منفردة تنظيراً وتطبيقاً، كان ذلك سنة 1993، أي بعد فاة غريماس بسنة واحدة⁽¹⁾، وافقاً على أهم مقولاتها بغية نقلها للمتلقي العربي بأسلوب بسيط

3.3 السعيد بنكراد وجهة السيميائية السردية المغاربية:

يعد السعيد بنكراد أيقونة الكتابات السيميائية في المغرب العربي والعالم العربي ككل، تميز بفاعليته في التنظير لهذا المنهج عبر العديد من المؤلفات الشارحة والمترجمة والمطبقة للسيميائية، والتي غدت الساحة النقدية العربية، استثماراً لكل الدارسين من طلبة وعارفين مختصين في الميدان. وتعود نجاعة بنكراد في دراسة السيميائية لهضمه مقولاتها من منابعها الغربية، خاصة توغله في فكر المدرسة الباريسية، على رأسهم فكر غريماس. وهذه بعض مؤلفات وترجمات السعيد بنكراد في السيميائية:

- 1- وهج المعاني، سميات الأنساق الثقافية، المركز الثقافي العربي، 2013.
- 2- سيرورات التأويل: من الهرموسية إلى السميات، الدار العربية للعلوم ناشرون بيروت، 2012.
- 3- كرماس، فونتي: سميات الأهواء، ترجمة وتقديم سعيد بنكراد، دار الكتاب الجديد بيروت، 2010.
- 4- السرد الروائي وتجربة المعنى، المركز الثقافي العربي، 2008.
- 5- أومبرتو إيكو: العلامة: تحليل المفهوم وتاريخه، ترجمة سعيد بنكراد، المركز الثقافي العربي، 2007.
- 6- مسالك المعنى، دراسة في بعض أنساق الثقافة العربية، دار الحوار، 2006.
- 7- سميات الصورة الإشهارية: الإشهار والتمثلات الثقافية، إفريقيا الشرق 2006.
- 8- السميات والتأويل، مدخل إلى سميات شارل سنדרس بورس، المركز الثقافي العربي، 2005.
- 9- السميات: مفاهيمها وتطبيقاتها، منشورات الزمن، سلسلة شرفات، 2003.

(1) - محمد فليح الجبوري، الاتجاه السيميائي في نقد السرد العربي الحديث، مرجع سابق، ص: 192.

- 10- سميولوجية الشخصيات الروائية، مجدلاوي، عمان الأردن . 2003.
- 11- السيميائيات السردية، مدخل نظري : منشورات الزمن، الرباط ، 2001.
- 12- مدخل إلى السيميائية السردية، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2003.
- 13- أومبرتو إيكو: التأويل بين السيميائيات والتفكيكية، ترجمة وتقديم سعيد بنكراد المركز الثقافي العربي، بيروت 2000.
- 14- النص السردى :نحو سيميائيات للإيديولوجيا، دار الأمان، الرباط، 1996.
- 15- سميولوجية الشخصيات الروائية، فيليب هامون، ترجمة سعيد بنكراد، دار الكلام 1990.

ساق بنكراد في عينة من كتبه مقولات وآليات النظرية السيميائية السردية نخص ذكراً منها: مدخل إلى السيميائية السردية، السيميائيات السردية، حيث وقف من خلالها على حيثيات المنهج عند غريماس، وتوقعه ضمن التيارات السردية المعاصرة، كما عمل فيها على تبين نقاط قوتها وضعفها، والأسس المعرفية التي تقوم عليها النظرية بوصفها منهجاً معائناً للنص السردى، وكل الخطابات التي تحوي في أصول كتابتها البنية السردية.⁽¹⁾

وتأخذ مفهوم السيميائية عند بنكراد جانباً من التصور الفلسفي القائم على إحالة المفاهيم إلى مسائل وجودية وظواهر إنسانية، فهو يرى أن السيميائيات في أبسط تعاريفها هي تساؤلات حول المعنى. « إنها دراسة للسلوك الإنساني باعتباره حالة ثقافية منتجة للمعاني. ففي غياب قصدية - صريحة أو ضمنية - لا يمكن لهذا السلوك أن يكون دالاً أي مدرّكاً باعتباره يحيل على معنى. إن هذه القصدية هي أساس كل القضايا المعرفية التي عبرت عن نفسها، من خلال مجموعة من المفاهيم الخاصة بالمعنى من حيث الوجود والمادة والتداول والسيرورة. فالوجود الإنساني، باعتباره وجوداً للمعنى وفي المعنى، أنتج مجموعة من المفاهيم المعبرة عن هذا المعنى باعتباره غطاءً سميكا للممارسة الإنسانية. وعلى هذا الأساس، فإن أي

(1) - سعيد بنكراد، مدخل إلى السيميائية السردية، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط 2، 2003، ص: 28.

تساؤل عن المعنى هو في واقع الأمر تساؤل عن معنى النشاط الإنساني وعن معنى التاريخ.⁽¹⁾

والناقد المغربي بنكراد أكاديمي محنك في جامعة بالرباط، مشرف على مجلة علامات في السيميائية، أرسى قواعدها بفكر مؤطر شهد له في ذلك ربوع البلدان العربية، و« يعد من بين أكثر الباحثين المغاربة تمسكًا بهذا التوجه، وأكثر إلحاحًا وإصرارًا على النهوض به، وتبويئة أولى المراتب قبل أي عمل آخر سواء، أكان ذلك ترجمة أم تنظيرًا أم ممارسة تطبيقية.»⁽²⁾

وفي رؤية تقييمية من الناقد سعيد بنكراد لمشروع السيميائيات، فإنه يرى أن ما لحقها من إسهامات، وما تجاذبها من تأثيرات وإضافات على مدى ثلاثة عقود الثلاثة الأخيرة، قد هبأ الطريق أمامها كي تحدد إطار اشتغالها، من خلال ما حقته من إنجازات من حيث المفاهيم والاتجاهات النظرية، مما أكسبها خصوصية داخل حقل البحث العلمي. « وبالرغم مما عرفه هذا الخطاب من فعالية وإجرائية في تحليلاته وتطبيقاته، فإنه لازال يبحث عن قدر من المشروعية العلمية نتيجة الأزمة التي تطل الأسس الإبيستيمولوجية والأنطولوجية للعلامة»⁽³⁾

ويضيف في نفس الموقع، أن ما تعيشه السيميائية حاليًا من حالة غموض أنطولوجي وإبيستيمولوجي، وهي حالة ظرفية ناتجة عن غياب أو ضعف أسس علم العلامات، راجع ذلك إلى أن السيميائية المعاصرة تواجه تضخمًا في المقولات، وفي الأسس والخطابات السيميوطيقية، مس استقرار الموضوع السيميوطيقي -على حد تعبيره- ذاته، ومن هذا المنطلق أصبح ضروريًا القيام بوضع أسس تضبط "تاريخية الإنتاج في السيميوطيقا"⁽⁴⁾

(1) - سعيد بنكراد، معجم السيميائيات، الموقع الإلكتروني:

<http://www.saidbengrad.net/dic/index.htm>

(2) - قادة عقاق، الخطاب السيميائي في النقد المغربي، المرجع السابق، ص: 75.

(3) - السعيد بنكراد، مدخل إلى الدراسات السيميائية بالمغرب - محاولة تركيبية - مرجع سابق، الموقع الإلكتروني:

<http://www.saidbengrad.net/suivi/8.htm>

(4) - المرجع نفسه.

- ولعل الفصول القادمة تبين القدر الوفير من أعمال الناقد الخاصة بالمنهج السيميائي السردية، والملاحظات وتوضيحات المقيمة لوضع ومقولات النظرية. أخيراً، نوجز بأن السيميائية السردية:
- اتجاه نقدي من جملة الاتجاهات التي تولدت من السيميائية العامة، تختص بدراسة النصوص الأدبية ومختلف الخطابات.
 - منهج نقدي منفتح على مختلف النصوص، باعتبارها علامة دالة.
 - تهدف إلى دراسة المعنى وإعادة إنتاجه في أبعاد تأويلية محتملة، تطرح قابلية القراءة وتعدد الاحتمالات ولا نهائية المعنى.
 - تعد وجهاً لشكلنة المعنى ودراسته بمنطقية صارمة، فلا يهتمها المضمون ولا من قال النص بل ما يهتمها كيف قال النص ما قاله، تتوقف مقولاتها على القواعد والإجراءات المنطقية المشتغلة على النصوص السردية.
 - تدخل في ناموس القاعدة المنطقية، التي تعيد تكوين الظواهر إلى بعضها البعض، فما من نظرية أو منهج علمي إلا وتقف مقولاته على جملة من الأصول العلمية والمرجعيات الفكرية، كذلك الأمر بالنسبة لها إذ تعود إلى مرجعيات منها ما هو غائر في تاريخ الفلسفة اليونانية، ومنها ما نتج عن استثمار الدراسات الحديثة، خاصة تلك المتعلقة باللسانيات، والبنوية، والأنثروبولوجية.
 - واجهت نفس التقلبات المصطلحية والاضطرابات عند استقبالها، شأنها شأن أي وافد فكر للساحة العربية. وقد تبيننا كتسمية للمنهج مصطلح السيميائية لوجود الجذر اللغوي العربي "السمة" المقابل للجذر اللغوي الغربي.
 - تميزت في كتابات المغاربة منها عند المشاركة، لإتقانهم التام للغة المراجع التي نبت منها المنهج.

الفصل الثالث

آليات إنتاج المعنى في السيميائية السردية المغاربية:

المستوى العميق



تمهيد:

استطاعت السيميائية السردية، ومن قبلها الشكلانية والبنوية، منح النص السردى والأدبي إجمالاً قدرًا من التجريد والمنطقية، تثبت عليه جميع النصوص، وذلك بالعمل على وحدات بنائية ثابتة ومجردة لسط دلالتها وإنتاج معناها، عبر الآليات والقواعد المتعلقة بالنص السردى والخطاب عمومًا، فكانت هذه الآليات عمليات إجرائية على المستوى السطحي والمستوى العميق، حاول غريماس^(*) أن يكسبها شرعية الشمولية، لتصلح على جميع الخطابات، الحاملة لبني السردية مهما تغيرت تسميتها: قصة، رواية، حكاية شعبية مسرح، إشهار...، يمكن جرائها « إرجاعها إلى ترسيمات بنوية وسيميائية ذات وظائف قليلة العدد، وذات خطوات محدودة، ضمن ثوابت منطقية ودلالية مضمرة على مستوى العمق من جهة، فتتعدد وتختلف وتتمظهر على مستوى السطح من جهة أخرى»⁽¹⁾.

يوضح الناقد بنكراد انطلاقة غريماس لبناء المنهج من الكينونة البشرية، والذهنية الإنسانية اعتمادًا على عناصر سلوكية بسيطة، للوصول إلى خلق موضوعات ثقافية

* - ولد ألجيرداس جوليان كريماس A J Greimas ، رائد مدرسة باريس السيميائية، في مدينة تولوا في ليتوانيا، إحدى دول الاتحاد السوفيتي السابق في التاسع من مارس 1917. وأتم دراسته الثانوية في هذه المدينة. وفي سنة 1934 سرحل إلى فرنسا لمتابعة دراسته العليا، ولكنه سيستقر فيها وستصبح البلاد الذي احتضنه واحتفى بكل تراثه العلمي. ففيها سيحصل على شهادة الدكتوراه سنة 1948. وبعدها بسنة، أي سنة 1949 سيسافر إلى مصر ويُعين أستاذًا للأدب الفرنسي في جامعة الإسكندرية. وهناك سيلتقي برونان بارث وستنشأ بينهما صداقة قوية ظلت حية إلى أن رحل بارث عن عالمنا سنة 1980 وكان من ثمار هذه الصداقة تأسيسها مجلة «لغات» الشهيرة سنة 1966. وابتداءً من سنة 1962 سيعين أستاذًا في جامعة بواتي. سنتين بعد ذلك سينتقل إلى باريس ليصبح رئيساً للقسم الرابع في المدرسة التطبيقية للدراسات العليا في العلوم الاجتماعية، وسيظل في هذا المنصب إلى أن وافته المنية في السابع والعشرين (27) من فبراير سنة 1992. وكانت آخر محطة في حياته هي سنة 1991 حين أصدر، بالتعاون مع جاك فونتيني، أشهراً قليلة قبل وفاته، كتابه الهام «سيميائيات الأهواء: من حالات الأشياء إلى حالات النفس» ففي السنة 1966 نشر كتابه «علم الدلالة البنيوي Sémantique structurale» الذي سيصبح نصاً مرجعياً رئيساً في التقليد السيميائي الفرنسي عامة، وعند أتباع مدرسة باريس خاصة. وستكون هذه السيميائيات جزءاً من الدراسات الدلالة وجزءاً من الدراسات السردية في الوقت ذاته. (التعريف بقلم الناقد المغربي سعيد بنكراد مأخوذ من مقاله المعنون: ألجيرداس غريماس ترسانة السيميائية، 8 مارس 2017، الموقع الإلكتروني:

<https://www.alittihad.ae/article/>

(1)- جميل حمداوي، السيميوطيقا السردية - من سيميوطيقا الأشياء إلى سيميوطيقا الأهواء-، المرجع السابق، ص: 37.

الفصل الثالث: آليات إنتاج المعنى في السيميائية السردية المغاربية: المستوى العميق

ليسلك بطرحه إلى سبل معقدة، وخيارات مجبر على تجاوزها وتحديد موقعه ضمنها⁽¹⁾، مما حتم عليه بناء مسار معقد ينطلق من المحايث إلى تجلي، سماه بن المسار التوليدي. أن هذا الاتجاه القرأى للسيميائية السردية يستمد من طبيعة العالم الإنساني خاصيته في إنتاج المعنى، واستثماره في وقائع ومكونات محسوسة، وإلا فإن حدودها في التنظير والتطبيق وعملها كمنهج سيستعصي على الإدراك والفهم، لأن العالم الإنساني يحيل أصلاً على المعنى، و«أن الإنسان هو المنتج للمعاني، وهو مستهلكها، وهو ضحيتها الأولى والأخيرة»⁽²⁾.

ويعد المعنى - حسب بورايو - سيرورة خاضعة لمجموعة من الشروط، تسعى السيميائية السردية بتوجهها الشكلاني إلى معرفة قواعدها⁽³⁾، وتحليل المقاطع وبنيات النص، بحسب قوانين وآليات المنهج، للوصول إلى العلاقات المنطقية المقننة الرابطة بين عناصر المحكي، المندمجة في الوحدة الدلالية الكلية للنص، والبحث عن المعطيات وتأويل العلاقات المترابطة والعمليات القائمة بين الدلالات كمرحلة تالية عن التحليل اللساني المائل على المستوى الأفقي المرتبط بالدوال، فيتجسد هذا التحليل في تجاوز البنية اللغوية الداخلية للخطاب إلى أنظمتها الدلالية.

وضعت السيميائية السردية المعنى - على حد تعبير بنكراد - في صلب تحليل الظواهر - فهي سليلة التيار السيميائي، يعتبر في عمومها المعنى الأساس في تشكّل الأنساق واشتغالها -، مع أنها ظلت حبيسة تصورها الكمي للمعنى؛ بتحدثها عن أشكال المعنى وسبل تحققه، الكامنة في النص دون سواه، ومقولة غريماس الشهيرة: " لا خلاص لنا من النص " دليل على أن المنهج الذي ساقه يعتبر المعنى ضمنياً في النص، يؤوله القارئ وفق المنهج باتباع خطته التحليلية وإجراءاته المعتمدة للوصول إليه⁽⁴⁾. والتي لم تنبذ عن المنطقية في التحليل، مما جعلها قواعد تقن المعنى وتشكله.

(1) - سعيد بنكراد، مدخل إلى السيميائية السردية، المرجع السابق، ص: 29.

(2) - سعيد بنكراد، السيميائيات السردية، المرجع السابق، ص: 53.

(3) - عبد الحميد بورايو، المسار السردى وتنظيم المحتوى - دراسة سيميائية لنماذج من حكايات ألف ليلة وليلة -، دار السبيل الجزائر، 2008، ص: 03.

(4) - سعيد بنكراد، البحث عن المعنى، المرجع السابق، ص: 25.

آليات إنتاج المعنى في النقد السيميائي السردى المغاربي:

تمتع السيميائية السردية بقوة إجرائية وجبروت مصطلحاتي، وبتصنيفها الدقيق لمقولاتها وآلياتها، الذي يسمح بالكشف عن المخزون الدلالي والمعنى المرصود الكامن في نص ما، ويتعلق الأمر بمعنى مدرك معلوم، أودعه الكاتب خلسة أو علناً في النص المنجز⁽¹⁾، وعلى القارئ والمحلل بآليات هذا المنهج الامتثال الصحيح لتعاليمه ومفاهيمه الصارمة، وإتباع خطوات محددة داخل برنامج التحليلي، وسيصل بهذه القراءة المنطقية إلى إنتاج معنى مفترض للنص، وإلى إمطة اللثام على السر النهائي والكشف عن الدلالة الكلية للنص.

وعند البحث عن دلالات البنى السردية، وهذه الوحدات الخاضعة لعلاقات منطقية وفق حركة السرد ومنطقه بحسب الرؤية السيميائية السردية، فإننا نتجاوز الأبعاد اللسانية التي كانت التيارات الشكلية الدارسة لنظام السرد وعلاقاته المتن الحكائي، أو ما يسمى بالسردية اللسانية، تهتم بها شكلاً، دون الخوض أو التعمق في دلالاته، « لا تهمها الحكاية كموضوع بل المحكي كصيغة للتمثيل اللفظي، ويتزعم هذا التيار كل من جيرار جينيت، تودوروف، رولان بارت...»⁽²⁾، بينما السيميائية السردية « تهدف إلى تحديد قواعد وظائفية السرد كما هو الشأن عند غريماس بريمون، وبروب...»⁽³⁾ فجاء اهتمامها بالدلالة، خاصة عند تحليل المحكي في مستوى البنية العميقة.

لم يكن القصد من النظرية السيميائية السردية « البحث عن شروط القبض على إنتاج المعنى اعتماداً على مبدأ الاختلاف الذي تبناه التقليد السوسيري واليامسلافي، وإنما تعدها إلى تجاوز المتن المستهدف في التحليل، حيث لم ينحصر في الخطابات اللفظية وإنما ليشمل الوقائع والأنساق الدالة، التي تنتجها الممارسة الإنسانية.»⁽⁴⁾ فجاءت مفاهيم وإجراءات السيميائية السردية متنوعة، ومختلفة باختلاف المشارب العلمية التي اتكأت عليها، وفي ظل هذه القواعد والإجراءات المؤسسة للجانب النظري المنهجي للخطاب

(1) - سعيد بنكراد، البحث عن المعنى، المرجع السابق، ص: 55.

(2) - عبد القادر شرشار، مدخل إلى السيميائيات السردية، المرجع السابق، ص: 36.

(3) - المرجع نفسه، ص: 36.

(4) - عبد القادر شرشار، مدخل إلى السيميائيات، المرجع السابق، ص: 35.

الفصل الثالث: آليات إنتاج المعنى في السيميائية السردية المغاربية: المستوى العميق

السيميائي السردى، يشغل النقد السيميائي السردى المغاربي وفق ميكانزمات المنهج وضوابطه، وتتحدد أسس وعناصر درسه بالوجه الذي يمكن صياغته في شكل خطاب نظري وتطبيقي، يحكمه تصور يكاد يكون ممتلكا لأدواته، وآلياته، ومفاهيمه التي تتراوح بين النهل والاستلهام والتوفيق والإفادة حيناً، وبين التطويع والنقد والإضافة والتجاوز حيناً آخر.⁽¹⁾

سنحاول:

أولاً: أن نقف على الإجراءات العامة المحددة لسير التحليل للسيميائي السردى وفق تصورات النقاد المغاربة، والتي تمثل المرتكزات الأساسية والأولية للقراءة وتناول النصوص، وكإجراءات واجب تحديدها حتى نصل إلى ضبط القواعد المجزئة للمعنى على المستويين العميق والسطحي، المتوسل بها في معاينة مختلف الخطابات، لأن تحديد هذه القواعد وفهمها عائد بالدرجة الأولى إلى حدود العامة للمنهج الذي تبلورت فيه.

ثانياً: الوقوف على أهم هذه المقولات والمفاهيم الإجرائية على مستوى التحليل العميق، حسب أفق الكتابات النقدية المغاربية- باعتباره المستوى الموصل إلى المستوى السطحي- والتي مازالت في طور التجديد والانتساع، تبعاً لمسيرة المنهج وتحولاته ونموه فكرياً وإجرائياً ومفهومياً، وقابليته للتجدد والانفتاح على خارطة العلوم والمناهج الأخرى. وهذا يقتضي مسحاً لأهم الأقسام النقدية المعلمة في المنهج، من أجل بناء نموذج عام للرؤية النقدية المغاربية في بناء المعنى، وآليات إنتاجه بمنظور السيميائية السردية.

(1) - السعيد بنكراد، مدخل إلى الدراسات السيميائية بالمغرب -محاولة تركيبية-، المرجع السابق، الموقع الإلكتروني:

<http://www.saidbengrad.net/suivi/8.htm>

I. الآليات العامة للسيميائية السردية:

أولى المراحل هذه الآليات التي وضحتها النقد المغاربي، ويشغل عليها التحليل السيميائي السردية آلية **التقطيع**، تدرج لضبط تحليل البنى السردية في مستوياتها السطحي والعميق. ثم ننتقل إلى معرفة **المسار التوليدي للدلالة** الذي به نتعرف على مستويات تحليل النص، وأخيراً الوقوف على الوحدة الأولية التي تبني عليها دراسة المستويات المسار التوليدي للدلالة، المتمثلة في **السردية** كقانون عام يرخص للقارئ الولوج في النص، وتطبيق إجراءات بناء المعنى في المستوى المحايث والمتجلي.

1- التقطيع:

يعتبر التقطيع آلية تقليدية مارستها مختلف النقود الأدبية، لما لها من أهمية في تسهيل عملية التحليل، وتفعيلها انتظام القراءة في النصوص.

1.1 تعريفه:

يعرف السيميائي الجزائري عبد الحميد بورايو - والتعريف خصيص بمقطع القصة- المقطع بأنه يتشكل بناء على الوحدات التوزيعية المنظمة من جملة من الوظائف على نسق منطقي موحد، حيث تكون الوظيفة فيه الوحدة المعنوية البسيطة المشكلة للمقطع تجسد هذه الوظيفة فعل الشخصية المحدد في وجهته الدلالية عبر سيرورة الحبكة، وعليه يكون مجموع الوظائف المترابطة فيما بينها بعلاقة منطقية مقطعا⁽¹⁾. حيث يمثل:

- «تقطيع النص أو الخطاب إلى مجموعة من المقاطع الصغرى أو الكبرى، عملية منهجية ناجعة للإحاطة بدلالات النص الظاهرة والعميقة»⁽²⁾.

- «خطوة بيداغوجية أولية ضرورية لاستخلاص الوحدات المعنوية، وحصر البنات الصغرى والكبرى، التي تتحكم في بناء النص، وتعمل على تمطيته وتوسيعه إطنابا وتكثيفا وإسهابا»⁽³⁾.

(1) - عبد الحميد بورايو، المسار السردية وتنظيم المحتوى، المرجع السابق، ص: 23.

(2) - جميل حمداوي، السيموطيقا السردية- من سيموطيقا الأشياء إلى سيموطيقا الأوهام-، المرجع السابق، ص: 09.

(3) - المرجع نفسه، ص: 09.

الفصل الثالث: آليات إنتاج المعنى في السيميائية السردية المغاربية: المستوى العميق

- وسيلة إجرائية في المنهج السيميائي السردية، تساعد على تعيين المعنى، وفهم النص وتسهيل عملية تحليله وتأويله، وقد اعتمد غريماس في التقطيع على عدة آليات منها⁽¹⁾:

- 1- الضمانات النصية.
 - 2- التيمات المتتالية المتناسقة في تناسل الخطاب النصي.
 - 3- المكونات الخطابية المختلفة (التزمين- التفضي- بنية الممثلين)، وكل ما من شأنه أن يضيء دلالة الخطاب ويخلق آثار المعنى المسهم في بناء دلالة النص.
- يتضح أن التقطيع من أهم سمات السيميائية السردية، تخضع له النصوص والخطابات كآلية مساعدة على التحليل وإنتاج المعنى، ويتم ذلك استناداً لعدة معايير وجب على دارس الخطابات الوقوف عليها، «من أجل إعادة بنائها من جديد، وفهمها وإزالة غموضها والحد من التباسها الدلالي والمقاصدي»⁽²⁾

ولا يتعلق الأمر في التقطيع بالمنهج السيميائي السردية فحسب، إنما هو إجراء تقليدي متخذ من قبل الدارسين والمحللين للمحكي بصفة عامة، أكثرها يقوم على معياري المكان والزمان، وقد أخذ به قبل السيميائية السردية مثلاً التحليل البنيوي للقصة، يقول بارت « يجب البدء، أولاً، بتقطيع القصة، وتعيين مقاطع الخطاب السردية، الذي نستطيع أن نوزعه على عدد صغير من الطبقات. فكل نظام يتكوّن من وحدات ذات طبقات معروفة، وإننا لنقول باختصار، يجب تحديد أصغر وحدات السرد»⁽³⁾

من هذا يعلل الناقد التونسي محمد الناصر العجيمي اعتبار النقاد المشغلين على النظرية أن التقطيع ضرورة حتمية يقتضيها المنهج، وصاحبه غريماس ذاته الذي ينطلق من فرضية أن الدلالة ليست مضموناً قائم الذات في النص، بوسعنا النفاذ إليه بيسر، إنما نستخلصها بدراسة الشكل، والتعرف ضرورة على العلاقة المنتظمة بين الوحدات المكونة لنسيجه الدال.⁽⁴⁾

(1) - عبد المجيد العابد، مباحث في السيميائيات، المرجع السابق، ص: 60.

(2) - جميل حمداوي، السيموطيقا السردية - من سيموطيقا الأشياء إلى سيموطيقا الأوهام-، المرجع السابق، ص: 10.

(3) - رولان بارت، مدخل إلى التحليل البنيوي للقصص، تر: منذر عياشي، مركز الإنماء الحضاري، حلب، سوريا، ط1 1993، ص: 39.

(4) - محمد الناصر العجيمي، في الخطاب السردية نظرية غريماس (Greimas)، المرجع السابق، ص: 87.

الفصل الثالث: آليات إنتاج المعنى في السيميائية السردية المغاربية: المستوى العميق

يُعتمد عند دراسة البنى العميقة على آلية تقطيع النص إلى وحدات دلالية أو معنوية صغرى، ما يسمى "بالمعانم"، ليتمكن القارئ بأدوات المنهج المنطقية الوقوف بكل سلاسة على المعنى، و« إن كان التقطيع في هذا المستوى أكثر إشكالاً، وأذهب في التعقيد من التقطيع في ذاك [المستوى السطحي]، بحكم غموض الدلالة واستعصاء حصرها»⁽¹⁾

إن التقسيمات أو التحديدات المقطعية التي تكون على معيار معين من معايير تقسيم النص، من مثل المعيار الوصفي أو الزماني أو المكاني الحوار...، والذي تعرف من خلاله بنيات النص، تظل مميزة للتنظيم السطحي وتظهرات النص الظاهرة، وتفقد تميزها حين تحليل نظامها العميق، أي دراسة التنظيم الخفي الكامن في النص، باعتباره وحدة معنوية تامة.⁽²⁾ فإرها غريماس تقسيمات تقليدية تعرف على أساسها على وحدات النص. تبقى مميزة للمظهر الخارجي للخطاب فحسب، وتفقد صفتها التمييزية عند الولوج إلى عمقه، الذي يعد كلاً دلاليًا، من هنا وجب اتخاذ السرد بما يحمله اللفظ من مفهوم واسع أحد مبادئ تقسيم النصوص على مستواها العميق، يساعد على تقسيم النص وتنظيمه حيث كل مقطع سردي قادر على أن يكون لوحده حكاية مستقلة.⁽³⁾

نعتمد في تقطيع النص السردى على كل وحدة بنائية تشكل كونًا حكايةً مستقلة بذاته، تدخل في صلب الحكاية الأكبر المندمجة فيها. إن الانتظام المستقل لمقطع سردي هو الضامن لفرض التسلسل الوظيفي « بهذا التصور يمكن للمقطع أن يأخذ وضع وحدة سردية قاعدية، وأن يتجاوز إطار الحدس البروي»⁽⁴⁾

يكون المقطع السردى في حقيقته رواية صغيرة تحوي قصة مصغرة ووحدة حكاية مستقلة في دلالتها وتركيبها بنفسها، يتم تقطيعها وتركيبها إلى مجموعات أو بنيات أو فقرات من خلال جملة من المعايير الدلالية والشكلية والتداولية⁽⁵⁾، تكون قابلة ضمناً وتوليداً

(1) - محمد الناصر العجمي، في الخطاب السردى نظرية غريماس (Greimas)، المرجع السابق، ص: 87.

(2) - الجيرداس جوليان غريماس، في المعنى -دراسات سيميائية-، ترجمة: نجيب غزاوي، مطبعة الحداد، اللاذقية، سوريا (د ط)، 2000، ص: 181.

(3) - المرجع نفسه، ص: 182.

(4) - عبد القادر فهم شيباني، سيميائيات المحكي المترابط، المرجع السابق، ص: 25.

(5) - جميل حمداوي، السيموطيقا السردى -من سيموطيقا الأشياء إلى سيموطيقا الأهواء-، المرجع السابق، ص: 10.

لإنتاج معنى ما، باعتبارها برنامجاً سردياً تسلسلياً في رواية أكبر، أي ضمن وحدة خطابية أكبر منتمة إليها، تشكل موضوع الخطاب ككل.

من بين الذين اهتموا بالتقطيع الخطاب والنص السردى إلى متواليات ووحدات دلالية سردية، بروب في دراسته (مورفولوجية الخرافة)، غريماس (في المعنى)، موباسان (سيموطيقا النص) بريمون، بارت، كريستيفا، كورتيس، جماعة أترفون... هذا بالنسبة للدراسة الغربية، وعند العرب: محمد مفتاح، عبد الحميد سنوسي- سعيد بنكراد عبد الحميد بورايو، محمد الداوي، رشيد بن مالك، عبد اللطيف محفوظ، السعيد بوطاجين، محمد القاضي، جميل حمداوي...

2.1 أهم المعايير في آلية التقطيع:

حسب تفصيل جميل حمداوي في كتابه السيموطيقا السردية لأهم المعايير تقطيع النص، أختصرها في الآتي⁽¹⁾:

أ- **المعيار البصري:** يتعلق بالجهاز الكتابي الظاهر علة الصفحة، وما تحملة الكتابة من علامات الطيبوغرافية، من ترقيم وتنصيب أو أيقونات- نجمة، مطة...- وتقطيع لفقرات ومقاطع وفصول، ونوع الخط بين الرقيق والعريض، الأفقي والعمودي، والعناوين وغيرها... وكذا يرتبط بمدى السواد والبياض المتربع في الصفحة. وهو معيار أولي كثيراً ما يعد غير كافٍ للتقطيع، فيلجأ إلى غيره.

ب- **المعيار التركيبي:** يستند إلى الروابط النحوية المحققة لانسجام واتساق النص ولحمته البنوية، تسمى بالوحدة العضوية أو الموضوعية، منها: لكن، على الرغم، هذا، وإن... وهي محددات نحوية وتركيبية تفصل بين المقاطع النصية اتصالاً أو انفصالاً. وتختلف نوعية محدداتها عند التقطيع، فنجد منها مقاطع الإثبات والتعارض، أو الحجاج والإقناع أو مقاطع استنتاج وشرح وتفسير، أو حكم وتقرير وتأكيّد...

ت- **المعيار الفضائي:** يعتمد على المحددات الزمانية والمكانية عند التقطيع، لتسهيل القراءة، ولا يتأتى ذلك إلا عند ورود تنوع في الأزمنة والأمكنة على مستوى النص، كأن

(1) - أنظر: جميل حمداوي، السيموطيقا السردية من سيموطيقا الأشياء إلى سيموطيقا الأهواء-، المرجع السابق، ص، ص:

الفصل الثالث: آليات إنتاج المعنى في السيميائية السردية المغاربية: المستوى العميق

تكون أحداث قصة وقعت بين الماضي والحاضر، أو المدينة والقرية، فجزئ النص إلى مقطعين الأول الماضي والثاني الحاضر، أو الأول في القرية والثاني في المدينة. ويكون بين المقطعين اتصالاً وتلاحقاً وترابطاً.

ث- المعيار العملي أو الفاعلي: تقطع النصوص بالنظر إلى العوامل (ذات، موضوع مرسل...) أو إلى الشخص (الشخصية الرئيسة أو الثانوية) أو إلى المعيار الفاعلي (المعجمي أو الكلامي، أو التيماتكي، السياقي). فإن ظهور عامل أو فاعل أو شخصية ثم غيابها يعد مظهرًا للتقطيع عند السيميائيين لتحول الأحداث من عامل لغيره، يسهم بشكل دقيق في تجلية المقطع.

ج- المعيار الدلالي التيماتكي: من أهم المعايير المستخدمة في التقطيع، يقسم النص إلى وحدات معنوية صغرى، تظهر استقلاليتها الحديثة، لكن تبقى مشدودة للنص مرتبطة بحدثه الأول والأساسي وقالبه الحكائي، بذلك يركز التقطيع على التيمات والمواضيع المشكلة للنص، أو الأفكار الرئيسة التي بني عليها النص، أو يتم بتحديد الوظائف كما عند بروب في تحليله الحكايات الشعبية، فتكون التجزئة عبر مسح عام للنص من بدايته إلى نهايته مرورًا بمنتصفه.

ح- المعيار التشاكل^(*): يتداخل هذا المعيار مع المعيار السابق الذكر- الدلالي- يعني بالتقطيع على مستوى الوحدة المعنوية، وخلق آثار المعنى، ويكون على مستوى الجملة كما يمكن أن يكون على مستوى الخطاب ككل، وعلى مستوى الدلالة والمضمون القار في النص. ينظر بمعيار التشاكل إلى جملة التراكبات للمقومات المعجمية والسياقية التي من شأنها أن تحقق انسجام النص واتساقه، وإزالة الغموض. يحدد المحلل التشاكلات في النص برصد التكرارات الواردة فيه، فيكون التشاكل مجموعة النظائر أو المقولات الدلالية والعناصر التي تتيح تناسق الخطاب وقراءته قراءة منسجمة، منها مجموعة النظائر النحوية

* - سوف نتعرض بالشرح لمصطلح التشاكل وعمله كإجراء يعين المعنى في مستواه العميق في الجزئيات اللاحقة من هذا الفصل.

الفصل الثالث: آليات إنتاج المعنى في السيميائية السردية المغاربية: المستوى العميق

التي تعتمد على تكرار الأصناف النحوية وتواترها، والنظائر الدلالية التي تسمح بقراءة النص قراءة موحدة.⁽¹⁾ فيتم بالتشاكل سهولة القراءة وفهم النص.

خ- **المعيار المناصي (Paratextuelle):** أو عتبات النص، يرصد فيه النص الموازي بكل متعلقاته، من هوامش وعناوين وإهداءات وتعليقات ومقدمات، ورموز وأيقونات وصور وأشكال، وملاحق وفهرسة وغلاف وكلمات الناشر... وكل ما هو خارج النص وتابع له. يمكن اتخاذها معايير لتقسيم النص، تدخل في مجال المعيار البصري لا سيما منها العناوين، يحدد بها المقاطع وال فقرات في النص، بما أن العنوان ثريًا النص، يختزل في جوفه المعنى والكون الدلالي العام للنص أو المقطع المحدد به.

د- **معيار الاندماج والاندماج:** (معيار الاتصال والانفصال) وهو معيار معمول به في التحليل السيميائي السردية تحدد به المقاطع الحكائية، من خلال جملة من المحددات الرابطة كالمؤشرات الزمنية والمكانية والضمائر والظروف وأسماء الإشارة وأدوات الربط والأسماء...، والتي نستطيع بها أن نكشف دلالة ومعنى المقطع ومنه النص، ويبين محمد مفتاح توضيح السيميائيون عملية الاندماج واللاندماج في الشكل الهرمي الآتي⁽²⁾:

الإنسان

أنا // غير أنا

أنت // هو

الزمان

المكان

الآن // غير الآن

هنا // غير هنا

البارحة // مرة // غدًا

هناك // مكان ما

يعني في:

(1) - الجيرداس جوليان غريماس، في المعنى -دراسات سيميائية-، المرجع السابق، ص: 210.

(2) - محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري-استراتيجية التناص-، المرجع السابق، ص: 152.

الفصل الثالث: آليات إنتاج المعنى في السيميائية السردية المغاربية: المستوى العميق

- العامل: اندماج "أنا" في الخطاب أو لا اندماج بحلول غيره من الضمائر.
- المكان: اندماج "هنا" في الخطاب أو لا اندماج بحلول غيره من الظروف المكانية.
- الزمان: اندماج "الآن" في الخطاب أو لا اندماج بحلول غيره من الظروف الزمانية.

هي إذاً معينات دلالية إدماجية و لإدماجية يقصد بها كل ما يحيل على هيئة المقال أو الخطاب من زمان ومكان وضمائر... تمنح الخطاب مرجعية دلالية، وتكون فيه حياة الخطاب، التي هي تمثيل متأرجح بين وجهتين الذاتية والموضوعية في نفس الوقت فعندما لا تندمج الذات في الخطاب تقدم هذه المعينات نفسها على أنها موضوعية، وحينما تندمج الذات تنزع هذه المحددات عن انفعالاتها كل غطاء أو فناع⁽¹⁾. فيكون معيار الاندماج والاندماج أحد الطرق العملية في تقطيع النص للغوص في دلالاته السطحية والعميقة.

ذ- المعيار الأسلوبي: يعمل بهذا المعيار عند لجوء المبدع في بناء نصه بأكثر من أسلوب بين المباشر وغير المباشر، بين التقرير والوصف، و بين السرد والحوار، بين الخبري والإنشائي...، حيث يتمكن القارئ من خلال انتقالات الكاتب بين الأساليب المختارة أن يحدد بها المقاطع من النص المنتج، حيث كل تغيير في الأسلوب يتحدد المقطع.

ر- المعيار الإيقاعي: ويتعلق الأمر بالكتابات والإبداعات الشعرية، إذ يمكن تغيير البحر أو التنويع في القافية أو التفعيلات أو الري من تحديد المقاطع الشعرية الممكنة في القصيدة، ويكون التقطيع أكثر سهوله ومرونة عند الالتزام بلازمة في بناء النص المنظوم وهي - على حد تعبير جميل حمداوي- من أهم المكونات الإيقاعية التي بها يتم تقسيم مقاطع النص⁽²⁾، والتي نجدها ماثلة دوماً في الموشحات والكثير من إبداعات النصوص الشعرية الحرة.

(1) - أنظر: محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري-استراتيجية التناص-، المرجع السابق، ص، ص: 151، 153.

(2) - جميل حمداوي، السيميوطيقا السردية من سيميوطيقا الأشياء إلى سيميوطيقا الأهواء-، المرجع السابق، ص: 26.

- ز- معيار المنظور السردى: ويخص النصوص ذات الطابع السردى من روايات وقص وأساطير...، يعمل بهذا المعيار عند الاحتكام إلى كيفية طرح الأحداث والشخصيات وتقديمها في النص المسرود، أو مستوى التبئير، حيث يتم ذلك عبر ثلاث رؤى⁽¹⁾:
1. **الرؤية من خلف:** يكون السرد بضمير الغائب، والهيمنة للراوي في تقديم الأحداث والشخصيات حتى تصل الموضوعية في الطرح إلى درجة الصفر في أغلب الأحيان ومعرفته تفوق معرفة الشخصيات على مجرى الحكى.
 2. **الرؤية مع:** يستند فيها للضمير المتكلم عند السرد، ومنه مشاركة الشخصيات الراوي الحكى، فتتساوى المعرفة بمسار الأحداث بينهما.
 3. **الرؤية من فوق:** أو من الخارج، حيث تهيم معرفة الشخصيات وتكون أكثر من معرفة الراوي، الذي يكون مجرد ملاحظ أو مشاهد خارج نطاق الأحداث، يهيم الحكى بالضمير المتكلم أو الغائب.

عند تغيير الرؤية في الحكى يمكن أن يشكل ذلك مقطع دلالي، ضمن مقاطع النص فيشكل معيار التبئير محددًا دلالية لضبط مقاطع النصوص السردية.

هي معايير بين يدي المحلل يأخذ بالتي يراها الأنفع والأصلح في تقطيع النص، تجعل من المقطع وحدة دلالية تنحو منحى القصة أو الخطاب التام البناء، تساعد جملة مقاطع النص على فهمه والولوج إلى دلالاته عبر المستويين السطحي والعميق، تمكنه من الوقوف على المعاني الجزئية وربطها بالمعنى الكلي للنص، وقد يعتمد الناقد عدة معايير في آن واحد، تجعل من تقطيع النص أسهل وأوضح في تحديد كل مقطع أو بنية دلالية على حدة.

تمثل لهذه الآلية- آلية التقطيع- بعض تطبيقات السيميائيين المغاربة، فمثلاً بين رشيد بن مالك في تحليله كلية ودمنة وتحديدًا نص النصيحة، التي أسداها الفيلسوف الهندي للملك دبلشليم، معتبرًا إياها الحكاية والنص الإطار، أننا لا تفهم باقي حكايات كلية ودمنة، إلا عند القراءة المعمقة للنصيحة في التي تغذي دلاليًا كل حكايات كلية

(1) - أنظر: جبرار جينيت، خطاب الحكاية، تر: محمد معتم وأخران، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط03، 2004، ص: 201، 204.

الفصل الثالث: آليات إنتاج المعنى في السيميائية السردية المغاربية: المستوى العميق

ودمنة، فأى تأويل دلالي لهذه الحكايات ويخرج عن النص الإطار ومحاوره تعتبر قراءة تضلل القارئ وينقله إلى مواقع مهزوزة تفتقد إلى القواعد المؤسسة للنص. وقد قسّم الناقد النص الإطار إلى: قبل/في أثناء/ بعد، ثلاث مقطوعات أساسية⁽¹⁾:

- 1-المقطوعة الأولى: استند إلى الإحداثيات الزمنية والفضائية قبل ذهاب بيدبا إلى القصر.
- 2-المقطوعة الثانية: انتقال بيدبا إلى القصر وإسداء النصيحة للملك.
- 3-المقطوعة الثالثة: تبدأ بعد تبليغ بيدبا الرسالة للملك.

اعتمد السعيد بوطاجين في دراسته لحركة العوامل في رواية بن هدوقة " غدا يوم جديد" عند تحليله تقطيع الرواية إلى مقاطع كبرى، حيث كل مقطع يشكل وحدة كبرى مستقلة عن وحدات الخطاب السردية، قابلة للاشتغال كقصة منفردة، فرصد بذلك خمسة مقطوعات مشكلة مفاتيح الرواية، نصنفها من أنواع التقطيع للتقطيع حسب المنظور العاملي والمنظور الدلالي التيماتكي، وهذا بتحديد المواضيع المشكلة لقلب السردية للرواية، وهي⁽²⁾:

1- مسعودة تريد الذهاب إلى العاصمة.

2 - مسعودة تريد تدوين قصة حياتها.

3 - الحبيب يريد الذهاب إلى الزاوية.

4- عزوز يريد الحصول على الأراضي.

5- العمة حليلة تريد تزويج خديجة بقدر.

حدد الدكتور في القسم الأول من الدراسة خمسة أجزاء معنونة بمواضيع الحكايات الرئيسية في الرواية، ذلك أن الموضوع في الرواية يرسم خطا سرديا متشابكا بحسب حركة العوامل المتفاعلة جراه، منها مثلا:

-الجزء الأول: المدينة - الموضوع 1: بدأ الدكتور مباشرة في تحديد الذات

"مسعوة" ورغبتها في تحقيق الموضوع، والمتمثل في الذهاب إلى المدينة، ولتحقيق ذلك وجب وجود حلقة وصل (التحيين)، وهي الزواج من قدر، وبذلك تكون الذات

(1) - رشيد بن مالك، قراءة سيميائية في كلية ودمنة لعبد الله بن المقفع، مجلة السمياء والنص الأدبي، منشورات جامعة محمد خيضر، بسكرة، العدد 03، أفريل 2004، ص: 17.

(2) - السعيد بوطاجين، إشغال العاملي -دراسة سيميائية-، المرجع السابق، ص: 21.

الفصل الثالث: آليات إنتاج المعنى في السيميائية السردية المغاربية: المستوى العميق

منفصلة عن الموضوع وترغب في الاتصال به، كما أن الانفصال عن الدشرة وقيمها يمثل إيعاز لتحقيق الرغبة أو الموضوع، فكان بذلك البرنامج السردى في وضعه البدئى مبني على فصل مزدوج: (قدور V ذات V مدينة).

كما نجد الناقد الجزائري بورايو في دراسته التطبيقية على القصة الشعبية ألف ليلة وليلة، قد قسم مقاطع كل قصة منها إلى الحكاية الأم والقصص المتضمنة فيها، من ذلك⁽¹⁾:

- الحكاية الإطار الأم: قصة الملك شهريار (القصة المتضمنة)

- أ. القصة الافتتاحية: شهريار وشاه زمان.
ب. قصة المرأة والعفريت.
ت. قصة شهرزاد وأبيها والملك شهريار.
ث. قصة الحيوان (الثور والحمار وصاحب الزرع وزوجته.
- القصص المتضمنة

من هذا التخطيط المبين لمقاطع السردية للقصة نجد الناقد بورايو قد بنى مقاطعه من منظور تفصيل القصص المضمنية الداخلة في هيكل القصة الأم، حيث كل قصة منها تشكل مقطعاً، قد يستقل بوجوده مجسداً قصة منفردة لها وضعية انطلاقيه، ثم وضعية اضطراب فتحوّل، للوصول إلى الوضعية النهائية.

وتعتبر البنية الأولية أو بنية الانطلاق في المقطع هي البنية المحددة لتمفصل المحكي أو المقطع السردى، ويقع ذلك في مستوى البنيات العميقة والمجردة، فهي تمثل الطريقة الوصفية أو المسلك الايضاحي الوصفي للكشف عن الوقائع السيميائية في مستواها العميق مستوى تجلي المعنى، هذه البنيات المعنوية الأولية الناشطة في عمق النص هي التي تبين وضعية الفرد والمجتمع داخل المحكي، وشروط وجود الموضوعات السيميائية فيه من هنا يكون لبنيات الانطلاق عبر المستوى العميق وضع منطقي قابل للتحديد⁽²⁾ سابقة في التجلي تحدد في نموذج السيميائي للبنية الأولية المربع السيميائي.

(1) - عبد الحميد بورايو، المسار السردى وتنظيم المحتوى، المرجع السابق، ص: 30.

(2) - المرجع نفسه، ص: 28.

3.1 أهمية المقطع:

وتكمن أهمية التقطيع في النقاط الآتية:⁽¹⁾

- 1- تسهيل مقارنة النصوص وتحليلها منهجياً (بنوياً وسيمائياً)
- 2- تسهيل عملية تطويع النص في جميع جوانبه.
- 3- المساعدة على الإحاطة بالدلالات الجزئية، ثم الكلية للنص.
- 4- عملية بيداغوجية تساعد في الانتقال من الخاص إلى العام، ومن الجزء إلى الكل.
- 5- التحكم في تفصلات النص الكبرى والصغرى.
- 6- آلية منهجية أولية لتطويق النص قبل مقارنته وتحليله وتأويله.
- 7- يساعد على اتساق النص وانسجامه.
- 8- تسهيل عملية القراءة، وضبطها وإزالة الغموض والالتباس.
- 9- تسهيل معرفة البنيات الثاوية المولدة لمتظاهرات النص الدلالية.
- 10- المساعدة على استخلاص البنيات السردية والخطابة التي يخضع لها النص.
- 11- المساعدة على تحصيل معنى النص وإنتاج دلالاته.
- 12- الإعانة على تمييز المقاطع البنائية للنص: الاستهلال - الوسط - الخاتمة.
- 13- تبين مدى ترابط وتناسق النص.
- 14- إيضاح مدى استقلالية كل مقطع عن غيره، من حيث الجزئيات التي بني عليها التقطيع (زمان - مكان - شخصيات)
- 15- إظهار العناصر المهيمنة في كل مقطع وعلاقتها بغيرها من المقاطع... ووجب إضافة بعض المراجع وتدعيم العنصر.

2. المسار التوليدي للدلالة:

وضع غريماس هيكلًا عامًا سَمَّاه المسار التوليدي "Parcours generatif"، يعمل على تحديد حضور المعنى وتظهره ثم تأويله، حسب العلاقات التي تحكمه، الموجودة في حدود البنيات التي يتم بها رصد وإنتاج المعنى، وتقبض على الدلالات المحتملة.

(1) - انظر: عبد المجيد نوسي، التحليل السيميائي للخطاب، ص: 14. وجميل حمداوي، السيموطيقا السردية، ص، ص: 32

1.2 المسار التوليدي ومستويات القبض على المعنى:

تعقد مستويات القبض على المعنى وإنتاجه في شبكة بنائية كما وصفها دانيال باط تسمى المسار التوليدي للخطاب، يحتكم لأدوات وخطوات منهجية مقننة منطقيًا. يقوم على التمييز بين البنات سميًا سردية، والبنات سميًا خطافية.⁽¹⁾

يشمل المسار التوليدي للدلالة ثلاثة مستويات متعلاقة فيما بينها، تحكما بنيتان:⁽²⁾

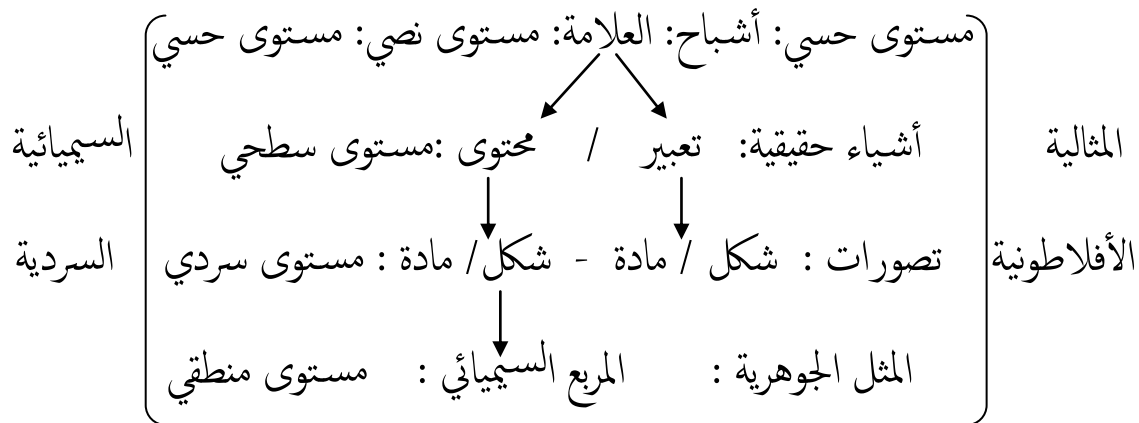
1- البنية السيميائية السردية: وتتكون من:

أ- المستوى المورفولوجي (العميق): ويرصد البعد الدلالي والمنطقي.

ب- المستوى التركيبي (السطحي): ويرصد التحويل من النظام المنطقي إلى نظام التركيب السردية.

2- البنية الخطافية: وهي بنية متجلية، محددة في مستوى التركيب الخطافي، متحققة انطلاقًا من الصوغ الخطافي للبنية السيميائية السردية.

يطابق محمد بن شماني بين المسار التوليدي الغريماسي بما جاء به في المثالية الأفلاطونية من تقسيمات للعلامو ومستويات ويثبت درجة التطابق الشبه التام بينهما، ونجمل مستويات التصورين في الخطاطين الآتيتين⁽³⁾:



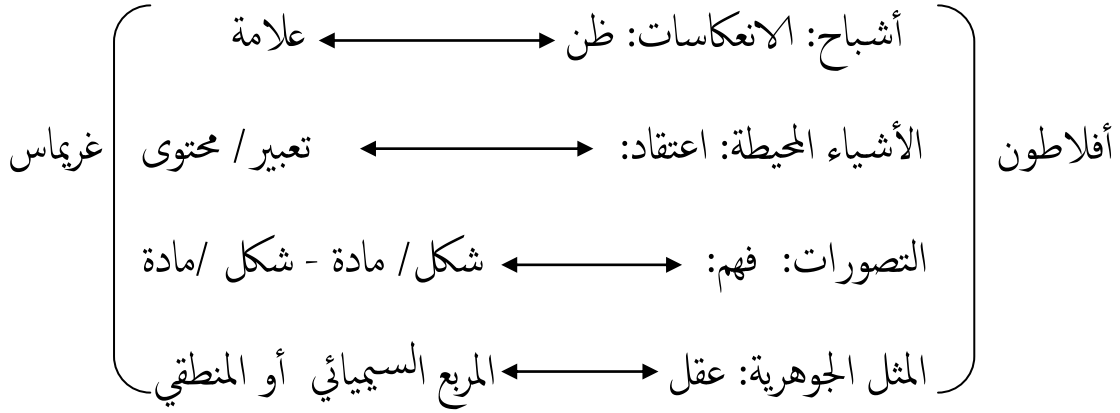
(1) - دانيال باط، المربع السيميائي والتركيبي السردية، تر: عبد الحميد بورايو، مجلة بحوث سيميائية، مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية، الجزائر، مجلد 03، العدد 03، 2007، ص: 144.

(2) - السعيد بنكراد، مدخل إلى الدراسات السيميائية بالمغرب - محاولة تركيبية-، المرجع السابق، الموقع الإلكتروني:

<http://www.saidbengrad.net/suivi/8.htm>

(3) - محمد بن شماني، أصول التأصيل وصيغ التمثيل من المثالية الأفلاطونية إلى السيميائية السردية، مجلة أبحاث، جامعة ع 02، سبتمبر 2014، ص - ص: 178-179.

باختصار



- مستويات البناء الدلالي بين المثالية الأفلاطونية والسيميائية السردية -

يرى غريماس ومن خلفه من علماء السيميائية السردية وجوب تحليل النص السردى أو أي مكون خطابي وفق مستويين: السطحي والعميق. وأن « وصف خطاب الرواية في ضوء المسار التوليدي يضيف إلى قراءة شكل الدلالة بالمفهوم السيميوطيقي وهو تشييدها بصفتها معنى متمفصلاً⁽¹⁾، يكون فيها إنتاج المعنى بالعودة إلى النص دون سواء والكشف عن النظام المنطقي للعلاقات القائمة داخله، وربطها فيما بينها، وربط البيانات السردية بغاياتها، فتعطي قراءة للصورة المتوقع للمعنى، مع احتمالية قراءاته المفتوحة على أي دلالة محتملة، في حدود النص بعلاقاته وبياناته السردية الدالة.

وعبر هذا المسار التوليدي للدلالة يتعدد إنتاج المعنى، ويعود التعدد إلى احتمالات قراءته وتوليد الدلالات الممكنة فيه، والمرتبطة بديمومة النص؛ « أي أن العلاقة التي تربط جوهر الدلالة بالخطاب الأدبي هي علاقة توليدية، من حيث خضوع المعنى لديمومة النص، أي بنيته المتكاملة المقلقة، والاحتكام إلى عناصره الداخلية فقط، في تحركها وتوزعها ضمن محاور دلالية، يحكم امتلاكها الطاقة الكافية على تغيير الدلالات الأصلية المشحونة فيها.⁽²⁾ وتبقى دومًا دلالة النص رؤية مقترحة تنتج عبر بنيات النص المعنوية

(1) - عبد المجيد نوسي، التحليل السيميائي للخطاب الروائي، المرجع السابق، ص: 07.

(2) - عبد القادر شرشار، مدخل إلى السيميائيات، المرجع السابق، ص: 37.

الفصل الثالث: آليات إنتاج المعنى في السيميائية السردية المغاربية: المستوى العميق

وبقوانين المنهج نصل إليها، مع الإبقاء على حق الرؤى الأخرى في التوقع في النص والالتقاء إليه.

2.2 رؤية النقد المغاربي للمسار التوليدي للدلالة

الذي رأيناه في تحديد المسار التوليدي المتضمن مستويات القراءة في السيميائية السردية، التي جاء بها غريماس أن النقد المغاربي^(*) قد طرحه للقارئ العربي برؤيتين وليس بين الرؤيتين تعارض، وهما:

➤ ورؤية حصرت في التقسيم الثنائي.

➤ رؤية ساقته على التقسيم الثلاثي.

أ- **الرؤية الأولى:** وهي الرؤية الأغلب حضورًا في النقد المغاربي، من بين العاملين بها^(*):

- عبد المجيد العابد، يقول: « قسم غريماس المسار التوليدي إلى بنيتين رئيسيتين: بنية سيميائية سردية، وبنية خطابية، فالبنية السيميائية السردية تنقسم بدورها إلى بنيتين فرعيتين، بنية عميقة (المربع السيميائي) أي البنية الأولية للدلالة، وبنية سردية سطحية فالأولى مجردة والثانية بين المحادثة والتجلي (بين بين)، أما البنية الخطابية: فمتجلية متمظهرة.⁽¹⁾»

- نادية بوشفرة، التي ضبطت قسمي المسار التوليدي في المستويين السطحي والعميق، تقول:

*- تجدر الإشارة إلى أن الناقد الجزائري رشيد بن مالك لم يتعرض إلى هذا المصطلح بمفهومه في قاموسه السيميائي للنصوص والذي يعد أهم آلية ضبط للمنهج السيميائي السردية. وكذا الشأن بالنسبة للناقد الجزائري فيصل الأحمر في قاموسه معجم السيميائيات.

*- أنظر أيضًا: عبد القادر شرشار، السيميائيات السردية، ص37. وقادة عقاق، الخطاب السيميائي في النقد المغاربي، ص31-32. وجمال الحضري، سيميائية النصوص، ص- ص: 12-13.
(1)- عبد المجيد العابد، مباحث في السيميائيات، المرجع السابق، ص: 34.

الفصل الثالث: آليات إنتاج المعنى في السيميائية السردية المغاربية: المستوى العميق

« يمكن تفسير الطوابق (*) بمكونين اثنين هما:

✓ **المكون السردى:** يهتم بتتابع الحالات والتحويلات.

✓ **المكون الخطابي:** وفيه يتم استخراج الصور وضروب المعنى.

وهما يدخلان في نطاق مستوى البنية السطحية، بينما يقتضي مستوى البنية العميقة شبكة من العلاقات ذات الترتيب المحكم لقيم المعنى ونسق للعمليات، يعمل على تنظيم مسار تلك القيم.⁽¹⁾

- محمد الناصر العجبي كعينة من النقد التونسي، يورد المستويين بطرح يخالف قليلا العينتين السابقتين في جمازه المصطلحي، فيرى وجوب العمل على مستويات تحليل النص حسب السيميائية السردية بنحو تدريجي هرمي مكتمل، يقوم حسب الدراسة الغريماسية* على مستويين⁽²⁾:

01. **مستوى سطحي:** ينبثق بدوره إلى مكونين:

➤ **مكون سردى:** يقوم أساسًا على تتبع سلسلة التغيرات الطارئة على حالة الفواعل.

➤ **مكون تصويرى:** (أو بياني) ومجاله استخراج الأنظمة الصورية المبتوثة على نسيج النص ومساحته.

02. **مستوى عميق:** ويختص بدراسة البنية العميقة، استنادًا إلى نظام الوحدات المعنوية الصغرى.

*- أوردت الناقد نادية بوشفرة لفظ الطوابق لبارت الذي بين أن فهم المحكي يمر عبر التعرف على الطوابق القائمة في القصة فلا تقرأ للقراءة للمحكي من كلمة لأخرى بل بالانتقال من مستوى لآخر. مأخوذ بترجمة الناقد من:

r.Bqrthes, Introduction à lanalyse structurale des rëcits, p11.

(1) - نادية بوشفرة، مباحث في السيميائية السردية، المرجع السابق، ص: 44.

* - يستلهم غريماس هذه المستويات من تقسيم ثنائية الدال والمدلول التي جاء بها دي سوسير وما جاء به يلمسليف في تقسيمه الرباعي لمستويات تحديد العلامة/ النص/ الخطاب.

(2) - محمد الناصر العجبي، في الخطاب السردى نظرية غريماس (Greimas)، المرجع السابق، ص: 33.

إن البناء التحليلي للمستوى السطحي عند غريماس موقوف على التعامل مع المكونين السردية والتصوري، وهذا المستوى يعالج فيه «البنية المتجلية على نسيج النص الخارجي، مبررين الوحدات المكوّنه له ونظم علاقات ببعض»⁽¹⁾. هي عينات مما جاء في النقد السيميائي السردية المغاربية، تحيل قراءة النص مباشرة من خلال هذا المنهج إلى مستويين، فمنهم من يتجاهل ذكر البنية الخطائية التي هي بنية متجلية، في حين نجد من يفردها ببنيتها المستقلة ويجمع المستويين السطحي والعميق ضمن بنية واحدة هي البنية السيميائية السردية، هذا لأن البنية الخطائية تدخل في اختصاص الأسلوبية كما قال بذلك بنكراد، وتكوّن إلى جانب البنية السابقة مستويات المسار السردية الذي به يحلل النص، لذا يسقطها الكثير من المحللين المركزيين على آليات البحث السيميائي السردية لاهتمامها البعد اللساني الصرف، ودراسة للدوال وتظهرها.

ب- الرؤية الثانية: هي الجماعة النقاد الذين أخذوا بالتقسيم الثلاثي، تمثل لهم بما أورده:

- **عبد اللطيف محفوظ:** إذ وضح أن أهمية دراسة غريماس السيميائية السردية في التحليل وفق هذا المسار التوليدي للدلالة، أنه انتقال من الاهتمام بالتحليل السطحي للنصوص إلى تحليل المستويات العميقة منها، في محاولة لضبط شكل معنى النص وافتراضه وجود بنيات ثاوية أساسية للدلالة، تكوّن في بنيتين سطحية وعميقة تكوّنان مقابلتين لبنية مادية ملموسة، هي البنية الخطائية الظاهرة، ذات البعد اللساني الصرف.⁽²⁾

- **سعيد بنكراد:** حيث بيّن أن المسار التوليدي - حسب غريماس - يمر عبر ثلاث محطات رئيسية هي⁽³⁾:

أ- **البنيات العميقة:** يحدد فيه نمط الكينونة الخاص بالفرد والمجتمع، وشروط وجود الموضوعات السيميائية، ميزة هذه البنيات المنطقية.

ب- **البنيات السطحية:** تشكل نحوًا سيميائيًا، خاصًا بتنظيم المضامين القابلة للتمظهر.

(1) - محمد الناصر العجمي، في الخطاب السردية نظرية غريماس (Greimas)، المرجع السابق، ص: 87.

(2) - عبد اللطيف محفوظ، آليات إنتاج النص الروائي-نحو تصور سيميائي-، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط01، 2008 ص: 139.

(3) - سعيد بنكراد، مدخل إلى السيميائية السردية، المرجع السابق، ص: 29.

ت- بنيات التجلي: وهي بنيات عملها تنظيم وإنتاج الدوال.

وأن المستوى السطحي هو حد من حدود قراءة المعنى في النقد السيميائي السردية يتمظهر بين المحايث والتجلي، ينتمي إلى المسار التوليدي للنص ويتمظهر في مكونين:

1- تركيب سردي.

2- دلالة سردية.

كما هو الشأن في البنية العميقة التي تحوي بدورها مكونين:

1- تركيب أصولي.

2- دلالة أصولية.

وبالعودة إلى مفهوم المسار التوليدي للدلالة فإن غريماس كان قد أوجده من مسار الفكر البشري، الذي ينطلق من البسيط إلى المعقد وما يصادفه من معيقات وخيارات التي يلجأ إليها ليتوصل إلى بناء موضوعات ثقافية (أدبية، أسطورية تصويرية...) ⁽¹⁾، وفي خطوة توضيحية أعمق للمسار التوليدي المرتبط بالوجود والفكر الإنساني، بين الناقد المغربي بنكراد أن التحليل السيميائي السردية يعتمد على الانتقال من المحايث إلى التجلي عبر ثلاث محطات رئيسة ⁽²⁾:

1- **البنيات العميقة:** تتميز بوضعها المنطقي، بعبارة أخرى، يتعلق الأمر في هذا المستوى بتحديد جوهر الحزان الثقافي الذي يتحكم لاحقا في أشكال تحقق السلوكات المخصصة كما يمكن معاينة ذلك من خلال المفاهيم المجردة كالصدق والخير والشر...فما يبرر هذا السلوك أو ذاك ليس حكما سطحيا ينصب على حدود التحقق، بل ارتباط هذا السلوك بثقافة تبرره وتفسره. فهي بذلك بنية ذات علاقة بالشكل الفعلي لوجود الإنسان الفرد منه والجماعة، متعلقة بالايديولوجيا. ⁽³⁾

(1) - الجيرداس جوليان غريماس وفرنسوا راستي، حركة الضرورات السيميائية، تر: عبد الحميد بورايو ضمن كتاب: الكشف

عن المعنى في النص السردية، دار السبيل، الجزائر، د.ط، 2008، ص: 59.

(2) - سعيد بنكراد، السيميائيات السردية، المرجع السابق، ص- ص: 56-57.

(3) - عبد اللطيف محفوظ، آليات إنتاج النص الروائي-نحو تصور سيميائي-، المرجع السابق، ص: 139.

الفصل الثالث: آليات إنتاج المعنى في السيميائية السردية المغاربية: المستوى العميق

2- **البنيات السطحية:** تشكل هذه البنيات نحواً سيميائياً، يعنى به مجموعة القواعد التي تنظم المضامين القابلة للتجلي في أشكال خطائية خاصة... وهذا يقودنا الى أن القيم لا تكشف عن مضامينها إلا من خلال وضعيات إنسانية بعينها.

3- **البنيات الخاصة بالتجلي:** تقوم بإنتاج وتنظيم الدوال ويتعلق الأمر بالوجه اللساني للقيم.

ويعد المستوى الظاهر الوسطي الذي يتم فيه رصد العلاقات بين الوحدات وعلاقتها النوعية المؤدية إلى إنتاج المعنى وتوليدته، والذي يشكل فيه لفظ النص وتجلياته التي يتبعها القارئ نسقه الخطي المباشر، بؤرة العمل بالآليات المستوى السطحي، المتعلق في النص السردى بسيرورة أحداث المحكي لا مضميراتها المفهومية.⁽¹⁾ فهو مستوى تطرح فيه الآثار المعنوية "السيم" التي تعد « نتاج دخول المعانم في علاقة مع بعضها البعض وسيكون النموذج العاملي كصيغة تركيبية، معادلاً للنموذج التكويني »⁽²⁾ الذي هو إجراء ضمن إجراءات المستوى العميق.

- **عبد المجيد النوسي:** نفس التقسيم نجده عنده، وإن اختلفت ترجمة مصطلحاته، قد بين شكل النموذج المنظم لمستويات النظرية الذي يمثل المسار التوليدي في المستويات الثلاثة في:⁽³⁾

المستوى الأول: مفهومي:	تصنيف (علاقة)	نحو عميق
	↓	
	عمليات	
المستوى الثاني: مؤنس		نحو سطحي
المستوى الثالث: تصويري		خطاب-أقوال

(1) - سعيد بنكراد، السيميائيات السردية، المرجع السابق، ص: 61.

(2) - سعيد بنكراد، مدخل إلى السيميائية السردية، المرجع السابق، ص: 33.

(3) - عبد المجيد نوسي، التحليل السيميائي للخطاب الروائي -البنيات الخطائية-التركيب-الدلالة، شركة المدارس، الدار البيضاء، المغرب، ط01، 2002، ص: 06.

الفصل الثالث: آليات إنتاج المعنى في السيميائية السردية المغاربية: المستوى العميق

وقبلها قد حدد المستويات الأساسية للسيميائية السردية في البنية الأولية للدلالة أو المربع السيميائي، والتركيب العاملي.⁽¹⁾ على أن الأول يحيل إلى المستوى العميق والثاني يحيل إلى المستوى السطحي، أما المستوى الخطابي أو التجلي لم يذكره لارتباطه بالبعد اللساني الصرف، أي تحليل النسق اللفظي، مما يحيله مباشرة إلى التحليل والدراسة الأسلوبية بمستوياتها المكونة للنظام اللغوي، والكشف عن الخصائص الشكلية والفنية للمحكي. أما المستويين الأولين يدخلان مباشرة في القراءة السيميائية للنص السردية خاصة وأن الوجهة العلمية للسيميائية موضوعها البحث عن المعنى وشكل المعنى.⁽²⁾ نوجز المسار التوليدي بمستوياته الثلاثة في هذا الجدول الآتي⁽³⁾:

المكون التركيبي	المكون الدلالي
التركيب الأساسي	الدلالة الأساسي
التركيب السردية للسطح	الدلالة السردية
التركيب الخطابي	الدلالة الخطابية

ونجد أمينة فزاري من النقاد الذين تحدثوا عن اختلاف الباحثين في تحديد أقسام المسار التوليدي، دون وضع مبررات هذا الاختلاف، مبينة أن غريماس في دراسته الفواعل، القائمون بالفعل، الصور، يقسمها إلى بنتين: البنية السردية والبنية الخطابية. وجماعة أنترفيرون تجعلها قسمين سطحي وعميق، يتم فصل كل واحد منها إلى مكونين لينتج في مجموعها أربعة مكونات، في حين يقسم جوزيف كورتيس هذه المستويات إلى

(1) - عبد المجيد نوسي، التحليل السيميائي للخطاب الروائي، المرجع السابق، ص: 06.

(2) - المرجع نفسه، ص: 07.

(3) - جان ماري كلينكبرغ، الوجيز في السيميائية العامة، المرجع السابق، ص: 165.

الفصل الثالث: آليات إنتاج المعنى في السيميائية السردية المغاربية: المستوى العميق

ثلاثة مكونات هي: المكون المورفولوجي، المكون التركيبي، المكون الخطابي والسردية. مضيئة تقسيم آن إينو الرباعي المستوى:

المستوى الأول: وهو المستوى السطحي التابع إلى المعطى الأسلوبى للنص.

المستوى الثاني: وهو المستوى الاستدلالي ينتمي إلى المستوى السطحي.

المستوى الثالث: وهو المستوى الوسطى للمعنى، يقود إلى تعيين كليات جوهرية.

المستوى الرابع: وهو مستوى وصف ذرات المعنى، ويسمى أيضًا بالمستوى العميق أو المستوى المنطقي.⁽¹⁾

وربما يعود هذا الاختلاف في التقسيم إلى أن:

1- هناك مصدرين في النقل، إذ:

✓ نجد جماعة أنترفون قد حددت التقسيم الثنائي الذي مثل الرؤية الأكثر حضورًا في التبنى السيميائي المغاربي لها، بعد أن أزاحت المستوى المتجلي، تقول الجماعة « وإذا وضعنا جانبًا... مستوى البنى المتجلية، نعتبر أن التحليل يتطور على مستويين:

- المستوى السطحي.

- المستوى العميق (يقال له أيضًا محايت)».⁽²⁾

كذا نجد دانيال باط يميز بنيات المسار التوليدي للدلالة بين بنتين، بنيات سيميا سردية وبنيات سيميا خطابية، ومن بين البنيات السيميا سردية يميز بين البنيات السيميا سردية التركيبية (التركيب السردى الأساسى والتركيب السردى السطحي)، والبنيات السيميا سردية الدالية (الدلالة الأساسية والدلالة السردية). والهدف منها هو إظهار القوانين التي تحكم العلاقات بين مختلف هذه المكونات السيميا سردية.⁽³⁾

(1) - أنظر: أمينة فزاري، أسئلة وأجوبة في السيميائية السردية، المرجع السابق، ص، ص: 54، 56.

(2) - فريق إنتروفر، التحليل السيميائي للنصوص، تر: حبيبة جرير، دار نينوى، دمشق، سوريا، (د ط)، 2012، ص: 37.

(3) - دانيال باط، المربع السيميائي والتركيب السردى، تر: عبد الحميد بورايو، مجلة بحوث سيميائية، المرجع السابق، ص: 145.

الفصل الثالث: آليات إنتاج المعنى في السيميائية السردية المغاربية: المستوى العميق

✓ ونجد غريماس في كتابه المعنون بـ: في المعنى - دراسات سيميائية - فقد أعطى تقسيمًا ثلاثيًا للمسار التوليدي، يقول: « وسنسى لتقديم فكرة أولى عن هذا المسار، ونحن نعتقد أنه يتجه من العمق إلى السطح عبر مراحل ثلاثة:

- البنى العميقة...

- البنى السطحية...

- بنى الظهور...»⁽¹⁾

2- يتعلق المستوى الأخير مستوى بنى الظهور أو التجلي بالدوال أي الجانب اللساني و« إنه مستوى يعود إلى علم الأسلوب بأدواته وتقنياته الخاصة»⁽²⁾، مما يجعل العديد من النقاد المغاربة يغفلونه لتعلقه بعلم الأسلوب لا بالسيميائية. فنجد مثلًا الناقد بنكراد يستبعد دراسة المستوى الثالث: بنى التجلي عند طرحه للنظرية، إذ يراه أنه مسار يدخل ضمن علم الأسلوب، وعليه فإن عمله اقتصر على البنيتين العميقة والسطحية تحليلًا وتمثيلًا، وعليهما يمكن رد النص ببعده السردى التشخيصى التصورى إلى بنية دلالية منطقية سابقة عنه، ومولدة له في نفس الوقت، فبالبنية العميقة والسطحية نلج إلى المفاهيم المجردة، ويمكن التحوّل منها إلى المشخص المحسوس.⁽³⁾

3- يضبط المسار التوليدي بنيتين لتحليل النصوص، هما البنية السيميائية والمتضمنة المستويين السطحي والعميق، والبنية الخطائية المشتملة التركيب والدلالة الخطائية عبر ما تحمله الألفاظ ودوال، أين يستقر شكل التعبير أكثر من استقرار تمظهر وشكل المعنى المتعلق بالمستوى الأول. مما جعل التقسيم الثنائي الأكثر ورودًا في الدراسات السيميائية السردية والتنظير النقدي المغاربيين.

4- إن التحليل السيميائي السردى لا ينطلق من المستوى النصي اللساني المتمظهر، بل يعتبره من المستويات التي لا تعتد في التحليل السيميائي السردى لاتصاله بالحس -أي في شكل نص معطى مكتوب أو لغة مسموعة يستطيع أيًا كان التعرف عليه ومعالجته-

(1) - الجيرداس جوليان غريماس، في المعنى - دراسات سيميائية-، المرجع السابق، ص: 43.

(2) - سعيد بنكراد، مدخل إلى السيميائية السردية، المرجع السابق، ص: 31.

(3) - المرجع نفسه، ص: 31.

فأقصى هذا المستوى المتمظهر، وأنطلق في التحليل من مستوى أعمق للنص وهو المستوى العميق⁽¹⁾. بهذا تكون وجهة القراءة في المنهج السيميائي السردى التوجه من العمق نحو السطح، ومن المضمر نحو التجلي ومن العلاقات إلى العمليات.

3.2 نقد المسار التوليدي للدلالة:

أعتبر جاك فونتانييل أن المسار التوليدي مساراً لبناء الدلالة⁽²⁾، فهو نموذجاً لترتيب المقولات المشتغلة داخل الخطاب، وذلك انطلاقاً من أكثرها تجريدًا -وهي البنى الأساسية - إلى أكثرها مادية - وهي البنى الصورية للخطاب- فهو يتيح إمكانية مؤصّعة هذه البنى أثناء التلفظ ومقارنتها ببعضها البعض، « بهذا المعنى يعتبر صورة شكلية لـ : الذاكرة السيميائية للذات التلفظ لحظة قيامها بالعملية التلفظية.»⁽³⁾

من هذا التصور للمسار التوليدي المشكل والمنطق للعملية السردية توجه بعض النقاد بانتقادات له، رغم أن الرؤية الأولية لمفهومه توضح المساهمة الفعالة التي تحققتها السيميائية السردية على خطوات هذا المسار، من منح النص السردى قدرًا من الرؤية المتعاقبة والمتعالية لقوانين العملية السردية، وهو ما قاد المنهج الغريماسي بالسير بيسر نحو الخطوات نمذجتها بمنطق سيميائي⁽⁴⁾. فالتركيز في تحليل النص السردى على نسقية المقولة التوليدية، المرتبطة بالبعدين السطحي والعميق للمعنى، يجعل نسق النص السردى مرهونًا في تأسيسه بالمسار التوليدي، مما جعل الناقد جاك جينينيسكا يعتبره نقطة ضعف النظرية، من شأنها أن تبين المنحى الرتقى (المسدود، المختل) للنماذج المفاهيمية السردية يمكن جرائها أن توجه انتقادات لهذا المسار بها تنهار النظرية ككل⁽⁵⁾.

ينتقد كذلك بعض الباحثين المغاربة رؤية غريماس للمسار التوليدي الذي تبنى عليه عملية التحليل المنطقي السيميائي للسرد، نجد عبد القادر فهم شيباني يرى أن

(1) - محمد بن شباني، أصول التأصيل وصيغ التمثيل من المثالية الأفلاطونية إلى السيميائية السردية، مجلة أبحاث، جامعة، عدد 02، سبتمبر 2014، ص: 171.

(2) - جاك فونتانييل، السيميائية والأدب، تر: جميلة لعبادي، ص: 419. الموقع الإلكتروني:

<http://revue.ummo.dz/index.php/khitab/article/download/648/491>

(3) - المرجع نفسه، ص - ص: 418-419.

(4) - عبد القادر فهم شيباني، سيميائيات المحكي المترابط، المرجع السابق، ص: 46.

(5) - المرجع نفسه، ص: 46.

الفصل الثالث: آليات إنتاج المعنى في السيميائية السردية المغاربية: المستوى العميق

النظرية بدت مقيدة بمبدأ المحايثة، غير آبهة بأثر جوهر التعبير، يعود ذلك بحسب الناقد إلى المغالطة وسوء فهم لتقسيم يلمسليف الرباعي للعلامة، الأمر الذي أدى إلى انحسار الوظيفة السيميائية على التخوم الشكلية للتعبير والمحتوى، والتساؤل المطروح: هل يؤثر الجوهر التعبيري للنص السردى في فهم العملية السردية؟ ماذا لو كان النص رقمياً؟ ما الإضافات الممكنة استفادتها من الدعامات الرقمية التي ستقدمها المتن الحكائي؟⁽¹⁾

أما عبد اللطيف محفوظ وضح في الاحتراز الذي وجهه لغريماس أن هذه البنيات السطحية والعميقة، والتي تعد مجموعة من الآليات المتصورة، تحركها مجموع من العلاقات والعمليات التي تجعلها دينامية في تحليل النص، تتعلق بتهيئة محتوى ودلالة النص وشكل مضمونه وقيمه، قبل وضعه المادى الكاشف له، « ولكن إذا كانت رؤية هذه البنيات في مستوى نظري مجرد تجعلها تبدو منتجة؛ فإن رؤيتها بوصفها معياراً لإنتاج أو تلقي النص فعلياً، يجعلها غير مقنعة. والدليل على ذلك أنها لحد الآن لم تستطع إثبات كفاءتها بوصفها سيروية منهجية دقيقة للإنتاج أو التلقي». ⁽²⁾ فيعيد بذلك الناقد محفوظ هذا فشل في التفكير في قضايا إنتاجية من منطلقات التلقي ذاته.

يرد الناقد موضحاً، أن الهدف الذي يسير عليه المنهج هو كشف كيفية بناء المعنى فحسب، غير أن كيفية بناء المعنى تختلف عن كيفية بناء النص، فبناء المعنى « هو قبل كل شيء قضية ذريعية تداولية ترتبط بالمعرفة الخلفية وبالوضعيات الشارطة لفعل الإدراك...ومن السمات المميزة لهذه السيروية الذهنية المتضامنة كونها غير محصورة عند ما هو مكتوب ومستحق لاسم النص...بينما يكون بناء النص قبل كل شيء قضية أجناسية ترتبط أساساً بحدود الجنس والخطاب...من هنا يمكن أن نلاحظ أن خطاطته وهي تزعم أنها تقدم وصفاً لشكل المعنى لا تقدم في الواقع إلا وصفاً صورياً لبناء ما لنص سردي ما». ⁽³⁾ وتجيء كل القوالب والحدود المنطقية التي جاء بها غريماس لقراءة النص السردى بطريقة اختزالية، من الوجهة العميقة والسطحية والمقترحة لكل نص حالماً تملأ

(1) - عبد القادر فهم شيباني، سيميائيات المحكي المترابط، المرجع السابق، ص: 46.

(2) - عبد اللطيف محفوظ، آليات إنتاج النص الروائي-نحو تصور سيميائي، المرجع السابق، ص: 139.

(3) - المرجع نفسه، ص: 140.

وترتبط بحدود المعنى المستنتجة من النص سوف تفقد منطقيتها، وتصبح كل تلك الآليات المنطقية مبررات لإعطاء الفرضيات والحدوس بوجهة معلمة منطقية. تجاوزًا لما إن كان مقترح غريماس تصورًا نظريًا لا يثبت عند تطبيقه بالصورة المنطقية التي عليها في المقولات التنظيرية، سوف نتطرق فقط في هذا الفصل والفصل الذي بعده إلى تحديد آليات البنية السردية بمستويها السطحي والعميق، بما أنها يمثلان القراءة الكاشفة لتمظهر المعنى، وإنتاجه بميكانيزمات وقواعد المنهج السيميائي السردية وتجاوز البنية الخطائية في الطرح، لاختصاصها بشكل التعبير منه بالمعنى ودلالات النصوص.

يضمن المسار التوليدي الانتقال من مستوى العميق إلى المستوى السطحي حيث يقودنا هذا المسار من البنية الدلالية المنطقية إلى التجلي النصي.⁽¹⁾ ولأن المستوى العميق هو البؤرة المنهجية الأولى المتخذة في تحليل النص، ومنها يتم الانتقال إلى المستوى السطحي، سوف نبدأ بها لعرض آليات التحليل السيميائي السردية، والوقوف على الإجراءات التحليلية الخاص بهذا المستوى.

3. البنية السردية:

يتم العمل في المستوى العميق -وكذا السطحي- على مجموع الوحدات أو البنيات السردية المكونة لنص ما، فهي بنيات دلالية كبرى فيه، تضمن وجود المعنى ووجود العلاقات المنطقية بين هذه الوحدات السردية، الممتثلة للتحليل السطحي والعميق للنص، وتعتبر المسؤولة عن تنظيم المعنى وسبل تداوله.

1.3 بين السرد والسردية والخطاب السردية:

لتبيين معنى البنية السردية في الخطاب السيميائي السردية تستوقفنا عدة مصطلحات، تزاممه المفهوم، متوالدة من نفس مادته اللغوية (س.ر.د)، منها: السرد السردية، الخطاب السردية، السرديات...

إن السرد والسردية والخطاب السردية من المفاهيم المتنوعة، والمختلفة التي تصب في حقل السيميائية السردية، مما يثبت تشعب مشارب هذه النظرية المعرفية، وتنوع

(1) - سعيد بنكراد، السيميائيات السردية، المرجع السابق، ص: 63.

الفصل الثالث: آليات إنتاج المعنى في السيميائية السردية المغاربية: المستوى العميق

إرهاصاتها المرجعية التي انطلقت منها، غير أن السرد ليس ذاته السردية ولا الخطاب السردية، والواضح أن بين المصطلحات الثلاثة جوانب التقاء وتباين، فالأول مجاله نظرية السرد، التي تعدُّ نحو للمحكي بأنواعه، تعمل على شكل المحكي وتقنيات عرضه، أما الثاني مجاله النظرية السيميائية السردية الدارسة لمحتوى المحكي دراسة سيميائية، ومعالجة المعنى ف:

✓ **السرد**: تتابع وتيرة روي الأحداث في القص، وهو « المصطلح العام الذي يشمل على قص حدث أو أحداث أو خبر أو أخبار، سواءً أكان من صميم الحقيقة أم من ابتكار الخيال.»⁽¹⁾ وإن مختلف استخدامات مصطلح السرد Narration تصب كلها في- اعتقاد رولان بارت - أن السرد ليس سوى جمعًا للأحداث التي لا يمكن الحديث عنها سوى بالعودة إلى فن الحكاكي أو الراوي (الكاتب)، ومهارته وعبقريته أو اقتسام بنية سهلة التحليل والدراسة مع السرديات الأخرى.⁽²⁾

يراه جوناث الصوت السردية القائم بفعل السرد، فهو النشاط السردية الذي يضطلع به الراوي، حين يروي الحكاية أو القصة، ويصوغ الخطاب الناقل لها يختلف عن فعل الكتابة الذي ينشئه الكاتب، إذ هو فعل حقيقي، أما فعل السرد المنجز من طرف الراوي هو فعل متخيل.⁽³⁾

يعتبر بنكراد كل سرد هو تداول المعنى، وكل تداول يترك في المعنى شيئًا نسميه الواقع الإيديولوجي، والواقع لا يدل من خلال خصائصه فحسب، بل يدل أيضًا من خلال طريقة عرضه علاقته قضائه وزمانه، إن هذا الفائض في المعنى هو ما يشكل بالنسبة لنا نقطة البداية وغاية التحليل.⁽⁴⁾

ينجم عن فعل السرد الحكاية أو الخطاب القصصي، ولا انفصال لأحدهما عن الآخر، فيكون السرد من هذا المنطلق ضمن ثلاثة أركان تشكل الخطاب القصصي، تتمثل

(1) - مجدي وهبة، معجم مصطلحات الأدب، المرجع السابق، ص: 341.

(2) - نصر الدين لعياضي، السيميائيات وإستراتيجية بناء المعنى، مجلة:الباحث الاجتماعي، جامعة قسنطينة 02، عبد الحميد مهري، عدد 10 سبتمبر 2010، ص: 56.

(3) - محمد القاضي وآخرون، معجم السرديات، المرجع السابق، ص: 243.

(4) - سعيد بنكراد، النص السردية نحو سيميائيات للإيديولوجيا، إدارة الأمان- الرباط المغرب، ط1، 1996، ص: 113

الفصل الثالث: آليات إنتاج المعنى في السيميائية السردية المغاربية: المستوى العميق

في السرد والحكاية والخطاب القصصي، حيث لا تتصور خطاب قصصي دون حكاية ولا حكاية دون حامل قولي لها أو لفظي تلبسه، كما لا تتصور تواجد الحكاية والخطاب القصصي دون قائم بفعل إيجادهما وهو السرد.⁽¹⁾

✓ **السرديات:** فهي علم فرعي من علم أشمل هو الشعریات، تركز على العمل السردی من حيث هو خطاب⁽²⁾. وهذا ما ذهب إليه أيضًا سعيد يقطين حين اعتبر أن السرديات كعلم واختصاص يهتم بسردية الخطاب السردی، جزءً من علم أشمل كلي هو البويطيقا، التي تعنى بأدبية الخطاب الأدبي بوجه عام، فتقترن بالشعريات الباحثة في شعرية الخطاب.⁽³⁾

عرّفه معجم السرديات على أنه « علم يتناول قوانين الأدب القصصي. »⁽⁴⁾ وقد تودوروف في سنة 1969 ليدل على علم جديد يخص القص، ولكن من حيث المفهوم فقد كان جاريًا في اصطلاحات غيره منها الانشائية، وعلم الأدب.⁽⁵⁾ والسرديات في عمومها منهج تحليل، يبحث في الخطاب السردی دون سواه، ويسعى إلى الوقوف على مرتكزات المتن الحكائي، ومقومات بنائه.

✓ **الخطاب السردی:** يعتبر « مشروعًا منظمًا وفق الغايات القصوى المقصود بلوغها »⁽⁶⁾ و « هو الخطاب الذي يتخذ من آليات السرد عناصر مكونة له، ومن خلال البنية السردية تعرض المسألة النقدية بوصفها نصًا ثانيًا، أو نصًا إضافيًا. »⁽⁷⁾

✓ **أمّا السردية:** فتعتبر بعد تحررها في إطار المشروع السيميائي من المفهوم والمعنى الضيق الذي يربطها بالأشكال الصورية للقص، وبصيغ المحكي وأشكاله المختلفة، مبدأً

(1) - سعيد بنكراد، النص السردی نحو سيميائيات للايديولوجيا، المرجع السابق، ص - ص: 243 - 244.

(2) - يوسف وغيلسي، الشعریات والسرديات - قراءة اصطلاحية في الحدود والمفاهيم - منشورات مختبر السرد العربي، جامعة قسنطينة، الجزائر، 2007، ص: 115.

(3) - سعيد يقطين، الكلام والخبر، مقدمة في السرد العربي، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1997، ص: 23.

(4) - محمد القاضي وآخرون، معجم السرديات، المرجع السابق، ص: 249.

(5) - المرجع نفسه، ص: 249.

(6) - محمد الناصر العجيمي، في الخطاب السردی نظرية غريماس، المرجع السابق، ص: 35.

(7) - عبد الله العشي، زحام الخطابات، المرجع السابق، ص: 94.

الفصل الثالث: آليات إنتاج المعنى في السيميائية السردية المغاربية: المستوى العميق

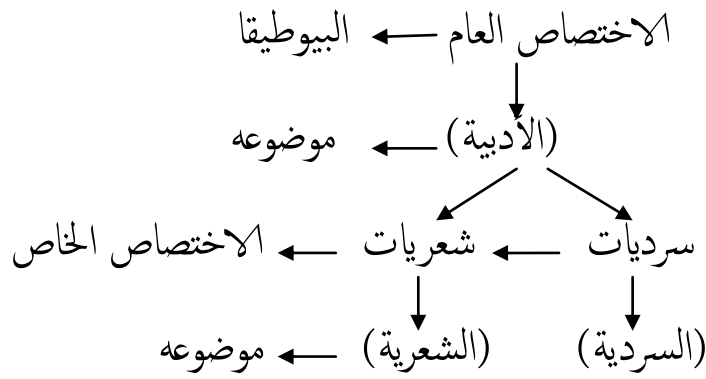
منظماً لكل خطاب.⁽¹⁾ لتصير قاعدة بناء وتنسيق لكل خطاب سردي وغير سردي وهذا لربطها بوجود وتنظيم مجرد يغوص في عمق المعنى والدلالة. وتعد في بعدها السيميائي السردية تتابعاً من الحالات والتحويلات المنخرطة في خطاب ما والمولدة للمعنى. ويكون التحليل السردية هو كشف الحالات والتحويلات، والإبراز الدقيق للاختلافات التي تبدو من خلال التتابع الحاصل من الحالات والتحويلات.⁽²⁾

وقد اعتبر سعيد بنكراد السردية نشاطاً إنسانياً للتمثيل وإنتاج الدلالات، لا تبعاً بمادة تجليها، فهي قابلة للظهور من خلال مواد تعبيرية أخرى غير اللسان، من مثل (الحركات الجسدية، الصورة....)، إنها الحاضن في جميع الحالات للطاقة الزمنية، المرافقة لكل نشاط إنساني، أو هي بتعبير ريكور "حارساً للزمن" ولا يستقيم وجوده بدونها.⁽³⁾

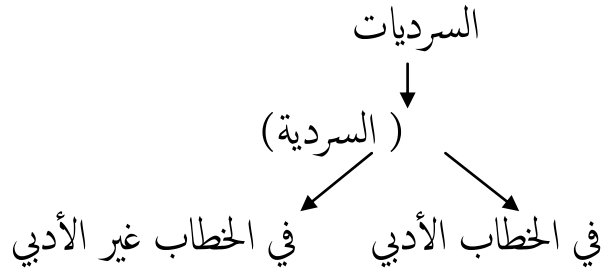
ويختلف مفهوم السردية عن الخطاب السردية، على أن الأخير هو «النص المقرر في حقيقته المادية، ومن حيث هو نص مكتوب بلغة معينة، وتستغرق قراءته وقتاً معلوماً، كما تخضع لترتيب زمني خطي.»⁽⁴⁾ إذاً هو النص الإبداعي السردية، في حين السردية هي ضرب من القراءة، تختلف عن القراءة الخطية للنص السردية، تقوم على وصف المادة المدونة، وإعادة تنظيمها حسب المعنى المستخلص من أوجه التقابل والاختلاف والتألف، ليس حسب المعنى المعطى مسبقاً في النص، وهي لا تخص الخطاب الإبداعي الأدبي دون سواه بل تتعداه إلى مختلف أشكال الكتابة الفكرية – سياسية – قانونية – اجتماعية...⁽⁵⁾ فنجدها في كل أنواع الخطابات الإنسانية المتعددة.

يمكننا أن نوجز كل هذه المصطلحات في خطاطين لسعيد يقطين وضح بهما مكانة كل مصطلح من الآخر، واختصاصه وموضعه⁽⁶⁾:

- (1) - رشيد بن مالك، قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص، المرجع السابق، ص: 122.
- (2) - جمال حضري، سيميائية النصوص – عرض وتطبيق منهجي -، المرجع السابق، ص: 13.
- (3) - سعيد بنكراد، السيميائية السردية، المرجع السابق، ص: 62.
- (4) - محمد الناصر العجيمي، في الخطاب السردية نظرية غريماس، المرجع السابق، ص: 71.
- (5) - محمد الناصر العجيمي، في الخطاب السردية نظرية غريماس، المرجع السابق، ص: 71.
- (6) - سعيد يقطين، الكلام والخبر، مقدمة في السرد العربي، المرجع السابق، ص - ص: 23 - 24.



- موقع السرديات وموضوعها -



- جزئية السرديات وكتبتها -

يتضح من الخطاطة الأخيرة أن السرديات من بعد اشتغالها عن النصوص الأدبية فقط وتخص منها السرد، قد اتسعت مع نشاطات الناقد المهتمين بمجالاتها، وأصبحت عن طريق اعتماد البنى السردية كموضوع خاص بالسرديات كعلم تشمل كل الخطابات الأدبية وغير الأدبية؛ وانفتحت على كل أنواع الكتابات دون استثناء.

2.3 تحديد البنية السردية بمفهوم غريماس في النقد المغاربي:

يقول غريماس « وقد سعينا في تلك الفترة إلى توسيع حقل تطبيق التحليل السردى قدر الإمكان، كما سعينا إلى تشكيل النماذج الجزئية المكتشفة خلال الأبحاث أكثر فأكثر ونرى أن من المهم أن نصر قبل كل شيء على الطابع السيميائي اللساني للعناصر المستخدمة في تكوين هذه النماذج، ذلك الطابع الذي يكفل شموليتها ويعتبر وسيلة لدخول البنى السردية ضمن نظرية سيميائية عامة.»⁽¹⁾

(1) - الجيرداس جوليان غريماس، في المعنى - دراسات سيميائية-، المرجع السابق، ص: 11.

الفصل الثالث: آليات إنتاج المعنى في السيميائية السردية المغاربية: المستوى العميق

من خلال المقولة بنى غريماس السردية على أسس مجردة، فأعطت بدورها الطابع التجريدي لكل بنية، أو قيمة مؤسسة للفعل، المسبق في الظهور عن النص الذي يحويه بمنحها بعداً تصويرياً، وربطها بالذات البشرية والسلوك الإنساني لشموليتها، عن طريق المربع السيميائي المنطقي، فالسلوكات البشرية تفرز جملة من القيم في بعدها التجريدي المبتعد عن الحدود الزمنية والسياقات المحددة، لتحقيق هذه القيم المجردة إمكانية التحقق والقدرة على الظهور، لتشمل الجوانب الإنسانية المتعددة⁽¹⁾، والتشكل في أشكال تعبيرية مختلفة.

تعتبر السردية المقوم الإجرائي للسيميائية السردية، تعمل في حدود المربع السيميائي تنشُد المعنى، فهي شرط واجب لإنتاج الدلالة، باعتبارها سارية في النص وسيرورة فيه وجوداً واشتغالاً، تأخذ نفس قيمة شروط إنتاج النص السردية نفسه لذا عدّها بنكراد شبيهة بالخطاب، الذي لا يحوي معناه في لغته فحسب؛ بل في أوجه الاختلافات المنتجة من السياق المتعدد والمتنوع، الخصيصة بذلك الخطاب.⁽²⁾ المشتغلة فيه، المنتجة منه.

ينبني المكوّن السيميائي السردية على البنية السردية، المجسدة ببساطة الحالات والتحوّلات للفعل التي يحملها الملفوظ السردية بتسلسلها ضمن المحكي، «ومن ثم ترتكز السردية منهجياً على المفاهيم التالية: الحالة، والفعل، والتحول، والجهة. وتعتبر البنية السردية مرحلة وسطى بين المحايثة والتمظهر اللساني...، هذا ويستوجب المكوّن السردية أو المكوّن النحوي الحديث عن مجموعة من العمليات التي ترتبط بعنصرين محوريين وهما: العامل والمحمول. وحينما يتداخل العامل (الفاعل) مع المحمول (الوظيفة أو الفعل أو العمل) يتشكل الملفوظ السردية أو الجملة النحوية التي تتركب من فاعل وفعل».⁽³⁾

وفي تبسيط من كتاب غريماس "في المعنى I" لمفهوم البنية السردية، وتجلية موقعها وتحديداتها، يجعلنا نقول أن غنى وتوسع النقد في دراسة السرد ساقه إلى تأسيس نظرية سيميائية عامة للسرد، تنظر في عمومها إلى المعنى والمضمون كعلامة قابلة للدراسة، تجلى ذلك في الطابع السيميائي للعناصر اللسانية المستخدمة في النموذج، وهو طابع يتكفل

(1) - سعيد بنكراد، السيميائيات السردية، المرجع السابق، ص: 63.

(2) - المرجع نفسه، ص: 63.

(3) - جميل حمداوي، السيميوطيقا السردية- من سيميوطيقا الأشياء إلى سيميوطيقا الأهواء-، المرجع السابق، ص: 74.

الفصل الثالث: آليات إنتاج المعنى في السيميائية السردية المغاربية: المستوى العميق

بشموليتها، ويعتبر وسيلة لدخول العناصر السردية أو ما يسمى في التحليل السيميائي السردية البنى السردية ضمن نظرية سيميائية عامة، وهذه البنى يمكنها أن تظهر في مواقع مغايرة عن نطاق تجليات الدلالة في اللغات الطبيعية، لمثل اللغة السينمائية أو الرسم أو اللغة الخيالية أو ...، من هنا وجب التمييز بين⁽¹⁾:

➤ مستوى السرد الظاهر: يخضع للمنحى اللساني الذي تظهر من خلاله.

➤ مستوى سيميائي مشترك: وهو مستوى كامن يختلف عن المستوى اللساني سابق له منطقيًا في التجلي مهما تنوعت اللغة المختارة له، يجد السرد نفسه منتظمًا قبل تجليه. وإن كانت البنى السردية سابقة في التجلي عن الوحدات اللسانية، فإن تجليها يفرض استخدامها للوحدات اللسانية، بأبعاد أكبر من الأبعاد البلاغات حتى تتواجد وتتحقق، ويقصد بها وحدات تشكل، تعتمد على تتابع ملفوظاتها، ومن هنا، تتوافق البنى اللسانية للرواية مع البنى السردية في التجلي، ويتوج تحليل الخطاب بالتحليل السردية⁽²⁾. وتتمظهر السردية في تتابع الحالات والتحويلات للفعل المتضمنة في خطاب ما ومسؤولية عن إنتاج معناه، ولذلك يمكن الحديث عن ظاهرة عامة، هي أن كل نص ينطوي على مكون سردي، يخضع للتحليل السردية⁽³⁾، محوره الأساسي المعنى، «يتحكم فيه [نقصد المعنى] قانون الاختلاف، بحيث ينتهي المعنى عندما ينعدم الاختلاف»⁽⁴⁾. فمثلت ملفوظات الحالة والتحول مستوى تواجد المعنى، يعرف ويضبط بها، إلى جانب المستوى الظاهر الحامل للجمل بتتابعها في النص.

اعتبر غريماس السردية مكّون في المستوى العميق، وهي أوسع مفهومًا وإجراءيًا من السرد، تساهم في كل عملية سيميائية منتجة للمعنى، ضمن البنية العميقة الطارحة للدلالة، في ليست وصفاً مشخّصاً لعوالم مكثفية بذاتها بل هي شكل من أشكال تنظيم المعنى وسبيل وضعه للتداول والممارسة⁽⁵⁾، فهي بنية دلالية كبرى في النص، ضامنة إلى

(1) - الجيرداس جوليان غريماس، في المعنى - دراسات سيميائية -، المرجع السابق، ص: 11-12.

(2) - المرجع نفسه، ص: 12.

(3) - عبد القادر شرشار، مدخل إلى السيميائية السردية- نماذج وتطبيقات - المرجع السابق، ص: 49.

(4) - المرجع نفسه، ص: 49.

(5) - سعيد بنكراد، السيميائيات السردية، المرجع السابق، ص: 54.

الفصل الثالث: آليات إنتاج المعنى في السيميائية السردية المغاربية: المستوى العميق

جانب وجود المعنى وجود العلاقات المنطقية بين هذه الوحدات السردية الممثلة للتحليل السطحي للنص.

ويضيف بنكراد أن اعتقاد غريماس بوجود بنية دلالية خارجة عن النص يجعلها ذات طابع لا زمني، مؤوَّلاً نهائياً، مكونة له وسابقة في الوجود عنه، اعتقاد مغلوط؛ بل لا يعني ذلك أنها خارج النطاق الزمني، المسؤول عن تنسيق كل محور دلالي، فهي قيم مضمونية محددة من خلال الممارسات الاجتماعية نفسها⁽¹⁾، فهي وليدة السلوك الإنساني معقداً أو بسيطاً، متنافر العناصر أو منسجم، فهذا السلوك ندركه رأساً في ذاته عند كل نشاط فردي له، ولكنه يدرك باعتباره سلوكاً إنسانياً يعبر عن مجموع السنن المتحكمة والمؤولة لما تحقق الممارسة الفردية له.

من هنا تكون حسب بنكراد اللازمية المعلنة لكل محور دلالي بسيط خارج عن كل نسق، أنها تعني إمكانية تحققها في أشكال خطائية بالغة التنوع.⁽²⁾ وعليه سوف تكون هذه البنى السردية وما تحمله من مكونات دلالية بين تنظيمين مختلفين⁽³⁾:

1- **التنظيم السطحي**: وتدرس فيه هذه البنى الدلالية السردية من خلال الآثار المعنوية "سميم"، باعتبارها نتاجاً لدخول هذه المعانم في علاقة مع بعضها البعض، ويدرس بإجراء الترسيمية العاملة. أو على منحى المكون الخطائي منه في مساره التصويري.

2- **التنظيم العميق**: ويكون عبر المعنم " السيم " بصفته العنصر المميز والمسؤول عن التفصل الدلالي، ودراسته تمر عبر النموذج التأسيسي أو ما يسمى المربع الدلالي، كشكل من أشكال تنظيم الدلالة.

إن التنظيمين بعدان لمقاربة وتحليل النص السردية، الأول يمثل نحواً سردياً، والثاني نحواً دلاليًا؛ بمعنى المستوى السطحي يبحث في تكوّن النص السردية، من حيث هو بناء سردي، وسيرورة ملفوظاته في بناء البنيات النص الحاملة للمعنى، والمستوى العميق

(1) - سعيد بنكراد، مدخل إلى السيميائية السردية، المرجع نفسه، ص: 35.

(2) - سعيد بنكراد، السيميائيات السردية، المرجع السابق، ص- ص: 69-70.

(3) - المرجع نفسه، ص: 33.

الفصل الثالث: آليات إنتاج المعنى في السيميائية السردية المغاربية: المستوى العميق

هو كون يرمي إلى قبض المعنى، والتحليل الدلالي للنص، اعتمادًا على ما جاء به النحو السردى قبلاً.

بالاعتراف المبدئي عند غريماس تعد السردية المسؤولة عن تنظيم المعنى وطريقة لتداوله، لأن الدلالة لا ترتبط بصيغ التجلي، بل بمستوى بنائي مستقل تجسده السردية يمثل بؤرة تنظيم الدلالة في نطاقها الواسع التي تدخل في إطار كل نظرية سيميائية عامة من هنا تسعى هذه النظرية إلى التعبير عن تنظيم العالم الدلالي وطريقة تجليه، لأنه شامل للمعنى الحضاري والفردى⁽¹⁾، جعل السيميائية تأخذ طابعًا خاصًا يدخلها في كل نشاطات الإنسان المعرفية، « فهي تقدم لنا نموذجًا تحليليًا يتجاوز ما يحيل عليه السرد...، لكي يهتم بكل الوقائع الدالة التي تنتجها الممارسة الإنسانية، ويندرج ضمن ذلك الصورة بكل أشكال تحققها، والإيماءات الجسدية، وأشياء العالم والطقوس الاجتماعية، وجزئيات الفعل اليومي، بما فيها ما يعود إلى الوصفات المطبخية...»⁽²⁾ فيبرز أي نص كمكوّن سردي يمكن أن يكون موضوعًا للتحليل السردى السيميائي، « وليست القصص إلا قسمًا متميزًا بكون حالاته وتحولاته، منسوبة لشخصيات مفردة.»⁽³⁾

وإن كان من المسلم به أن البنية السردية في النص تتقدم بوصفها تتابعًا للحالات والتحويلات المتنوعة، التي تؤطر مختلف العلاقات القائمة من العوامل⁽⁴⁾ في العوالم التي تصنعها، فإنها -بتعبير بنكراد- لا تمثل فقط « وصفًا مشخصًا لعوالم مكثفة بنفسها، بل تعد شكلًا من أشكال التنظيم المعنى، وطريقة وضعه للتداول، وهو ما يشير إلى أن هذا المعنى لا يوجد فيما تحيل عليه الأشياء بداهة، بل مكمنه السيروورة التي تشكل من خلالها الأشياء، باعتبارها دالة على المعنى.»⁽⁵⁾

وما دامت السردية وجهًا إجرائيًا للسيميائيات عمومًا لإعمالها النموذج الدلالي، وتكوين المعنى، فإنها شرط لازم لإنتاج الدلالة، بما أنها سيروورها في النص وجودًا واشتغالًا تأخذ

(1) - الجيرداس جوليان غريماس، في المعنى -دراسات سيميائية-، المرجع السابق، ص: 12.

(2) - سعيد بنكراد، السيميائيات السردية، المرجع السابق، ص: 54.

(3) - جمال حضري، سيميائية النصوص -عرض وتطبيق منهجي-، المرجع السابق، ص: 14.

(4) - رشيد بن مالك، مقدمة في السيميائية السردية، ص: 11.

(5) - سعيد بنكراد، السيميائيات السردية، المرجع السابق، ص: 54.

نفس قيمة شروط إنتاج النص السردية ذاته، لذا اعتبرها بنكراد شبيهة بالخطاب الذي لا يحوي معناه في لغته فحسب، بل في أوجه الاختلافات التي تنتجها السياقات المتعددة والمختلفة والمخصوصة لذلك الخطاب.⁽¹⁾

يحيلنا كل ما سبق إلى أن البنية السردية هي العامل التجريدي، الذي يعطي كوجه لكل بنية، أو قيمة فكرية أو سلوكية أو ثقافية، تؤسس نظاماً دلاليًا، قابلاً للقراءة وإنتاج معناه، بضرورة اتخاذها القاعدة المنهجية للتحليل.

3.3 البنية السردية بؤرة إنتاج المعنى:

بني غريماس نظريته السيميائية السردية على معطى البنية السردية، وربطها بالتحليل البنيوي للسرد من جهة، ومن أخرى بالتحليل السيميائي وآلياته المنهجية الكاشفة للدلالة وكل ذاك كان من ترددات معرفية سابقة في مجالات السرد ودراسة المحكى، أشار إليها غريماس نفسه، منها: أبحاث بروب في الفلكلور، وليفي شترواس في بنية الأسطورة وإتين سوريو حول المسرح، وأعمال كلود برومون القائمة على تفسير السرد بصورة منطقية، وأبحاث آلان دونديس الطارحة لقواعد سردية تضبط شكل السرد⁽²⁾، والجلي من هذا التنوع في الدراسات السردية أنه جعل التحليل السردية يكتسي خصوصية مستقلة، وإمكانات تطبيقية على أنواع المحكى المختلفة من مسرح أسطورة رواية، قصة فولكلور...، بطرق عملية منطقية، كانت فيما بعد مكوناً هاماً لمشروع خصب عرف بالسيميائية السردية.

يمكن لكل نوع من أنواع الخطاب أن يقرأ وفق التحليل السيميائي السردية، بما يحمله في تركيبه من بني سردية، « فكان من الواجب أولاً أن نقبل أنه بإمكان البنية السردية أن تظهر في مواقع أخرى خارج نطاق التجليات الدلالية، التي تتم في اللغات الطبيعية في اللغة السينمائية والخيالية، وفي الرسم التشكيلي ... »⁽³⁾، ثم نعين مضمونها عبر البنية سردية المشحونة المعنى، فهي تشكيلات سردية قابلة للنظر والقراءة، فينظر

(1) - سعيد بنكراد، السيميائيات السردية، المرجع السابق، ص: 63.

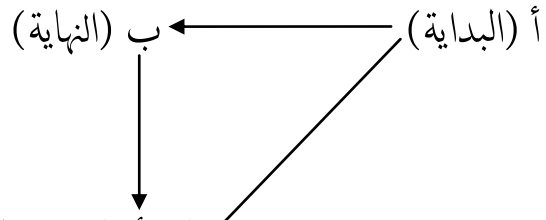
(2) - الجيرداس جوليان غريماس، في المعنى -دراسات سيميائية-، مرجع سابق، ص: 11.

(3) - المرجع نفسه، ص: 12.

الفصل الثالث: آليات إنتاج المعنى في السيميائية السردية المغاربية: المستوى العميق

في البنية السردية الكاملة إلى جملة التحويلات والتراكيب العاملة، والمشروع السردى المحدد بمراحله، وهذا ما يطلق عليه المقطع السردى، الذي يتحدد بوحدة سردية كاملة.⁽¹⁾ بذلك توسعت دائرة التحليل لتشمل أي نوع من الخطابات الدالة بأنساقها المختلفة فلن يُستثنى لا الرسم والإشهار وأي مكون دلالي لغوي أو غير لغوي. ويطرح النص على المكوّن السردى على أنه سلسلة من الحالات والتحويلات فمثلاً: الحالة (أ) تتحول إلى حالة (ب)... فنسمي تتابع هذه الحالات والتحويلات الموجودة في الخطاب والمسؤولية عن توليد المعنى بالسردية.⁽²⁾ وعند تحديد جملة الحالات والتحويلات والوصف الدقيق للفروق والاختلاف الحاصلة فيها، والتي تظهر في شكل تسلسل أو تتابع لهذه الحالات والتحويلات، المنتجة من طرف ممثلين أو شخصيات، يعتبر تحليلاً سردياً لها أي تحليلاً للبنية السردية.

يوضح العجيمي أن غريماس يضع العملية السردية موضع النظام الحسائي؛ أي أنها تكتسي الطابع الحسائي، إذ « يومئ بوجود عمليات دلالية كامنة في المستوى العميق بصرف النظر عن مادة التعبير أو المظهر الخارجى، الذي يتشكل فيه السرد»⁽³⁾، ويكون انتظام البنية السردية العميقة كالاتي⁽⁴⁾:



أ-أ المشاريع السردية الجزئية المفضية إلى المرحلة النهائية.

يتولد المعنى عند تحليل هذه البنى السردية، من خلال ربط الوحدات والأنساق المنقطعة اللامتواصلة بتلك المتواصلة والمتصلة فيما بينها، والمحدّدة في مسراها السردى لأبعاد دلالية، فتحدد بذلك السردية على أنها مداهمة اللامتواصل المنقطع للمطرّد المستمر في حياة تاريخ أو شخص أو ثقافة، يعتمد فيها إلى تفكيك هذه الوحدة إلى تمفصلات مميزة

(1) - محمد الناصر العجيمي، في الخطاب السردى نظرية غريماس (Greimas)، المرجع السابق، ص: 72.

(2) - فريق إنترفرن، التحليل السيميائي للنصوص، المرجع السابق، ص: 42.

(3) - محمد الناصر العجيمي، في الخطاب السردى نظرية غريماس (Greimas)، المرجع السابق، ص: 35 - 36.

(4) - المرجع نفسه، ص: 36.

الفصل الثالث: آليات إنتاج المعنى في السيميائية السردية المغاربية: المستوى العميق

تتضمن التحولات المغيرة للنسق السردية، والتي تسمح بتحديد ملفوظات حال وملفوظات الفعل المؤثرة فيها، والتي تضمن التواجد الدلالي للفواعل المتعلقة بالموضوعات القيميّة سواء في حالة اتصال بها أو انفصال عنها.⁽¹⁾

استخدم غريماس مصطلح السردية ويريد به كل « ما به يكون الخطاب سرداً... وهي ظاهرة تتابع الحالات والتحويلات الماثلة في الخطاب والمسؤولية عن إنتاج المعنى.»⁽²⁾ الأمر الذي يجعل كل خطاب بوسعه أن يحلّل سردياً إن امتلك هذه الخاصية، وعليه يمكن بها التمييز بين الخطابات السردية وغير السردية واعتبارها قاعدة لتنظيم كل خطاب سردي وغير سردي، فيحرر مصطلح السردية من المفهوم الضيق المتعلق بالأشكال الصورية للمحكى إلى معنى أوسع، على أنه مبدأ منظم لكل خطاب، وإن أي تحديد للبنيات السردية في خطاب ما من شأنه أن يحدد المستوى العميق لكل عملية سيميائية.⁽³⁾

وتتعلق الحالات والتحويلات في القص بالشخصيات المؤدية لها، فتعتبر مقولات الحالة عن الكيونة أو التملك، في حين تجسد مقولات التحول الفعل المسجل للانتقال من حالة إلى أخرى.⁽⁴⁾

ويطلق اسم السردية على « درجة بنائية مستقلة، هي محل تنظيم حقول الدلالة الكبرى، وهذه الدرجة ينبغي أن تدرج ضمن النظرية السيميائية العامة.»⁽⁵⁾ فهو تحديد يثبت أن الدلالة لا تضمنها، الوحدات اللسانية المتجلية في صيغها اللفظية فحسب، إنما توجب الاستناد نظرية شاملة وواسعة، نظرية دلالية سيميائية عامة، معبرة عن ذلك التنظيم الدلالي، شاملة للمعنى العام والخاص، فحسب غريماس من المهم «أن نصرّ قبل كل شيء على الطابع السيميائي اللساني للعناصر المستخدمة في تكوين هذه النماذج

(1) - محمد الناصر العجمي، في الخطاب السردية نظرية غريماس (Greimas)، المرجع السابق، ص: 56.

(2) - محمد القاضي وآخرون، معجم السرديات، المرجع السابق، ص: 254.

(3) - رشيد بن مالك، قاموس مصطلحات التحليل السيميائي، المرجع السابق، ص- ص: 121-122.

(4) - رشيد بن مالك، من المعجميات إلى السيميائيات، دار مجدلاوي، عمان، ط1، 2012، ص: 227.

(5) - محمد القاضي وآخرون، معجم السرديات، المرجع السابق، ص: 254.

الفصل الثالث: آليات إنتاج المعنى في السيميائية السردية المغاربية: المستوى العميق

[يقصد أشكال الخطاب المتنوعة]، ذلك الطابع الذي يكفل شموليتها، ويعتبر وسيلة لدخول البنى السردية ضمن نظرية سيميائية عامة. ⁽¹⁾

ويدخل الطابع اللساني للخطاب مع البنى السردية السابقة لتجليها في هذا الكون اللساني في بؤرة الكشف والتجلي المسمى بالتحليل السردى.

وتعني السردية المبحث النقدي الذي يُعنى والعناية الكلية بأوجه الخطاب السردى ومظاهره، من حيث الأسلوب والبناء والدلالة. وقد أضفت هذه العناية إلى بروز تيارين رئيسيين في السردية ⁽²⁾:

أولهما: السردية الدلالية: التي تعنى بمضمون الأفعال السردية، دونما اهتمام بالسرد الذي يكوّنهما، إنما بالمنطق الذي يحكم تعاقب تلك الأفعال، ويمثل هذا التيار: بروب وبريمون، وغريماس .

ثانيهما: السردية اللسانية: التي تعنى بالمظاهر اللغوية للخطاب، وما ينطوي عليه من رواة، وأساليب سرد، ورؤى، وعلاقات تربط الراوي بالمروي . ويمثل هذا التيار عدد من الباحثين، من بينهم: بارت، وتودوروف، وجنيت.

تعمل السردية على استنباط القواعد الداخلية للأجناس الأدبية، واستخراج النظم التي تحكمها وتوجه أبنيتها، وتحدد خصائصها وسماتها، ووُصِفَتْ بأنها نظام نظري، غُذِيَ وخصّب، بالمبحث التجريبي. ⁽³⁾ وللوصول إلى هذه البنى السردية المشكلة لخطاب ما اعتمد غريماس في تحليله على مستويين: **المستوى السطحي والمستوى العميق**، مع وجوب الاعتراف والقبول بضرورة التمييز الأساسي والبين بين هذين المستويين عند التمثيل والتحليل والقبول، فهما: المستوى الظاهر للسرد، حيث تكون مختلف التظاهرات خاضعة للمتطلبات الخاصة للمواد اللغوية المتمظهرة عبرها، والمستوى الكامن له الذي

(1) - الجيرداس جوليان غريماس، في المعنى -دراسات سيميائية-، المرجع السابق، ص: 11.

(2)- عثمان مشاورة، في مفهوم السردية ومكوناتها، ملحق الخليج الثقافي، 2012/05/21، الموقع الإلكتروني:

[/http://www.alkhaleej.ae/supplements](http://www.alkhaleej.ae/supplements)

(3) - المرجع نفسه.

الفصل الثالث: آليات إنتاج المعنى في السيميائية السردية المغاربية: المستوى العميق

يشكل نوعًا من الجذع البنيوي المشترك، تكون فيه السردية محددة سلفًا ومنظمة قبل تظهرها⁽¹⁾، يستدعي أحدهما وجوبًا الآخر.

إن النظر في مستوى البنية العميقة يستدعي أيضًا الولوج إلى مستوى البنية السطحية فالعلاقة بينهما وشيجة، ولا بديل لأحدهما عن الآخر، فهما يكوّنان وحدة الخطاب، لأنهما يشكلان معًا عملة واحدة تتمثل في الخطاب كيفما كان جنسه.⁽²⁾ وإنتاج المعنى على مستوى البنية العميقة لا يأتي إلا عبر تلك البنيات السردية المجزئة للخطاب على شكل ملفوظات، تستدعيها البنية السطحية لذلك الخطاب. فيكون معنى هذه الملفوظات وعلاقتها بالخطاب ككل، قد مر عبر البنيات السردية المتمثلة في الملفوظات المفصلة للخطاب.

الشأن نفسه نقوله عن البنية السطحية؛ حيث تستدعي هي الأخرى البنية العميقة، لما يكتنفها من دلالات وشفرات تقتضي حلها، وتوضيح دلالتها. فيمثل المستويين العميق والسطحي مشروع قراءة لهذه البنى، وعملية بسط المعنى واستنباطه وفق إجراء المكوّن السيميائي السردية، فيتحدد العمل كله في المجالين السطحي والعميق حول البنية السردية؛ كونها « بنية ضمن نظام المحكي، منبسطة بشبكة من العلاقات الواسعة، داخل الخطاب، كونها ظاهرة لتتابع الأحداث من حالات وتحولات، ترمي إلى استخلاص الدلالة، انطلاقًا من الوحدات التعبيرية المكونة لها.»⁽³⁾

ويجب أن ندرك أن الانتقال بين المستويين لا يكون عشوائيًا اعتباريًا، إنما « يتم البحث عن مدى ملائمة المقاييس التي تضبط علاقات تتابع السلسلة التنظيمية...، والتي تشكل ذلك الطابع الخطي المسائر للمحكي، مع السلسلة الخاضعة لنظام التعارض بين علاقات الوحدات اللفظية ذات الطابع الاستبدالي...، والتنظيمية والاستبدالية تحقّقان حينئذ مشروع استقرار المعنى أو المحتوى في ارتباطه بالشكل.»⁽⁴⁾

(1) - الجيرداس جوليان غريماس، سيميائيات السرد، تر: عبد المجيد نوسي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب ط01، 2018، ص: 102.

(2) - نادية بوشفرة، مدخل إلى السيميائية السردية، المرجع السابق، ص: 31.

(3) - نادية بوشفرة، مدخل إلى السيميائية السردية، المرجع السابق، ص: 32.

(4) - المرجع نفسه، ص: 32.

الفصل الثالث: آليات إنتاج المعنى في السيميائية السردية المغاربية: المستوى العميق

تبنى البنى السردية في المستوى الظاهر على التجلي، الذي يخضع فيه السرد بنياته إلى كل قواعد وضروريات المادة اللسانية، متوسلاً بها في الظهور، أما المستوى العميق فتخضع فيه إلى تنظيم منطقي، وتشارك فيه كل هذه البنى وفق علاقات منظمة تضمن لفعل السرد منطقته وتنظيمه قبل أن يتظاهر في مستواه السطحي، وقد عرفه غريماس على أنه المستوى **السيميائي المشترك** «مختلف عن المستوى اللساني، وسابق له منطقيًا، مهما كانت اللغة المختارة للتجلي»⁽¹⁾.

يثبت الفهم المبسط لما سبق أن المستوى التجلي أو الخطابي هو نظرة في المنحى اللساني للخطاب، الذي يكتسب شرعية منطقية من مجموع القواعد وأسس اللغة المنتمي إليها، والذي يضمن تنظيمه ومنطقه على مستوى السطحي، وتجليه الدلالي على المستوى العميق، حيث تكتسي البنى السردية بدورها ضمنه الطابع المنطقي التجريدي.

ويرى غريماس أن توليد الدلالة في خطاب ما يكون أولاً عن طريق تموضع البنى السردية ومسارها في ذاك الخطاب، والتي تضمن إنتاج خطاب دلالي منظم في سياق وبلاغات معينة، وإن أي تنظيم دلالي شامل للمعنى عبر النظرية السيميائية العامة المتواجدة ضمن بنى تركيبية أو توليدية - وإن كانت تحوي عناصر بسيطة وألوية - فإنها تعبر عن قدر ما من البلاغات والدلالات، والتي بدورها تتولد وتتركب ضمن سياقات محددة، لتشكل تتابعات وتسلسل بلاغات تبني الخطاب⁽²⁾، وهذا ما يسمح لنا بتصوير هيئات أساسية ولازمة لتوليد الدلالة، بشكل نستطيع معه بالاستناد إلى تجميع المعنى وبلورته وإن قل تنظيمها، وأن نحصل تدريجياً على تمفصلات دالة متقنة، وتنظيمات دلالية متزايدة في دقتها، مما يوصلنا إلى هدفين معاً، يسعى إليهما المعنى من خلال حضوره في الخطاب، هما:⁽³⁾

- 1- البروز كمعنى متمفصل منظم؛ أي دلالة.
- 2- البروز كخطاب عن المعنى؛ أي شرح واسع لكل التمفصلات السابقة على المعنى.

(1) - الجيرداس جوليان غريماس، في المعنى - دراسات سيميائية -، المرجع السابق، ص: 12 .

(2) - الجيرداس جوليان غريماس، سيميائيات السرد، المرجع السابق: ص: 103-104.

(3) - الجيرداس جوليان غريماس، عناصر نحو سردي، تر: بورايو، الكشف عن المعنى في النص السردي، المرجع السابق

ص: 98.

الفصل الثالث: آليات إنتاج المعنى في السيميائية السردية المغاربية: المستوى العميق

ويعبر هذين الهدفين عن مسعى المعنى في التجلي على مستوى التحليل، فالوجهة الأولى "الدلالة"، توجد البنى السردية في الخطاب، والمعتمدة على تنظيم سياقي ما يحوي بلاغات بحسب الطابع التركيبي والتوليدي لهذه البنى المنتجة للخطاب المفروض والمتمفصل عبر الملفوظات، والوجهة الثانية تتمثل في شرح لهذه التنظيمات السابقة للبنى في الخطاب، وقراءة لمعناها ودلالاتها المستنبطة؛ أي « توليد الدلالة لا يمر أولاً بإنتاج البلاغات وتراكبها في الخطاب، بل إنها مرتبطة في مسارها بالبنى السردية، التي تنتج الخطاب ذا الدلالة، والمنتظم في بلاغات.»⁽¹⁾

هي إذن نظرية سيميائية تحلل تلك البنى السردية وتنظيمها في الخطاب، والنظر في مسارها وسياقها الضامن لتولد الدلالة والمعنى المتواجد مسبقاً في الخطاب، فتمنحها رؤية علمية ومنهجية تتجاوز الوصف والتصنيف الآلي للنماذج والبنى إلى التحليل القائم على اعتبار أن هذه البنى بناءً مستقلاً ضمن تنظيم عام للسيميائية المجسدة لعلم في الدلالة.⁽²⁾ فتكون آلية إنتاج المعنى في جانب منها مرتبطة بالبنى السردية، ومسارها المولد لخطاب منظم ذي دلالة.

يتم وفق المسار السيميائي للبنى السردية رصد الفكرة التي يحملها النص، ويحاول التعبير عنها، تكون فيه البنية السردية منتظمة بشكل سابق على تجليها، ومن خلال جملة من التبسيطات تمكن القارئ التعامل مع هذه الفكرة خارج المواد الحاملة لها، حيث تخضع إلى سلسلة من التحولات المتتالية، وباعتبارها كون مشخص تمكنا هذه التحويلات من التعبير عن الفكرة بطرق تعبيرية شتى: رقصة، صورة، مسرح، فيلم... فتقودنا هذه التحويلات إلى «اختصار النص في بنية بسيطة تجمع بين حدين»⁽³⁾ أحدهما سطحي والآخر عميق، يشكلان للنظام السردية مقومات إنتاج مكوناته الدلالية.

(1) - الجيرداس جوليان غريماس، في المعنى - دراسات سيميائية-، المرجع السابق، ص: 13.

(2) - المرجع نفسه، ص: 13.

(3) - سعيد بنكراد، السيميائيات السردية، المرجع السابق، ص: 62.

II. آليات إنتاج المعنى في المستوى العميق:

إن اشتغال السيميائية السردية بمستويات المسار السردية يقوم على إجلاء تفاصيل الانتظام السطحي للنص، وكذا فحص البنية العميقة للدلالة، معتمدة بنزعتها المحايدة على تقنين المعطيات الدلالية العامة للنصوص، لبناء نحو كلي للخطابات السردية.⁽¹⁾ فيتم العمل للامساك بالمعنى في المستوى العميق بالسير وفق مخطط أو قواعد مسطرة سلفاً من قبيل البرمجة المسبقة.⁽²⁾ تتجلى في تسريد البنية المجردة المفترضة ثنائية الوجود لاشتراك البشرية في مضامينها، (خير/شر، حلال/حرام، حياة/موت...)، والتي تمدنا بمعرفة حول أي نشاط إنساني اجتماعي، استطاع غريماس من خلال هذه البنيات الثنائية التقابلية أن ينتج لنا أنموذجاً تأسيسياً عامّاً ساه - **المربع السيميائي** - مجهزاً مسبقاً، تقاس عليه كل المضامين التي يحملها نص ما، يُطرح فيه المعنى بشكل أكثر انتظاماً ومنطقية، سابق عن تجليه النصي في الأشكال التعبيرية المتنوعة، الأمر ذاته من حيث البرمجة المسبقة بالنسبة للمستوى السطحي (البين بين).

تعد البنية العميقة بنية تحتية متحركة في البنية السطحية، ومولدة لها في الخطاب السردية.⁽³⁾ وتحدد البنيات السردية -إلى جانب تحديدها المستوى السطحي- المستوى العميق لكل عملية سردية.⁽⁴⁾ مع خضوعها والوحدات النصية إلى قوانين البنية العميقة وقواعدها المسبقة الجاهزة لإنتاج الدلالة.

يرصد في المستوى العميق التحليل الدلالي للنص السردية، ومنطقية تواجد تلك الدلالة فيه، « يشمل قيماً دلالية قابلة للتفجير، لكنها غير قابلة للإدراك في ذاتها لإنتاج دلالة ما، إلا إذا دخلت في شبكة من العلاقات تعطيها بعداً مادياً إظهارياً.»⁽⁵⁾

(1) - عبد القادر فهم شيباني، سيميائيات المحكي المترابط، المرجع السابق، ص: 17.

(2) - سعيد بنكراد، السيميائيات السردية، المرجع السابق، ص: 105.

(3) - محمد الناصر العجيجي، في الخطاب السردية نظرية غريماس (Greimas)، المرجع السابق، ص: 87.

(4) - رشيد بن مالك، قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص، دار الحكمة، الجزائر، 2012، ص: 122.

(5) - حسني أوعسري، سيميائية الشخصيات الروائية، مجلة عود الند - مجلة شهرية، العدد 94، 4 أبريل 2014 الموقع الإلكتروني:

<https://www.oudnad.net>

يتتبع القارئ سيررة الدلالة، وإنتاج المعنى بآليات المستوى العميق، عبر:

1. المكونات المرفولوجية.

2. التشاكل أو محاور التواتر.

3. المربع السيميائي.

تضيف إليها الناقدة الجزائرية شادية شقروش إجراء مستويات التأويل⁽¹⁾.

يتم القبض على المعنى وفق هذه الإجراءات الخاصة بالمستوى العميق المحايث، عند الوقوف على المكونات المرفولوجية للنص، فهي المستهدفة للدلالة، حيث يقتضي التحليل العميق للنص تفكيكه إلى وحدات وبنيات دلالية، ومعانم صغرى مكونة له المسماة بالسيما، للوصول بها في نهاية المطاف إلى استخلاص حزمات سيمية تجسد الدلالات الأساسية في النص⁽²⁾. والعناصر المعنوية المطروحة في شكل يحملها أي نوع تعبيرى، متحور بين المستويين- السطحي والعميق- لإظهار معناها.

1. المكونات المرفولوجية:

تظهر هذه الوحدات على مستوى المعنى، تساهم في كشفه بحسب ما تحمله من دلالات أصلية أو تلك التي تكتسبها من السياق، يفرعها الكثير من اللغويين والسيميائيين لعدة أنواع من شأنها عند ضبطها في النص، واشتغالها فيه أن تولد المعنى وتنتجه.

1.1 تفرعات المكونات المرفولوجية:

اقترح أندري مارتيني (Martinet) أحد أعلام اللسانيات الوظيفية توليفا ثلاثيا للوحدات المعنوية؛ فرق فيه بين ثلاثة أنواع من الوحدات، وضحها ومثل لها مختار درقاوي في الآتي⁽³⁾:

- الوحدات الدالة الصغرى: (Monèmes) وهي أدنى جزء مفيد من أجزاء الكلام.

(1) - شادية شقروش، سيرورة الدلالة وإنتاج المعنى - قراءة سيميائية في الأدب السعودي المعاصر، دار جامعة الملك سعود للنشر، الرياض، السعودية، 2016، ص: 18.

(2) - محمد الناصر العجيمي، في الخطاب السردى نظرية غريماس (Greimas)، المرجع السابق، ص: 88.

(3) - مختار درقاوي، الدلالة الصرفية في "الكفاية في النحو" لمحمد بن عبد الله بن محمود دراسة لأبنية الماضي الثلاثي المزيد

المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها، لجامعة مؤتة، الكرك، الأردن، المجلد 10، العدد 3، أوت 2014، ص: 189.

الفصل الثالث: آليات إنتاج المعنى في السيميائية السردية المغاربية: المستوى العميق

- الوحدات الدالة الصرفية: (Morphèmes) وهي قليلة وأكثر استقراراً.
- الوحدات الدالة المعجمية أو المفردات: (Lexèmes) وهي وحدات مفتوحة؛ لأنها تشكل عدداً متحولاً من الوحدات، يظهر بعضها وينقرض بعضها الآخر مع الزمن.
- فالجملّة الآتية " لا يلعب الرجل في وقت الجد " تتألف من:
 - الوحدات المعجمية: لعب، رجل، وقت، جد.
 - الوحدات الصرفية: لا، ي، ال، في، ال.
 - وجميعها وحدات دالة (Monèmes).

هي تقسيمات معنوية تحدد المكونات المورفولوجية في: السيم والسيميم – اللكسيم والمونيم... وغيرها من العناصر الدالة التي تطرح المعنى في النص، وتساهم في إنتاج معناه. نوضح منها:

أ- السيم: عرب لفظ Sème (سيم) بلفظ المعنم، ويتكون السيم من المقوم أو المعنم « أي الوحدة الدنيا لسيميائية بعينها، ويضع المعنم الدال والمدلول معا في علاقة ثنائية». (1) وهو الوحدة الدلالية الصغرى الموجودة في كل محتوى خطاب. (2)

وقد ميّز غريماس بين نوعين من السيمات: السيمات النووية والكلاسيكات. (3) والتي بتواجدها الكمي في الخطاب تجسد بنيته الدلالية، وعليها يقوم التحليل السيميائي للولوج إلى الوحدات الدلالية الممفصلة للمعنى، بمعالجتها وفق الآليات السيميائية السردية، بما أنها وحدات تشكيل النص، والموصلة في النهاية إلى إنتاج دلالاته. حيث (4):

1- النواة السيمية:

✓ السيم النووي: وهو المشكل للمستوى السطحي، إذ يدخل ضمن الوحدات التركيبية المعجمية. (اللكسيات).

(1) - عبد المالك مرتاض، نظرية القراءة، المرجع السابق، ص 34.

(2) - عبد القادر شرشار، مدخل إلى السيميائيات السردية، المرجع السابق، ص: 38.

(3) - جوزيف كورتيس، مدخل إلى السيميائية السردية والخطابية، المرجع السابق، ص: 76.

(4) - عبد القادر شرشار، مدخل إلى السيميائيات السردية، مرجع سابق، ص - ص: 37-38.

✓ **السيم التوزيحي:** هو أكبر وأوسع من السيم النووي، يظهر في وحدات تركيبية أكبر، وهذا لربطه بين لكسيمين أو أكثر، مشكلاً الخطاب، يخضع بذلك للسياق متجاوزاً المفهوم المعجمي.

2- **الكلاسيم:** الكلاسيات أو الوحدات الدلالية هي «المعانم السياقية، وهي وحدات تشمل على كل الممكنات الدلالية التي أفرزتها الممارسة الإنسانية، وتلك التي ستفرزها لاحقاً»⁽¹⁾

3- **السيم:** هو تركيبة من السيمات المتناسقة فيما بينها ضمن علاقات تربطها، تتشكل بفضلها معنى ما، ويرى إيكو أنه يجب على السيم – séme – أن يمثل أمامنا باعتباره نصاً ممكناً، ولن يكون سوى وجه مفصلاً لهذا السيم⁽²⁾، الذي يكون عبارة عن وحدة معنوية وفعالاً بنيوياً تظهر على مستوى المحتوى.

4- **الللكسيم:** يشير بدوره إلى الوحدات الدنيا في اللسان، المتضمنة لشقي الدال والمدلول معاً⁽³⁾؛ يعني الوحدة المعجمية الحاملة لدلالات عامة معجمية

2.1 الوظيفة الاختلافية للمكونات المرفولوجية:

يعيد غريماس هذه التقسيمات المورفولوجية ومكوناتها إلى مستوى المعنى، أي من خلال الجوانب المعنوية التي يحملها النص في داخله، دون العودة إلى مرجع خارجي عنه فهي نظرة ذات مبدأ بنيوي، تبنى غريماس فيها النظر للمعنى من الجانب المحايث ودراسة النص أو الخاطب من حيث معناه ومحتواه، ليس واقعه ومرجعه. حيث يحدث الشق الحاكم للمعاني علاقات فاعلة بين حقلي الدوال والمدلولات، تتبادل فيما بينها بعلاقات متفاعلة للنهوض بوظائف ما.

يقوم السيم كوحدة قاعدية دنيا بسيطة تسمى عنصر التدليل الأدنى، على مبدأ الاختلاف، لا يتضح ولا يظهر إلا عند رصد علاقاته مع سيم غيره مختلف عنه، إدراكه وفهمه يكون عبر علاقته مع هذا الغير، ضمن بنية خطافية معينة⁽⁴⁾. مثال: "كبير" سيم

(1) - سعيد بنكراد، السيميائيات السردية، المرجع السابق، ص: 55.

(2) - سعيد بنكراد، السيميائيات السردية، المرجع السابق، ص: 5.

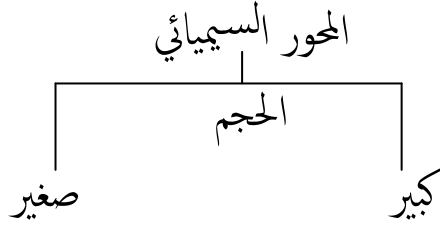
(3) - المرجع نفسه، ص 72.

(4) - جوزيف كورتيس، مدخل إلى السيميائية السردية والخطافية، المرجع السابق، ص: 73.

الفصل الثالث: آليات إنتاج المعنى في السيميائية السردية المغاربية: المستوى العميق

يختلف عن سيم "صغير"، فلا يدرك هذا السيم "الكبير" إلا في علاقته مع سيم "الصغير"، داخل نسق بنية تشملهما، وإن دخلا في سيم مشترك هو سيم "القياس" فإنهما يختلفان في سيم "الحجم". وليس لعنصر السيم وظيفة غير الوظيفة التمازيرية « وبفعل هذه الخاصية فإنه لا يلتقط إلا داخل مجموعة عضوية أي في إطار بنية.⁽¹⁾»

مثال:



فسيم كبير والسيم صغير يشتركان في سيم "القياس" يختلفان في سيم "الحجم". بشكل تفصيلي للوظيفة التمازيرية، يوضح العجمي أن تحديد السمات من شأنه أن يبين مجموع الاختلافات، التقابلات والتضادات الدلالية، المتحركة في البنية الدلالية للنص فعند النظر إلى السيم النووي الذي يدخل ضمن التركيب المعجمي للوحدات الدلالية وينتمي إلى حقل دلالي واحد ضمن وحدات معجمية أخرى، فإنه سيكون إما له من السمات ما يلتقي معها في الدلالة، وإما سيختلف معها تقابلاً أو تضاداً، وبعد رصد كل المعانم الممكنة واستقراءها بوسعنا عندها العمل بنظام الاستبدال حصر عدة صور دلالية وتبين مدى ما يكمن في سمات محددة العدد من طاقة توليدية للصور الدلالية بمجرد ائتلافها واتساقها في أنساق مختلفة.⁽²⁾ ومدى تشكيلها للخطاب، وتوثيق بنيته الدلالية، بالوقوف على انتظامها النصي والسياقي وإنتاج معناها المحتمل.

يوضح بن مالك استنثار غريماس الوظيفة الاختلافية للسمات من مبدأ الاختلاف اللساني، وقد ضمنه تصوراً جديداً، يقضي فيه الاقتراب من المسألة الدلالية وملاستها لاستيعاب الاختلافات المنتجة للمعنى دون الاكتراث لطبيعتها، مبيّناً أن « السيم بوصفه وحدة دلالية قاعدية لا يحقق وجوده إلا في علاقته بعنصر آخر، ولئن كانت وظيفته

(1) - جوزيف كورتيس، مدخل إلى السيميائية السردية والخطابية، المرجع السابق، ص: 73-74.

(2) - محمد الناصر العجمي، في الخطاب السردية نظرية غريماس (Greimas)، المرجع السابق، ص: 88، 90.

الفصل الثالث: آليات إنتاج المعنى في السيميائية السردية المغاربية: المستوى العميق

خلافية بالدرجة الأولى فإنه يستحيل أن يدرك خارج إطار البنية»⁽¹⁾؛ فهو وحدة فاقدة للدلالة في ذاته، وليس له معنى تام في عزلته، إنما يكتسبه من مجموع العلاقات القائمة بينه وبين سواه من الوحدات السيمية المخالفة له، من هنا، اكتسب السيم وظيفته الاختلافية.⁽²⁾

ينتج المعنى إجمالاً باستحضار والإحاطة بعلاقات الاختلاف التي تحكم عناصر الدلالة، دون النظر في طبيعة تلك الاختلافات، والواقعة في إطار بناء حاضر على الأقل بعنصرين أو أكثر، تربطها علاقة ما بطريقة أو بأخرى، فتكون الإحاطة بالدلالة وإدراك المعنى منوط بدخول سيم ما يمثل لوحدة معنوية صغرى في علاقة مع سيم مخالف له ضمن نظام بنية دلالية كلية، فيستدعيه، ويدخل معه في بنية سيم أوسع معنوياً وأشمل دلاليًا منها.

يمثل بن مالك لهذه الوظيفة الخلافية المتعلقة بسيم "الذكورة" والمقابل له سيم "الأُنوثة"، حيث يكون داخل نظام يحتكم هذا النظام لعلاقات تقابل بين السيمات فيندرج الـ **الليكسيان (ولد وبنت)** ضمنهما (الذكورة لليكسيم الولد، والأُنوثة لليكسيم البنت)، وتكون هنا الوظيفة الخلافية بين السيمين الذكورة والأُنوثة (س₁، س₂) هي المحددة للمعنى، وقد تكون سيمات مشتركة بينهما، فيدخلان تحت بنية أو محور أكبر مثل سيم الجنس "س"، حيث ينتمي⁽³⁾:

س₁ ← س ← س₂ ← س

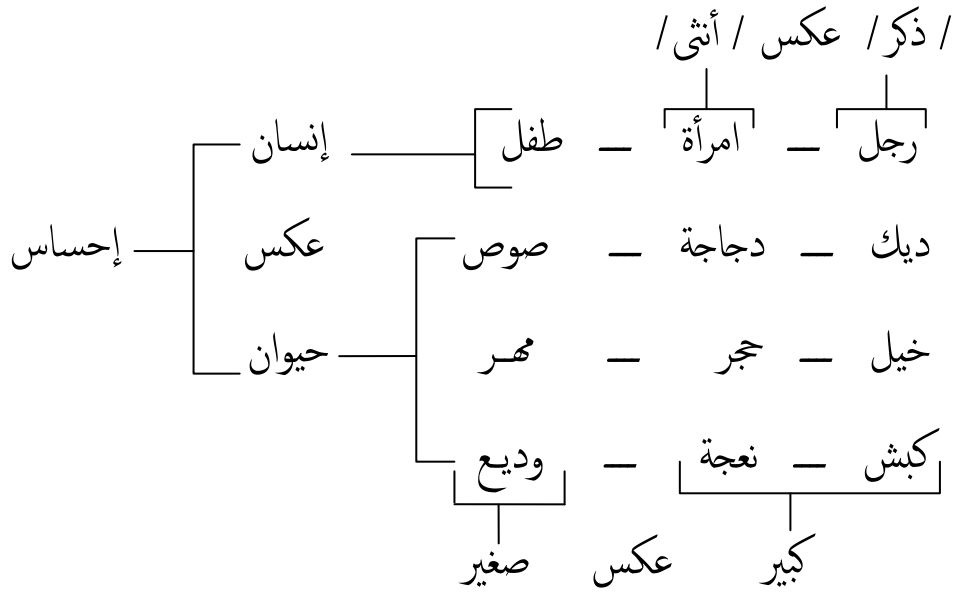
كما يدخل أيضًا المحور "س" في تقابلات مع غيره تحت محاور أكبر وأشمل، يتضح ذلك أكثر في التمثيل البياني للناقد رشيد بن مالك - بعد اختزاله-⁽⁴⁾:

(1) - رشيد بن مالك، مقدمة في السيميائية السردية، المرجع السابق، ص: 10.

(2) - محمد الناصر العجمي، في الخطاب السردية نظرية غريماس (Greimas)، المرجع السابق، ص: 88.

(3) - رشيد بن مالك، مقدمة في السيميائية السردية، المرجع السابق، ص: 10.

(4) - رشيد بن مالك، مقدمة في السيميائية السردية، المرجع السابق، ص: 11.



- التقابلات السيمية وتشكيل المحاور الدلالية المشتركة -

تشكل السيمات الخطوط الدلالية الصغرى أو الوحدات الدلالية الدنيا، والوحدة منها هي معتم، ومجموعها يسمى سيميم أو مسارات سيمية، والتي تكون متضمنة افتراضياً في صورة معجمية؛ أي تجسد السيمات تلك العناصر الدنيا للمعنى، ولا تتمظهر إلا عبر ارتباطها بعضها ببعض، داخل تعريف اللكسيم⁽¹⁾، الذي يشير بدوره إلى الوحدات الدنيا في اللسان، المتضمنة لشقي الدال والمدلول معاً⁽²⁾ بما يعادل لفظ العلامة اللسانية أو الكلمة.

ومن خلال التمييز بين مجموع الوحدات الدلالية الدنيا في نص ما، يمكن التحليل والقياس والكشف عن الدلالة وضبطها⁽³⁾، فكما يرى إيكو وتبني ذلك بنكراد إن السيميم يجب أن يمثل أمامنا باعتباره نصاً ممكناً، ولن يكون النص سوى وجه مفصل لهذا السيميم⁽⁴⁾.

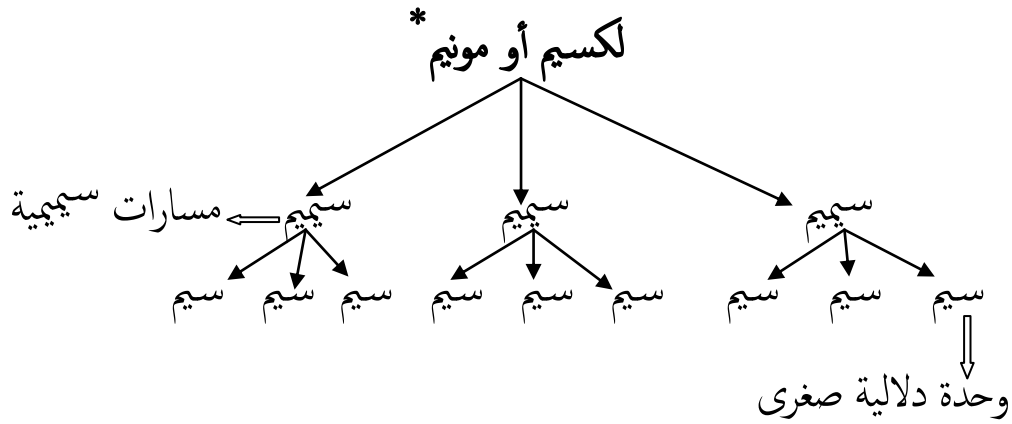
(1) - ماري نوال غاري بريور، المصطلحات المفاتيح في اللسانيات، تر: عبد القادر فهم الشيباني، مطبوعة، جامعة سيدي بالعباس، الجزائر، ط01، 2008، ص: 94.

(2) - المرجع نفسه، ص 72.

(3) - جمال الحضري، سيميائية النصوص، المرجع السابق، ص 59.

(4) - سعيد بنكراد، مدخل إلى السيميائية السردية، المرجع السابق، ص: 30.

وهذا رسم تخطيطي يحدد كل مكون مورفولوجي عن الآخر.



- التشكل السيمي للمعنى -

3.1 توليد معنى النص عبر تعالق المكونات المرفولوجية:

نستطيع وصف النصوص جراء تقفي هذه الوحدات الدلالية الصغرى، بحكم أنها الوجه الأمثل لتقطيع المعنى إلى أصغر عينة دلالية ممكنة للتحليل. فإن كان علم وظائف الأصوات عند مدرسة براغ استطاع وصف الصوتام (الفونيات) للغة ما بتشريجه لأصغر وحدة صوتية ممكنة والتي تدخل في تركيب الصوتم المتداول في اللسان سمعا ونطقا. والتي تحدث خطأ فارقة بالفعل بين الصوتام، فإن التحليل السيمي يتبع نفس المنهج، حيث يحاول إرجاع الدلالات المدركة إلى خطوط أو حزم معنوية (دلالية) منتظمة في خطوط دلالية دنيا سميات، يمكن بفضلها في تماثلها واختلافها أن تعقد الصور الدلالية علاقات بينها، قد تتربط وتتلاقى، وقد تتقابل وتتنافى.⁽¹⁾

أن الوظيفة التمييزية للسميات عند تحليلها هي التي تعمل على توليد الدلالة حين تتبع أثر المعنى من خلالها، ومن جملة الاختلافات التي تطرحها الدلالة ويبني المعنى.

* - المقابل اللغوي العربي لمصطلحي Lexème : جذر، عجم، لفظة، لكسيم، مفردة معجمية، وحدة معجمية، وحدة معجمية صغرى، الوحدة الصوتية الكامنة في الدماغ. و monème : لفظم، وحدة دالة، وحدة صرفية، مونيم.
(1)- جمال الحضري، سيميائية النصوص، المرجع السابق، ص: 60.

الفصل الثالث: آليات إنتاج المعنى في السيميائية السردية المغاربية: المستوى العميق

- مثال- قدمه الناقد المغربي جمال حضري⁽¹⁾:
- من التحديدات المعجمية للكسيبي الرجاء والخوف، ينتج:
- الرجاء: تتجه من خلاله إلى اعتبار شيء ما ملائمًا للرجبة.
 - الخوف: تتجه من خلاله إلى اعتبار شيء ما غير ملائم أو خطير أو ضار.
- نخرج من مدلوليهما بعض الخطوط الدلالية الدنيا (السيات) المتماثلة، هي:
- 1- /شعور/ يقابله تفكير، عمل.
 - 2- /مستقبلي/ يقابله الندم، والذي يمكن أن يدخل ضمن الخط الدلالي / شعور/.
- إن كان في صورتني اللكسيين خوف ورجاء الدلالية تماثل، فإن ظهور الخط الدلالي -السيم- /مفرح/ في أحدهما سوف يميز بينهما، وهذا لتعيين الملائمة وعدم الملائمة فيها ومنه تحديد القيمة الايجابية أو السلبية، - وبوسعنا عند رصد كل المعانم الممكنة واستقرائها عند العمل بنظام الاستبدال حصر عدة صور دلالية-، فينتج:
- رجاء: /شعور/ /مستقبلي/ /مفرح/
 - خوف: /شعور/ /مستقبلي/ /محزن/.
- وهكذا دواليك يتم تتبع أثر المعنى وإنتاجه.
- ويعتبر محمد ناصر العجمي السيم فاقداً للدلالة في ذاته، فهو ليس له معنى في حد ذاته، إنما يكتسبه من مجموع وفنون العلاقات القائمة بينه وبين غيره من الوحدات المعنوية الأخرى المخالفة له. فعند الدراسة العميقة المستهدفة للدلالة يقضي ذلك تفكيك البنيات الدلالية والمعانمية إلى مكونات صغرى "سيم" مميزة للوصول بها في النهاية إلى استخلاص حزمات من السيات الدلالية الأساسية، وإن تحديد السيات من شأنه أن يبين مجموع الاختلافات والتفاعلات الدلالية المتحكمة في البنية الدلالية للنص.⁽²⁾ ويتبين أيضًا من

(1) - جمال الحضري، سيميائية النصوص، المرجع السابق، ص: 61.

(2) - محمد الناصر العجمي، في الخطاب السردى نظرية غريماس (Greimas)، المرجع السابق، ص: 88.

الفصل الثالث: آليات إنتاج المعنى في السيميائية السردية المغاربية: المستوى العميق

عدد من المعانم مدى ما يكمن فيها من طاقة في توليد الصور والدلالات بمجرد تأليفها في أنساق متعددة ومختلفة.⁽¹⁾

وتعد الكلاسيكات من السيمات التي يطرحها الخطاب، أي هي وحدات سياقية تابعة لسياق الخطاب الواردة فيه، يكون تحديد دلالتها ضمن سياق الكلام، وداخل البنية الخطابية التي تشملها، ومن هنا تأخذ طابع التخصيص، فلا يكون معناها عام مأخوذ من المفهوم المعجمي، إنما وفق النسق الدلالي الذي تشكلت منه في الخطاب النصي. ويعده عبد القادر شرشار بالتوافق مع تعريف بواتي « عبارة عن مجموعة السيمات التي تدخل في تكوين السيميم »⁽²⁾

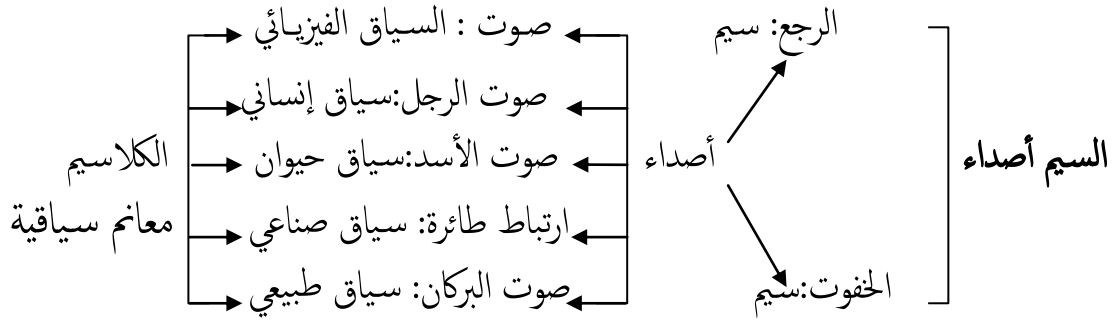
يعني وجود تعالق بين بعض الصور الموضوعية في خطاب ما أن بينها اتصالاً ما يكون عبر وجود سيمات عامة: المعالم السياقية حيث تكون مسؤولة عن تحديد دلالتها وبعدها المعنوي ضمن ذلك الخطاب والسياق الحاملة له، « ومن خاصيتها طاقتها التوليدية، بحكم إحالتها على أقسام عامة، مثل: حياة/ موت- إنساني/ حيواني - حي/ جامد... »⁽³⁾ فنجد هذه السيمات العامة أو السياقية، ورغم ما تحمله من معانم مستقلة عن أي سياق، إلا أنها تتغير دلالتها بحسب الوجهة المعنوية أو الدلالة التي تنتمي إليها، والسياق المنساق فيه، يشرح محمد ناصر العجمي ذلك بسيم "أصداء" الذي يحيل إلى معنيين متمايزين هما الرجوع والخفوت، غير أنه يختلف في دلالته كلما تغير السياق المساق فيه⁽⁴⁾، يمكن تمثيل ذلك وفق الخطاطة الآتية:

(1) - محمد الناصر العجمي، في الخطاب السردى نظرية غريماس (Greimas)، ص: 90.

(2) - عبد القادر شرشار، مدخل إلى السيميائيات السردية، المرجع السابق، ص: 39.

(3) - محمد الناصر العجمي، في الخطاب السردى نظرية غريماس (Greimas)، المرجع السابق، ص: 90.

(4) - المرجع نفسه، ص - ص: 90-91.



تغيرات السيم وفق تغير السياق-

تكون هذه السيمات الخاضعة للسياق هي المولدة للمعاني الثاوية في الخطاب المنتمية إليه، والمسؤولة على تحديدها، وبها يكشف عن المزج بين الصور الواردة في عمق الخطابات، والتي قد تظهر تناقضات واختلافات واضحة، وفعل استقراءها يوضح مدى انتمائها للنص عبر البحث في تشاكلها وانسجامها فيه، فيتم الاحتكام في التحليل السيميائي السردية إلى آلية أخرى تنتمي بدورها إلى المستوى العميق؛ ألا وهي التشاكل ترجمةً للمصطلح الغربي Isotopie.

2. التشاكل:

استثمر غريماس المصطلح في الدراسات الدلالية السيميائية من مجالات غير أدبية مريدًا به تتبع نسق التكرارات الحاصلة في كلمات نص ما، وما تحدته من أثر في المعنى. وبألية التشاكل يخرج التحليل من حدود التماسك الجملي إلى حدود التماسك النصي والنظر في الوحدة التناسقة التي يبني عليها النص ككل.

1.2 إرصاصات مصطلح التشاكل:

مصطلح التشاكل هو ترجمة للمصطلح الأجنبي Isotopie ذو الأصل الإغريقي المكوّن من شقين: Isos؛ وتعني: يساوي أو مساوي، كما فسرت بمعنى متشابه ومتماثل و Topos وتعني المكان، وبالتحام الشقين نحصل على لفظ المصطلح: Isotopies. يعني به المكان المتساوي أو تساوي المكان.⁽¹⁾ أو نفس الموقع والمكان والمجال. ولقد عرّف مصطلح التشاكل عدة اقتراحات في ترجمته منها: المشاكلة، التماثل، المماثلة التناظر

(1) - فيصل الأحمر، معجم السيميائيات، المرجع السابق، ص: 235.

النظيرة، القطب الدلالي...، لاشتراكها جميعها في معنى التشابه والتماثل، الذي يعني «وجود انسجام في العمل الفني نتيجة لتماثل أطرافه وتناسبها»⁽¹⁾، والأصل في هذه المصطلحات أن أغلبها جاءت على الوزنين الصرفيين مفاعلة وفاعل، يفيدان معنى المشاركة غالباً⁽²⁾، إضافة إلى أنها كلمات مترادفة فيما بينها تعني: التشابه والتوافق والمصاحبة والاشترار في شيء واحد.

عُرِّفَ مصطلح في المجال الفيزيائي والكيميائي، على أنه «الوحدة والموحد والتوازي والتجانس والتناظر والتشابه والتماثل، كما يدل على تساوي الخصائص في جميع الجهات ويعني أيضا الانتماء إلى حقل أو مجال أو مكان معين»⁽³⁾، يقصد به خاصة وفي الكيمياء العناصر الكيميائية المتشابهة التي تختلف فقط في أنويتها، أو هو تشابه تركيبين أو أكثر في نوع وجنس الذرات المكونة لها، واختلافها في العلاقات وطريقة الاتصال التي تحكمها وهذا الاختلاف هو الذي يؤمن تكوناً جديداً لتركيبات كيميائية مختلفة فيما بينها.

كما وضحت الناقدة حياة لصحف أن أصول مصطلح التشاكل في الثقافة الغربية المصطلحية، تقترن بلفظ آخر هو: "Isomorphisme" الذي يعني التشاكل والتماثل في الشكل، في حين المصطلح: "Isotopie" يعني التكرار والمعاودة لفئات دلالية⁽⁴⁾. في النص منتجة للمعنى.

يدخل إجراء التشاكل في مقولات المستوى العميق، حيث يتم به إلى جانب المربع السيميائي استقراء المكوّن الدلالي، بصورة منطقية لتوضيح تكوينه عمقاً على مستوى المعنى، وتظاهراته وتجلياته النصية السطحية سرداً وحكيًا، وانزاح به جوليان الجيرادس غريماس من العلوم التجريدية التجريبية إلى النقد السيميائي الأدبي، واستثمره بدلالة جديدة كإجراء سيميائي للوصول به إلى إيجاد المقومات المتجانسة للنصوص، يقوم على التراكم والتواتر والتكرار، ومع مرور الوقت وتداوله في الدراسات الأدبية والنقدية أصبح يطلق توسعاً على الحال في المكان، من باب التماس علاقة المجاورة أو علاقة الحالية ذاتها

(1) - مجدي وهبة، معجم مصطلحات الأدب، المرجع السابق، ص: 554.

(2) - إبراهيم فلاحي، قصة الإعراب، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، (د ط)، 2006، ص: 261.

(3) - جميل حمداوي، السيميوطيقا السردية، من سيميوطيقا الأشياء إلى سيميوطيقا الأهواء، ص: 18.

(4) - حياة لصحف، مصطلحات عربية في نقد ما بعد لينوية، المرجع السابق، ص: 90.

أي رصد التجاور في مكان وموقع الكلام، ومع ذبوع المصطلح في المجال الأدبي واللغوي بين كل الدارسين أصبح مسلم به كإجراء في كل تحليل نقدي.⁽¹⁾ ولا سيما عند النقاد المغاربة، الذين بفضل الجهود الفكرية لأعلام منهم أصبح يمثل عندهم نظرية لتحليل النصوص، ونخص منهم: محمد مفتاح وعبد المالك مرتاض، وهما العينتان النقديتان المقررتان لتحديد مفهوم التشاكل في النقد السيميائي السردية المغاربي.

2.2 التشاكل في النقد السيميائي السردية المغاربي:

يعرف غريماس التشاكل على أنه:

✓ « تكرار العناصر النحوية أو الدلالية وإطرادها من أجل تأمين الانسجام في الخطاب.»⁽²⁾

✓ « مجموعة متراكمة من المقولات المعنوية (أي المقومات) التي تجعل قراءة متشكلة للحكاية، كما نتجت عن قراءات جزئية للأقوال بعد حلّ إبهامها، هذا الحل نفسه موجه بالبحث عن القراءة المنسجمة.»⁽³⁾

إذا تأملنا تعريف غريماس للتشاكل وحاولنا مقارنته بمفهومه الكيميائي، نجد تلامسًا بين المفهومين؛ فالمركبات الكيميائية باعتبارها مجموعة من الذرات بعد معرفتنا لطريقة توزيعها تتمكن من تحديد تشاكلها وتجانسها من عدمه، والأمر ذاته بالنسبة لمقولات النص المتراكمة فتحليلها المنتبغ لطرق توزيعها وانتشارها، يوضح انسجامها وتجانسها من عدمه فهو «جملة المقولات الدلالية المتكررة التي تجعل قراءة القصة [أو أي خطاب أدبي] متسقة ، وهو ما يظهر في قراءتنا الجزئية للملافيظ حين نعمل على رفع ما فيها من لبس طلبًا للقراءة الموحدة.»⁽⁴⁾

(1)- فيصل الأحمر، معجم السيميائيات، مرجع سابق، ص- ص: 235-236.

(2) - الجيرداس جوليان غريماس، في المعنى -دراسات سيميائية-، المرجع السابق، ص: 118.

(3) -Algirdas .Julien .Greimas, Joseph Coutres, Sémiotique Dictionnaire Raisonné de la théorie du langage, Op cit, p: 197.

(4) - محمد القاضي وآخرون، معجم السرديات، المرجع السابق، ص- ص: 92-91.

يضيف جان ماري أن الملفوظ الذي يخرق هذا الانسجام يسمى مخالفاً "Allotopie" (*)، يمثل لذلك بالجملة التالية: (أنا أشرب إسمنتاً، أو فوق رسم جذع الإنسان نضع رأس حصان)، فتشاكل الملفوظ الحامل للوحدة التكرارية يحقق الانسجام المعنوي مثال عبارة (أنا أشرب ماءً، أو أرسم فوق جذع إنسان الرأس إنسان)⁽¹⁾ «كأنهم يريدون به كل ما استوى من المقومات الظاهرة المعنى والباطنية، المجسدة في التعبير أو في الصياغة الواردة في نسج الكلام، متشابهة أو متماثلة أو متقاربة على نحو ما مورفولوجياً أو نحوياً أو إيقاعياً أو تركيبياً أو معنوياً»⁽²⁾.

يترجم محمد العجبي مصطلح Isotopie (التشاكل) بمصطلح القطب الدلالي، لأن تواتر وتكرار عناصر دلالية بذاتها أو بمعناها، وترددها على امتداد الخطاب الواحد، ومن خلال مجموعة أو مجموعات من هذه المعانم التي تتصل ببعضها البعض في علائق، تكسبها نسقية بتواترها في نسج الخطاب، واتساقاً موحدًا للغتها الدلالية، تجعلها قطباً أو مجموعة حاملة لتواتر من المعانم يطلق عليها القطب الدلالي.⁽³⁾ فيتم البحث عبر التشاكل في صلب المستوى العميق عن التماسك بين الوحدات من حيث تماثلها والمحقة لتناسق المعنى، والتوافق النوعي بين أجزاءها الدلالية، ودراسة مجموعة الملفوظات المتكررة والمتماثلة في النص، الضامنة لحركة وسيرورة والنظام النسقي والسياقي لتلك الملفوظات.

لم يخرج نقاد المغرب العربي الكبير، الباحثون في مجال السيميائية عن التقليد الراسخ في نقدنا المعاصر، المتتبع للظواهر النقدية الغربية في أمهات الدراسات والعلوم العربية القديمة، عندما أحالوا وجود إجراء التشاكل إلى الدراسات العربية القديمة، خاصة منها الدرس البلاغي، وهو شأن تراثنا العربي - على حد تعبير فيصل الأحمر- الذي خاض ولامس كل الأمور والعلوم دون أن يصل إلى جوهرها وعادوا بإرهاص تمثل المصطلح بمفهومه عند العرب القدامى إلى كتابات عمر بن مسعود

* - ترجمه محمد مفتاح بن اللاتشاكل.

(1) - جان ماري كلينكبرغ، الوجيز في السيميائية العامة، المرجع السابق، ص: 136.

(2) - فيصل الأحمر، معجم السيميائيات، المرجع السابق، ص: 235.

(3) - محمد الناصر العجبي، في الخطاب السردى نظرية غريماس (Greimas)، المرجع السابق، ص: 91.

الفصل الثالث: آليات إنتاج المعنى في السيميائية السرديّة المغاربية: المستوى العميق

بن ساعد المنذري^(*) في مخطوطاته، التي درس فيها بعض الجوانب اللغوية منها «الترادفات اللغوية في باب ما يعرف بالترادف والنظير والتشابه، وكذا التضادات في باب ما يعرف بالطباق والمقابلة ورغم أن هذه النظرة جزئية إلا أننا نراها أكثر منطقية وعقلانية، وأنها لو أحيطت باهتمام أكبر وتأمل عميق لأصبحت إجراءً نقدياً معتمداً في ميدان سميّاء التشاكل المعروفة اليوم.»⁽¹⁾

بدوره ربط محمد مفتاح بين التشاكل والبلاغة⁽²⁾، وتوازياً مع هذا الطرح أورد عبد الملك مرتاض مصطلحات من بينها المجانسة والمشابهة، ويبيّن أن البلاغيين العرب قد حاولوا الإمام بهذه المسألة في صور مصطلحات مختلفة أهمها: الطباق والمقابلة واللف والنشر والجمع. ولكنهم حاموا من حولها، ولم يقعوا عليها قط على النحو العلمي الذي جاء به غريّاس، وهو ما ذهبت إليه الناقدة الجزائرية حياة لصحف، معتبرة أن اعتقاد السيميائي المغربي محمد مفتاح بأن مفهوم التشاكل الذي يشيع في بعض كتابات النقاد والبلاغيين الأوائل مثل الجاحظ، مصطنع في غير المعنى الذي نريده اليوم.⁽³⁾

يهتم التشاكل بالتماثلات العلامية وتكرارها بين الكلمات ذات النسق الواحد، على الرغم من اختلافها في المبنى، وبالعمليات الداخلية المتباينة والعلاقات المتولدة المقدمة من كل كلمة على حده، أو مع مثيلاتها في النسق، فنلاحظ أنه كإجراء معنوي يغوص في

* - العلامة الكبير الشيخ عمر بن مسعود بن ساعد المنذري رحمه الله- من علماء القرن الحادي عشر الهجري، من بلدة السليف بولاية عري وهي إحدى ولايات سلطنة عمان، لم تؤرخ المصادر ليوم مولده، لكن يشار إلى تزامن تواجده ومخالطته الإمام محمد بن ناصر الغافري لوجود قصيدة له مدح فيها الإمام، ويرجح أنه كان حديث السن في أواخر أيام سيف بن سلطان الأول ويغلب الظن أن ذلك الفترة (1080هـ-1090هـ) عرف بزدهم وتعففه، وإقباله على العلم وكتابته كتب العلوم بيده مرافقته العديد من علماء وفقهاء زمانه، ودراسته على يدهم والأخذ منهم، وقد نبغ في علوم الطب وممارسه، وكان يقصده الناس من كل مكان للإفتاء والتطب، كما نبغ في علوم الفلك والرياضيات. ألف كتابه الجامع (كشف الأسرار الخفية في علم الأجرام السماوية والرقوم الحرفية، وله رسالات في الفقه والأدب والطب. توفي -رحمة الله عليه- (1160) هجرياً، حيث دفن في مستقط رأسه على ربوة ما زالت باقية. أنظر: سبلة عمان، الموقع الإلكتروني:

<http://avb.s-oman.net/showthread.php?t=2417538>

- (1) - فيصل الأحمر، معجم السيميائيات، المرجع السابق، ص: 237.
- (2) - محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري- إستراتيجية التناص، المرجع السابق، ص: 28، 30.
- (3) - حياة لصحف، مصطلحات عربية في نقد ما بعد لبنيوية، المرجع السابق، ص: 94-95.

دلالات البنيات اللفظية للنص بالنظر في علاقتها ببعضها البعض، « يتأسس عن طريق ما يتكرر فيه من سمات تسهم في فهمنا للموضوع.»⁽¹⁾

هو إذًا حصيلة قراءة للقراءات الجزئية للمفوضات أي خطاب، تضم هذه القراءات في قراءة واحدة جامعة، وطبعًا لن تكون إلا قراءة احتمالية للمعنى وليست نهائية له، لا تقصي ما يفترضه ذلك الخطاب من قراءات أخرى ممكنة، فالقراءات المتجانسة المنسجمة هي التي تحدد الصيغة الموحدة للمقولات والبنيات المعنوية المختلفة.

ويمكن تقريب معنى التشاكل بمثال قدمه محمد ناصر العجمي من قصة "الأرنب والفيلة" المأخوذة من قصص "كليلا ودمنة لابن المقفع"، حيث رصد تشاكل مجموعة عناصر معنوية متعلقة بالمزاج بين الإنساني والحيواني حيث كل ما يتصل بالبقاء والجسد والصراع...يتعلق بالدلالة الحيوانية، ما يتعلق بالتنظيم الاجتماعي، والسياسي و البعد الأخلاقي فهو متصل بالقطب الإنساني وبين هذين القطبين يأخذ النص رمزيته. وكذا يسوق محمد العجمي مثالاً من نفس القصة متعلق بدلالة الجسد من جانبه المادي: كالعطش - الارتواء - ووطء أحجار الأرناب، وقتل عدد منها،... وغيرها من السمات التي شعبت هذا القطب الدلالي إلى فرعين:

1- ما يدل على سلامة الجسد.

2- ما يدل على إصابة الجسد بالأذى.

يحيلنا قطب الجسد مباشرة على تقيضه قطب الروح، المتعلق بمسألة الأخلاق والمجتمع، ويمكن توليد من هذا القطب أقطاب أخرى سياسية، اجتماعية... روحية...⁽²⁾

إن رصد دلالة تشاكل ما يكون بالوقوف على التخالف والتقابل بين وحداته فلملمت الدلالة تستخلص من علاقات الاختلاف والتقابل القائمة بين حزمة من الوحدات الدالة، وانتظامها في علاقات مع غيرها من الوحدات التشاكية الأخرى. ونشكل من عدة تشاكلات دلالية التي تدخل في تكوين النص معاني جزئية تحكم بناء

(1) - عبد القادر شرشار، مدخل إلى السيميائيات السردية، المرجع السابق، ص: 40.

(2) - محمد الناصر العجمي، في الخطاب السردى نظرية غريماس (Greimas)، غريماس، المرجع السابق، ص- ص:

الفصل الثالث: آليات إنتاج المعنى في السيميائية السردية المغاربية: المستوى العميق

معناه الكلي، كما نستطيع بحصرها معرفة القوة الدلالية الموصوفة في بعضها، وإلى أي اتجاه تسوق النص، والمعنى المتحكم في سيرورة دلالاته. لذا فالتشاكل إجراء لا يكون على المستوى الخطي في دراسة الكلمات يحكمها التجاور- المقنن بمستويات سلامة التركيب لغويا واستقامته معنويا- الرابط لوحداث الكلمات، إنما وحسب فرانسوا راتسي يكون على المحور الاستبدالي أي على المستوى العمودي المحايث، اللاخطي لكل لكسيم⁽¹⁾.

اعتبر بوتبي الككسيم جزءاً من السيميم يضم مجموعة من السيميات السيم النوعية في حين هو نسق من السيميات السياقية عند غريماس، فقد قارب مفهومه مفهوم غريماس للتشاكل، المتمثل في أنه تكرر مطرد لمجموع مقومات دلالية التي تمكن من قراءة النص بوضوح عبر هذه الجزئيات الحركية للملفوظات⁽²⁾، فيخرج التشاكل بذلك من حدود التحليل الجملي، وحدود التماسك اللفظي فيها إلى حدود التماسك النصي.

يعمل التشاكل عند حصره كآلية في التحليل السيميائي السردية على توحيد النص السردية وفهمه، واتساق وانسجام بنياته المعنوية وتيمات المركب منها، « كما أنه المولد لتراكم تعبيرية ومضموني تحتمه طبيعة اللغة والكلام، إنه إستراتيجية تحليلية تفك الكثير من عناصر الغموض التي تكتسي النصوص خاصة منها الأدبية المتميزة بالإيجاء والجنوح العاطفي الكبير»⁽³⁾

ويكتسي مفهوم التشاكل أهمية خاصة من حيث:

4 علمنته للنص ودراسته متن الخطاب، وهذا لإدراك عدد ما يتجلى من الظواهر الأسلوبية فيه؛ باعتبارها تجسيد لتقاطع التشاكلات أو تعددها.⁽⁴⁾

5 اعتباره آلية من آليات تقطيع النص، وتجزأته لمقاطع تمكن من تحليله، بل يرى جميل حمداوي التشاكل من أهم المعايير التي تساهم في « تقطيع النصوص على مستوى الوحدة المعنوية وخلق آثار الدلالة ويعني هذا أن التشاكل له علاقة وطيدة بالمعيار الدلالي

(1) - عبد القادر شرشار، مدخل إلى السيميائيات السردية، المرجع السابق، ص: 42.

(2) - المرجع نفسه، ص: 41 - 42.

(3) - فيصل الأحمر، معجم السيميائيات، المرجع السابق، ص: 243.

(4) - محمد القاضي وآخرون، معجم السرديات، المرجع السابق، ص: 91.

الفصل الثالث: آليات إنتاج المعنى في السيميائية السردية المغاربية: المستوى العميق

التياتيكي»⁽¹⁾ وجعله من أهم المفاهيم المركزية في تحليل الخطاب، وبناء المعنى، وتحقيق الانساق والانسجام، واستكناه الدلالة.

جاء في معجم السرديات أن آن هينالت عرّف التشاكل بأنه « حصيلة تكرار عناصر معنوية تنتمي إلى مقولة واحدة»⁽²⁾، فهذا لا يعني وقوفه عند حدود الجملة؛ بل كإجراء يخرقها ليقف على مجال النص. وتعد دراسة التشاكلات في النصوص من قبيل دراسة القيم الغرضية، والتي تمثل مقومًا من مقومات وصف النص وتحليله، فيعمل التشاكل على إظهار محاور التواتر التي تكتسيه؛ كالتشاكل السياسي (السلطة، القهر) الاقتصادي (التجارة الثروة) التشاكل الاجتماعي (الفقر، الغنى)...

وقد تنشأ بين التشاكلات الماثلة في النص علاقات ينبج عنها حُزْمٌ دلالية تتحرك فيه، فتتعاقب وتتقاطع، فتمنحه خصوصية وطاقته الدلالية.⁽³⁾ والملاحظ في التشاكل أنه لا يقف على المفهوم المعنوي الذي يضمه تسلسل المفوضات في الجمل؛ إنما يتعدى إلى خاصيات الحكيم وقوانين بناء النظام الداخلي للخطاب، «ترد تلك الهياكل الحكائية في شكل حزم مؤلفة من وحدات معنوية صغرى وهي السيمات مرتبطة فيما بينها بوشائج متينة تصبغ ذلك التوارد بطابع الوحدة والانساق يسمى غريماس كل مجموعة من الحزم باسم النظرية* isotopies»⁽⁴⁾

وقد عرّب رشيد بن مالك المصطلح بما يساويه من حروف نطقه الأجنبي في لفظ "إيزوتوبيا/ISOTOPY" موضحًا أنها هي الضامنة لالتحام الرسالة أو الخطاب، وهي بمثابة المستوى المشترك الذي يرد ممكن اتساق المضامين، وينبغي أن نفهم من المستوى المشترك ثبات بعض الدلالة على مستوى الجملة، كما يمكن ثبات دلالة واحدة أكثر من مرة على امتداد السلسلة الجمالية ليعطي إيزوتوبيا، يؤدي إلى التحام مجموعة من السيمات

(1) - جميل حمداوي، السيميوطيقا السردية من سيميوطيقا الأشياء إلى سيميوطيقا الأهواء-، مرجع سابق، ص: 18.

(2) - محمد القاضي وآخرون، معجم السرديات، المرجع السابق، ص: 92.

(3) - المرجع نفسه، ص: 92.

*- تعتمد نادية بوشفرة مصطلح النظرية و القطب الدلالي.

(4) - نادية بوشفرة، مباحث في السيميائية السردية، المرجع السابق، ص: 95.

التي تشكل الجمل، محددًا نوعين للإيزوتوبيا: الإيزوتوبيا الدلالية، والإيزوتوبيا السيميولوجية.⁽¹⁾

حدد غريماس نوعين من التشاكل، وهو تقسيم نظري فحسب، إذ النوعان لا انفصام بينهما أثناء الدراسة والتحليل، فيتم البحث عن التشاكل في أي نص عن طريق العمل على :

01- التشاكل الدلالي: ويتعلق الأمر بتواتر عناصر السيمات. هي عملية تحقق بالسمات السياقية (طبيعية أو إنسانية) الموجودة في الخطاب، تحقق دلالاته وتعمل على تلاحمه بتشكيل وحدة كلاسمية مسؤولة عن تناسق وانسجام أجزاء الخطاب، ورفع كل لبس محيط به، قد يحمل القارئ والمتلقي له عبء التفسير المزدوج للمعنى به يوضح معنى الملفوظ المنتج وحصر للمجال التصويري للدلالة في الخطاب.⁽²⁾

02- التشاكل السيميولوجي: "أو القطب السيميائيكي " يحقق من طرف السيمات النووية، القائمة على النظام التوزيعي فالتقريب بين صورتين أو مجالين تصويريين من شأنه أن يشكل تشاكلا سيميولوجيا، نوضح هذا بمثال ساقته نادية بوشفرة: صورة كتر سيمتها النواتية " ثمين"، رغم أننا ندرك هذه السيمة النواتية في سيم آخر هو مثلا الذهب، الجواهر...، فرصد هذا التقارب بين الصورتين النبي على الانسجام والاتساق، هو من باب التشاكل السيميولوجي.⁽³⁾

يرى جميل حمداوي أن غرض غريماس من دراسة التشاكل هو « البحث عن الانسجام الخطابي، والتأكد من صحة المقروئية، وخلق وحدة النص.»⁽⁴⁾ ومنه البحث عن تحليل منسق للنص المحكي وتجليته في قراءة منسجمة لبنياته السردية. بذلك يمكن مفهوم التشاكل من تبين « كيف أن المدلول العام لمجموعة دالة، عوض أن يلتمس

(1) - رشيد بن مالك، قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص، المرجع السابق، ص- ص: 93-94.

(2) - المرجع نفسه، ص: 96.

(3) - المرجع نفسه، ص: 97.

(4) - جميل حمداوي، سيميائية التشاكل في المسرحية الأمازيغية: " ثوافيت"، نشر في أريفينو يوم 27 - 10 - 2010، الموقع

الإلكتروني: <https://www.maghress.com/arrifinu/25178>

الفصل الثالث: آليات إنتاج المعنى في السيميائية السردية المغاربية: المستوى العميق

بشكل قبلي يمكن أن يؤول بمثابة واقع بنيوي للتمظهر اللغوي»⁽¹⁾، وإبراز كيفية تحديد النصوص على مستويات دلالية منسجمة ومتراطة.

نعت بعض السيميائيين المغاربة من مثل عبد المالك مرتاض ومحمد مفتاح رؤية غريماس في إجراء التشاكل بالضيقة لاهتمامها بالجانب المعنوي فقط، فقد طرح الناقد الجزائري عبد المالك مرتاض مفهومًا تجاوز به المعطى المعرفي الغريمسي وقابله بالمفهوم البلاغي العربي "المأثلة" و"المشكلة" على أنه «تبادل العلاقات الشكلية بين طرفين اثنين أو جملة أطراف»⁽²⁾، ويراه بعبارة أخرى «التبادل القائم على التماس الشكلي بحيث يمتد إلى كل الخصائص المرفولوجية والنحوية والإيقاعية والمعنوية»⁽³⁾ فهو تماثل ودرجة التشابه بين مكونات البنية الشكلية.⁽⁴⁾

ومن بين من توسع في مفهوم التشاكل من الغربيين غريماس نفسه فبعدما أسس له سنة 1966 في كتابه علم الدلالة البنيوي، جاء بمفهوم آخر ضمنه في كتابه: "في المعنى سنة 1970م، كان أكثر إيضاحًا وتبيينًا لمفهومه من سابقه، وكذا من قبل فرانسوا راستي في مقاله: "منظومة التشاكلات" *systematique des isotopie* سنة 1972م وميشيل أريفي، وكاترين كيريرا أوريكشيوني، ليشمل عندهم الشكل والمقصدية إضافة للدلالة على حد سواء؛ مما يثبت وجود التشاكل الصوتي والصرفي والإيقاعي والنبري والتركيبي والمنطقي والمعنوي... في بنية الخطابات والنصوص.⁽⁵⁾

ينفتح بذلك التشاكل ليشمل الجوانب الشكلية أيضا، في حين يؤكد محمد مفتاح تخصيص غريماس مفهوم التشاكل كإجراء على الجانب المضموني للحكاية لا غير⁽⁶⁾

(1) - جميل حمداوي، سيميائية التشاكل في المسرحية الأمازيغية: "ثوافيت"، المرجع السابق، الموقع الإلكتروني:

<https://www.maghress.com/arrifinu/25178>

(2) - عبد المالك مرتاض، نظرية القراءة، المرجع السابق، ص: 245.

(3) - المرجع نفسه، ص: 245.

(4) - سرور اللحياني، دليل المستعمل في النحو: قاموس المصطلحات اللسانية الأذنوية، منشورات كلية الآداب والفنون والإنسانيات، منوبة، تونس، ط01، 2017، ص: 115.

(5) - جميل حمداوي، سيميائية التشاكل في المسرحية الأمازيغية: "ثوافيت"، المرجع السابق، الموقع الإلكتروني:

<https://www.maghress.com/arrifinu/25178>

(6) - محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري- إستراتيجية التناص- المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، (د ط)، (د.س)

ص: 19.

معتزلاً على ذلك، وعدّه قصوراً واضطراباً مصطلحي، لأن التشاكل أشمل يصل إلى كل التركيب اللغوي معنى وشكلاً. وهذا الاعتراض نجده قبلاً عند راستي "rastier" الذي خالف غريماس في تحديده مجال ومفهوم التشاكل بجعله أشمل يضم التعبير والمضمون معا.

3.2 التشاكل بين التنظير والتطبيق في النقد المغاربي:

سوف أفق على عينتين من النقد المغاربي نظرتا لآلية التشاكل متجاوزة رؤية النقدية الغريماسية، الأولى رؤية التشاكل عند محمد مفتاح من وجهة تنظيرية، والأخرى عند عبد المالك مرتاض من وجهة التطبيق.

أ- نظرية التشاكل عند محمد مفتاح:

وبالعودة إلى تعريف غريماس للتشاكل-وترجمة التعريف لمحمد مفتاح- على أنه « مجموعة متراكمة من المقولات المعنوية (أي المقومات) التي تجعل قراءة متشاكلة للحكاية، كما نتجت عن قراءات جزئية للأقوال بعد حلّ إبهامها، هذا الحل نفسه موجه بالبحث عن القراءة المنسجمة». ⁽¹⁾ يعترض محمد مفتاح في تعريف غريماس على لفظ الأقوال، ويراه جاء على غير انتباه منه للتقسيم الثنائي المقال والقول، إلى جانب اعتراضه على حصر المصطلح في وجهة مضمون الحكاية، واعتبر ذلك قصوراً واضطراباً مصطلحي، لأن التشاكل أشمل يصل إلى كل تركيب لغوي. مستشهداً بمفهوم راستي للتشاكل على أنه كل تكرار لوحدة لغوية مهما كانت ⁽²⁾، بذلك هو مفتوح على كل تركيب لغوي، مبني عن التباين والتكرار.

ويشترك مفهوم غريماس للتشاكل مع مفهوم راستي في أنه لا يحصل إلا من تعدد الوحدات اللغوية المختلفة، وأنه ينتج عن التباين، ليتضح أنه لا يمكن الفصل بينه وبين الأخير، فيحصل به الفهم الموحد للنص المقروء، والضامن لانسجام أجزائه وارتباطه أقواله، فيتولد عنه تراكم تعبيرية ومضموني، تحتمه طبيعة اللغة والكلام، وبه يبعد الغموض والإبهام اللذين يكونان في بعض النصوص التي تحتمل قراءات متعددة. ⁽³⁾ وهو ما أكدته

(1) - Algirdas .Julien .Greimas, Joseph Coutres, Sémiotique Dictionnaire Raisonné de la théorie du langage, Op cit, p: 197.

(2) - محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري- إستراتيجية التناص، المرجع السابق، ص: 21.

(3) - المرجع نفسه، ص: 21.

خيرة حمر العين؛ فتعالت وحدات النص وعناصره، وجميع أنواع تشاكلاته من شأنه أن يكتف الحضور الدلالي في النص، وفهم العملية الإبداعية ككل، ويكشف عمقها الجمالي فسيماية التشاكل من شأنها أن لا تفصل عناصر النص، إنما تلحمها وتصر بنياته ببعضها البعض في وحدة تركيبية، تظهر من خلالها البنيات المخفية لمجمل التشاكلات التي تنتهي ولغة الشاعر - ومنه المبدع - الاختراقية.⁽¹⁾

يعلل أيضًا الناقد المغربي محمد مفتاح نعت مفهوم غريماس للتشاكل بالضيقة بتوسع جماعة "M" في استخدامها للمصطلح، على أنه تكرار مقنن لوحدات الدال نفسها (ظاهرة أو غير ظاهرة)، صوتية كانت أو كتابية، ويكون أيضًا عند تكرار نفس البنيات التركيبية (عميقة أو سطحية) على مدى امتداد القول.⁽²⁾

ويُرجع محمد مفتاح توسع وانتباه الدارسين لمختلف التشاكلات وتعددتها إلى دراساتهم للخطاب الشعري، من جانب إجراء التشاكل، وأنها كانت موجودة في الخطاب الشعري ولم تتواجد في الخطاب الأسطوري أو المحكي، لطبيعة الشعر الذي يعتد بالتعبير أكثر من المضمون⁽³⁾، بما يجمله من عناصر صوتية وتركيبية ووقع الإيقاع وأوزان... ودليل ذلك أن توسع راسي وجماعة "M" في مفهوم التشاكل كان جراء دراستهم قصائد شعرية.

ينتقد محمد مفتاح غريماس في نقطة أخرى، أين اعتد في تحديده للتشاكل بالشرط الايجابي عند تعريفه للترام المعنوي دون أن يهتم بالشرط السلبي؛ هذا لأن العلاقات التي تتركب منها الجمل والقول لا تستطيع أن تضع مقومات متعارضة في علاقات تجديدية، بهذا أهمل القاعدة المنطقية في تركيب الجمل، وأقر فقط بالقاعدة المعنوية، ومن الأمثلة التي وضح بها هذه النقطة الآتي:

1) الليل هو النهار: جملة فيها تشاكل بالنسبة لغريماس لوجود مقوم قياس الزمن، وليس بها تشاكل عند جماعة "M" للتناقض المنطقي في التركيب. فهي جملة خاضعة لمبدأ

(1) - خيرة حمر العين، جدل الحدائة- في نقد الشعر العربي-، منشورات اتحاد كتاب العرب، سوريا، (د.ط.)، 1996، ص: 175.

(2) - محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري- إستراتيجية التناس، المرجع السابق، ص: 21.

(3) - المرجع نفسه، ص: 21.

التناقض التركيبي الدلالي باعتبار المقياس المعنى، أما إذا تطرقنا إلى هذه الجملة باعتبار أن طرفيها الليل والنهار محلاً لوقوع الحوادث أو أنها يدلان على الزمن فعندها فقط ندرك تواجد تشاكل الأضداد.⁽¹⁾

(2) الثلج الأسود: لا تشاكل فيه عند الجماعة، لوجود التناقض

(3) الثلج ليس أسود: فيه تشاكل لانتفاء التناقض.

فإن الأخذ بالشرط السلبي كوسيلة في بناء النص، من الوسائل التي يُختبر بها صحة التركيب والكلام والمعنى، وعليه يصح التشاكل عبر شرطين:

- التراكب المعنوي لرفع اللبس في القول.

- صحة القواعد التركيبية المنطقية بما فيها من مساواة وحمل.⁽²⁾

وهما الشرطان المحددان عند جماعة "M" وجود التشاكل في النص، المبني على

تتبع آلية التكرار للبنيات التركيبية سطحية أو عميقة فيه.

يتم محمد مفتاح، ونفس الوقت ينتقد، الشرطين اللذين كانا من جماعة "M"

فكانت نظرته إليهما بين الإيجابية والسلبية، فالإيجابي فيها عند الوضع في الحسبان أن

الخطاب الشعري ينبغي أن يعبر عما تقبله الطبائع السلبية وأن يتجنب كل الترهات

والهرطقات التي لا يقبلها الناطقون باللغة حالاً ومالاً⁽³⁾، أما السلبي في الأمر وقوع الجماعة

في تناقض عندما درست الشعر الخارق للعادات المورثة في الكتابة، وفي نفس الوقت

وضعت قواعد وشروط لا تتماشى وطبيعة التعبير الشعري وما شابهه (أسطوري

ملحمي...)، لا تنطبق إلا على النصوص التي تعبر بلغة مفهومية أو شيئية باردة، ويؤيده

فيصل الأحمر في انتقاده، بموجب أن الجماعة يهذين الشرطين المحددين للتشاكل قد ألغت

وأهملت طبيعة التعبير الأدبي « القابل لأي تركيب دلالي مصوغ من تركيب لغوي صحيح

... فمن حق أي شاعر أو أديب أن يقول ما يشاء، وليس من حق أحد أن يحاكمه.⁽⁴⁾»

(1) - طارق زيناي، التشاكل والتباين في التائية الكبرى (لابن الفارض)، مجلة آفاق علمية، المركز الجامعي تمارست، الجزائر مجلد 9، عدد 02، 2017، ص: 41.

(2) - محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري- إستراتيجية التناص، المرجع السابق، ص، ص: 22، 24.

(3) - المرجع نفسه، ص- ص: 24-25.

(4) - فيصل الأحمر، معجم السيميائيات، المرجع السابق، ص: 239.

الفصل الثالث: آليات إنتاج المعنى في السيميائية السردية المغاربية: المستوى العميق

فهي بذلك شروط لا تتعدى الخطابات العلمية، أما الخطابات الشعرية والأدبية بصفة عامة- فإنها تتمرد على هذين الشرطين فيحلو للشاعر من الإغراب ما لا يحلو لغيره، ثم إن الحمل على التناقض والإغراب وإن استنكر بادئ الأمر فإن التكرار له سيجعله مقبولاً مألوفاً في يوم ما.⁽¹⁾

يخلص محمد مفتاح بعد تحليله مفهوم التشاكل عند كل من غريماس وراستي وجماعة "M"، وتجاوز ما فيه من نقائص إلى تحديد تعريف جامع له، فهو « تنمية لنواة معنوية سلبياً أو إيجابياً، بإركام قسري أو اختياري، لعناصر صوتية ومعجمية وتركيبية ومعنوية وتداولية، ضماناً لانسجام الرسالة.»⁽²⁾ والمتأمل هذا التعريف يدرك أن الناقد قد أكد صعوبة التفريق بين مصطلحي التشاكل والتباين سلبياً أو إيجابياً.⁽³⁾

يقول فيصل الأحمر: « إن محمد مفتاح أراد أن يكون أكثر المأمماً بمفهوم التشاكل فبنى تعريفه له اعتماداً على آراء كل من غريماس وراستي وجماعة "M"، بالإضافة إلى سد الثغرات التي وقعوا فيها هؤلاء، فكان تعريفه أكثر معقولة وأكثر شمولاً، خاصة عندما أضاف عنصر التداولية أي مراعاة علاقة المتكلم بالمتلقي والسياق واللغة.»⁽⁴⁾

يحمل تعريف الناقد المغربي محمد مفتاح الإضافات الآتية لمفهوم التشاكل:

✓ أضاف أمورا خارجة عن الخطاب المدروس بإجراء التشاكل، حيث أن الصيغة التداولية للخطاب تنظر في العلاقة بين الباث والمتلقي واللغة، -أي كما وضع الناقد- « علاقة المتكلم باستعماله للغة وعلاقته بالمخاطب، وبالسباق الضامن لنجاعة عملية التواصل ووجهتها.»⁽⁵⁾

✓ أضاف صبغة الإركام قاصداً به التناس، فأى بنية أو نواة معنوية إلا وهي إركام وتكرار لنواة معنوية أخرى سابقة عنها موجودة قبلها، « فعلمية الاشتراك في مقوم أو عدة مقومات ضرورية لتجنيس الخطاب اللاحق مع السابق، فكلما قل الاشتراك في

(1) - محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري- إستراتيجية التناس، المرجع السابق، ص: 24.

(2) - المرجع نفسه، ص: 25.

(3) - طارق زيناي، التشاكل والتباين في التائية الكبرى (لابن الفارض)، المرجع السابق، ص: 40.

(4) - فيصل الأحمر، معجم السيميائيات، المرجع السابق، ص: 240.

(5) - محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري- إستراتيجية التناس، المرجع السابق، ص: 25.

الفصل الثالث: آليات إنتاج المعنى في السيميائية السردية المغاربية: المستوى العميق

المقومات زادت فزادة الخطاب التالي وأصالته، وكلما اشترك النص في كثير من المقومات مع سابقه كاد أن يصبح نسخة مكرورة فاقدة للأصالة.⁽¹⁾ عند هذه النقطة يتسع التشاكل عند مفتاح ليصل إلى النظر في تجانس الخطاب المحلل مع الجنس الأدبي المنتمي إليه، ومع ثقافة الأمة التي ينحدر منها، وتجاوزه التراكم المعنوي للوحدات إلى تناسل النواة أو أنوية الوحدات الدلالية، فأعطاه مدلولاً أوسع، ربطه بأكثر من دلالة، وبعمق دلالة الخطاب، لا يتمظهره اللغوي لذا « فهو بحث مستمر عن تبين أقوى، يتعدى البنية ليدخل في التبين.»⁽²⁾

بتبسيط موجز لجميل حمداوي يعني تعريف التشاكل عند محمد مفتاح تمطيط وتوسيع وتكرار لنواة دلالية ما أو لمقومات دلالية وسيميائية في النص (فكرة، عنوانا مقوما، بؤرة، جملة محورية، مستنسخا تناصيا...) حيث تتصف هذه النواة أو هذا المقوم بالتراكم داخل النص تردداً وتواتراً، هذا التراكم الذي يمكن أن يكون اختيارياً خاضعاً لحرية المبدع وحاجته الذاتية، أو قسرياً تفرضه ضرورات ونسق اللغة وإمكانياتها المحدودة. يشمل التشاكل عنده البنية والدلالة والوظيفة. فيتعدد التشاكل في النص بين الصوتي والصرفي والإيقاعي والتركيبى والبلاغي والدلالي والتداولي، ويتحقق للنص الانسجام والانساق والمقروئية.⁽³⁾

يبين محمد مفتاح أن مفهومه للتشاكل هو الأكثر فاعلية في تحليل النصوص والخطاب وقدرة إجرائية من مفاهيم بالغة التعميم أو التخصيص؛ كالتكرار والتوازي خاصة وقد أضافت إليه الدراسات الحديثة مفاهيم أخرى لسبر أغوار النص على ضوءها مثل: الاقتضاء والتضمين والشرح وقواعد الخطاب والاستدلال.⁽⁴⁾

يوضح محمد مفتاح أنه لا يمكن الفصل بين التشاكل والتبين، ولا استغناء أحدهما عن الآخر، إذ يحصل بهما فهم النص الموحد وملمت أجزائه التي قد تظهر متنافرة فتثبت

(1) - محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري- إستراتيجية التناص، المرجع السابق، ص: 25.

(2) - خيرة حُر العين، جدل الحدائث- في نقد الشعر العربي، المرجع السابق، ص: 177.

(3) - جميل حمداوي، سيميائية التشاكل في المسرحية الأمازيغية: "ثوافيت"، المرجع السابق، الموقع الإلكتروني:

<https://www.maghress.com/arrifinu/25178>

(4) - محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري- إستراتيجية التناص، المرجع السابق، ص: 30.

الفصل الثالث: آليات إنتاج المعنى في السيميائية السردية المغاربية: المستوى العميق

خاصيتي التشاكل والتباين عكس ذلك، وتكسب النص لحمته وانسجامه وارتباطه. ويزيجان كل غموض يحيط بدلالته ومعانيه، ويفتحان وجهما لتعدد القراءات واحتمالية ورودها في النص المقروء.⁽¹⁾ كما يمكن أن يصبح التشاكل لا تشاكلا ALLOTOPIE خاصة في النصوص الكثيفة الاستعارات الشعرية، والمزدحمة والمتنوعة بالرمز، كما في الشعر المستقبلي والرمزي والسريالي، أو النصوص اللاعقلانية والعبثية.⁽²⁾

وتعتبر خيرة حمر العين أن مفهوم التشاكل عند محمد مفاتيح تجاوز كونه آلية إجرائية للتحليل، أنه بمثابة النظرية في فحص وقراءة النصوص واستنتاج المعنى اعتباراً من مفهوم التشاكل الكريماصي، وهذا شأن أي مفهوم جرى عليه التوسع، والتطور مما يجعل منه نظرية قابلة للتطبيق⁽³⁾، والميزة التي رأتها الناقدة في مفهوم التشاكل بصورته التوسعية أنه لا يقف على الحدود الجمالية، إنما يتعداها إلى النص ككل بواسطة تحليلاته الذاتية والسياقية المستمدة من النصوص المعاينة.⁽⁴⁾

ويصل تنظير محمد مفاتيح للتشاكل بتجاوز تحديد غريماس لأنواع التشاكل المحصور في نوعين التشاكل الدلالي والسميولوجي، ويضع ثلاثة أنواع له، هي:⁽⁵⁾

1- تشاكل التعبير (الصوتي) - تنافر وتجانس الحروف وجاء بما قدمه ابن جني في هذا المقام - التركيب - والمعجم...

2- تشاكل المعنى: على مستوى التركيب الوحدات المعنوية - استعارة ومجاز مرسل وكناية، - معجمي - علاقات نحوية والدلالية)، كلها تعمل متظافرة في عملية تشاكل المعنى.

3- تشاكل الإيقاع. يحوي: تشاكل الصوت، تشاكل الكلمة، تلاعب بالكلمة. وقد خصص له فصلاً كاملاً من كتابه.

(1) - محمد مفاتيح، تحليل الخطاب الشعري - إستراتيجية التناص، المرجع السابق، ص: 21.

(2) - المرجع نفسه، ص: 28-29.

(3) - المرجع نفسه، ص: 177.

(4) - خيرة حمر العين، جدل الحدائث - في نقد الشعر العربي، المرجع السابق، ص: 182.

(5) - محمد مفاتيح، تحليل الخطاب الشعري - إستراتيجية التناص، المرجع السابق، ص: 26، 30.

ويوجب محمد مفتاح مراعاة الطابع الإيجابي للخطاب الشعري من خلال تعالق جميع التشاكلات السابق الذكر والتي تكثف من حضور الجوهر الدلالي لفهم العمل الإبداعي الخلاق.⁽¹⁾

تعتبر خيرة حمر العين أن التشاكل في مشروع محمد مفتاح النقدي القائم على التوفيق والتكامل بين الأصول والمعارف الإنسانية يرتبط بالقصدية المجتمعية والتواصلية في حين يرتبط عند عبد المالك مرتاض بالتبليغ والتداولية.⁽²⁾ وتخصر نقاط الاختلاف بين الناقلين مرتاض ومحمد مفتاح سندرجهما بعد تسليط الضوء على التشاكل عند الناقد الجزائري عبد المالك مرتاض.

ب- التشاكل إجراء مستوياتي عند عبد المالك مرتاض:

دعا الناقد عبد المالك مرتاض في جهوده النقدية إلى التعامل مع الإبداع والظاهرة الأدبية بإجراءات تركيبية توفيقية، وبالمرج بين المناهج النقدية، مرتبًا مفهوم القراءة المستوياتية التي يمكن أن تشمل عنده على خمسة مستويات فأكثر، وهي قراءة تعددية راجعة لجملة من المسوغات الداخلية للنص الأدبي، وتجسد مستويات ومراحل أدنى ما يمكن أن يقرأ بها أي نص أدبي قراءة تحليلية تأويلية، ومن المفيد حسب الناقد إنشاؤها عبر المدرسة الفنية الواحدة، إذا أردنا أن ندنو من بؤر النص، ونستنزف عطاءاته غير المحدودة.⁽³⁾

1) استراتيجيات القراءة المستوياتية عند عبد المالك مرتاض:

تمنح القراءة المتعددة المستويات للناقد مرتاض قدرة وقدرة من الإيضاح للنص وكشف وجوهه الفنية والجمالية الحامل لها، وتعرية الغامض منه. وتتميز نظرية القراءة المستوياتية عند عبد المالك مرتاض، المخصصة أكثر لقراءة النص الشعري أثناء التطبيق على مجموعة من المستويات للقراءة؛ وهي:

1- المستوى اللغوي.

2- المستوى الحيزي.

(1) - فيصل الأحمر، معجم السيميائيات، المرجع السابق، ص: 241.

(2) - خيرة حمر العين، جدل الحدائث- في نقد الشعر العربي، المرجع السابق، ص - ص: 183-184.

(3) - عبد المالك مرتاض، نظرية القراءة، المرجع السابق، ص: 213.

الفصل الثالث: آليات إنتاج المعنى في السيميائية السردية المغاربية: المستوى العميق

3- المستوى الزمني.

4- المستوى الإيقاعي.

5- المستوى التشاكلي.

كما تنهض على جملة من السياقات والاستراتيجيات منها⁽¹⁾:

- ✓ اشتغال النص على مجموعة من العناصر الأدبية (السمات) تترابط فيما بينها على سبيل التشاكل غالباً، أو التباين المسهمين في ترسيخ الدلالة وتأسيس المعنى.
- ✓ يقوم النص أدبي على خاصية التشاكل أكثر من التباين.
- ✓ دلالة أي نص أدبي سواء من الناحية التشاكلية أو التباينية تقوم على تراكم الانتشار والامتداد، أكثر من القيام على خاصية تراكم الانحصار.
- ✓ إن دلالات السمات منتشرة المعنى أو منحصرة، وهذا يساهم في التحليل الأدبي السيميائي والتحول بتأويل هذه السمات إلى أبعد الحدود الممكنة، بذلك يمكن الاجتهاد على هذا المستوى التشاكلي اللفظي والمعنوي معاً، حسب العلاقة الانحصارية أو الانتشارية، فكل نص أدبي تحكمه إما بنية انتشارية أو بنية انحصارية.
- ✓ إجراء التباين يوضح مدى الاختلاف الواقع بين السمات اللفظية، لتحديد دلالتها أثناء التحليل الأدبي الذي يتشكل من خلال التعارض المعنوي بين السمتين، وينعرج منه إلى الانحصار في المعنى.
- ✓ تُحدث تعددية التشاكلات المتناولة لجملة المعاني، والدلالات في الخطاب الأدبي الواحد الكشف عن طيات هذا الخطاب، وبيان خفاياه، وتقوم هذه التعددية على أربعة إجراءات سيميائية هي: التشاكل - التباين و التماثل - والتحايز (من الحيز) والتقارن.
- ✓ وجب الاستناد على الظواهر اللسانية التي تخدم التحليل الأدبي.

(1) - عبد المالك مرتاض، نظرية القراءة، المرجع السابق، ص، ص: 126، 129.

2) المستوى التشاكلي عند عبد المالك مرتاض:

يتوسع الناقد مرتاض في مفهوم التشاكل والذي يقابل المفهوم البلاغي العربي المماثلة والمشاكلة حيث يُعني به « تبادل العلاقات الشكلية بين طرفين اثنين أو جملة أطراف»⁽¹⁾، ويراه عبد المالك مرتاض «التبادل القائم على التماس الشكلي، بحيث يمتد إلى كل الخصائص المرفولوجية والنحوية والإيقاعية والمعنوية.»⁽²⁾ في حين يؤكد محمد مفتاح تخصيص غريماس مفهوم التشاكل كإجراء على الجانب المضموني⁽³⁾ لا غير، بيد أنه أخذ تطوره كباقي المصطلحات والإجراءات النقدية، وأصبح يشمل كل مقوم يخص النص الإبداعي شعرا أو نثرا، فطبق على الشكل والمضمون، على الصوت والمدلول على النبر على الإيقاع...، فكان مجال التشاكل عند غريماس ضيقاً، مقصور على مجموع المقومات المعنوية، التي تجعل الحكاية متشاكلة ومنسجمة. ولم يُعرف إجراء التشاكل بهذا المصطلح فقط، إنما قابله أيضا مصطلح التماثل، كما ذكرنا سالفاً على أساس أن التماثل يعني «وجود انسجام في العمل الفني نتيجة لتماثل أطرافه وتناسبها»⁽⁴⁾.

لذا من الواضح أن مفهوم التشاكل إن ضاق عند غريماس، فقد اتسع مع الفكر النقدي ليشمل الميادين والمجالات المقومة للنص الأدبي، وقد اعتبر الناقد مرتاض نفسه من الذين توسعوا فيه، ولم يقف حد التوسيع في مقومات النص فقط، إنما تعدى ليشمل التحليل الوضعي القائم على المماثلة والمشابهة بين النصوص، إذ الباحث يحكم على مستوى ودرجة العلاقة بين النصوص جرائها⁽⁵⁾. إذن تم تجاوز مفهوم غريماس للتشاكل القائم على المعنى، ليتعدى إلى كل وضعية يمكن أن تثبت منها تجانس النص أو النصوص شكلية كانت أو معنوية.

أراد الدكتور مرتاض بمصطلح التشاكل « التوسع على كل حال في المكان من باب التماس علاقة المجاورة أو علاقة الحالية ذاتها [فكأنه يريد به].. تساوي عنصرين

(1) - عبد المالك مرتاض، نظرية القراءة، المرجع السابق، ص: 245.

(2) - المرجع نفسه، ص: 245.

(3) - محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري- إستراتيجية التماس - المرجع السابق، ص: 19.

(4) - مجدي وهبة، معجم مصطلحات الأدب، المرجع السابق، ص: 554.

(5) - محمد مفتاح، دينامية النص- تنظير وإنجاز- المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط02، 1990، ص: 84.

الفصل الثالث: آليات إنتاج المعنى في السيميائية السرديّة المغاربية: المستوى العميق

لغويين اثنين داخل وحدة كلامية في جميع الخصائص فيكون التشاكل كليًا، أو في بعض الخصائص فيكون هذا التشاكل جزئيًا»⁽¹⁾.

كما يقصد به أيضا: «كل ما استوى من السمات اللفظية الظاهرة المعنى والباطنية، والمتمثلة في التعبير أو الصياغة... عبر شبكة من الاستبدالات، وذلك بفضل علاقة سياقية تحدد معنى الكلام.»⁽²⁾

ويثبت الناقد أن الإجراء "التشاكل" يمكن تطبيقه على أنواع النصوص شعرية أو نثرية وهذا بالتزام الخطوات الآتية:⁽³⁾

1- تفكيك النص إلى وحدات وحدات للتمكن من تحليله تحليلًا كاملاً، وهو إجراء استعمل في النقد العربي القديم. حيثوا كانوا يقفون على فصاحة اللفظ ومناسبته مع غيره وغريبه، شارحين تميز القول عند المؤلف من عدمه، بالاعتماد على هذا التحليل التجزيئي للكلام والتأليف، خاصة في نصي القرآن والشعر العربي ونجد هذا في ميثوثًا في كتب اللغويين والنقاد المهتمين الأصل البلاغي للنص، من أمثال ابن قتيبة في الشعر والشعراء الجرجاني في الإعجاز وسر البلاغة، والقرطاجني في المنهاج... وغيرهم وإن كان التحليل لا يشمل النص كله إنما ينحصر في الشواهد المعروضة للتحليل والدراسة.

2- تحليل الوحدات تحليلًا قائمًا على التماس ما فيها من تشاكل، وطرحه في علاقة ثنائية، الممثلة لمستويات التشكل المرفولوجية والنحوية والإيقاعية والحيزية والزمنية...

3- تستطيع هذه العلاقة التشاكلية، التوغل بها لا لإظهار العلاقات الاستبدالية أو السياقية أو النسقية فحسب، إنما أيضا لتحديد الدلالة والتماس المستوى الجمالي الفني؛ أي إظهار الوظيفة التعبيرية للنص الأدبي، العاملة على تبليغ النص في أجمل صياغة أدبية.

يعتبر عبد المالك مرتاض المقاربة التشاكلية إجراء يستطيع أن يلم بقراءة النص الأدبي، دون أن يذر منه شيئًا إلا نبشه وأظهره، ولا خفيا إلا أبانه وكشفه، « ذلك بأن قدرتها على الانصراف إلى فك الرمز اللغوي وتفسير المعنى الكامن فيه، وتحليل النسيج

(1) - عبد المالك مرتاض، نظرية القراءة، المرجع السابق، ص: 246.

(2) - المرجع نفسه، ص: 132.

(3) - المرجع نفسه، ص: 247.

الفصل الثالث: آليات إنتاج المعنى في السيميائية السردية المغاربية: المستوى العميق

المبثوث بين ثناياه هي خصائص قد تجعلها عالية القدرة على تناول قراءة النص الأدبي والذهاب فيه إلى أبعد عطاءاته الممكنة»⁽¹⁾.

ويرى هذا الإجراء المتضمن في نظريته المستوياتية أنه تفصيلي، قادر لوحده أن يحيط بالعمل الأدبي شكلا ومعنى، سطحا وعمقا، يُمكن للقارئ من تحليل النسيج الأسلوبي، والرمز اللغوي، والدلالات والمؤشرات الحاملة للمعنى، والإلمام بالبعدين الزمني والحيزي بإمداداتهما، من ذلك فهو مستوى جامع مانع، وما المستويات المذكورة سلفا إلا تفصيلا في التحليل لكل جانب أرادته الناقد من قراءته.

ويمكن التوسع أكثر في هذا المستوى، وذلك بتحليل الإبداع من بؤرة التشاكل والتباين، أو تتجاوز في القراءة من الائتلاف إلى الاختلاف، وهذا التباين يمنحنا⁽²⁾:

أ- التجاوز من القراءة الأولى السطحية إلى قراءة ثانية وثالثة، متناولة للمدلولات أو المضامين، أو معاني الوحدات اللغوية المشكلة للنص، وهذا ما يخلق من خلال تأويلها قراءات إضافية ومتعددة للمعطيات اللغوية المعجمية والسياقية المشكلة للنسيج النصي.

« فالتشاكل لا يحصل إلا من تعدد الوحدات اللغوية المختلفة، ومعنى هذا أنه ينتج عن التباين، فالتشاكل والتباين إذن لا يمكن فصل أحدهما عن الآخر، وأنه هو الذي يحصل به الفهم الموحد والموحد للنص المقروء وهو الضامن لانسجام أجزائه وارتباط أقواله»⁽³⁾، مما يجعل من التشاكل والتباين وحدتين لا انفصام بينهما مساهمتين في قراءة النصوص، وإظهار معانيها الخفية، يسمحان بتعدد القراءة لتعدد احتمالية تأويلها في النص.

ب- الوصول إلى الدلالة المعجمية التي هي أيضا تتطلب أكثر من قراءة، والغاية المرجوة منها لا تُعنى بالشكل فقط إنما تتعداه إلى المحتوى، لأنه لا يمكن عزل الدال عن مدلوله الحامل له، ولا الشكل عن معناه أو معنى معناه، وهذا ما عبر عنه دي سوسير بجتمية

(1) - عبد المالك مرتاض، نظرية القراءة، المرجع السابق، ص: 248.

(2) - المرجع نفسه، ص 249.

(3) - محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري - إستراتيجية التناص -، المرجع السابق، ص 21.

ترابط اللفظ بمعناه و « تسمى العلاقة بين الدال والمدلول "الدلالة" »⁽¹⁾، فدلالة "شجرة" تتمثل في الشكل والمفهوم

يبين عبد مرتاض أن المعاني المحتواة في كلام البشر تقوم على خاصيتي الانتشار والانحصار، بمفهوما السيميائي، وهذا ما يفتح أفقاً كثيرة للتأويل في القراءة التشاكية إذ الثنائية الماثلة في كلام الناس تفتح « بابا واسعا، ومنتطي طريقا لحب للقراءة الأدبية، التي تبادر ولا تغادر، وتكشف لا تقف، وتتطلع ولا تتطلع»⁽²⁾ حيث يتم بها الكشف عن الغامض والخفي، والسماح للقارئ بتحليل النص وفق تأويلات احتمالية تعدد من القراءة اللانهائية للنص، فمفهوم التشاكل بخاصيته - الانتشار والانحصار - ولتطورات تطبيقه جعل منه « نظرية لتحليل النص من جميع جوانبه»⁽³⁾، ولا يقوم التحليل على الوحدات المفردة للنص فقط، إنما يتعداها إلى المقومات السياقية، « مما يجعله يجمع بين التحليل المفرد، والتحليل الجملي، والتحليل النصي، ويتجاوز المعاني الظاهرة في النص، إلى إيجاءاته الكاشفة عن التصور الأنطولوجي والمعرفي والعاطفي للإنسان...»⁽⁴⁾

تم التنظير لمستوى التشاكل كإجراء قرأئي للنص عند الناقد بمقاربتين:

- المقاربة الإفرادية .

- المقاربة التركيبية.

01- المقاربة التركيبية: أو النسجية، تقوم على ما يسمى الدورة السيميائية، حيث ينظر للوحدة من بدايتها إلى نهايتها، مروراً بكل العناصر المتحددة معها، وهي مقاربة استكشافية تحليلية، إذ تزوج بين الوجدتين، أي الوحدة الأولى مع الثانية ثم مع الثالثة فالرابعة والوحدة الثانية مع الثالثة ثم الرابعة، وهكذا دواليك حتى تأتي على جميع الوحدات المكونة للنص. وليس الشرط أن تكون الوحدة الأولى بحسب رتبها المتقدمة، إنما قد تكون الثانية

(1) - دانيال تشاندلر: أسس السيميائية، تر: طلال وهبة، مراجعة ميشال زكريا، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط01، 2008، ص 48.

(2) - عبد المالك مرتاض، نظرية القراءة، المرجع السابق، ص: 251.

(3) - محمد مفتاح، التلقي والتأويل، مقارنة نسقية، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط02، 2001، ص: 159

(4) - المرجع نفسه، ص: 159.

الفصل الثالث: آليات إنتاج المعنى في السيميائية السردية المغاربية: المستوى العميق

أو الثالثة⁽¹⁾، وتسمى العلاقة الرابطة بين الوحدتين من اللغة المتجاورتين المرتبطتين ربطاً اعتبارياً "بالمزاوجة"، و العلاقة الرابطة الاعتبارية المحتملة بين السمتين المتجاورتين تسمى: قابلية التزاوج، أما العنصر فقد يكون أصغر مقوم "Sémème" أو قد يمتد إلى وحدة كلامية، جملة أو بيت شعر... والتزاوج بين الوحدتين في الدورة السيميائية يكون بحسب خاصتي الانتشار والانحصار.

02. المقاربة الإفرادية: هي العمل على تحليل العلاقة السيميائية بين وحدتين وأكثر دون إخضاعها إلى الدورة السيميائية.

طبق الناقد هاتين المقاربتين على بيتين من الشعر هما:

رب ورقاء هتوف في الضحى ***** ذات شجو صدحت في فتن

ذكرت إفا ودهرا سالفا ***** فبكت حزنا فهاجت حزني

فكان تجسيد المقاربة الإفرادية بتحليل كل زوجين من الوحدات على حده، أي:⁽²⁾

(رب - ورقاء)، (هتوف - في الضحى)، (ذات - شجو)، (صدحت - في فتن)

(ذكرت - إفا)، (دهرا - سالفا)، (فبكت - حزنا)، (فهاجت - حزني).

نأخذ عينة من التحليل القائم على المقاربة الإفرادية للوحدتين: رب - ورقاء.

- رب: وضعت لتضييق الدلالة في الحدوث، وتضمينها معنى الشك وضعف التوقع والترقب، فوظيفة رب كأنها كبح دلالة السمة التي تأتي بعدها، وهي بذلك معنى انحصاري.

- ورقاء: سمة حيوان، حي غير عاقل "الطير"، تجسد المعنى الانتشار، لوجود فعل الطيران، الذي يتخذ حيزاً في الهواء، كما تأخذ حيز السكون والهدوء حين يجثو الطائر على الفن، لكن يتسم بانتشار الموجات الصوتية لسجعها، من ذاك تتجسد هذه المزاوجة بين الوحدتين من خلال الانتشار والانحصار والتباين والتشاكل.

من الملاحظ أن الناقد قرأ الوحدتين على انفعال، رغم أنه جمع بينهما في المزاوجة فقد بين ما تحمله رب من معاني في ذاتها، وخرج بدلالاتها الانحصارية، كما قرأ لفظة ورقاء

(1) - عبد الملك مرتاض، نظرية القراءة، المرجع السابق، ص، ص: 251، 254.

(2) - المرجع نفسه، ص، ص: 254، 264.

في دلالاتها التي تحملها دون سياق نصي، وكشف عن حملها معنى انتشاري وآخر انحصاري. وإخراج الوحدات النصية من السياق الداخلي للنص وجوه العام، يفقد الدراسة سيورتها النقدية، فالشاعر يتحدث عن ورقاء صادحة وقت الضحى على فنن صوتها شجي، فإننا نزيح ونستبعد -مثلا- هيئة الطيران على الورقاء؛ لأن الحال التي وضعها عليها الشاعر كانت على فنن، أما مرحلة الطيران فهي حال وسلوك تجسده الطيور عموماً، لم يستخدمه الشاعر هذه الهيئة في سياق نصه.

أما رُبّ: من حروف الجرّ، معناها التقليل أو التكثر، على حسب الحال، ومن سياق الكلام يتبيّن المراد. و« ذهب سيويوه إلى أن رُبّ بمعنى كم الخبرية، أي أنها تفيد التكثر... وذهب أكثر النحاة إلى أنها حرف يفيد التقليل... وذهب آخرون إلى أنها تفيد التكثر كثيراً، والتقليل قليلاً...»⁽¹⁾

كما أضيفت دلالات أخرى لربّ منها التحقيق والإيهام على السامع، والتعجب وتكرار الحدث الماضي والاحتمالية، والتوقع، والترجي، والشك.

فإذا أخذنا معنى ربّ على أنه كم (كم من ورقاء هتوف في الضحى) أي تفيد التكثر فنجد توسعاً في الدلالة وانتشاراً للفظ الذي جاء بعدها، فحسب طريقة قراءة الناقد مرتاض نجدها تفيد معنى الانتشار. فما الذي يجعلنا نرجح كفة معنى عن آخر؟ الجواب: هو السياق، كما جاء في تعريف معنى رب، فالذي يحدد دلالاتها هو السياق الذي وضعت فيه، من ذلك كان على الناقد ربط الألفاظ المشككة للنص ببعضها البعض والنظر إليها كنسيج متحد الدلالة، وإلا دخلنا في طور شرح المفردات وتوضيح معانيها المعجمية.

ولو لاحظنا سياق البيت الأول نجد أن المعنى الأقرب لرب هو الكثرة لأنه كثيراً من غنت وصدحت الطيور على الأغصان وأفنان الشجر، إلا أن الذي يعدل بنا عن دلالة التكثر، السياق التركيبي والدلالي للبيت الثاني، حين تم تخصيص هذه الذات الصادحة بالتذكر والحزن والبكاء، فنفهم أنه فعل مقصور معين، منحصر في فاعله والقائم به. فنحدد الدلالة النهائية لرب أو أي لفظ في التركيب النصي حسب الصياغة النظامية

(1) - فاضل صالح السامرائي، معاني النحو، شركة العاتك، القاهرة، مجلد3، ط2، 2003، ص: 32.

الفصل الثالث: آليات إنتاج المعنى في السيميائية السرديّة المغاربية: المستوى العميق

والبنائية للعمل الإبداع. وهذا ما نقص في عملية تطبيق الإجراء المستواتي لعبد المالك مرتاض.

أن المتبع لهذه القراءة القائمة على المقاربة الإفرادية للوحدات يجد الناقد يتتبع فيها انتشارية المعنى وانحصاره، دون ربط بين الوحدات الدلالية بسياق النص العام والخاص وافتتاح المعنى على ما تحمله السمات في ذاتها دون مقاربتها بغيرها، التي تفرض النسق والسياق النصي، وكذا دون اعتبار للانزياح اللغوي الحاصل في التركيبات النسيجية للبيتين، فمثلا يقول في تحليله للوحدة الزوجية (ذكرت - إلف)⁽¹⁾:

ذكرت: من الوجهة المعجمية ينصرف إلى الذكر بكسر الذاو ويكون باللسان، ويعود الفعل على الوراق الذي ذكرت العهد الذاهب بصوتها وهو لسانها، لكن قد يكون الذكر بضم الذاو، ويؤدي بالقلب والذاكرة وذلك إنها لم تهتف إلا بعد أن وقعت منها الذكرى موقعها...

والذكرى تمثل الحدث والأقوال والأفعال، وكل علاقة تقع بين شخصين، أو شخص ومكان أو أمكنة... وعبر الأزمنة... كأن سمة الذكرى تعني مركزه، وكل المعلومات التي تقع في ماضي الحياة... فإن راعينا الذاكرة من خلال وضع حال المدكر، فهي ذات صيغة انحصارية، أما إن راعينا الحركة والتوقع فإنها تحمل السمة الانتشارية.

الآن: هل بين الناقد في تحليله للمعنى وما تحمله الكلمة من دلالة عن علاقة اللفظ بما قبله أو بعده، وبالنص ككل؟ وهل هذه اللفظة استعمالها حقيقي فنسندها إلى ورقاء؟ - والتي ما زالت حسب تحليل الناقد للبيتين مجهولة الهوية- أم أن توظيفها مجازي؟ فالورقاء التي خصها الناقد بالطير لا تتذكر ولا تحزن ولا تبكي فهذه خاصيات آدمية...

إلّقا: بمعنى الرفيق والحبيب والعزيز، وهو كائن حي غير عاقل، غير أنه مجسد متحرك طائر، فهو إذن انتشاري المعنى ويشكل مع زوجه- ذكرت - تشاكلا، كما يشكلا تباينا لورود سمة ذكرت بالمعنى الانحصاري... ويجسدان تباينا نحويا (الأول فعل والثاني اسم)، وتشاكلا زمنيا (الأول الذكر في الماضي والألف يحيل على زمن الماضي الغابر

(1) - عبد المالك مرتاض، نظرية القراءة، المرجع السابق، ص - ص: 259-260.

الفصل الثالث: آليات إنتاج المعنى في السيميائية السردية المغاربية: المستوى العميق

وتشاكلا حيزيًا). فالعلاقة الجامعة بين هاتين السمتين اللفظيتين خماسية: تشاكلات ثلاثة، وتباينان اثنان.⁽¹⁾

مجل ما يمكن أن يقال أن عدم تخصيص الحيز والمستوى التشكلي -وجميع المستويات الإجرائية السابقة- على سياقات النص يجعل القراءة عائمة غير منطقية، كأننا نستحضر الحقل المعجمي والدلالي والمفهومي للألفاظ إحضاراً تراكمياً، دون الاستناد إلى مكونات النص التي تطبعه بخصوصياته، فلا يمكننا بذلك الخروج من هذه الدراسة إلا بنتيجة واحدة أن النص إما ذو طابع انتشاري أو انحصاري، بحكم تشاكل الوحدات الألفاظ الزوجية أو تباينها، دون البث في علائق النصية الدلالية ومعاينة الثاوية، والتي تنتج لنا نصاً آخر على أنقاض النص الأول، فنلمس التناقض حاصلًا في مفهوم الناقد النظري والتطبيقي للقراءة، إذ اعتبرها تنظيرياً تناصاً يقع مع نص آخر كان أصلاً قراءة لخاطر، وترجمانا لقرينة⁽²⁾، ولا تكون إلا نتيجة للتفاعل مع نص سابق أو مساوق، فهي قراءة تنهض على التناص.⁽³⁾ كما أنها كتابة تترجم ما في الخاطر الجياش وتكشف عما في الضمير من العواطف الطافحة، ثم هي كتابة تنسج من حول كتابة أخرى غائبة حضورها بالقوة.⁽⁴⁾ ولكن التطبيق للمستويات القرائية بعيدة عن حدّ التناص المجسد للنص الأول.

أما التطبيق على المقاربة التركيبية بحسب الدورة السيميائية فكان على النحو الآتي⁽⁵⁾:

الدورة السيميائية لصدر البيت الأول "كأنموذج":

- رب ورقاء هتوف في الضحى

الدورة 01:

رب مع ورقاء: يجسدان التبيان (قائماً على الانحصارية والانتشارية)

(1) - عبد المالك مرتاض، نظرية القراءة، المرجع السابق، ص - ص: 261-260.

(2) - المرجع نفسه، ص: 28.

(3) - المرجع نفسه، ص 28.

(4) - المرجع نفسه، ص 28.

(5) - المرجع نفسه، ص 257-268.

رب مع هتوف: التشاكل – انحصارا، فانحصار آخر
رب مع في: تبيان (انحصار فانتشار)
رب مع الضحى: تشاكلا (انحصار فانحصار آخر...)
الدورة 02:

ورقاء مع: هتوف يجسدان تشاكلا
ورقاء مع في: يجسدان تباينا
ورقاء مع الضحى: يجسدان تشاكلا وتباينا
الدورة 03:

هتوف مع في: يجسدان تباينا
هتوف مع الضحى: يجسدان تشاكلاً
الدورة 04:

في مع الضحى: يجسدان تبايناً وتشاكلاً
وهكذا دواليك، تتم القراءة على محور التشاكل والتباين بصيغة تركيبية إبدالية، تشمل عليها الدورة السيميائية، فكيف الحال إذا تعلق الأمر بقصيدة مطولة، فهل سينجح هذا المستوى في دراسة قصيدة تتعدى الصفحات بنفس الوتيرة فقط للخروج بمعنى انتشارية أو انحصارية الألفاظ.

رصد الناقد من خلال المقاربة الإفرادية والتركيبية الوحدات اللفظية من حيث التباين والتشاكل في المعنى، وكذا في الوظيفة النحوية والمرفولوجية والإيقاعية، يقول في ذلك «هناك تشاكلات أخرى كنا عرضنا لها لدى تحليل البيت الأول خصوصاً، مثل: ذكرت، بكت، فهاجت (التشاكل هنا مرفولوجي وإيقاعي ونحوي»⁽¹⁾، دون ربط ذلك بالدلالة الكلية للبيت.

نلاحظ في التطبيق أن هاتين المقاربتين لم تصلا إلى المقومات السياقية، ولا النصية للعمل، حيث المقاربة الأولى- التركيبية- تنظر إلى المفردة في دورتها السيميائية، المبنية

(1) - عبد المالك مرتاض، نظرية القراءة، المرجع السابق، ص: 268.

الفصل الثالث: آليات إنتاج المعنى في السيميائية السرديّة المغاربيّة: المستوى العميق

على علاقة التبادل الوصفي للمفردات، دون الربط بين دلالات هذه الدورة، فنجد العمل قائماً على رصف الكلمات في كل دورة دون أي تحليل مؤدي إلى المعنى ودلالته النصية. أما المقاربة الإفرادية هي تحليل لوحدين أو مفردتين، غير أن هذا التحليل لم يلمس بدوره السياق الكلي للنص، ولا حتى السياق الجملي، بل يتم النظر إلى كل زوج على حده، يكاد يكون التحليل تحليلاً عاماً حائماً على ما تحمله الوحدتين من معنى. مجمل القول حول تنظير عبد المالك مرتاض لمستوى التشاكل كإجراء للقراءة السيميائية، أنه تنظير يحوي بعداً دراسياً تركيبياً للعديد من الرؤى والمقولات النقدية والتحليلية، التي من شأنها أن تخدم النص الأدبي وتكشف عن قالب معنوي مفترض له غير أن المؤاخذ عليه في هذا المنحى فقدانه الأسس التطبيقية الضابطة له إذ التطبيق أوجد هوة عميقة بينه وبين التنظير، مما يصعب على القارئ المنتهج لهذا المستوى تجسيده على نص قصير قبل النص الطويل، إلى جانب التكرارية الحاصلة في نمطية التطبيق المجسد لصورة البحث عن دلالة الكلمة وموقعها في النص الأدبي دون إنتاج المعنى الإجمالي المحتمل له.

وآخر ما نختتم به جزئية التشاكل حسب العينتين المغاربيتين المنظرتين له، جملة من النقاط التي أحصتها الناقدة الجزائرية خيرة حمر العين للتفريق بين تصوريهما لهذا الإجراء. نجملها في عناصر الآتية⁽¹⁾:

- عنصر التداولية الذي وجد عند محمد مفتاح ولا نجده عند مرتاض.
- التشاكل الصوتي والإيقاعي يشكل حضوراً قوياً ممتثلاً في جانبه العميق المشكل للدلالة عند مفتاح ويغيب أو نادر الذكر عند مرتاض.
- التشاكل يقارب التباين عند مرتاض من زاوية الانتشار و الانحصار من خلاله يسعى إلى الانتقال من الأداة إلى الإجراء
- نجد مصطلح التشاكل تبعه عند مرتاض كم هائل من المصطلحات التابعة له منها: التشاكل المعنوي، التلاؤمي، الانتشاري، الانحيازي....

(1) - عبد المالك مرتاض، نظرية القراءة، المرجع السابق، ص: 172.

➤ بين مرتاض إمكانية فصل التشاكل عن التباين.

3. المربع السيميائي: (carré sémiotique)

يعد المربع السيميائي من أهم إجراءات المستوى العميق في النقد السيميائي السردى عمل الكثير من النقاد بعد مؤطره غريماس على توضيحه وتفعيله على النصوص، بمختلف خطاباتها، من هؤلاء السيميائيين المغاربة الذين أفاضوا فيه استعاباً نظرياً وتطبيقاً.

1.3 المربع السيميائي: الماهية والمفهوم:

أ- ماهيته:

يتبصر المربع السيميائي كآلية من آليات القراءة في المستوى العميق في دلالة النص لإنتاج معناه، يعمل على توليده بصفة احتمالية لا قطعية، يرصد ويستقرئ المعنى من حالة إلى أخرى ومن طور لغيره. ترجم مصطلحه الأجنبي "carré sémiotique" أيضاً بالمربع الدلالي والنموذج التأسيسي.

يقوم المربع السيميائي على تشخيص علاقات التضاد والتناقض والاستلزام، ومن خلال الاختلاف والتضاد والتناقض يولد المعنى في أشكال مختلفة، ويتمظهر على مستوى السطح بصيغ تعبيرية مختلفة ومتنوعة. وتعتبر القاعدة الثنائية التضادية قاعدة بناء النموذج السيميائي لمكون دلالي مصغر وليست مبدأ لتقرير وجوده، ووجود صيغه.⁽¹⁾
عرّف دانيال باط المربع السيميائي حسب الرؤية الغريماسية على أنه:⁽²⁾

✓ نموذج لشبكة علاقات الدلالة الأساسية وتبين كيف أن المربع السيميائي قابل للتماثل مع بعض أوجه التركيب السردى.

✓ هو قبل كل شيء بنية انبثاق تسعى إلى تمثيل كيف يتم إنتاج الدلالة عن طريق سلسلة من العمليات الإبداعية لمواقع متباينة... منذ ذلك الحين بدا أن المربع السيميائي قابل للتماثل مع التركيب السردى السطحي، الذي هو بدوره بنية انبثاق للدلالة.

(1) - جوزيف كورتيس، مدخل إلى السيميائية السردية والخطابية، المرجع السابق، ص - ص: 88 - 89.

(2) - دانيال باط، المربع السيميائي والتركيب السردى، تر: عبد الحميد بورايو، مجلة بحوث سيميائية، المرجع السابق، ص 144-

الفصل الثالث: آليات إنتاج المعنى في السيميائية السردية المغاربية: المستوى العميق

✓ هو نموذج تصنيفي يسمح بتمثيل نسق القيم الذي ينظم العالم الدلالي الأدنى والذي هو مفسر في المستوى المؤنسن تبعًا لضرورات التركيب السردية. تفسر هذه التعاريف بأن المربع السيميائي هو جراء قراءة، قابل للتطبيق، يسعى المحلل به إلى إنتاج الدلالة والمعنى، يساعد على ضبط البنية الأولية في بناء نص ما، وذلك عند تصنيف السمات التأسيسية، وما يقابلها من سمات متضادة ومتقابلة في بنائه السطحي.

يعتبره بول ريكور - بترجمة جميل حمداوي - أنه بنية نموذجية تجعل من وحدة معنوية ما كونه دلاليًا صغيرًا؛ أي نسقًا علائقيًا بسيطًا، فما يكون من هذه البنيات النصية هو ما ينظم أيضًا، وما يسمح أيضًا بالتحكم لاحقًا في المعنى، والإمساك بالعنصر التأسيسي الذي يحكم كل التحويلات الحاصلة والآتية.⁽¹⁾

تكن أهمية المربع السيميائي في نظرية غريماس السيميائية السردية كونه إجراء يغوص في عمق الظاهرة المدروسة، فهو وحدة تأسيسية لبناء مشروع علم للدلالة العميق، مغاير لذلك العلم المختص بدلالة النصوص عبر تظهارها اللغوي، فجاء المربع السيميائي سندًا إجرائيًا لعلم الدلالة العميق كنظرية للمعنى، يقترن مباشرة بتوضيح شروط فهم المعنى والبنيات الدلالية الأولية المستنبطة من النص، والتي تقدم بعدها بصفتها مسلمة فيه.⁽²⁾ وأن « هذه البنية الأولية المحللة والموصوفة مسبقًا، يجب أن تفهم بصفتها نموًا منطقيًا لمقولة مقوماتية اثنائية، من نوع أبيض / أسود، تكون عناصرها، فيما بينها، في علاقة تضاد، وكل واحد يكون قادرًا على إسقاط عنصر جديد، يكون مناقضًا له. تستطيع العناصر المتناقضة بدورها أن تدخل في علاقة اقتضاء متبادل تجاه العنصر المضاد المقابل».⁽³⁾

يرى غريماس أن وجود البنيات الأولية للدلالة يقدم النموذج السيميائي الملائم الواصف لتمفصلات المعنى الأولية داخل فضاء دلالي مصغر، إذ المعنى لا يدرك إلا

(1) - جميل حمداوي، السيميوطيقا السردية من سيميوطيقا الأشياء إلى سيميوطيقا الأهواء-، المرجع السابق، ص: 113.

(2) - الجيرداس جوليان غريماس، سيميائيات السرد، تر: عبد المجيد نوسي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط01، 2018، ص: 105.

(3) - المرجع نفسه، ص: 105.

منفصلاً، فيؤسس تشاكل عناصر هذه البنية الأولية للمعنى - ويضمن في ذات الوقت- الفضاء الدلالي المصغر بصفته وحدة معنى⁽¹⁾. لذا فلا يمثل المربع السيميائي أو النموذج التكويني سوى بنية أولية للدلالة مجسدة في شكل؛ أي نموذج، من أجل تمفصل المادة الدلالية لكون مصغر ضمن كون دلالي أكبر. فيختصر المربع السيميائي دلالة وبناء النص في صيغة شكلية بالغة التجريد، فهو ليس سوى التنظيم الأولي للدلالة قبل أن يصبح نصاً أو واقعة قابلة للتداول من خلال سياق خاص، و المحلل العارف بعلاقات ومحاور وأطراف «المربع»، يعني أن له قدرة فك شفرات النص الدلالية، ويستطيع وضع اليد على ما سُرّب إليه من دلالات أو وُضعت فيه قصداً⁽²⁾. وإلا فلا يمكن للمحلل الذي لم يستطيع تعيين بنية النص الأولية التي بها حركَ النص، وتنامت حوله الأحداث أن يضبط علاقات المكون السردية، بفرعيها الأساسي والثانوي والظاهر والمضمّر، من هنا فلا قدرة له في استقراء العمليات المشتغلة على صعيدي النص السطحي والعميق.

ب- المربع السيميائي من منظور النقد السيميائي السردية المغاربية:

يعيد الكثير من الدارسين العرب والغرب أسس المربع السيميائي بأصوله الغريماسية إلى المقولات اللسانية، بدءاً بما قاله دي سوسير عن مبدأ الاختلاف، وأن اللغة تفهم من خلال الثنائيات المتعارضة، إذ في اللسان لا وجود إلا للاختلافات، فتدرك العلامة الدلالية بمقابلتها المخالف لها، (فمثلاً نفهم تصور الحياة بمقابلته الموت) حيث « تعد هذه الثنائيات المتعارضة البنية الأولية للدلالة التي مكنت غريماس من بناء نموذجها المتمثل في المربع السيميائي⁽³⁾ ».

يبد أن أحمد يوسف أشار إلى تنبيه ماكوفلسكي إلى أن النسقية الأرسطية المنطقية والمتمثلة في نظرية الحكم عنده ببعدها النفسي والمنطقي وطبيعتها الجدلية، والمستندة على وحدة التركيب والتحليل المتحددين والمتصلين في عملهما على الظواهر، فهذه النسقية ترتكز

(1) - الجيرداس جوليان غريماس، سيميائيات السرد، المرجع السابق، ص- ص: 106- 107.

(2) - سعيد بنگراد، الجيرداس كريماس ترسانة السيميائية، 8 مارس 2017، الموقع الإلكتروني:

<https://www.alittihad.ae/article/>

(3) - نادية خطار، المؤولات التصورية للسيميائيات السردية لدى غريماس- البنية العميقة أنموذجاً-، مجلة سيميائيات، مخبر السيميائيات وتحليل الخطابات، جامعة وهران، العدد 06، 2016، صك 213.

الفصل الثالث: آليات إنتاج المعنى في السيميائية السردية المغاربية: المستوى العميق

أحكامها على مبدأ التناقض ومنه التقابل بين الإثبات والنفي، « فلا وجود لتناقض ما لم يكن هناك تطابق بين الإثبات والنفي، من هنا تتبين لنا الأصول المنطقية للمربع السيميائي أو المربع الدلالي، الذي يعد من أبرز معالم التفكير السيميائي لدى غريماس.⁽¹⁾»

يتميز المربع التقابلي المنطقي عند أرسطو ببناء علاقات بين بنيات أحكامه المتجسدة في التناقض والتضاد، فنجد علاقة التقابل بالتضاد بين الحكم المثبت الكلي والحكم المنفي الكلي، وعلاقة التقابل بالتناقض بين الحكم المثبت الكلي والحكم المنفي الجزئي أو العكس بين الحكم المثبت الجزئي والحكم المنفي الكلي. ويتعلق الأمر بنفس العلاقات عند غريماس حسب مربعه السيميائي القائم على علاقة التناقض والتضاد والتضمن.⁽²⁾

أن المرحلة الأولى لبناء وتشكل المعنى ترتبط ببنية الأولوية الدلالية وهذه الأخيرة مبنية على نمط بجدين متضادين⁽³⁾، فنقوم البنية الأولية على وجود التضاد إذ افتراض وجود سيم يتضمن وجود نقيضه أو مخالفه، حيث « أن الأول ليس له وجود إلا بالإحالة على الآخر، والعلاقة التي تكون قد أقيمت بين السيمين الاثنين هي ذات طبيعة تضادية وتتعلق في نفس الوقت بالانفصال والاتصال⁽⁴⁾» ويكون في كل إثبات نفي، وفي كل انتقاء إقصاء، وفي كل جذب نذب⁽⁵⁾؛ من ذلك إثباتنا للطول ينفي القصر، للسعادة يستبعد التعاسة... وهكذا دواليك، ويمكن تطبيق تنظيم المحتوى الشكلي لهذه الثنائيات في الآتي:

س 1 ع س 2

س ع لا س

(1) - أحمد يوسف، الدلالات المفتوحة، المرجع السابق، ص - ص: 20-21.

(2) - المرجع نفسه، ص - ص: 21-22.

(3) - عبد اللطيف محفوظ، آليات إنتاج النص الروائي نحو تصور سيميائي، المرجع السابق، ص: 140.

(4) - جوزيف كورتيس، مدخل إلى السيميائية السردية والخطابية، المرجع السابق، ص: 88.

(5) - سعيد بنگراد، ألبيرداس كيماس ترسانة السيميائية، 8 مارس 2017، الموقع الإلكتروني:

<https://www.alittihad.ae/article/>

حيث:

- الثنائية الأولى تحكمها علاقة تضاد.

- الثنائية الثانية تحكمها علاقة تناقض.

مع العلم أن علاقة التناقض « ليست إلا جنسًا من علاقة التضاد.»⁽¹⁾ فيستحيل المربع السيميائي المولد المنطقي والدلالي الحقيقي لكل التظاهرات السردية السطحية، عبر العمليات الذهنية والدلالية والمنطقية، يتحكم فيها التضاد والتناقض والتضمن أو الاستلزام⁽²⁾ داخل البنية الدلالية المصغرة أو الكلية.

إن المربع السيميائي بنية تكوينية تأسيسية للدلالة، تنتمي للبنية العميقة يقوم على كل العناصر اللغوية؛ النحوية والتركيبية والصرفية والدلالية، فهو نموذج التأسيسي و«بنية منطقية ودلالية تولد كل التظاهرات السطحية وذلك عبر مجموعة من التحويلات على المستوى السردى والمستوى الخطائى، ويتخذ هذا المكون الدلالي والمنطقي شكلًا هندسيًا مربعًا ومن ثم تقوم هذه البنية النموذجية التأسيسية بعملية التدليل من العمق نحو السطح.»⁽³⁾ أي من مستوى الدلالة الكامن نحو مستوى التجلي المتظاهر والبين بين. بين الناقد المصطفى الشادلي أن الهيكلة والصياغة الأولى للمربع السيميائي بمفهومه السيميائي نجدها في تصور غريماس في كتابه الدلالات البنيوية، عند حديثه عن إيجاد العلاقات التي تتولد من البنية الأساسية، مؤكدًا على أن الدلالة تفترض وجود العلاقة افتراضًا مسبقًا، وظهور هذه العلاقة يعد شرطًا ضروريًا بين أطراف دلالة البنية.⁽⁴⁾ ويبنى المربع السيميائي على تكوّن نموذج تكويني أساسي في صياغة الدلالة، حيث البنية كما عند غريماس - بترجمة مصطفى الشادلي- «نمط وجود الدلالة الذي يتسم بحضور العلاقة المتفصلة بين سيمتين.»⁽⁵⁾ فيتعلق الأمر عند بناء المربع السيميائي بالعمل على

(1) - جوزيف كورتيس، مدخل إلى السيميائية السردية والخطائية، المرجع السابق، ص: 90.

(2) - جميل حمداوي، الاتجاهات السيميوطيقية (التيارات والمدارس السيميوطيقية في الثقافة الغربية)، مؤسسة المثقف العربي سيدي، أستراليا، ط01، 2015، ص: 43.

(3) - جميل حمداوي، السيميوطيقا السردية من سيميوطيقا الأشياء إلى سيميوطيقا الأهواء-، المرجع السابق، ص 113.

(4)-المصطفى الشادلي، السيميائيات- نحو علم دلالة جديد للنص- تر: محمد معتصم، المرجع السابق، ص 70.

(5) (A.J) Greimas, Sémantique structure, Ibid, P :28.

الفصل الثالث: آليات إنتاج المعنى في السيميائية السردية المغاربية: المستوى العميق

الطبيعة الكلية للنص السردى، من خلال الحديث عن بنىات سردية سابقة في الوجود على تجلي النص.⁽¹⁾ فيكون بذلك مخططاً قابلاً لاستيعاب أي خطاب ما دام يسبقه وجوداً ويتضمنه دلالة.

بصورة مختصرة وبسيطة المربع السيميائي « وهو النموذج التأسيسي والبعدي التجريدي للقصة، أو الفكرة العامة التي انبنى عليها المتخيل السردى، قبل أن تتجلى عبر المفوضات السردية، »⁽²⁾ والتصميم التجريدي المنطقي الذي يكون أساسياً في تكوين الدلالة، به يتم « تمثيل الواقع المعقد تمثيلاً مبسطاً، إنه نسق رمزي يُبنى انطلاقاً من الواقع التجريبي بحيث يمكن أن نفسر الجوانب الأساسية منه، ويسمح لنا بنوع من التجريب والتوقع »⁽³⁾ ويكون النموذج ناجحاً قابلاً للتطبيق والتجريب إن كان⁽⁴⁾:

● مطابقاً للواقع وإلا لن يكون دالاً، فقط يكفي بتطابقه مع بعض جوانب الواقع الجوهرية.

● بسيطاً لأن البساطة هي التي تسوغ له المعالجة الرياضية والمنطقية.

يرى سمير المرزوقي وصاحبه في التأليف شاكر شكري في كتابها مدخل إلى نظرية القصة، أن غريماس رمى بإجراء المربع السيميائي إلى عقلنة المعنى، فإنتاج المعنى عنده لا يتحقق إلا بتجاوز المعنى الأصلي، وسبيل ذلك عقلنته إلى جانب تحليله وتأويله، بالربط بين الصريح السطحي من المعنى بالضمني ومنه والعميق، وهذا لا يكون إلا عبر شكلنة وسائل خلق المعنى وتصوراتها في هيكل منطقي بعيد عن نصوص كل ظاهرة أدبية.⁽⁵⁾ أدبية.⁽⁵⁾ فكان الشكل الأصولي للمربع السيميائي عند غريماس على النحو الآتي:

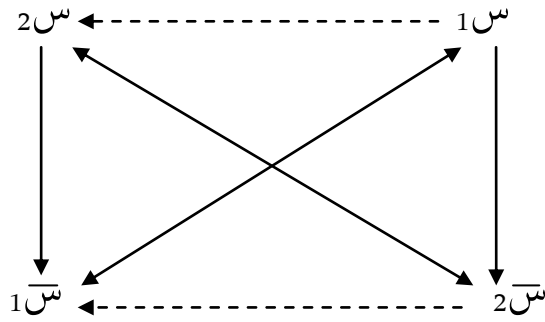
(1) - سعيد بنكراد، السيميائيات السردية، المرجع السابق، ص 85.

(2) - شادية شقروش، سيرورة الدلالة وإنتاج المعنى - قراءة سيميائية في الأدب السعودي المعاصر - دار جامعة الملك سعود للنشر، الرياض، السعودية، 2016، ص 20-21.

(3) - الطاهر وعزيز، بنوية كلود ليفي - ستروس - المرجع السابق، ص: 61.

(4) - المرجع نفسه، ص - ص: 61-62.

(5) - سمير المرزوقي، جميل شاكر، مدخل إلى نظرية القصة، المرجع السابق، ص: 119.



- المربع السيميائي لتشكيل المعنى -

علاقة التضاد : ←-----

علاقة تناقض : ←-----→

علاقة تضمن أو استتباعية : ←-----

2.3 علاقات وعمليات تحريك المربع السيميائي

من المسلم به أن المعنى محكوم بمبدأ الاختلاف، فلا نفهم ولا نصل إلى مكنونه إلا بلامسة ضده أو ما يخالفه من المعاني، فلن ندرك معنى النهار إلا بوجود الليل، والحياة إلا عند إدراك معنى الموت وهكذا...، فالاختلاف مبدأ يحكم الدوال ومدلولاتها. من هنا يبين العجيمي أن الثنائيات الضدية هي البنية الأساسية للدلالة، وهذا لا يمنع من وجود عناصر مشتركة بين هاته المعاني المختلفة؛ بل قد يقتضي الأمر ورود هذه العناصر الدلالية المشتركة، نسمى العنصر المشترك الرابط بين الثنائية الضدية "المحور الدلالي"⁽¹⁾، مثال ثنائية:

(4) (الحياة / الموت) المحور الدلالي الذي يجمعها هو: الوجود.

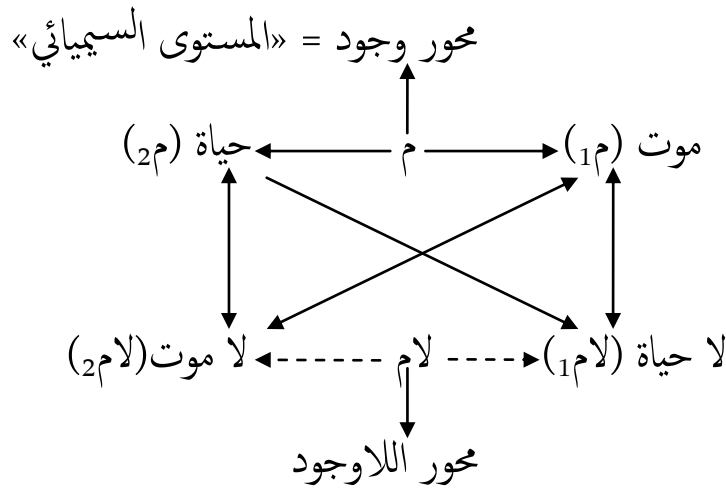
(5) (العلم / الجهل): الدلالي الذي يجمعها هو: المعرفة.

وهذا المحور الدلالي نفسه يمكن أن يدخل مع محور دلالي مقابل أو نقيض له، مثلاً محور الوجود يقابله محور اللاوجود، الذي يربط بين الثنائية الضدية (لا حياة/ لا موت)

(1) - محمد الناصر العجيمي، في الخطاب السردية نظرية غريماس (Greimas)، المرجع السابق، ص: 93.

الفصل الثالث: آليات إنتاج المعنى في السيميائية السردية المغاربية: المستوى العميق

وعند ضمّ المحورين مع بعضهما البعض يتشكل ما يسمى المربع السيميائي. وهو مقوم يرتكز على تصورين هما أساس العلاقة على كل محور: فكرة الاتصال وفكرة الانفصال، والأخيرة تحوي نوعين منه: انفصال بالتضاد وانفصال بالتناقض. في حين تمثل العلاقة الاستتباعية علاقة تناسقية.⁽¹⁾ مثال:



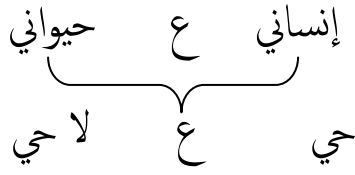
وإن كان كل من السيمين المتضادين يطرح مقابله المناقض له، فإن عملية تجميع هذه الحدود المعنوية المشكلة للبنية الأولية للدلالة تشكل نموذج المربع السيميائي، الذي يسمح بإبراز انتظام الأكوان الدلالية في مجموعها. وأن انتظام هذه البنية الدلالية الأساسية على مستواها العميق، بطبيعتها المشكلنة للمعنى، محددة في أساسيات وعلاقات المربع السيميائي، ليكون للمعنى ترسيمة شكلية، مكونة قبل استثمارها في المكون الدلالي للنص.⁽²⁾

وكما قلنا، تحدد كل ثنائية تقابلية محورًا دلاليًا يمكن أن ينظم هذا المحور محتويات دلالية تقابلية أخرى، منتظمة بدورها في بنات متشابهة للبنية المنبثقة منها، مما يخلق نوعًا من التداخل، حيث فكل زوج مقولة سيميائية قابل لأن يدرج في مستوى أعلى، كعنصر مكون لزوج مقولة سيميائية أخرى أوسع مثلًا.⁽³⁾

(1) - سمير المرزوقي، جميل شاكر، مدخل إلى نظرية القصة، المرجع السابق، ص: 120.

(2) - جوزيف كورتيس، مدخل إلى السيميائية السردية والخطابية، المرجع السابق، ص: 91.

(3) - المرجع نفسه، ص: 90.



عبر هذه الوحدات الدلالية المتباينة ينتظم الكون السردى و النص الخطائى ككل فينطلق النص داومًا من كم دلالي منظم في صيغة أو حزم تقابلية تطرح المضمون والتصور المراد طرحه فيه، والتي تحيط بمجمل الوضعيات المركبة في بنية النص السردى. حيث تتشكل سلسلة من العلاقات التي تعتمد على تقابلات أصلية محورها الضدية لا غير، الضرورية لتفجير بنية المحور في نصوص لا حصر لها، نصوص تتعامل مع الحياة وتُشخص القيم وتجعلها ممكنة التكوّن، تتنامى وتتحرك بفعل العلاقات التي تحكمها من خلال حدود مُدرجة ضمن زمنية الفعل الإنسانى.⁽¹⁾

لتبسيط ما سبق نشرح ذلك في المثال الذي وضعه بنكراد من خلال خطاطة سردية بسيطة تتجسد في وجود محور دلالي من قبيل: (غني م فقير). استناداً إليه يمكن أن نولد وننسج سلسلة لا متناهية من النصوص السردية، نتناول في منتهى التقابل بين عوالم الفقر وما يخالفها في عوالم الأغنياء. وهو أمر منطقي، لأنه لا نستطيع إدراك وتصور الغنى دون الإحالة على نقيضه الفقر أو العكس.⁽²⁾

من جهة أخرى يبسط رشيد بن مالك أطراف المربع السيميائي باعتباره توضيح لدورة دلالية مصغرة، في مثال لدورة السيم "دلالة"، وقد أورده غريماس في كتابه في المعنى، هذه الدورة الدلالية من الضروري أن تتشعب بعلاقة التدرج والتضاد، لضبط الروابط التي يمكن أن يقيمها السيم في مقولات النص. والأصل في بناء هذا المربع هو العلاقة الضدية التي تتميز سيمات المقولة الواحدة، بينما تكون العلاقات التخصيفية أو المقولاتية في السيم الواحد، وأيضاً مع المقولة السيمية ككل، وبعد توزيعها مبدأً الثنائية الذي يعد قاعدة جوهرية مسلم بها في تقسيم الدوال، يتشكل المربع السيميائي بأطرافه

(1) - سعيد بنكراد، أليرداس كيماس ترسانة السيميائية، المرجع السابق، الموقع الإلكتروني:

<https://www.alittihad.ae/article/>

(2) - المرجع نفسه.

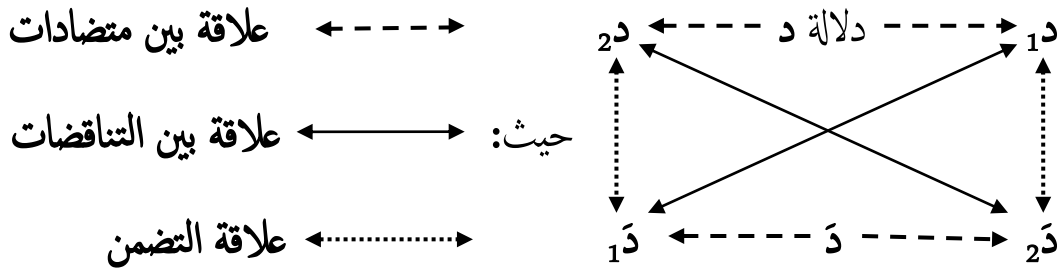
الفصل الثالث: آليات إنتاج المعنى في السيميائية السردية المغاربية: المستوى العميق

عند ربطه بالفكر الإنساني بتنظيم البنية الأولية للدلالة، بكيفية تتخذ الشكل الأصولي للنموذج الكوني.

فتمثل: "د" المدرك الأول والمحور الدلالي، يقابله دَ المحور الدلالي المغيب غياب مطلق للمعنى ونقيض "د".

وعند اعتبار "د" محور دلالي حامل لمادة المضمون، فإنه سوف يجيل عند تمفصله إلى تشكل المضمون إلى معنيين:

د₁ ←-----→ د₂، وهما كعنيين سيثيران كل على حده إلى تفيضها. د₁ → د₂ ← ومن هنا كان تأسيس المربع السيميائي⁽¹⁾، على النحو المتمثل أدناه للمحور الدلالي "د"، والذي اعتبره غريماس رمزًا للعالم الدال على نظام سيميائي⁽²⁾.



- المربع السيميائي للعالم الدال -

نقرأ المربع الدلالي السابق أن سيم "دلالة" المرموز له بالحرف "د"، يمثل تجليات عالم دال وإنه يسلم بوجود نقيض له يجسد غيابًا مطلقًا للمعنى يرمز له بحرف "دَ" المنفي، ثم أننا نفترض للدلالة "د" تفرعًا على مستوى شكل المضمون إلى سيمين متناقضين "د₁" و"د₂"، يُفترض أن لكل منهما نقيضه "د₁" و"د₂".

يصرح غريماس أن هذا النموذج بني من خلال استخدام عدد قليل من المفاهيم غير المعرفة:⁽³⁾

أ- مفهوم الوصل والفصل الضروريين من أجل تفسير العلاقة البنائية.

(1) - رشيد بن مالك، مقدمة في السيميائية السردية، المرجع السابق، ص 14.

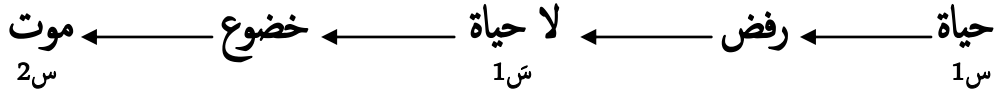
(2) - الجيرداس جوليان غريماس، في المعنى - دراسات سيميائية -، المرجع السابق، ص 44-45.

(3) - المرجع نفسه، ص: 45.

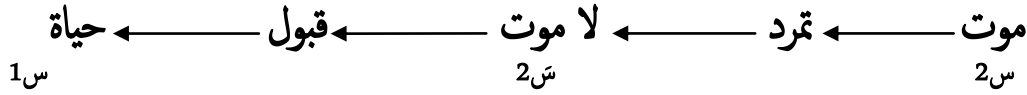
الفصل الثالث: آليات إنتاج المعنى في السيميائية السردية المغاربية: المستوى العميق

ب- نموذجان للفصل، فصل المتضادين (المشار إليه من خلال الخط المنقط) وفصل التقيضين (المشار إليه بالخط المستمر).

يعود الناقد بن مالك إلى دراسة غريماس "عالم برنانوس" الذي رصد فيها حركة وعلاقات دلالية لبنية أولية قائمة على النحو التالي:⁽¹⁾



وقد لاحظ غريماس وجود حركة دلالية ماثلة لكن باتجاه عكسي عن الأول منطلقة من سيم الموت نحو سيم الحياة، تجسد كالآتي:



وعند الربط بين المسارين الدالين ينتج المربع السيميائي القائم "أساسًا على عمليات النفي والتثبيت، أطر من خلالها ست علاقات، هي"⁽²⁾:

➤ التضاد: س¹ عكس س²، (س¹ عكس س²) الأخيرة تسمى أيضًا بعلاقة ما تحت التضاد.

➤ التناقض: س¹ عكس س¹، س² عكس س².

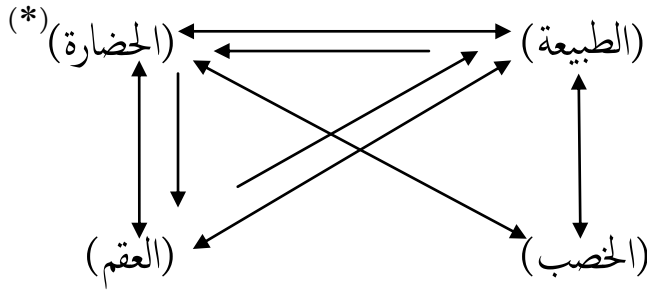
➤ التضمن: س¹ عكس س²، س² عكس س¹.

وهي عمليات موجهة بحسب العلاقة، لكن لا تمس علاقة دون أخرى؛ أي تكون موجهة نحو التضاد (من الأسود إلى الأبيض ومن الأبيض إلى الأسود)، ولا وجود إلا لهذين الاتجاهين، لكن كل العمليات موجهة اتجاهًا يمس كل العلاقات (التضاد الاستتباع التناقض)، منظمة في سلاسل منطقية، المنتجة لإيديولوجية النص، الذي تتغير مضامينه وقيمه حسب تلك العلاقات ومسار السرد.⁽³⁾ مثال:

(1) - الجيرداس جوليان غريماس، في المعنى - دراسات سيميائية-، المرجع السابق، ص - ص: 15-16.

(2) - رشيد بن مالك، مقدمة السيميائية السردية، المرجع السابق، ص: 16.

(3) - سمير المرزوقي، جميل شاكر، مدخل إلى نظرية القصة، المرجع السابق، ص: 128.



يتسم المربع السيميائي بخصائص شكلية، وتنظيمه لعلاقات متنوعة ومختلفة، من شأنها أن تمنح النص أبعادًا دلالية ممكنة الحضور فيه، وتعطيه احتمالية توليد المعنى موزعة على النحو الآتي⁽¹⁾:

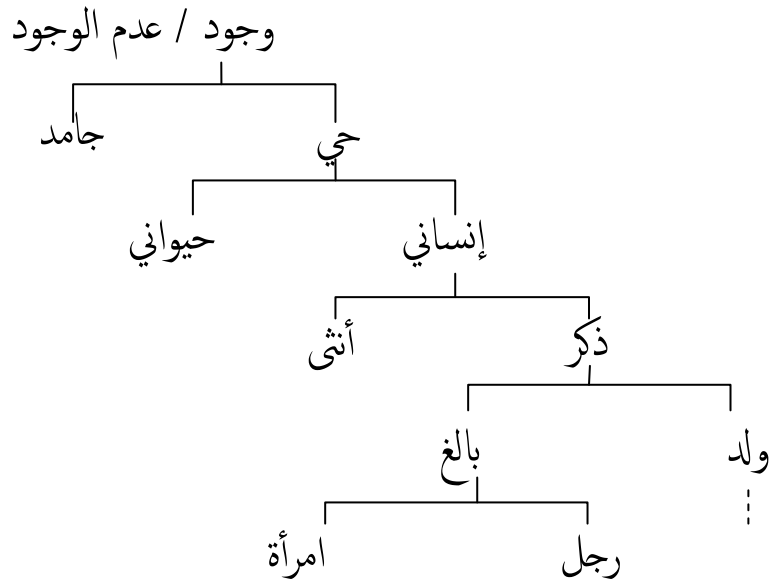
أ- **العلاقات التدريجية:** تكون بين د₁، د₂، د₃، على أساس حالة التضاد بينهما، وتكون في مستوى آخر بين د₁، د₂، د₃^(*)، وتسمى في هذه الحالة علاقة ما تحت التضاد أو التضاد التحتي، شبيهة بالحالة الأولى⁽²⁾، والنوعين من العلاقة تشملهما علاقة التضاد بين سيمين، فيفترض وجود أحدهما وجود الآخر الذي يعاكسه، فعند استحضر أحد السيمين في تلفظ يتبادر الآخر تلقائيًا إلى الذهن، غير أنه يمكن أن يدخل بينهما وحدات دلالية وسيطة. فهما وسطان لا ينفيان معانم وسيطة بينهما.
مثال⁽³⁾:

* - يمثل السهم : العلاقات الحاصلة في حدود المربع السيميائي، والسهم : حركة حدود المربع وفق العلاقات ومسار السرد. أنظر : سمير المرزوقي، جميل شاكر، مدخل إلى نظرية القصة، المرجع السابق، ص: 128.
(1) - رشيد بن مالك، مقدمة في السيميائية السردية، المرجع السابق، ص: 15. .

* - العلاقة الثانية بين د₁، د₂، د₃، لم يحدد في الكتاب تم إسقاطها. تمثل العلاقة التي تربط بين السيم (د₁) بسيم (د₂) هي علاقة ما تحت التضاد على حد تعبير ديوزا؛ لا يمكن أن نحدد العلاقة التي تجمع بينهما.

(2) - فيصل الأحمر، معجم السيميائيات، المرجع السابق، ص: 231.

(3) - محمد الناصر العجيمي، في الخطاب السردية نظرية غريماس (Greimas)، المرجع السابق، ص 93. - بتصرف -



يتحدد المضمون الأصلي للمحور، المتمثل في «المستوى السيميائي» السابق على التجلي النصي، في وجود حدين متقابلين قابلين للتداول، وحتى يمتلك هذا المحور القابلية للتداول، أي الإحالة على وضعية إنسانية معينة، يجب أن يفجر نفسه من الداخل وتتحوّل العلاقات التي يقيمها داخله إلى عمليات ممكنة، هي ما نسميه النفي أو الإثبات: إما أن نقوم بعمل نفي من خلاله الفقر، أو نسقط أفعالاً تفقد رجلاً من حالة الغنى إلى حالة الفقر.⁽¹⁾

تنبثق عن هذه العلاقة **العلاقة التراتبية** التي تكون بين د₁ و د، وبين د₂ و د من جهة المحور السيميائي المثبت وبين د₁ و د، وبين د₂ و د من وجهة المحور المنفي.⁽²⁾

ب- **العلاقات المقولاتية:** وتشمل هذه العلاقات على:

➤ **علاقة التناقض:** وهي علاقة قائمة بين د و د، وعلى مستوى أدنى من الجانب التدريجي بين د₁ و د₁، وبين د₂ و د₂، حيث يكون النقيض الممثل في النفي الذي يحقق الانتقال من د₁ إلى د₁، ومن د₂ إلى د₂، عملية النفي تبني أساساً على الاختيار بين أحد العنصرين. فلا يكون هناك عنصر ثالث في هذه العلاقة -علاقة التناقض- وعليه لا

(1) - سعيد بنكراد، ألبيرداس كريمة ترسانة السيميائية، 8 مارس 2017، الموقع الإلكتروني:

<https://www.alittihad.ae/article/>

(2) - محمد الناصر العجيمي، في الخطاب السردية نظرية غريماس (Greimas)، المرجع السابق، ص: 94.

الفصل الثالث: آليات إنتاج المعنى في السيميائية السردية المغاربية: المستوى العميق

بد من اختيار أحدهما⁽¹⁾، لأنه لا مجال للجمع بينهما أو إيجاد وسيط بينهما مما يتحتم اختيار بينهما.⁽²⁾

يعد بنكراد التناقض فضاء أولي مفترض، وليس حقيقة موضوعية مفترض وجودها على مستوى بنية الدلالة النصية، ولكنه ضروري لبناء دلالة أولية في بعدها التجريدي، تمثل الأساس الذي يمكننا من تصور مسار سردي يعمل على الربط بين السمين المشكلين للمحور أو للمستوى السيميائي، ضمن ضدية مقبولة. فلا يمكن أن نتصور مثلاً تحولاً آتياً من فقر إلى غنى دون أن يكون هناك ما يبرر هذا الانتقال، فنحن في حاجة إلى استحضار مسارات سردية، وم زمني تُستوعب فيه عمليات التحول من حالة إلى أخرى.⁽³⁾

➤ **علاقات التضمن:** تضمين هو نفس السمة لكن بشكل مختلف⁽⁴⁾، هي علاقة تربط بين D_1 ب D_2 ، D_2 ب D_1 ؛ أي تربط بين D_1 مثبت بالسيم D_2 منفي، وبين السيم D_2 مثبت بالسيم D_1 منفي، وتتولد هذه العلاقة بشكل طبيعي من خلال عملية النفي الحاصلة في علاقة التناقض، فيتضمن نفي D_1 تثبيت D_2 ."

يعتبر سعيد بنكراد هذه العلاقات والتعالقات النسقية الدلالية هي المتحكمة فيما بعد في المعنى، وتنظيمه لمجموع الحالات و التحولات الواردة في بنية ما. وأن هذا المحور الدلالي المنبثقة منه جملة العلاقات النسقية الدلالية هو بنية بسيطة قابلة للانفجار في أية لحظة لعناصر مشخصة، محمولة في داخلها في مستواها العميق، وقبل تحققها داخل نسق وسياق معين، قادرة على تكوين سلسلة من العلاقات الداخلية وإنتاج المعنى وجعله - أي المعنى - قادرًا على التدليل⁽⁵⁾، « إنها تجعل من وحدة معنوية ما كونا دلاليًا صغيراً

(1) - فيصل الأحمر، معجم السيميائيات، المرجع السابق، ص: 231.

(2) - محمد الناصر العجيمي، في الخطاب السردية نظرية غريماس (Greimas)، المرجع السابق، ص: 93.

(3) - سعيد بنكراد، ألبيرداس كريماس ترسانة السيميائية، 8 مارس 2017، الموقع الإلكتروني:

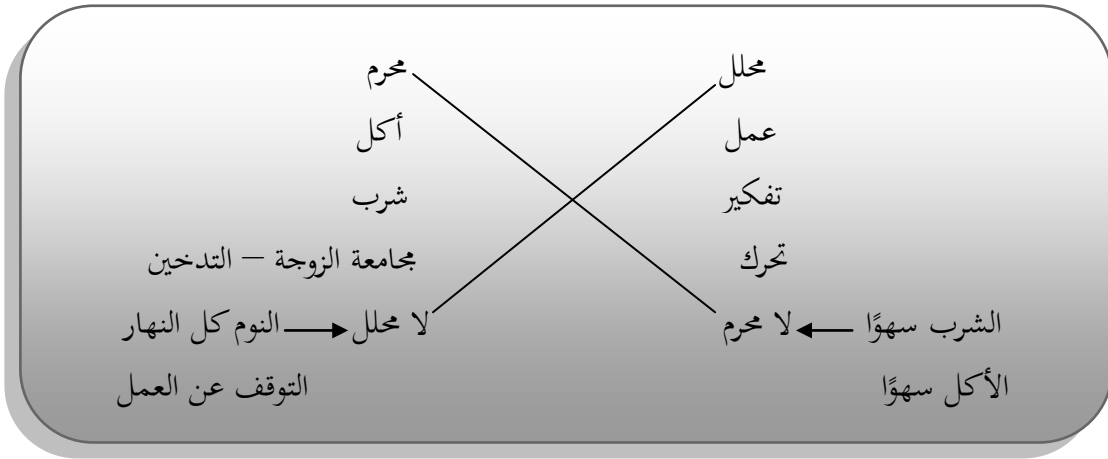
<https://www.alittihad.ae/article/>

(4) - محمد الناصر العجيمي، في الخطاب السردية نظرية غريماس، المرجع السابق، ص: 92.

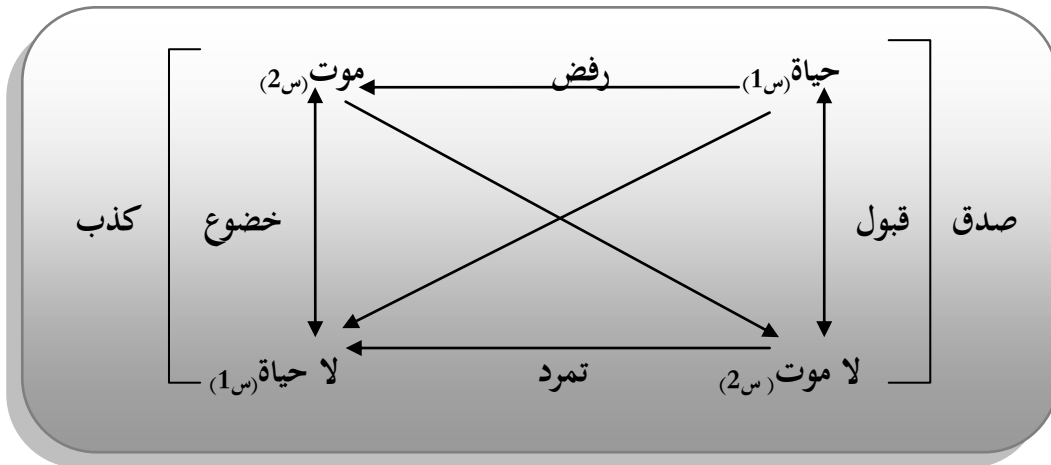
(5) - سعيد بنكراد، مدخل إلى السيميائية السردية، المرجع السابق، ص: 34.

الفصل الثالث: آليات إنتاج المعنى في السيميائية السردية المغاربية: المستوى العميق

أي نسقًا علائقيًا بسيطًا.⁽¹⁾ ونحقق لذلك من خلال مثال أدرجه الناقد بن مالك يبين فيه الدورة الدلالية للسيمي (محلل)، (محرم) في شهر رمضان⁽²⁾:



يلحق غريماش دلالات المربع السيميائي ببعدين دلاليين هما: **الصدق والكذب**، وهو مربع المصادقية الذي نحدد فيه على المستوى السطحي علاقة فاعل الحالة بموضوعه والحكم عليها بالصدق أو الكذب، على أساسهما يكون شكل المربع السيميائي على النحو الآتي:



(1) - سعيد بنكراد، مدخل إلى السيميائية السردية، المرجع السابق، المرجع نفسه، ص: 34.

(2) - رشيد بن مالك، مقدمة السيميائية السردية، المرجع السابق، ص: 15.

اتكأ غريماس في قراءته للمربع السيميائي على ثلاثة عناصر بنائية، هي:
"س₁، س₂"، مما أوحى للناقد بن مالك أنه التقط النص عند قراءته وتحليله
في أبعاد ثلاثة وهو التقاط ينسجم وطبيعة النموذج السردية، تتجسد هذه الأبعاد في⁽¹⁾:
(وضع أولي ← تحويل ← وضع نهائي)

إن رصد هذه الوضعيات ودلالاتها وعلاقتها المختلفة من داخل النص دون
الخروج عنه، هو رصد مستند إلى قواعد لسانية مركزة على أبرز أوجه الاختلاف بين
وحداته البنائية، والغور في عناصر النص الداخلية المنتمة إليه في ذاته دون التعدي إلى
سواها الخارجة عنه، والتي تدرك علاقاتها بمستوياتها الموحدة على الصعيد العميق.⁽²⁾ هي
إذاً علاقات ثابوية في النص تنطلق منه وتعود إليه.

وعبر المربع السيميائي يمكن تتبع المعنى كمعطى ثابت، يقوم على العلاقات المذكورة
ويمكن في الذات نفسه تصويره متحرك مولد للمعاني، تتحرك في دينامية المربع السيميائي
« فالتناقض كعلاقة شكلية ومنطقية (على مستوى الصرف) تصلح لبناء أزواج دلالية
متناقضة، العناصر يصبح عملية قصصية أو دلالية (على مستوى التركيب)، يترتب عنها
نفي عنصر وإثبات أو إقرار عنصر آخر، (هو في الواقع نقيض العنصر المرفوض
أو المنفي).»⁽³⁾

لو عندنا إلى تطبيقات المغاربة للمربع السيميائي نجدها في مصب واحد تنتمي إلى
الطرح الغريماسي، فمثلاً عبد الحميد بورايو قد طبقه في تحليل قصص من ألف ليلة وليلة
ففي إطار دراسة الحكاية الأم (قصة الملك شهريار) والقصص التي تتضمنها، ساق الناقد
دورين دالين هامين، حاملين لمقولات تأسيسية قاعدية في القصة الافتتاحية، والقصص
المتضمنة، هما دوري الغفلة والخضوع، ويمكن تجسيدهما في المربع السيميائي الآتي⁽⁴⁾:

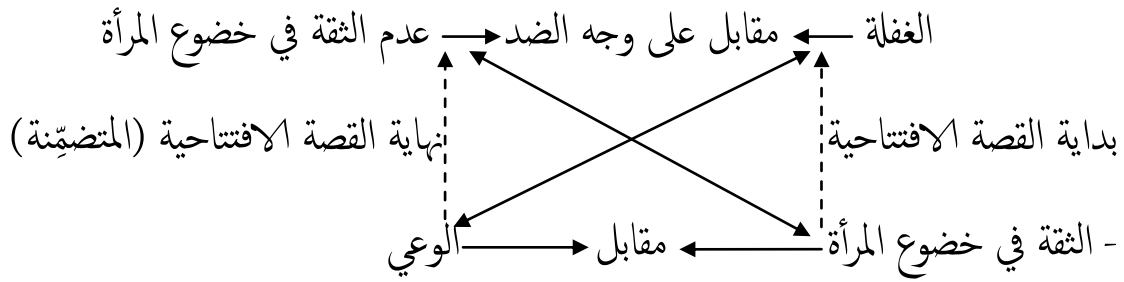
(1) - رشيد بن مالك، مقدمة السيميائية السردية، المرجع السابق، ص: 16.

(2) - المرجع نفسه، ص: 16.

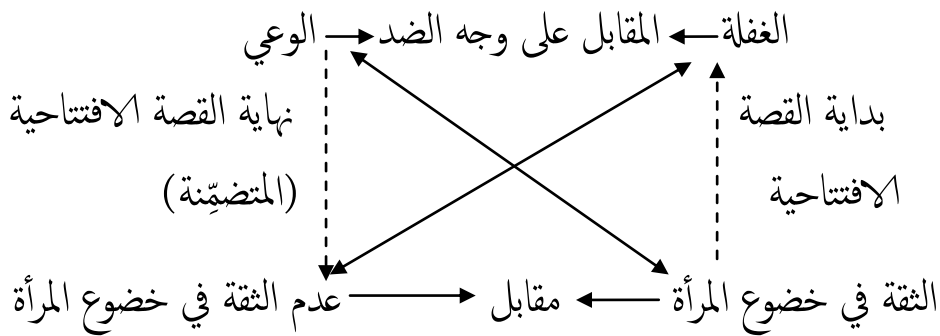
(3) - سمير المرزوقي، جميل شاكر، مدخل إلى نظرية القصة، المرجع السابق، ص: 127.

(4) - عبد الحميد بورايو، المسار السردية وتنظيم المحتوى، المرجع السابق، ص: 40.

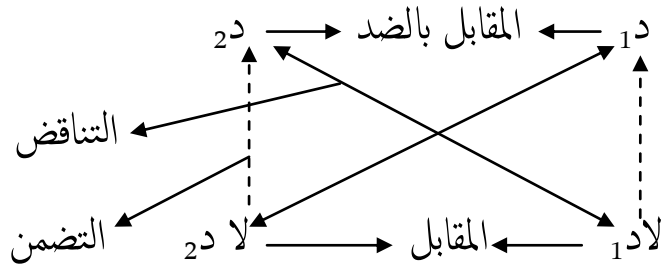
الفصل الثالث: آليات إنتاج المعنى في السيميائية السردية المغاربية: المستوى العميق



أعتقد أن المربع السيميائي لهذين الدورين يكون على نحو ما جاء به غريماش حيث السيم يطرح نقيضه حسب محور التضاد، وأرى أنه يجب قلب السهم بين عدم الثقة والوعي إلى الأسفل، كما يجب تبديل السمين المذكورين في الموضع أحدهما مكان الآخر فتنشأ بذلك دورة دلالية تامة للمحتوى الدلالي الذي تشترك فيه للقصص المدروسة، فيكون المربع كالاتي:



حيث أن الثقة في خضوع المرأة وُلد نوعًا من الغفلة من السلطة الحاكمة، التي تملك زمام الأمور في بداية مسرى الحكيم، ثم نتيجة للمسار التقهقري للأحداث وجدت حالة من الفطنة عند تلك السلطة الغافلة، حول ما يحاك وراءها، أوجد الوعي، أوصل هذا الوعي إلى عدم الثقة في خضوع المرأة، لنصل إلى الوضعية الختامية للقصة، حملت قرار إعدام كل فتاة ليلة الزواج بها من الحاكم. فتكون البنية الأساسية والتكوينية التي بنيت عليها الحكاية متعلقة بالغفلة، ونقيضها الوعي والثقة وعدمها والاستقرار بزواله. وهي عمق المعنى الذي يحمل نص الحكاية، ومسوغ قلب الأسهم، ومرتبة السمين ومخالفة الناقد بورايو في ذلك؛ أن القاعدة المنطقية للمربع السيميائي كما جاء بها غريماش تربط الدلالة الأساسية للمعنى بضعدها.



يؤكد بنكراد أنه عند القراءة بإجراء النموذج التأسيسي الحامل لبنية دلالية وجب عند الإمساك بكونها الدلالي رصد العلاقات التي يمكن أن تطرحها هذه البنية ضمن هذا النموذج، دونها الاهتمام بمادة التظاهر⁽¹⁾؛ وننظر لهذا المكون الدلالي انطلاقاً من نسق العلاقات التي يحددها المربع السيميائي، باعتباره تأليفاً تقابلياً لمجموعة من القيم المضمونية⁽²⁾. ولن ننظر لدلالته مقابلاً عن آخر، أو ما يطرحه هذا الكون الدلالي من مضمون بعينه والتدليل عليه في تركيبته النصية.

3.3 نقد المربع السيميائي:

يوجه الناقد عبد اللطيف محفوظ بعض الملاحظات حول المربع السيميائي، وحول العلاقات التي يطرحها، متسائلاً عن إمكانية استجابتها لمنطق تمفصل البنية العميقة المؤسسة للنصوص السردية والموجودة فعلاً فيها، وهل هي استجابة ملائمة أم فرض بروتوكولي يفرضه المنهج؟⁽³⁾

وتخلص إجابته إلى أنه قد يصل المحلل إلى مشكل كيفية مفصلة بنية أساسية إلى مقومين متضادين ينسجمان مع محتوى النص، ومشكل كيفية بناء علاقاتها على أوجه المربع الأربعة المجردة. مما يجعل المحلل يتخلى عن تلك الوحدة الأساسية الموجودة في النص غير قابلة لطرح التضاد، ويستبدلها بما يتناسب معها، وقابل للتمفصل إلى متضادين، فتكون البنية الأساسية لدلالة لنص ما إلى جانب أنها فرض خاص بالمحلل والقارئ، أنها مفروضة من القانون المنهجي إلى تطرحه النظرية.

(1) - سعيد بنكراد، مدخل إلى السيميائية السردية، المرجع السابق، ص 33.

(2) - سعيد بنكراد - سيميائيات السردية، المرجع السابق، ص 68. راجع كذلك الجيرداس جوليان غريماس، في المعنى - دراسات سيميائية -، ص ص 44-50.

(3) - عبد اللطيف محفوظ، آليات إنتاج النص الروائي - نحو تصور سيميائي -، المرجع السابق، ص: 141.

الفصل الثالث: آليات إنتاج المعنى في السيميائية السردية المغاربية: المستوى العميق

ويبين الناقد عبد اللطيف محفوظ أن المربع السيميائي عند تحديده البنية الأولية للدلالة يعمل على الكشف عن شكل بناء المعنى، قوامه الربط بين حدين أو سمين متضادين، وهي بنية اختزالية للمعنى افتراضية محضة، ناتجة عن فعل ذاتي لقارئ ما الذي يجرده البروتوكول المنهجي عن أي بعد أيديولوجي، وتخلصه من أي معنى مرجعي يمكن أن يسوقه للنص، واعتبر الناقد ذلك ميزة تحسب للبروتوكول المنهجي لغريماس الذي يلزم ضرورة تغييب المعنى الإيديولوجي، ليس للنص وحده، بل للذاتين المنتجة والمتلقية. ولكن يقع التناقض بين ما قيل سابقاً وما يحمله الوجه النظري للمنهج السيميائي السردية، الذي ينتج نحو ربط البنية العميقة بالأيديولوجيا، وهذا عند ربطها ولو تجريدًا بالذهن والسلوك الإنساني.⁽¹⁾

بالعودة إلى تصريح بنكراد الذي أوجب عند القراءة بإجراء النموذج التأسيسي الحامل لبنية دلالية وعند الإمساك بكونها الدلالي رصد العلاقات التي يمكن أن تطرحها البنية ضمن هذا النموذج المجرد، دونها الاهتمام بمادة تظهرها⁽²⁾؛ وننظر إليها انطلاقًا من نسق العلاقات المحددة في المربع السيميائي، باعتباره تأليقيًا تقابليًا لمجموعة من القيم المضمونية⁽³⁾. دون النظر أو ما يطرحه هذا الكون الدلالي من فكرة ومضمون بعينه والتدليل عليه في تركيبته النصية. وهذا ما يوصلنا إلى الإقرار بأن المربع السيميائي منطقي بالغ التجريد.

إن فكرة تجريد في المربع السيميائي لمجموع قيم وأبنية النص الدلالية، وربطه بالكون الدلالي العام للسلوك الإنساني، دون العودة للمضامين المعنوية الملقاة في النص؟ يجعل تلك الأبنية والقيم مجرد تصورات من النص أكثر منها مقارنة لمعناه. إن الذي يفرض تكون هذا المربع السيميائي هو وجود بعض المضامين غير متمفصلة في وحدات صغرى تعبر عنها⁽⁴⁾، والأمر يتعلق ببعض المضامين الفكرية والتصورات

(1) - عبد اللطيف محفوظ، آليات إنتاج النص الروائي نحو تصور سيميائي، المرجع السابق، ص 140. (أنظر أيضا هامش الصفحة)

(2) - سعيد بنكراد، مدخل إلى السيميائية السردية، المرجع السابق، ص 33.

(3) - سعيد بنكراد - سيميائيات السردية، المرجع السابق، ص 68.

(4) - المرجع نفسه، ص: 60.

الفصل الثالث: آليات إنتاج المعنى في السيميائية السردية المغاربية: المستوى العميق

الخارجية عن السياق، أي موجودة كمادة فكرية مثل: الشر، الخير، الموت، الحياة... دون أن تدخل ضمن سياق بعينه، يحدد وجودها ويجعلها ضمن وضعيات ملموسة للمعينة، من حيث مضامينها وأبعادها الدلالية. « بالإضافة إلى ذلك، فإن أي مقولة من هاته المقولات هي كما هي، في حدود ارتباطها سلبيًا بما ينفيا "الشر مثلاً" ومرتبطة إيجابًا بما يثبتها أو يدعمها»⁽¹⁾، من ذاك كانت المربعات السيميائية المرصودة في تحليلات الدارسين السيميائيين رسمًا لعالم خاص في مقابل عالم الناس، نلاحظ الاختلاف بينهما أو الاتفاق.

من هذه النقطة التي تمكن من رصد الاختلافات أو الاتفاقات بين العالم والمرسوم الخاص الحاضر في النصوص الأدبية وما يقابله في العالم الأناسي، يرى بنكراد جمالية الإبداع وشعريته في رسم المغاير لتصوير ومعتقد الغير المؤلف في واقعهم، ويكون العمل في المربع السيميائي حول إحصاء المضامين الأولية القابلة للتأويل.⁽²⁾

ليست في متناول الفكر الإنساني إدراك المضامين أو معرفة أي شيء منها إلا عند القدرة على تشخيصها في وضع بعينه، وتحريكها لتتجسد في سلوك ما، لذلك يمكن لهذه المضامين والقيم أن تشخص من خلال ما سماه بنكراد "تسريد النموذج التأسيسي" ويقصد به « منح الوجه المجرد للقيم المؤسسة للفعل السابق بعدًا تصوريًا »⁽³⁾، حيث تمكن هذه العملية من التحوّل بالمضامين التي هي خارج السياق والسيرورة الزمنية "المجردة" إلى أن تشكل قصة ما، تدرك جملة من بنياتها المشخصة لها، والتي تمنحها الوجهة التصويرية؛ تعمل هذه الوجهة على تحديد وجودها في وضعيات ملموسة معينة، كالزمان والمكان والشخصيات...⁽⁴⁾ فتصبح داخل النص مجسدة في بنيات سردية جاهزة لتحليل والقراءة.

(1) - سعيد بنكراد، السيميائيات السردية، المرجع السابق، ص: 60.

(2) - أحمد مداس، المعينات والموجهات في سمياء التواصل من تشكيل الخطاب إلى تضاد العوالم، مجلة السمياء والنص الأدبي، منشورات جامعة محمد خيضر، بسكرة، العدد 05، نوفمبر 2008، ص: 184.

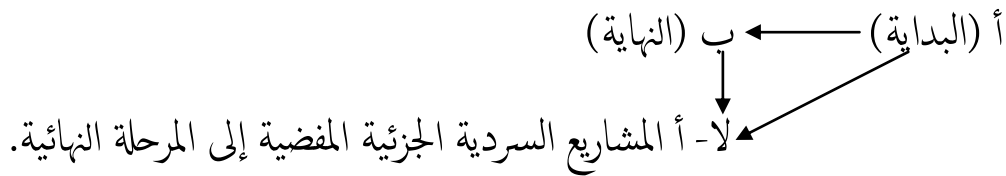
(3) - سعيد بنكراد، السيميائيات السردية، المرجع السابق، ص: 63.

(4) - المرجع نفسه، ص - ص: 63-64.

الفصل الثالث: آليات إنتاج المعنى في السيميائية السردية المغاربية: المستوى العميق

السؤال الذي يطرحه الناقد بنكراد على نفسه من خلال وجود النموذج التأسيسي و تسريده: كيف يمكننا خلق نص سردي انطلاقاً من بنية بسيطة غير مرتبطة بسياق معين؟

قبل العمل على بسط الأشكال والتطرق لإجابة الناقد، نفهم من سؤاله أن النموذج التأسيسي الذي به نستطيع خلق نص سردي ما هو إلا: الفكرة العامة التي تسبق وجود النص، والتي لا محالة سوف يدور حولها النص السردي، وتتكوّن بنياته السردية في حدودها، فكأن النموذج السردي أو المربع السيميائي شرطاً من شروط وجود السردية التي تظل الهدف المركزي للتحليل، وتمثل قطب المقاربة المنجزة⁽¹⁾، لتمثلها إنتاج الدلالات والمربع السيميائي حامل لها كمضامين مجردة، فتجيء العلاقة بينهما طردية، لذا أوجب الناقد تسريد النموذج التأسيسي ليصبح بنية مؤسسة للكون السردي في شكله المنظم المنطقي وقد كان قبلاً -النموذج التأسيسي- يمثل الفعل المسبق للتجلي عن البنى السردية والتشخيصية للمحكي، وهنا تكمن إجابة الناقد عن سؤاله السابق الذكر، إذ يمكن خلق نص سردي من بنية بسيطة ليست مرتبطة بأي سياق من خلال عملية التسريد « أي من خلال إعطاء بعد سردي لمقولة بالغة العمومية والتجريد.⁽²⁾ ويكون نظام البنية السردية في مستواها العميق كالاتي⁽³⁾:



تشكل هذه الخطاطة جزئية من المربع السيميائي المفضي إلى إنتاج الدلالة، وقراءتها في مستواها العميق، وعليه فإن انتظام البنية السردية يبني على رصد الوضع البدئي وتتبع تغيراته نحو وضع مخالف، يكوّن في النهاية وضع نهائي في تلك البنية، وعليه يكون

(1) - جورج موراند، الغراب والتعلب مقارنة سردية خطائية، تر: عبد الحميد بورايو، مجلة السيمياء والنص الأدبي،

منشورات جامعة محمد خيضر، بسكرة، العدد 03، أفريل 2004، ص: 04.

(2) - سعيد بنكراد، السيميائيات السردية، المرجع السابق، ص: 64.

(3) - محمد الناصر العجيجي، في الخطاب السردي نظرية غريماش، المرجع السابق، ص: 36.

الفصل الثالث: آليات إنتاج المعنى في السيميائية السردية المغاربية: المستوى العميق

الوضع البدئي مخالفًا للوضع النهائي المتطور منه، في كل بنية سردية يتم رصدها في مستواها العميق.

وعبر البنيات السردية وملفوظاتها التي تثبت عملية التسيّد للنص، والنموذج التأسيسي المبني على تمفصلات الدلالة القائمة على التقابل الدلالي، وحين القبض عن المعنى تثبت هذه البنيات أنه بالإمكان قبول التقابلات فيها؛ بمعنى أن وجود التقابل لا يعني بالضرورة إقصاء معنى لآخر فوجود الحياة المقابل للموت، قد يجتمعان في سيرورة سرد بنياته الدلالية، وعملية التسيّد التي تحمل التباشير الأولى للتحوّل المضموني⁽¹⁾ المحدد من خلال تمفصل الدلالة في وحدات تقابلية (الحزن، الفرح، السعادة، التعاسة،...) والمحدد ضمن البنيات السردية المنتمة إلى مسار توليدي للمعنى.

وما يؤكده كوكي وكلوديل في أن الحكاية لا تبنى على جمع الصور على هيئة ما أو كيفما اتفق، إنما تقوم على بسط متدرج، وفق نظامٍ وتأليفٍ لمجموع العناصر والأشياء التي تخرج عن حيزي الزمان والمكان، ويكون ذلك عبر النموذج التأسيسي، إذن «تقتضي الدراسة في مرحلة من مراحلها فك سنن السرد، بإعادة بناء مجموعة العمليات المعنية»⁽²⁾ ومن ثم «ينشأ بناء نحوي على جانب من التعقيد وهو موضوع دراسة السردية المولدة بدورها من البنية العميقة والمكيفة بها»⁽³⁾، ويقوم هذا النحو السردى على وجود آليات أساسية ثابتة منتظمة في أنسقة معنية، تسيّر وتحكم التحولات والتغيرات الحاصلة في مسرى السرد تسمى بالعوامل: Actants. والتي وفق العلاقات التي أنتجتها في المسرى السردى، والعمليات المحققة في نحوه، ستمثل الآليات الدارسة لها البعد المتوسط من أبعاد التحليل السيميائي السردى، المعروف بالمستوى السطحي والشامل للمكونين: السردى والخطابى، وهما موضوع الفصل المقبل.

(1) - سعيد بنكراد، السيميائية السردية، المرجع السابق، ص: 64.

(2) - محمد الناصر العجيمي، في الخطاب السردى نظرية غريماس (Greimas)، المرجع السابق، ص: 36.

(3) - المرجع نفسه، ص 36.

الفصل الرابع

إنتاج المعنى في السيميائية السردية المغاربية:

المستوى السطحي

تمهيد:



تتطلب القراءة المنهجية لأي منهج، ونخص منها السيميائية السردية، تطويع إجراءات المنهج، وتسهيل مفاهيمه وكشف مقولاته للقارئ، بدءاً بالتأصيل له، ثم تعريفه بجهازه الاصطلاحي، وصولاً لتمكينه من مستوياته وإجراءاته التحليلية، ومقومات تطبيقه التي تتيح له تطويق المسارات الدلالية الممكنة لاختراق النصوص، فتمنحه التجانس الدلالي في ظل هذا التيار السيميائي المختص بالسرد.⁽¹⁾

وإن تفسير إجراءات المستوى السطحي، والكثير من مقولاته المتعلقة بتبيين كيفية إخراج المعنى من بنائه الخطابي السردية، المتموقع في منطقة البين بين من النص أي بين مستوى التجلي مستوى المحايث المضمرة، سوف يتم بالعود إلى أهم أعمال المتخصصين المغاربة في هذا المنهج، والوقوف على نظرياتهم المستمدة من مواطنه الغربية خاصة تلك التي جاء بها غريماس.

وقد بيننا في الفصل السابق أن بؤرة البحث والتحليل في المستويين السطحي والعميق تدور حول البنية السردية، المعبرة عن « بنية ضمن نظام المحكي، منبسطة بشبكة من العلاقات الواسعة، داخل الخطاب، كونها ظاهرة لتتابع الأحداث من حالات وتحولات، ترمي إلى استخلاص الدلالة، انطلاقاً من الوحدات التعبيرية المكونة لها.»⁽²⁾ وير تحليل هذه البنيات السردية في المستوى السطحي بإجراءات مجهزة، منطقية تخضع البنيات لقواعد مسبقة، يمكن من خلالها تدبر المعنى، وتوليد احتمال دلالي للنص السردية المدروس عبرها.

(1) - رشيد بن مالك، البنية السردية في النظرية السيميائية، دار الحكمة، الجزائر، 2001، صص: 7-8.

(2) - نادية بوشفرة، مباحث في السيميائية السردية، المرجع السابق، ص: 32.

آليات إنتاج المعنى عبر المستوى السطحي:

يهدف التحليل السيميائي إلى دراسة مدلول الخطاب، وبناء الشكل السيميائي لمضمونه، وتمر خطوات تحليل هذا الشكل (*) ضمن المستوى السطحي في المنهج السيميائي السردى عبر مكونين:

أ- المكون السردى.

ب- المكون الخطائى.

I. المكون السردى:

يجسد هذا المكوّن النحو السردى للنص، المتمظهر في الوجه السطحي، المبني على مجموعة العلاقات والعمليات للوحدات الحاملة للمضمون والمجلية له، و« يشرع في تحليل نص ما عادة بدراسة المكوّن السردى، إذ أن تنظيمه مركب وآلياته متعددة... وهذا راجع لكون البنى السردية داخل النصوص هي التي تتكفل بالمضامين التي تقدمها اللغة وتنظمها، بينما التحليل الخطائى يصف حالة هذه المضامين وشكلها.»⁽¹⁾

ينعقد هذا المكوّن في إجراء تحديد البرامج أو البرنامج السردى، ومجموع الحالات والتحويلات المشكلة لوضعيات المجرى الدلالي للمحكي، وصولاً إلى الترسمة العاملة، وما تحمله من تبسيط لحركة السرد، واشتغال الفواعل ضمن الأحداث المبرمجة فيه، ورصد عمليات تشكل المعنى عبر الذوات النشطة داخل المسرى التوليدي للنص المسرود، من خلال دينامية النموذج العاملى المقابلة لنحو الدلالة العميق- المربع السيميائى- بمنطقيته وتجريده.

يعمل المكوّن السردى على وصف البنيات السردية ضمن أشكال كونية عامة للحكي، مما يكسبها نوعاً من الاستقلال من حيث التنظيم - لأنه تجريدي- ومن حيث الوجود- لأنه كوني- يصلح لكل النماذج والسلوكات الإنسانية- فتصير بذلك هذه البنيات السردية شبيهة - بتشبيهه بنكراد- الوعاء الذي تصب داخله المضامين الخاصة بالنص، أي

* - يحوي مضمون خطاب ما على نوعين من الأشكال: الأشكال السردية المولدة للمكون السردى، والأشكال الخطائية المولدة للمكون الخطائى. أنظر: فريق إنتروفر، التحليل السيميائى للنصوص، المرجع السابق، ص-ص: 125-126.

(1) - المرجع السابق، ص: 126.

نص. ولا يمكن أن نحدد النصوص من خلال مقولات المكون السردية فقط، لأنه شكل تجريدي يستقطب أي نوع من المضامين، شكل مسبق يُسَقَط على مختلف النصوص إنما نحددها أيضًا من خلال بنيتها الخطائية المحققة لهذا الخطاب.⁽¹⁾ أولى إجراءات المكون السردية المعالجة للبعد الدلالي للنصوص، والتي سنتبعها من كتابات النقاد المغاربة، **الملفوظات السردية.**

1-الملفوظات السردية: فمنها تمر جل آليات التحليل السطحي للخطاب السردية. وبها تحدد العمليات السائرة في النص.

1.1 تعريفها:

ينتسب مصطلح الملفوظ بشكل كبير إلى الوجهة اللسانية، ويطلق في الأصل للدلالة على إنتاج فعل التلفظ، ويعده بنفنيست تسخيرًا للغة بواسطة الفعل الفردي المستعمل له، والمنتج من خلاله جملة الملفوظات المعينة القصديّة بحسب فكر وتصوير المتلفظ لها. ويعتبر الملفوظ على مستوى أعلى وحدة مساوية للنص والخطاب، باعتباره متوالية لغوية منوطة بقصد أو مقاصد ذات المتلفظ، والتي تبني كيانًا لنوع خطاب محدد (قصة، مقال، نشرة جوية...)⁽²⁾

وحسب غريماس القصة هي ملفوظ إجمالي، منتج من ذات ساردة، يمكن تقسيمه إلى سلسلة من الملفوظات السردية المتتابعة -بما يعادل الوظائف عند بروب- حيث إذا منح للفعل في الملفوظ دور الوظيفة يمكن تحديد الملفوظ كعلاقة بين الفواعل التي تشكل⁽³⁾ فتحدد الملفوظات السردية من خلال تقصي بنيات الخطاب السردية، التي تتمثل في مجموع الملفوظات المتسلسلة المتتابعة، الموظفة لجملة من الأفعال والانجازات الهادفة نحو تحقيق الموضوع. و يتم عبر التحويل السردية الذي يضم آليات تحكم الدورة الدلالية للنص - تحكم المربع السيميائي- الانتقال من المستوى العميق إلى السطحي⁽⁴⁾

(1) - سعيد بنكراد، السيميائيات السردية، المرجع السابق، ص: 145.

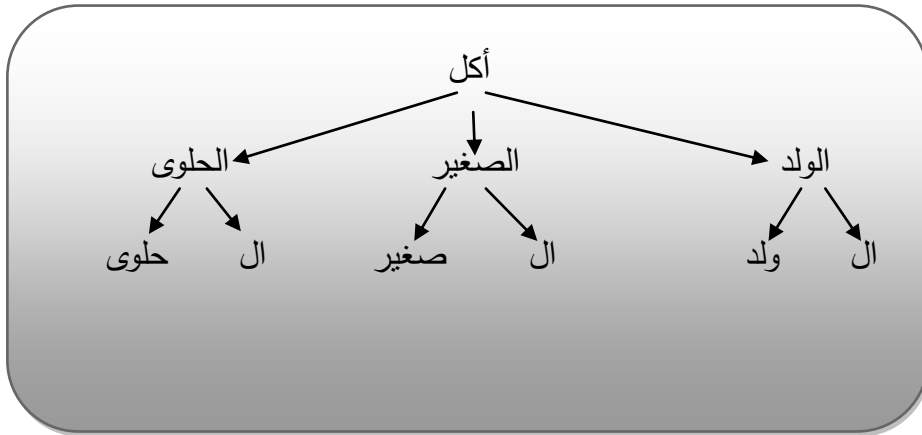
(2) - دومينيك موتقانو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، تر: محمد بيجاتن، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط01 2005، صص: 47-48.

(3) - الجيرداس جوليان غريماس، الفواعل، الممثلون، الصور، تر: عبد الحميد بورايو، ضمن كتاب: الكشف عن المعنى في النص السردية النظرية السيميائية السردية، المرجع السابق، ص: 26.

(4) - رشيد بن مالك، مقدمة في السيميائية السردية، المرجع السابق، ص: 17.

المنعقد في مكونين سردي خطائي، فيها يرصد الملفوظ السردى. يشير مفهوم الملفوظ السردى لنفس معنى الملفوظ اللساني، إذ يشير الأخير إلى كل سلسلة منتهية من الكلمات، في لغة ترسل وحداتها من قبل متكلم واحد أو متكلمين كثيرين، وإن إقبال ملفوظ يتم بالسكوت لمدة قبل وبعد تتابع الكلمات المتلفظ بها، وأن "نعم أو بلى أو لا" تعد ملفوظات كلما حققها السياق لذلك، مثلها مثل أي خطاب متصل في فقرة أو قصة أو كتاب بأكمله⁽¹⁾. كذلك الأمر بالنسبة للملفوظ السردى، فهو سلسلة متتابعة من الحالات والتحويلات وكلما سنحت فرصة تحديده بدايةً ونهايةً، زماناً ومكاناً كوحدة دلالية تامة شكّل مقطوعةً سرديةً أو برنامجاً تاماً، ضمن النص السردى ككل.

وقد عمل الناقد بن مالك على فحص الملفوظ السردى من منطلقات لسانية، لتبيان عمل الآليات اللسانية في مقولات النظرية السيميائية. وتتجلى المقومات اللسانية في بنية الكون السردى من خلال منطلقات جوزيف كورتيس، الذي أعطى تحديداً للملفوظ الأولي بناءً على ما جاء به لوسيان تينير حول الجملة البسيطة، حيث لاحظ مركزية الفعل في الجملة الفعلية، ووضح عمله في الخطاطة التشجيرية الآتية⁽²⁾:



(1) - عبد الجليل مرتاض، اللسانيات الأسلوبية، المرجع السابق، ص: 192.

(2) - رشيد بن مالك، مقدمة في السيميائية السردية، المرجع السابق، ص: 17.

- وأهم ما جاء في أبرز كتاب للوسيان تينير المعنون بـ (عناصر علم التراكيب البنيوي) سنة 1959، وكان دعامة لما أورده غريماس في نظريته، الآتي⁽¹⁾:
- عرض تمثيلي هندسي للجملة في شكل تشجري يشبه تمثيل التوزيعيين
- أطلق عليه اسم ستيا (stemma)
- ميز بين التركيب الخطي البارز للجملة والتركيب البنيوي الباطني.
- هو أول من تعرض في هذا الكتاب إلى مفهوم البنية السطحية والبنية العميقة للجملة قبل التوليديين في أمريكا، والتميز بين البنيتين في النحو التوليدي.
- المستويات الثلاثة من الحكم، ويستند النموذج على التمييز بين النظام الخطي والنظام الهيكلي للحكم. النظام الخطي، ذو بعد واحد، ويتم ملاحظته، في حين أن النظام الهيكلي متعدد الأبعاد ومخفي.
- ويشتمل الملفوظ السردية في النقد السيميائي السردية على نوعين: ملفوظات الحالة وملفوظات التحول.

2.1 ملفوظات الحالة والتحول:

- يتم رصد المركبة السردية أو الخطاطة السردية – والتي من خلالها نضبط البرنامج السردية والترسيمي العاملة- من خلال الوقوف على ملفوظات الحالة وملفوظات التحول وتوالي ترتيبها في سيرورة السرد، وهي ملفوظات لا تشكل لوحدها بناء النص، ولا تغطي جملة كاملة، لورودها تحت كلمات وعبارات وجمل بأشكال متنوعة بالقدر الذي يعطي المعنى المطروح، ولهذا نفرق في التحليل بين⁽²⁾:

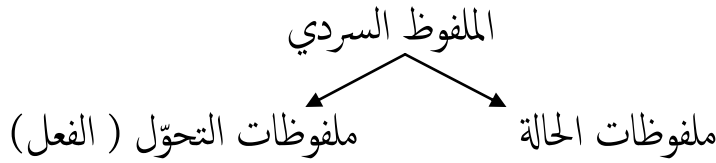
- **مستوى الظهور:** وهو المستوى الذي نقرأ من النص.
- **مستوى البناء:** حيث العناصر التي تنتمي للنحو السردية.

(1) - محمد الأمين شيخة ، المدونة الأكاديمية للأدب والنقد ، 23 أغسطس 2014 ، الموقع الإلكتروني:

[/http://dr-cheikha.blogspot.com/2014](http://dr-cheikha.blogspot.com/2014)

(2)- جمال حضري، سيميائية النصوص – عرض وتطبيق منهجي-، المرجع السابق، ص: 14.

فجمل النص تنتمي لمستوى الظهور، بينما ملفوظات الحالة والتحويل تنتمي للمستوى المبني⁽¹⁾، مشكلة الملفوظ السردية في النص الأدبي، ذي الطبيعة المتميزة بالانتقال من حالة إلى أخرى، بموجب الفعل التحويلي الذي يؤديه الفاعل القائم به، التي مكّنت - وتقصد طبيعة النص السردية - لغريماس من « وضع تصنيف أولي للملفوظات السردية باعتبارها أصغر الوحدات الخطائية المكونة للنص السردية »⁽²⁾ تجسد في:



يعتبر الملفوظ السردية قلبًا للعمليات المصاغة عبر النحو الأصولي العميق للقيم المجردة، مما يجعلها قابلة للتمظهر في شكل تعبيرية أو فرجة، فيكون الملفوظ السردية عبارة عن عملية إدخال القيمة ضمن حركية الزمن التي تكشف عنها الطاقة السردية.⁽³⁾ عليها ينبنى التحليل السيميائي السردية، وهذا عند التمييز بين الحالات التابعة للذات والتحويلات التابعة للفعل.⁽⁴⁾ الأمر الذي أهّل ملفوظات الحالة والتحول، أن تكونا آيتين في التحليل السيميائي، يتم بهما تتبع الملفوظات السردية، ورصد جملة العلاقات القائمة بين العوامل المشكلة للنص السردية، وتحديد وجهته الدلالية الممكنة.

تعرف:

أ- ملفوظات الحالة (énoncé d'état): على أنها تعبير عن الوضعية الأولى، أي الحالة التي قدّم بها السارد الشخصية⁽⁵⁾، تدل في النظرية السيميائية السردية على الكينونة "être" مثل: (وجدت زيدًا مريضًا)، أو الملكية أو الملك "avoir" ك: (يملك زيد ثروة).⁽⁶⁾ يتم التلفظ بها من خلال صيغ الوصف المعبر عنها كما ذكرنا بالصيغتين

(1) - جال حضري، سيميائية النصوص - عرض وتطبيق منهجي -، ص: 14.

(2) - عبد القادر شرشار، مدخل إلى السيميائية السردية، المرجع السابق، ص: 49.

(3) - سعيد بنكراد، السيميائيات السردية، المرجع السابق، ص: 106.

(4) - رجال حضري، سيميائية النصوص - عرض وتطبيق منهجي -، المرجع السابق، ص: 14.

(5) - شادية شقروش، سيررة الدلالة وإنتاج المعنى، المرجع السابق، ص: 8.

(6) - رشيد بن مالك، البنية السردية في النظرية السيميائية، المرجع السابق، ص: 11.

"être" و "avoir" في حين تمتلك اللغة العربية صيغ متعدد للتعبير عنها.⁽¹⁾
 بصورة أوسع يعبر مفهوم الحالة عن وضع- وضعية- مظهر- آل و المال...، إلى جانب تأطير الحالة الوظيفة التي تربط الفاعل بالموضوع؛ بمعنى «تستعمل للدلالة أيضًا على العلاقة / الوظيفة [و/ف] التي تربط الفاعل بالموضوع: [ف.م]: و [ف.م]»⁽²⁾
 إجمالاً، إن الحالة التي هي تابع متصل بالذات، وبالنظر إلى الوضعية القائمة بين الفاعل والموضوع هي علاقة تتحدد عند ضبط الصلة القائمة بينهما في تلك الوظيفة فتتعلق ملفوظات الحالة بعلاقة الوصل أو الفصل القائمة بين الذات والموضوع، وأي تحول في هذه العلاقة يشير مباشرة لملفوظات التحول⁽³⁾، و«ارتكازًا على مفهوم الوظيفة/ الصلة يمكن أن نصوغ ملفوظ الحالة على النحو الآتي: و/صلة [ف.م]»،⁽⁴⁾ فمن خلال العودة إلى مفهوم الوظيفة نعلم أن هناك صلة بين الفاعل والموضوع، تحدد حالته ووضعيته الأولية في مسار المحكي، وهي كما ذكرنا آنفًا إما وصل أو فصل. فيلزم من ذلك ملفوظين للحالة⁽⁵⁾:

● **ملفوظ حالة اتصال:** يكون عامل الذات متصلًا بعامل الموضوع، نشير إلى ذلك

بالرمزية الآتية: ع ذ n ع م

● **ملفوظ حالة انفصال:** يكون عامل الذات منفصلًا عن عامل الموضوع، نرمز لذلك

ب: ع ذ u ع م

ب- **ملفوظات التحول (énoncé du faire):** تعبر عن الحالة التي آلت إليها الذات، وما بين الحالة والتحول يمكن أن يتجلى الجدل والصراع. والتحوّل يعبر عن الفعل، ويتصل به على نمط الصيغة الفعلية "فَعَلَ"، وكل « فعل يحتوي بشكل ضمني أو صريح على إمكانات توليد سيرورة دلالية، قد تطور في اتجاهات لا حصر لها ولا عد، وتلك أيضًا

(1) - جال حضري، سيميائية النصوص - عرض وتطبيق منهجي -، المرجع السابق، ص: 14.

(2) - رشيد بن مالك، البنية السردية في النظرية السيميائية، المرجع السابق، ص: 11-12.

(3) - عبد المجيد العابد، مباحث في السيميائيات، المرجع السابق، ص: 35.

(4) - رشيد بن مالك، البنية السردية في النظرية السيميائية، المرجع السابق، ص: 12.

(5) - عبد المجيد العابد، مباحث في السيميائيات، المرجع السابق، ص: 35.

سمات المحكي...، كل فعل هو في الأصل قصة ممكنة لأنه يجيل على كم زمني محتمل.⁽¹⁾ والقائمة مفتوحة على جل الأفعال المؤدية إلى حدث أو حدوث عمل يغير الأحوال.⁽²⁾ يعتمد في إدراك التحويلات الحاصلة في النص السردى على ملفوظات الفعل، كما « يستمد ملفوظ الفعل (و/تحويل [ف.م]) علة وجوده من التحويل، ويعمل على الوصلات والفصلات التي تقوم بين الفاعل وموضوع القيمة، وتشتغل ضمن مسار سردي يبدأ بوضع أولي يفضي إلى وضع نهائي.⁽³⁾ وتعتبر مقولة التحويل من الخطوات الأساسية المقننة، والإجراءات الأولية للقبض عن المعنى وتحديدته. كما يتم تحليل النص وتفكيكه بالاعتماد على ملفوظات الحالة والتحول والتي في تتابعها تحقق السردية وإنتاج المعنى.

3.1 وضعيات الملفوظات السردية:

توضح ملفوظات التحول أو الفعل عملية الانتقال الحاصل من حالة إلى أخرى، والمتعلقة بدورها بصفتي الوصل والفصل، مما يجعلنا نقف على شكلين من التحوّل⁽⁴⁾:

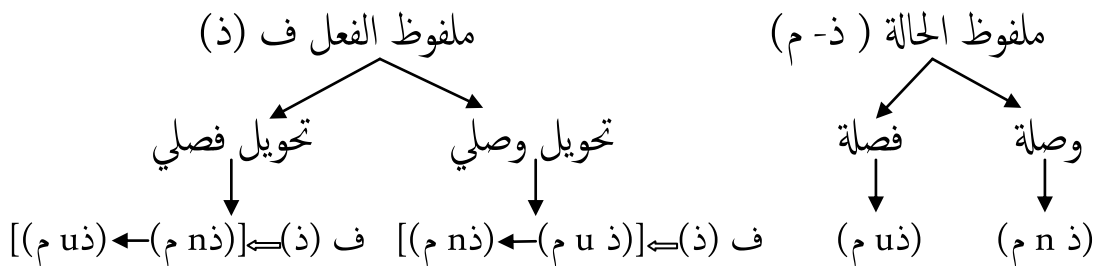
- تحوّل اتصالي: هو تحول من حالة الانفصال إلى حالة الاتصال، يرمز له:

ع ذ u ع م ← ع ذ n ع م

- تحوّل انفصالي: يعنى بالتحول بالانتقال من حالة الوصل إلى حالة الفصل، وفق الرمزية الآتية:

ع ذ n ع م ← ع ذ u ع م

ونختزل وضعيات ملفوظات الحالة والفعل في التعبير الرمزي الآتي⁽⁵⁾:



(1) - سعيد بنكراد، سيميائيات سردية، المرجع السابق، ص: 54.

(2) - جمال حضري، سيميائية النصوص - عرض وتطبيق منهجي، المرجع السابق، ص: 14.

(3) - رشيد بن مالك، البنية السردية في النظرية السيميائية، المرجع السابق، ص: 12.

(4) - عبد المجيد العابد، مباحث في السيميائيات، المرجع السابق، ص: 35 - 36.

(5) - جمال حضري، سيميائية النصوص، المرجع السابق - عرض وتطبيق منهجي، ص: 19.

يستوجب لتحقيق عملية التحويل وجود فاعل منفذ للتحويل، الذي هو عبارة عن أدوار وليس في الواقع شخصية ماثلة، وحتى الموضوع الذي يسعى إلى تحقيقه ليس شيئاً محددًا بل أدوارًا، مفاهيم، وضعيات تركيبية تحكمها علاقة تضاييف (*). وبالقيم التي تحكم المواضيع تحدد درجة الصراع والتنافس بين العوامل⁽¹⁾، في البرامج السردية المشكلة للنص، والتي يسعى كل طرف فيه لامتلاك الموضوع القيمي وحيازته.

تؤطر عمليات الوصل والفصل التي تربط الفاعل بموضوعه القيمي ضمن المسار السردى المخصص للفاعل، حيث يبدأ من وضع بدئي أولي ثم ينتقل إلى آخر نهائي، وفق المتابع والاختلاف، ويكشف ذلك الزمن الحكائي المحدد بمفهومي: قبل/بعد والمبين لثنائية: الثابت والمتحول⁽²⁾. وأكثر ما يحدد خط سير المحكي المقنن والمنطقي، ويضبط بنائه التصويري ملفوظات التحول، التي هي بمثابة المقولات المركزية في السيميائية السردية⁽³⁾.

نتمكن بالتمييز بين الحالة والتحول من التحليل السردى، وما ينجر عن هذا التمييز من تحديد وضعيات تخضع لإجراءات المنهج السيميائي السردى القرائية، تكشف بها دلالة النص السردى ومعناه. ومن خلال تعيين ملفوظات الحالة والتحول عبر المسرى السردى للفاعل نتمكن من رصد برنامج السردى والبرنامج الضديد له.

الجدير بالذكر، أننا لمسنا في بعض أطروحات الناقد بن مالك التحليلية و الشارحة غموصًا من حيث توصيل المفهوم برمز دال عليه، فمثلاً قوله أن الحالة هي دلالة على علاقة الوظيفة (و/ف)، سيجد عناءً ولو نسبي في فهم دلالة هذه الرموز، والصلة بينها تحتاج إلى توضيح وتبسيط، ضف إلى ذلك أنه إذا أردنا أن نحلل هذا الطرح الرمزي (و/ف)، سنقول إن (و) الوظيفة، (ف) الفاعل كجزئيات المعادلة، لكن البعد النظري والنقدي لها كان على الناقد تزويدنا به. ذلك أنه يجب كخطوة منهجية التحديد لمفهوم

* - العلاقة التي حددها بن مالك المتمثلة في علاقة التضاييف هي في الحقيقة من المفاهيم التي لم أجد لها حساب سير بحثي إلا عند الناقد بن مالك دون غيره من المغاربة، والتي لم أستطع فهمها، تحتاج إلى توضيح من قبل الناقد حتى يتسنى للقارئ استيعابها وتحديدتها عند تحليل النصوص وفق المستوى السطحي.

(1) - رشيد بن مالك، البنية السردية في النظرية السيميائية، المرجع السابق، ص: 15.

(2) - عبد القادر شرشار، مدخل إلى السيميائية السردية، المرجع السابق، ص: 49.

(3) - شادية شقروش، سيررة الدلالة وإنتاج المعنى، المرجع السابق، ص: 8.

الوظيفة إذ بها نستطيع أن تميز أن هناك علاقة شاملة بين الفاعل والموضوع القيمي، وأن الحالة في وجه من وجوه تعريفها هي العلاقة التي تبين وضع الفاعل بموضوعه.

2- البرنامج السردى : يجب أولاً الوقوف على تعريف البرنامج السردى والتعرف على المقصود منه، وبعدها نتدرج إلى تبيان الوضعيات التي يتخذها داخل النص المحكى.

1.2 تعريف البرنامج السردى:

إن كانت البنى السردية تمثل سلسلة تتابع الحالات والتحويلات الماثلة في الخطاب والمسؤولية عن إنتاج المعنى⁽¹⁾، فإن البرنامج السردى يمثل الإجراء المتعلق بهذه البنى السردية، يعبر المعنى على المستوى السطحي، يقصد به « تتابع الحالات والتحويلات التي تتعلق بالذات والموضوع داخل المسار التوليدي». ⁽²⁾ فيختص البرنامج السردى بمشروع الفاعل الراغب في موضوعه القيمي، تحده مجموع الحالات والتحويلات الخاصة بهذه الذات.

وحتى تدخل هذه الملفوظات في بناء البرنامج السردى، وتتمكن من رصده وجب أن تكون ذات تسلسل وتتابع، وفق انتظام يؤهلها لبناء مشروع سردى، فتشكل إداً « سلسلة من الحالات والتحويلات، المنتظمة على أساس العلاقة الرابطة بين الفاعل والموضوع وتحويلها». ⁽³⁾ ويرتكز رصد البرنامج السردى أكثر على ملفوظات فعل « بوصفها تحويلات تحكم ملفوظات الحالة، وتشكل في الوقت نفسه البرامج السردية». ⁽⁴⁾

تؤدى هذه البرامج السردية من طرف الذات المشكلة لحالات وتحويلات المتن الحكائى، والمرصودة منه، تنقسم بدورها إلى نوعين، نميز بينهما من الملفوظات السردية للبرامج سردية، حيث:

● ذات الحالة: وهي التي تعرض الحال، تكون في حالة وصل أو فصل مع الموضوع القيمي⁽⁵⁾، وتتحدد المعادلة الرمزية الملفوظ الحالى في: (فا₁ n م أو فا₁ u م).

(1)- محمد القاضي وآخرون، معجم السرديات، المرجع السابق، ص: 245.

(4)- جميل حمداوي، السيميوطيقا السردية- من سيميوطيقا الأشياء إلى سيميوطيقا الأهواء-، المرجع السابق، ص: 98.

(3) - المرجع نفسه، ص: 24.

(4) - المرجع نفسه، ص: 22.

(5)- جمال حضري، سيميائية النصوص -عرض وتطبيق منهجي-، المرجع السابق، ص 16.

● **ذات الانجاز:** وهي الفاعلة المنجزة للفعل، المنفذة للتحويل الحاصل لذات الحالة، تُحدث تحولات في المسار السردى، وتسمى أيضًا ذات الفعل وتكون لها علاقة مع الانجاز الذي تحقّقه، يشار إليها في ملفوظ التحويل بتحديد علاقتها مع الفعل القائمة به. ونصوغ التحويل كآتي⁽¹⁾:

[ف (فا) ← (فا u م) ← (فا n م)]
 فعل التحويل ملفوظ الفعل الفاعل أو عامل الذات

ينبغي في البرنامج السردى عند رصد الذات رصد الموضوع القيمي، الذي تسعى هذه الذات لتحقيقه، يكون مشروع بحثها، عليه يعقد البرنامج السردى، وتكون الذات الساعية لتحقيقه إما في حالة اتصال به وتريد الانفصال عنه، وإما في حالة انفصال عن موضوعها وتريد الاتصال به، « فإذا كانت الذات متصلة بالموضوع في بداية السرد وانفصلت عنه في نهاية السرد، أو العكس نقول أن السارد شكل برنامجًا سرديًا.⁽²⁾ وعملية الانتقال من حال إلى أخرى تكون بفعل أو أفعال إنجازية، يقيّم من خلالها البرنامج السردى؛ بالنجاح إن تحققت رغبة الذات الساعية في امتلاك الموضوع أو بالفشل إن لم يتحقق مرادها.

ونكتب البرنامج السردى لذات في حالة النجاح بالرمز الآتي^(*):

ب.س: ذ.ف ← [(ذ U م) ← (ذ n م)]

تحدد علامتا الاتصال أو الانفصال غائية البرنامج السردى، بمعنى « أن فاعل الحالة قد يملك الموضوع المرغوب فيه اتصالاً، وقد يفقد هذا الموضوع المرغوب فيه انفصالاً، فيعني الاتصال - هنا- رجاءً، وافتقاده يعني خسارة للفاعل، وكلما انتقل الفاعل من حالة إلى أخرى وقع تحول إيجابي أو تحول سلبي.⁽³⁾ وعلى أساسه نحكم له بالنجاح أو الفشل.

(1)- فريق إنترفرن، التحليل السيميائي للنصوص، المرجع السابق، ص: 50.

(2)- شادية شقروش، سيررة الدلالة وإنتاج المعنى، المرجع السابق، ص: 9.

*- ب.س: برنامج سردي، ذ.ف: ذات الفعل. ذ: عامل الذات. م: موضوع قيمي. ←: تعبر عن التحويل. n: اتصال. U: انفصال.

(3) - جميل حمداوي، السيميوطيقا السردية- من سيميوطيقا الأشياء إلى سيميوطيقا الأهواء-، المرجع السابق، ص ، ص 38

ويوضح الناقد بن مالك أن البرنامج السردى محكوم في جل حالاته بمقطوعات الإضمار والتحيين والتحقيق، ونجاح البرنامج السردى من فشله مترتب على الطابع الجدلى، الذي يميز كل تحويل سردى المرهون إما بالخضوع أو الهيمنة⁽¹⁾، والذي يُمَيِّزُ به المسار السردى في النص ككل.

يحدد البرنامج السردى من جهته، وبشكل جلي « ملامح وتجليات هذا المسار أو تنامي السرد في النص، فهو مجموعة انجازات قاعدية وثنائية، له بداية أو حالة أولية تليها أطوار أو حالات تعكسها وضعيات الشخصيات وتنامي الأحداث.»⁽²⁾ بمعنى أن البرامج السردية تقف على جميع أجزاء الأفعال الرئيسة أو العارضة المنجزة من شخصيات النص عبر أطوار الحدث ونموه.

يكون البرنامج السردى وحدة بنائية دلالية سردية بسيطة أو مركبة، تتضمن جملة من الحالات والتحويلات المعقودة في ملفوظات ذات الحالة وذات الفعل، في نسق واحد منطقي محدد الإطار الزمني؛ له بداية ونهاية، وإن اشتغل هذا البرنامج البسيط في نظام برنامج سردى أكبر منه، حيث يرتبط البرنامج السردى - من حيث هو إبراز للتنظيم التركيبي للفعل، وليس تمثيلاً للفعل أو العمل⁽³⁾ - بطبيعة المهمة التي يقوم بها الفاعل.

قد تكون البرامج في النص متوالدة من بعضها البعض لتعدد المهام وتشابكها بين الذوات، منها القاعدي المرجو التحقيق في نهاية البرنامج ومنها الاستعمالي أو الثانوي ينجز لتحقيق الكفاءات المتعلقة بفعل الذات، كما أن البسيط منها قد يتحول إلى معقد فالأصل فيها أنها « وحدات بسيطة لكن قابلة للتوسع والتعقيد الشكليين دون أن يغير شيئاً من وضعيتها كصيغ تركيبية قابلة للتطبيق على الأوضاع السردية الأكثر تنوعاً»⁽⁴⁾ وهذا لضرورة مروره وارتباطه ببرامج أخرى، كما أن منها ما هو رئيسي وآخر ثانوي. لذا يعتبر البرنامج السردى - حسب ما نقله العجمي عن غريماس - « وحدة من الخطاب قائمة بذاتها، قابلة لتوظيف حكاية، لكن يمكن كذلك أن تدرج ضمنه من حيث هي جزء

(1) - رشيد بن مالك، البنية السردية في النظرية السيميائية، المرجع السابق، ص: 25.

(2) - هدى التونسي، الكرامة الصوفية: مقارنة سيميائية - ضمن: من كرامات الصوفية - دراسات سيميائية - المرجع السابق، ص: 28.

(3) - جوزيف كورتيس، مدخل إلى السيميائية السردية الخطائية، المرجع السابق، ص - ص: 29-30.

(4) - المرجع نفسه، ص: 30.

من الأجزاء المكوّنة له، والموضع الذي تحتله يحدد منها وظيفتها في البنية العامة للنظام السردية.⁽¹⁾ فيمثل البرنامج السردية صورة عن حكاية مصغرة ضمن الحكاية الكبرى تنتمي إليها قلبًا وقلبًا تؤدي في مسارها الدلالي وظيفة ما.

وضح غريماس أن كل خطاب سردية بسيط يتأسس في الأصل على مشروعين سرديين متلازمين أو مترابطين "Corrélés"، فعند تركيز السرد في المحكي على أحدهما يجعل الآخر ضمنيًا فيه، لكن يسير في الاتجاه المعكوس، فلا يمكن اعتبار الذات في انفصال عن الموضوع القيمي ذاتًا كامنة إلا إذا كان هذا الموضوع على اتصال مع ذات غيرها. من هنا نجد أن العلاقة الرابطة بينهما علاقة سببية متبادلة، أي انفصال أحدهما بالموضوع يحيل إلى اتصال الثانية به بصفة حتمية، وحدث أي تحويل في موضوع أو برنامج أحد الذاتين، سيجد الآخر نفسه في تغيير مناقض لذلك التحويل.⁽²⁾ بذلك فإن كل مشروع عملي سردية رئيسي يرتبط بوجود مشروع عملي سردية تقيضا له ويقابله.

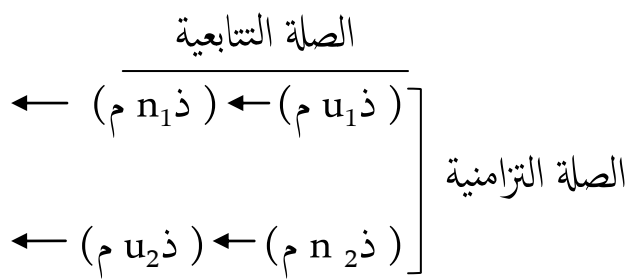
والجدير بالذكر أن تلازم وجود هذين البرنامجين السرديين مع بعضهما البعض، لا يلزم سردهما في المحكي في آن واحد؛ فعلى الرغم من ارتباط هذين البرنامجين - يوضح بنكراد-، إلا أن سرد الأحداث يتم باختيار أحدهما دون الآخر، مما يدفع بالثاني إلى التراجع والظهور الضمني في مسرى الحدث، وهذا الاختيار هو اختيار إيديولوجي؛ أي هو استحضار لأسنن ثقافية لاعتبارها مجسدة لبؤرة الاختلاف بين عالمين، يوحدهما عالم القصة المتخيل. فحين ننظر إلى الدلالات الحاصلة من الأبعاد الوظيفية التي يحملها كل برنامج على حده، نجد أنفسنا أمام تدقيق صارم لكل عالم مستقل عن الآخر، فلا يصير الصراع بينهما حول امتلاك موضوع القيمي، الذي تتوق كل لذات لامتلاكه؛ بل سيصبح الصراع بؤرة تحدد منها أهمية شخصية عن غيرها من خلال سيطرتها على الأحداث، كما تحدد منها نمطين مختلفين أو متناقضين من الحياة، - فقصة المناضل هي في الوقت ذاته إحالة إلى قصة سبجانه- وهو تحديد يشمل كل السلوكات الإنسانية⁽³⁾، لحملها الفعل وتقيضه.

(1) - محمد الناصر العجبي، في الخطاب السردية نظرية غريماس (Greimas)، المرجع السابق، ص: 74.

(2) - غريماس، في المعنى I، المرجع السابق، ص- ص: 84- 85.

(3) - السعيد بنكراد، السيميائيات السردية، المرجع السابق، ص: 130.

إن سردًا بسيطًا لا يكشف عن وجود برنامج واحد فقط، إنما يكشف وجود برنامجين سرديين، حيث يحقق التزامن بين الوظائف القائمة على علاقة التناقض، ووجود هذين البرنامجين السرديين المترابطين يفسر إمكانية الظهور النصي، وفهم رواية النص من خلال إبراز هذا البرنامج ونقيضه، وكل البرامج المتزامنة، ويمكن الإشارة إلى التزامن المنطقي الحتمي القائم بين تتابع ملفوظ صلة الوصل والفصل المتعلقين بالذاتين المختلفتين وهذا التتابع ثنائي المميز لعمل الحكاية البسيطة بالآتي:⁽¹⁾



إن استدعاء أي برنامج سردي لبرنامج آخر ضديدًا له يكون ضرورة لزومية. ووجود فاعل مغاير للفاعل الأول أو الفاعل الحالي في البرنامج السردى يدل مباشرة على التقابل، الحاصل في رغبتها وسعيها للحصول على المشروع السردى، حيث إن كان الفاعل الحالي في اتصال بالموضوع في وضعه البدئي فإنه يكون منفصلاً عنه في الوضع النهائي، وهذا يبين « انتقال الموضوع من ملكية أحد الطرفين إلى ملكية الآخر ».⁽²⁾ ويعبر رمزًا عن انتقال الملكية بالآتي:

[[(ف₁ م n₁ u₁ ف₂) ← (ف₁ م n₁ u₁ ف₂)] أو [(ف₁ م n₁ u₁ ف₂) ← (ف₁ م n₁ u₁ ف₂)] ويعتبر بنكراد أن التمييز بين الذات الفاعلة وذات الحالة هو تمييز منهجي لا غير، ولا يشكل قانونًا ثابتًا يلجأ إليه في كل التحويلات الحاصلة في النص السردى⁽³⁾، فقد يتحقق البرنامج السردى الرئيسي أو الملحق من طرف⁽⁴⁾:

(1) - السعيد بنكراد، السيميائيات السردية، المرجع السابق، ص: 87-88.

(2) - محمد الناصر العجمي، في الخطاب السردى نظرية غريماس (Greimas)، المرجع السابق، ص: 49.

(3) - السعيد بنكراد، السيميائيات السردية، المرجع السابق، ص: 126.

(4) - رشيد بن مالك، البنية السردية في النظرية السيميائية، المرجع السابق، ص: 25.

1- الفاعل نفسه.

2- آخر ينوب عنه، فيكون نشاط هذا الفاعل النائب مقترن بالبرنامج السردى الملحق.

تعمل البرامج السردية في نسقية منظمة، وفي دائرة منطقية مستقلة قابلة للإتحاد مع غيرها تضمن سيرورة السرد إلى نهايته، وكى يتم وصف البرنامج السردى وجب الوقوف على أربع مراحل وخطوات متسلسلة، تهيئ وتأهل الترسمة العاملة لذلك البرنامج لأن تكون إجراءً يمكن تطبيقه، ودونها تعتبر الترسمة نسقاً داخل التحليل السيميائي السردى، ومقولة من مقولاته النظرية، يطلق على هذه المراحل الخطاطة السردية^(*)، وهي لحظات تبين لنا كيف بنى المبدع متخيله السردى، وكيفية الانتقال من ملفوظات الحالة إلى ملفوظات التحول.

2.2 أنواع البرنامج السردى^(*):

في عجلة نقف على أنواع البرامج السردية التي يمكن أن تبني في المكون السردى للمحكي، والتي من شأنها أن توضح المآل وسيرورة الخطاب السردى ودلالته في النص.

أ- **البرنامج السردى البسيط:** هو «مركب بسيط داخل التركيب السردى السطحي يتشكل من ملفوظ فعل يتحكم في ملفوظ الحالة، إنه فعل تقوم به ذات ما لتغيير حالة تعود إليها أو إلى ذات أخرى، انطلاقاً من إسقاط حالة قيمة تحتاج إلى تغيير»⁽¹⁾ يجوي فاعلا واحداً مهتماً بالموضوع القيمي. ولا ينبثق منه غيره، بل يكفي البرنامج بموضوعه القيمي دون سواه.

ب- **البرنامج السردى المضعف أو المزدوج:** بحكم وجود ملفوظات حالة مزدوجة دالة على أن لكل برنامج سردياً نقيضه ومرتبباً به، فإن هناك برنامجين سرديين تحقق أحدهما ونجاحه يستدعي ضرورة خسارة الآخر وفشله.

ت- **البرنامج السردى القاعدي:** هو البرنامج الرئيسى الذي تسعى الذات الفاعلة تحقيقه يبنى على الموضوع القيمي المنعقد عليه أطوار البرنامج السردى القاعدي.

* - سنتعرض لها عند معاينة الترسمة العاملة.

* - للتفصيل أنظر: سعيد بنكراد، السيميائيات السردية، ص-ص: 127-128.

(1) - السعيد بنكراد، السيميائيات السردية، المرجع السابق، ص: 125.

ث- البرنامج السردى الاستعمالي: هو البرنامج المحين للبرنامج القاعدي؛ الغاية منه تعبيد الطريق للبرنامج القاعدي؛ أي الوسيط الذي به يتم انجاز البرنامج الرئيسي تسعى فيه الذات لامتلاك الكفاءة التي تؤهلها لانجاز الفعل وتحقيق البرنامج الرئيسي المرغوب فيه والذي به يتحقق البرنامج السردى وينتهي المقطع السردى في النص.

3.2. وضعيات وصيغ البرنامج السردى

نعني بالوضعيات العلاقات والصلات الرابطة بين الفاعل وموضوعه، والتغيرات الحاصلة فيها، مما يخلق صورًا جديدةً لهذه الصلة، تخالف ما كانت عليه قبل التحويل حيث يعين ملفوظ الحالة هذه العلاقة البدئية القائمة بين الذات والموضوع، ففي حالة تحقيق الملفوظ الوصلي *énoncé conjonctif* تعتبر صلة الفاعل بالموضوع بشكل إيجابي عن وصلة؛ [يملك زيد قصرًا: فm]، وتعتبر الصلة بشكل سلبي عن فصله *disjonction* في حالة تحقق الملفوظ الفصلي *énoncé disjonctif*؛ [فقد زيد ماله: ف u م.]⁽¹⁾

وبواسطة ملفوظات الفعل نرصد التحوّل في الأوضاع المتغيرة عن الوضع البدئي وعن طريق التحويل الحاصل بفعل يتم الانتقال من حال إلى آخر مغاير له، "ووفق تتابع هذه التحولات الواقعة بفعل الفاعل وتباينها يتم الكشف عن المكوّن الزمني للنص الحكائي، في جميع الحالات "المتاهي في محور قبل/بعد."⁽²⁾ فالخطاب يقدم مجموعة أفعال مستندة على الإطار الزمني والمكاني لعلم مسارها. ويشكل هذا التقابل الثنائي داخل الإطار الزماني والمكاني محددًا إجرائيًا من محددات تقطيع النص، يعتمد على المقولات الثنائية الضدية والتقابلية، يمكن من خلاله تعيين المقطع⁽³⁾، وهي أيضا محددات تحويلية نعيّن منها وضعية الفاعل، بحسب محوري:

● المكان: هنا/هناك

● الزمان: قبل/بعد.

(1) - رشيد بن مالك، البنية السردية في النظرية السيميائية، المرجع السابق، ص: 12.

(2) - المرجع نفسه، ص: 12.

(3) - عبد المجيد التوسي، التحليل لبسيميائي للخطاب الروائي، المرجع السابق، ص: 20.

ويعتبر محور الزمن المحور المركزي - وإن كان الزمن لا يتجسد إلا في حضور المكان- في التحوّل « فهو الأداة التي نحدد من خلالها الأمداء الفاصلة بين لأفعال، أي ما يقود من حالة إلى حالة. وهو أمر ضروري للحديث عن قصة. فالمتصل، وكذا الأفعال المتكررة في الفضاء وفي الزمان لا يمكن أن تقود إلى خلق قصة.»⁽¹⁾
يستحضر التحوّل أمرين، هما⁽²⁾، أنه:

1. يتم عبر مشروع -برنامج- سردي Programme narratif، أو مشروع عملي Programme pragmatique، يعمل على نقل الفاعل من حال إلى أخرى، يسمى الفعل بذلك وفق هذا التحوّل ب: فعل كيان (Faire-êta)، ترجم أيضًا إلى فعل التحوّل.

2. يتحقق التحوّل بفاعل محوّل أو ذات فاعلة.

تدخل بذلك المعادلة المحققة لفعل التحوّل- حسب غريماس- ضمن الصياغة الرمزية الآتية^(*):

ت [(ف) ← (ف u₁ م) ← (ف n₁ م)]

أو ت [(ف) ← (ف n₁ م) ← (ف u₁ م)]

يضفي شكلي التحويل المميزين بالتحويل الوصلي والتحويل الفصلي على اعتبار أن كل ملفوظات الفعل تصنف إما فصلية أو وصلية.⁽³⁾ إلى تحديد صورتيه، حيث يحدث- كما ذكرنا سلفًا -:

■ **الوصلي:** بين الفاعل والموضوع عند الانتقال من حالة الفصل إلى حالة الوصل.

[ف u م] ← [ف n م]

■ **الفصلي:** عند الانتقال من حالة اتصال إلى انفصال الذات عن الموضوع القيمي.

(1) - سعيد بنكراد، السيميائيات السردية، المرجع السابق، ص: 105.

(2) - محمد الناصر العجيمي، في الخطاب السردية نظرية غريماس (Greimas)، المرجع السابق، ص: 47-48.

* - ت: عملية التحويل، ف: ذات الفاعلة، م: موضوع، قيمي، ف:1: فاعل حال.

(3) - جمال حضري، سيميائية النصوص، مرجع سابق، ص: 15.

[ف n م] ← [ف u م]

من هنا نخرج إلى تحديد صورتيه⁽¹⁾:

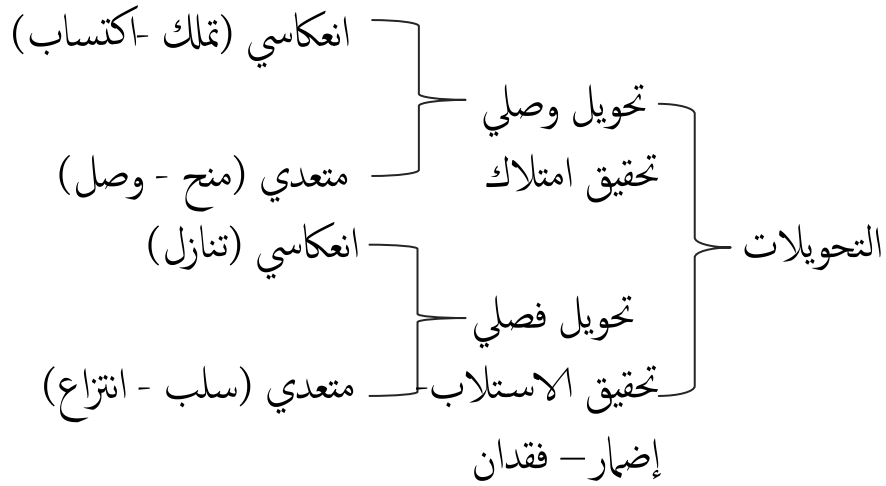
1. تحويل اتصالي ← يمثل صورة الامتلاك.

2. تحويل انفصالي ← يمثل صورة الاستلاب

وعلى منطقيّة هذا التحويل تكون الصيغة الرمزية كالآتي:

ت ف ← [(ف₁ م n₁ u م₂ ف₂) ← (ف₁ م n₁ u م₂ ف₂)] أو العكس.

يُدرج من هذين الشكلين للتحويل أربعة نماذج^(*) معقودة بين الفاعل وموضوع القيمة⁽²⁾:



بخصوص قراءة المخطط أعلاه، يمكن القول؛ أنه إذا كان فعل التحويل الوصلي أو الفصلي انعكاسي فإننا أمام ذاتين تظهرهما المثلي يجيل إلى شخصية واحدة (ف₁=ف₂) في حين إذا كان (ف₁ ≠ ف₂) أي مغاير عنه، فإن الفعل التحويلي الوصلي أو الفصلي يكون متعدياً، فيكون الفعل انعكاسي منجزاً من الفاعل الحالي؛ أي هو نفسه الذات فاعله المنجزة لعملية التحويل، ويكون متعد إذا اختلف عنه، ونجد أن « نمط العلاقة المعقودة بين البنية العاملية والبنية الممثلية هو الذي يحدد - كحالات قصوى - مرة التنظيم الانعكاسي للعوامل الفردية، ومرة التنظيم المتعدي للعوامل

(1) - محمد الناصر العجبي، في الخطاب السردية نظرية غريماس (Greimas)، المرجع السابق، ص: 50، 52.

* - سنعود بشرح هذه الأوضاع التحويلية في الآتي من البحث.

(2) - رشيد بن مالك، البنية السردية في النظرية السيميائية، المرجع السابق، ص 13.

الثقافية»⁽¹⁾، ويخلق من الفعل الانعكاسي والمتعدي - وضعيتين:

- **الفعل الانعكاسي:** تحويل وصلي بالتملك ، أو تحويل فصلي بالتنازل.
 - **الفعل المتعدي:** تحويل فصلي بالمنح ، أو تحويل فصلي بالسلب أو حرمان.
- إذ⁽²⁾:

- أ. **التملك أو الاكتساب:** يكون عند وجود الفعل الانعكاسي، حيث فاعل الحالي الموصول بالموضوع في النهاية نفسه الفاعل المنجز للتحويل، (ف = ف₂).
- ب. **المنح أو الوصل:** إذا كان الفعل متعدياً، بمعنى الفاعل الحالي المتصل بالموضوع في النهاية ليس هو الفاعل القائم بعملية الانجاز، (ف # ف₂).
- ج. **التنازل:** يكون الفعل انعكاسياً، حيث يكون الفاعل الحالي المنفصل عن الموضوع في النهاية هو الفاعل لعملية التحويل (ف = ف₁).
- د. **الانتزاع أو السلب:** يكون الفعل متعدياً، به يختلف القائم بعملية التحويل عن الفاعل الحالي المنفصل عن موضوعه في نهاية المشروع السردى، (ف # ف₁).
- وهذه الأصناف الأربعة تدخل ضمن ضربين من التصنيف، هما: الهبة والاختبار نختزل الأصناف بضربها في الجدول أدناه⁽³⁾:

اختبار	امتلاك	استلاب
هبة	تملك (اكتساب)	سلب (انتزاع)
	منح (وصل)	تنازل

وتعود الفائدة المرجوة من التفريق بين نوعي الفعل إلى التعرف على بعض الأوضاع الاجتماعية أو النفسية القائمة بين الفواعل، كتوضيح أن المرأة قليلاً ما تكون ذات فاعلة في القصص العربية.⁽⁴⁾

(1) - جوزيف كورتيس، مدخل إلى السيميائية السردية الخطائية، المرجع السابق، ص 113.
 (2) - محمد الناصر العجمي، في الخطاب السردى نظرية غريماس (Greimas)، ص: 48-53.
 (3) - فريق إيتروفن، التحليل السيميائي للنصوص، المرجع السابق، ص: 57.
 (4) - محمد الناصر العجمي، في الخطاب السردى نظرية غريماس (Greimas)، المرجع السابق، ص: 48.

وهناك اتجاهين للتحويل⁽¹⁾، إما أنه يكون من حالة بدئية إلى حالة ثانية محوّلة:

حالة أولى ← تحويل ← حالة ثانية (محوّلة)

وإما يكون بالوضعية المعكوسة من الحالة المحوّلة ثم العودة للحالة الأولى المبدئية:

حالة أولى ← --- ← تحويل ← حالة ثانية.

وقد مثل مثل الناقد بن مالك للوضعية الأولى بإشهار عن منظف للأرض، حيث تكون الانطلاقة من حالة الوسخ إلى حالة النظافة، ويكون فعل التنظيف من المرأة هو حالة التحويل. أما الوضعية الثانية المعكوسة يمكن التمثيل لها ببعض الأفلام البوليسية كأن تكون بداية الفيلم من محاكمة المجرم وهي الحالة النهائية، بعدها يسترسل في سرد وقائع الجريمة والتي هي الحالة الأولى.⁽²⁾

يمارس الفاعل المنفذ هذه التحويلات فيحدث تغييراً، يتم بموجبه الانتقال من علاقة إلى أخرى، هذا التغيير يدل على تحويل أو فعل، ترسي عليه قواعد برنامج سردي (ب س). وإن جملة التحويلات المتمفصلة والمتراتبة حسب تنظيم منطقي، تجعلنا نتحدث عن برنامج سردي تام، يجسد متوالية من الحالات والتحويلات تتسلسل وفق العلاقة (ذ- م) وتحويلها⁽³⁾، نضوجه إلى وضعيتين متميزتين وصلية وفصلية، يمتلك فيهما الفاعل موضوع القيمة أو يفقده، فيحدد مضمون هذا التحول إثر تدخل الذات الفاعلة بفعل المحوّل، والذي تهدف به لتغيير الوضع البدئي الممثل في ملفوظ الحالة⁽⁴⁾، إلى:

1- فعل محول: حالة الامتلاك: ب س: و [ف₁ ← (ف₂ n م)]

2- فعل محول: حالة الفقدان: ب س: و [ف₁ ← (ف₂ u م)]

(1) - رشيد بن مالك، البنية السردية في النظرية السيميائية، المرجع السابق، ص: 14.

(2) - المرجع نفسه، ص: 14.

(3) - جمال حضري، سيميائية النصوص - عرض وتطبيق منهجي-، المرجع السابق، ص: 15.

(4) - سعيد بنكراد، السيميائيات السردية، المرجع السابق، ص: 126.

حيث⁽¹⁾:

و: وظيفة: تستعمل للتأكيد على العلاقة الموجودة بين أطراف، الصراع.
ف1: فاعل الفعل: هو فاعل دينامي، يقوم بالعملية التحويلية انطلاقاً من مؤهلات يمتلكها.

ف2: فاعل الحالة: يستفيد من موضوع القيمة أو يحرم منه.

(): ملفوظ الحالة

← وظيفة الفعل. أو فعل محول.

U ∩ : نتيجة الفعل.


ويوضح الناقد بن مالك أن الامتلاك في البرنامج السردى يكون من خلال الانتقال من وضعية الافتقار (ف₂ u م) إلى وضعية تعويضية (ف₂ n م)، في حين يكون البرنامج السردى الثانى تعبيراً عن حالة الفقد، التى هى الانتقال من الامتلاك إلى وضعية يفقد فيها الفاعل موضوعه (ف₂ u م)، كما هو الشأن فى حال السرقة.⁽²⁾

لا يتوقف المشروع السردى عند فاعل واحد أو برنامج واحد فحسب، بل قد يتضاعف وجود الفاعل والبرنامج ويتعدد فى النص المحكى، حسب المجرى السردى والتشابكات القائمة فيه، معها تتسع شبكة أنساق العلاقات⁽³⁾ فى ذلك المشروع السردى، فتكون احتمالية الوضع بين الفاعل الأول والثانى فى اتجاهين.

(ف₁ n م) و (ف₂ u م) أو (ف₁ u م) و (ف₂ n م) يختزل كالاتى:

(ف₁ n م u م) أو (ف₁ u م n م) .

يضيف بن مالك إلى هاتين الوضعيتين ما جاء به كورتيس، من استنباط أربع حالات مرتبطة بالبرنامجين السابقين، وهذه حالات تدخل فى الإطار العام للبرنامج السردى استثنائية فيه، هى⁽⁴⁾:

 حالة الأولى: اللقية: أى (ف₂) يدخل فى وصلة مع موضوع مرغوب فيه أو لديه

(1) - رشيد بن مالك، البنية السردية فى النظرية السيميائية، المرجع السابق، ص: 22..

(2) - رشيد بن مالك، البنية السردية فى النظرية السيميائية، المرجع السابق، ص: 23.

(3) - محمد الناصر العجمي، فى الخطاب السردى نظرية غريماس (Greimas)، المرجع السابق، ص: 49.

(4) - رشيد بن مالك، البنية السردية فى النظرية السيميائية، مرجع سابق، ص- ص: 23- 24.

دون سابق معرفة بفاعل الفعل الذي أحدث هذه الوصلة، يعبر عنها رمزًا كالاتي:

و {؟} ← (ف₂ n م)

وبعني بعلامة الاستفهام وجود فاعل غير محدد المعالم، يمكن أن يتعلق الأمر بالحظ إذا أثار الموضوع المرغوب فيه انشراح الفاعل، وبالصدفة عند غياب هذه الإثارة.

+ الحالة الثانية: الضياع: يقابل اللقية، ينفصل فاعل الحالة عن موضوع كان يملكه دون أن يعلم من المسؤول عن ذلك، أي يجهل فاعل الفعل الذي وضعه في هذا الوضع الجديد، وهو ما يفسر بسوء الخط. التعبير الرمزي للضياع كما يلي:

و {؟} ← (ف₂ u م)

+ حالة الثالثة: تنشأ عن القلق: حيث لا تحيل إلى موضوع معين، بمعنى يحصل تحول دون أن يكون محصور في موضوع بعينه:

و {ف₁ ← (ف₂ n ؟)}

✓ حالة الرابعة: الجهل بفاعل الحالة: فيها يكون ف₂ المستفيد من الموضوع ومن الفعل التحويلي مجهولاً غير معروف، يمثل لذلك بالمطر:

و {ف₁ ← (ف₂ n ؟)}

إن « وجود برنامجين سرديين يسمح لنا، من الناحية السردية، بإمكانية إبراز هذا البرنامج أو ذاك من خلال سماع الحكاية نفسها، مع الحفاظ على البرنامج المصاحب للبرنامج المحقق ولكن بشكل عكسي.⁽¹⁾ فيستدعي تحقيق البرنامج السردى المتسلسل التحولات والحالات والمنتظمة ضرورة وجود برنامج سردي مقابل له في كل الانجازات والوظائف والأدوار العاملة، ومتعلق به، يتبادل معه العلاقات والتحويلات لكن بشكل معاكس^(*)، تضيئي في المحكي إلى الجدل أو الصراع، ثم إلى تتويج أحدهما بالنصر أو الهزيمة.

(1) - السعيد بنكراد، السيميائيات السردية، المرجع السابق، ص: 128.

* - كل تحويل في البرنامج السردى الرئيسي يحدث تحويلاً في البرنامج السردى المقابل له، فما يشكل مساعدًا في البرنامج الرئيسى يكون معارضًا في البرنامج الضديد له، والعكس.

بين بنكراد أن كل اللحظات السردية- المراحل الأربع للخطاطة السردية- تشتغل في شكل موحد ضمن البرنامج السردى، في ترابط تام مع بعضها البعض، ولا يمكن لها أن تستقيم دلاليًا ومضمونًا إلا عند وجود هدف ضمني أو صريح يسطرها، ويحكمها داخل هذا البرنامج الذي يوحد الفعل ويبرره من بدايته إلى نهايته، فالبرنامج السردى هو الإطار المنطقي الذي يعطي للفعل غايته وتواجده، فهو -عند غريماس- ذلك الصيغة التركيبية المنتظمة للفعل الإنساني سواء بشكل ضمني أو صريح⁽¹⁾، يتحتم في عملية التحليل المنطقي له أن يكون ضمن عالم منغلق بعوامله وعلاقاته وقواعده العاملة، التي تسير شبكة العلاقات وتنظيمها في نسق مغلق، يؤدي فيه امتلاك فاعل لموضوع حتمية انفصالية عن فاعل مغاير أو تقيض له. وتُسَيِّر حركة هذه العوامل ضمن خطاطتها السردية البرنامج من طور التحيين إلى طور التحقيق.

3. الترسمة العاملة:

يتطلب التحليل السيميائي السردى تطبيق النموذج العملي على النصوص كآلية نقدية لاستنباط المعنى، تتبعها الفكر النقدي السيميائي المغاربي تحديدًا ونقدًا وتطبيقًا لأهمية هذه الآلية في المنهج، حيث تعد من مقولاته الأساسية التي يتم بها النظر في العلاقات المحقق للمعنى في المستوى السطحي، فهي الانتقال من مستوى العلاقات داخل البنية العميقة إلى مستوى العمليات في البنية السطحية من المكون السردى.

1.3 الترسمة العاملة في الفكر المغاربي:

تعد البنيات العاملة « البؤرة الأساسية التي يتم من خلالها الانتقال من المستوى العميق إلى المستوى السطحي؛ (أي من العلاقات إلى العمليات إلى الملفوظ السردى)»⁽²⁾، على اعتبار أنها تظهر التحوّل المضموني، والوجه التركيبي للجانب العلائقي، والمشكّلة في مخطط سداسي العوامل، تدخل في المستوى المحايث والمتجلي. وتكمن أهميتها في إمكانية تطبيقها على جميع أنواع النصوص الأدبية وغير الأدبية فتشكلاتها المنطقية تجعلها نموذجًا يستوعب معطيات النصوص عند توفرها على شرطي

(1) - السعيد بنكراد، السيميائيات السردية، المرجع السابق، ص: 125.

(2) - المرجع نفسه، ص 85.

البنية والمعنى⁽¹⁾.

والفرق بين العامل والبنى العاملة أن الأول: وحدة تركيبية ذات طابع شكلي. والثاني: طريقة تنظيم مواطن الخيال البشري، وأن المستوى النحوي القائم في الملفوظ هو الذي يحدد العلاقة المنتظمة بين عامل وآخر وفق إستراتيجية سردية محددة⁽²⁾. وهو ما يجعلنا إلى أن الملفوظات لا تحوي دائماً عملاً منجزاً بالفعل، إنما قد تحوي أفعال حالة فقط، فميز بذلك بين ملفوظ الحالة وملفوظ الإنجاز وكلاهما يمثلان برنامجاً سردياً محدداً. يُعرّف على أنه الإجراء الذي «يبرز التنظيم التركيبي للعمل، وليس تمثيلاً للعمل»⁽³⁾ أو هو «وحدات سردية تنبثق عن تركيب عامل، قابل للتطبيق على كل أنواع الخطابات وهي تبرز تنظيم مختلف مقاطع الترسمة دون أن تكون مع ذلك مكونات لهذه الترسمة التي توافق تمفصلاً آخر للخطاب»⁽⁴⁾.

يعتبر النموذج العملي إعادة لتوزيع تنظيم الأحداث داخل قصة، فإنه « يتحدد من زاوية الدلالة إنتاجاً للسير التوزيعي لهذه الأحداث.»⁽⁵⁾ ويعيد الناقد الناصري صنف العوامل إلى المعام (Sémème)، المطلقة على الكائنات الحية وغير الحية، غير أن العوامل التي تطلق على الكائنات الحية هي معام تعتبر في وظيفتها وحدات مميزة في حين المعام التي تمثل في الكائنات غير الحية هي تابعة للعوامل موصولة بها تسمى "مستندات"⁽⁶⁾، والتي تنقسم إلى متحرك تحدد الوظائف وثابت تحدد الأوصاف والصنفين متداخلين في حدودهما، فلا « تعرف إلى أي حد تنتهي الوظيفة ويبدأ الوصف أو العكس»⁽⁷⁾؛ بمعنى أنه لا تتحدد وتعرف المفردتان إلا الواحدة بالأخرى، وكل رسالة دلالية تتضمن ضرورة حضور كليهما، ومن خلال الربط بين العامل والمسند تقوم في

(1) - إسماعيل نوري ربيعي، غريماس / النموذج العملي قراءة في أربع قصائد ليبية معاصرة، مجلة كتابات معاصرة، الناشر، بيروت، لبنان، مجلد: 09، عدد: 36، مارس 1999، ص: 155.

(2) - السعيد بوطاجين، الاشتغال العملي، المرجع السابق، ص: 19.

(3) - جوزيف كورتيس، مدخل إلى السيميائية السردية والخطابية، المرجع السابق، ص: 30.

(4) - المرجع نفسه، ص: 30.

(5) - سعيد بنكراد، السيميائيات السردية، المرجع السابق، ص: 87.

(6) - محمد الناصر العجيمي، في الخطاب السردية نظرية غريماس (Greimas)، المرجع السابق، ص: 37.

(7) - المرجع نفسه، ص: 37.

الحين قاعدة تنظيم تركيبى للتمظهر (للمحتوى)⁽¹⁾، حيث تعين المسندات الوحدات الأولى "الوحدات المميزة أو العوامل" في محور عمودي، محددة مداها الدلالي، حيث تتصاعد أوصاف ووظائف البطل أو الممثل إلى غاية الاتضاح والاستواء، وفي حركة توزيعية تتعالق الوحدات المميزة فيما بينها البين، تستند - بوصفها مضامين مستثمرة لعدد من الوظائف المتتالية، التي تجعلها محددة في المحكي- إلى المسندات باعتبارها آثار للمعنى خلال انتشار الفعل عبر برنامج السردى⁽²⁾، مشكلة في حركتها ما يسمى بـ النموذج العاملي، تخضع فيه العوامل إلى نظام ثابت وقار، يمثل سيرورة قائمة على تحولات متتالية. والنموذج العاملي هو التخطيط « الموضح تمفصلات القصة ووجهها الحقيقي، حيث تتجمع العلاقات- التي حصلنا عليها في المقوم السردى- لتصبح في المقوم الخطابي، فنصف الأدوار الصغرى في ست دوائر، أطلق عليها غريماس العوامل أو الفواعل»⁽³⁾.

نوجز مفهوم النموذج العاملي في التصورات المبسطة الآتية لسعيد بنكراد⁽⁴⁾:

- ✓ أساس تشكل النص باعتباره يحتضن مجموعة من الأحداث.
- ✓ وجه النص التصويري.
- ✓ خطاطة تتشكل من مجموعة من العناصر الثابتة.
- ✓ تعميماً لبنية تركيبية محلية.
- ✓ شكل قانوني لتنظيم النشاط الإنساني.
- ✓ النشاط الإنساني مكثفاً في خطاطة ثابتة.
- ✓ شكل يجمع داخله كل العوامل المحددة للفعل الإنساني (هدف، الفعل، ما يدفع إلى الفعل، المستفيد منه، الرغبة في، المساند له، المعارض له).
- ✓ يشكل نموذج الترسيمية العاملة بطريقة ما تعريفاً لمعنى الحياة.⁽⁵⁾

(1) - جوزيف كورتيس، مدخل إلى السيميائية السردية والخطابية، المرجع السابق، ص: 99.

(2) - المرجع نفسه، ص: 101.

(3) - شادية شقروش، سيرورة الدلالة وإنتاج المعنى، مرجع سابق، ص 16-17.

(4) - سعيد بنكراد، السيميائيات السردية، المرجع السابق، ص- ص: 87-88.

(5) - السعيد بنكراد، مدخل إلى السيميائية السردية، المرجع السابق، ص: 48.

فهم من كل التعريفات أن النموذج العاملي هو إعادة هيكلة للنص الذي يحمل داخله نظامه الخاص، بإعادة توزيع عناصره الثابتة وتحديد مدلولاته المعنوية التي تترتب على هذه العناصر، وأنه كهيكل مجرد نظام للخطابات السردية، ويمكن به فهم نسق وسير الحياة العادية، وكل الخطابات الإنسانية سياسية، اجتماعية، إشهار...

يخرج النموذج العاملي حسب غريماس من وصفه راصدًا فقط للعلاقات المشكلة بين العوامل، إلى عملية تحقيق هذه العلاقات وإنتاج المعنى، فيكون نتاج عملية قلب للعلاقات المشكلة للمربع السيميائي، حيث يقدّم النص على مستوى البنية العاملية بوصفه سلسلة من الحالات والتحويلات، جعلت غريماس يقر أن السردية توجد في كل الأنساق الدالة، مسؤولة عن إنتاج المعنى، تتعلق الحالات بالكينونة، وتعود التحويلات إلى الفعل والظهور.⁽¹⁾ و« يفيدنا [النموذج العاملي] من حيث أنه أداة تيسّر لنا - بمجرد تعرّف ملفوظ سردي معين - التنبؤ بما سيحدث، وافترض وقوع أحداث سابقة معينة»⁽²⁾، تقوم بنيتها التركيبية على التحوّل من السيئ إلى الأحسن.⁽³⁾

يرى العجيمي أن التحليل السيميائي للسرد لا يقضي « بفرض النموذج العاملي على النصوص، وإخضاعها لإطار قبلي تحشر قصرًا فيه، بل لا يعدو أنه تصور عام تكمن وظيفته في هدايتنا إلى نوعية الخطاب السردية وخاصياته.»⁽⁴⁾ يقودنا - حسب بنكراد - إلى توليد فضاءات خطافية عديدة متنوعة تتحقق مضامينها ضمن سياقات افتراضية للمعنى، تشمل ذلك الخطاب، وتحقق له مقولته الدلالية الكلية. فحين الربط بين قيمة مجردة وسيورتها المضمونية، فإن هذا يُسمَح به في حدود التركيب الذي تنتظم فيه، والذي يسمح بتجلي معناها، وستحوي كل إرسالية دلالية بالضرورة على العنصرين معًا: [عامل ومحمول]، وذلك لأن العامل يتحدد انطلاقًا من وجود المحمول، ويتحدد المحمول انطلاقًا من وجود العامل.⁽⁵⁾ فتكون الوظيفة محمولًا ممكن التواجد في حدود وجود من يقوم به

(1) - فريق إنترفرن، التحليل السيميائي للنصوص، المرجع السابق، ص: 42.

(2) - محمد الناصر العجيمي، في الخطاب السردية نظرية غريماس (Greimas)، المرجع السابق، ص: 73.

(3) - سعيد بنكراد، السيميائيات السردية، المرجع السابق، ص: 88.

(4) - محمد الناصر العجيمي، في الخطاب السردية نظرية غريماس (Greimas)، المرجع السابق، ص: 73.

(5) - سعيد بنكراد، مدخل إلى السيميائية السردية، المرجع السابق، ص: 42.

أو يستوعب مكانته من الذوات، وينتج عن سيرورة كل قيمة مجردة كحمول عامل وحالة للتشخيص، ويمكن تعبير عن ذلك في الخطاطة الآتية⁽¹⁾:

استبعاد(قيمة مجردة، محمول) ← مستبعد(عامل) ← استبعد: فعل (حالة مشخصة)
وعند انبناء شبكة من العلاقات والصلات في هذا التركيب التنظيمي بين العامل كشكل والمحمول كقيمة، يتولّد المعنى، الذي لن يوجد إلا عبر هذه العلاقات، لأن المعنى لا يتحدد مسبقاً في وجوده المجرد إلا كشكل افتراضي للدلالة، إنما تحديده الحقيقي يكون عبر سيرورة التحقق واتساق العلاقات، هذه السيرورة «تقود من الحدود المجردة التي تشير إليها هذه القيمة إلى ما ينتج عنها كحمول، لكي نصل في مرحلة أخيرة إلى تقديم وضع إنساني مخصوص، يدرج القيمة ضمن تحقق خاص». ⁽²⁾ وهو تحقق حاصل ضمن عالم القصة. لذا نجد الترسمة العاملة بكل ما تحمله من علاقات ونمط اشتغالها يشرح هذا التحقق ويشكل تصنيفاً مقولباً لمجموع الأدوار نصادفها في كل الحكايات تسند إلى شخصيات⁽³⁾ والتي كانت في الأصل قيماً مجردة.

ننتقل بالنموذج العملي عند تهيئته لتحليل نص، وبرمجته لتوليد دلالاته عبر بنيات مخصصة، به من وصفه نسقاً مجرداً ومقولة نظرية، إلى وصفه إجراءً يمكن تحقيقه على النصوص وتطبيقه، «وهذا يعني... أننا نقوم بعملية صب هذه الحدود المجردة داخل الوعاء الزمني وداخل الوعاء الفضائي.... سيكون بإمكاننا الحديث عن هذه القيم من خلال قصة...، في ارتباطها بكل القيم الموازية: المضادة أو المتطابقة...»⁽⁴⁾، بدل الحديث عنها كحدود مجردة وقيم إنسانية ذهنية.

ويعود استخدام مصطلح العامل على الشخصية، أو الممثل أو الفعل إلى أن العوامل تمثل شخصيات متعلقة بأفعال، يمكنها أن تقوم بالفعل أو العمل ورده، أو هي في نفس الوقت الفاعل وموضوع الفعل، وتقوم الأفعال التي تؤدّيها الشخصيات على جملة

(1) - سعيد بنكراد، السيميائيات السردية، المرجع السابق، ص: 86.

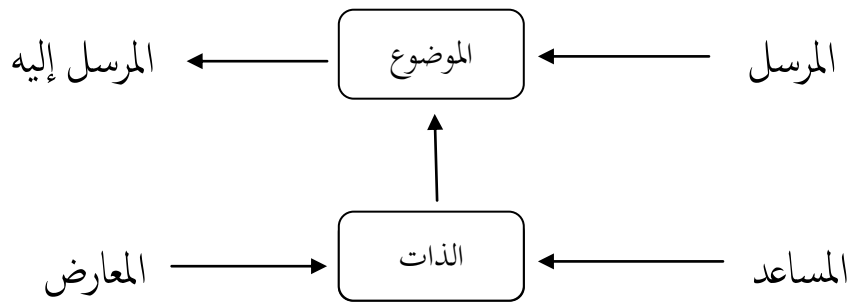
(2) - المرجع نفسه ص: 86.

(3) - أسماء، شهاب، اشتغال النموذج العملي في كرامة أبي علي يعزى بن الشيخ وأبي يعزى بلنور بن ميمون، ضمن كتاب: خطاب الكرامات الصوفية، جذور للنشر، الرباط، المغرب، ط 01، 2006، ص: 139.

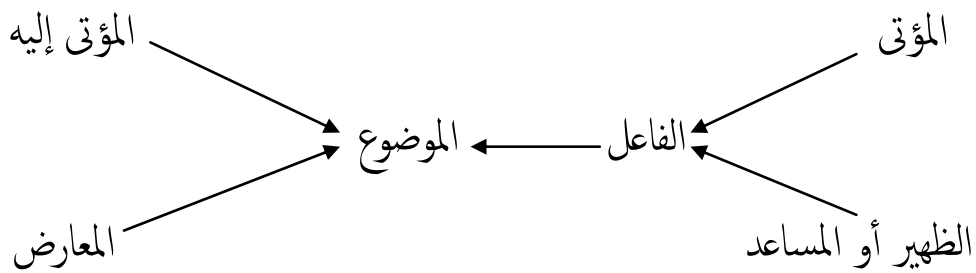
(4) - سعيد بنكراد، السيميائيات السردية، المرجع السابق، ص: 87.

من التحفيزات (*) والعلاقات المفعلة لها، والتي تجعلها منتظمة حسب منطق و سيرورة السرد. (1) وغرض استخدام السيمياء لمصطلح العامل لأنه لا يرتبط ارتباطًا وثيقًا بالفعل ولا بالفاعل أيضًا، وإن كانت هناك علاقة ضمنية تتجلى في الترسيمية العاملة، العاكسة للثنائيات الثلاث: ذات / موضوع، مرسل / مرسل إليه، مساند / معارض، وهذه العوامل الستة هي التي تسهم في توزيع عوالم القيم (2) على النص ضمن البرنامج السردى المؤطر لها.

وقد وزع غريماس العوامل حسب الخطاطة العاملة الآتية: (3)



وعلى غير ما ترجمه جل النقاد المغاربة لمفردات الترسيمية العاملة على النحو السابق، نجد محمد الناصري يترجمها إلى: (4)



* - هي تلك العوامل التي تجعل الفاعل يتحرك نحو الهدف المنشود، فالخوافز هي الفاعل المحرك للشخصيات، والدوافع تجعلها التي تقيم العلاقات فيما بينها، منها: حوافر الرغبة، التواصل، المشاركة، الكراهية، الإعاقة...

(1) - عز الدين بويش، القصة والبنوية الشكلانية، مجلة السرديات، مخبر السرد العربي، جامعة منتوري، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، العدد: 01، جانفي 2004، ص: 63-64.

(2) - السعيد بوطاجين، الترجمة والمصطلح - دراسة في إشكالية ترجمة المصطلح النقدي الجديد، المرجع السابق، ص: 162.

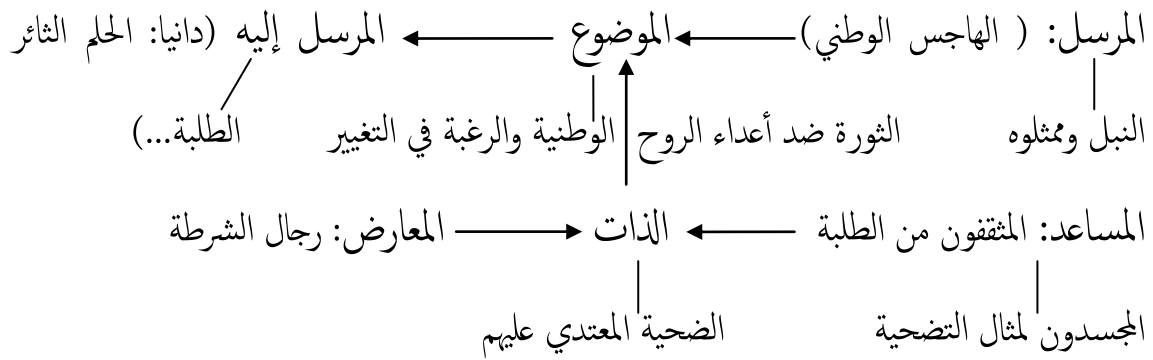
(3) - Algirdas Julien Greimas, Semantique Structurale, Op cit, p: 180.

(4) - محمد الناصر العجيجي، في الخطاب السردى نظرية غريماس (Greimas)، المرجع السابق، ص: 38.

يحتكم النموذج العاملي كنسق أو كنظام ثابت إلى ثلاثة أزواج، يرتبط كل زوج بعلاقة، وهي:

- (المرسل / المرسل إليه) تحكمه علاقة التواصل.
- (الفاعل / الموضوع) تحكمه علاقة الرغبة.
- (المساعد / المعارض) تحكمه علاقة صراع.

نمثل توزيع العوامل في نموذج تطبيقي للترسيمة العاملية جاء به عبد القادر فيدوح على الخطاب الثوري ضد الفساد وجور أعداء الوطنية، عند كل من تبني هذه المبادئ من المثقفين والطلبة ومن يحمل لواءهم، من الناشطين والمناضلين، في النموذج التطبيقي الآتي⁽¹⁾:



يعلق الدكتور بوطاجين على أن هذه الترسيمية ووظائفها، ودور العوامل فيها وحركاتها، قد تبدو للقارئ العادي بديهية، لكنها لها دلالات وأبعاد، فبالإضافة إلى صرامتها المنهجية فإنها تكشف تحولات وانزلاقات في الحكاية عبر مسارها السردية وعبر الانتقال بين اللحظات الصدمية وتوزعها المبالغت أو الخفي⁽²⁾.

كما وقف الناقد على الانتقادات التي قدمتها آن أوبرسفالدي لغريماس حول توزيع الترسيمية العاملية، ذلك أنها استبدلت موقع تواجد كل من الذات والموضوع، لكن ترسيمتها لم تكن بالكمال الذي افتقدته ترسيمية غريماس، والترسيمتين كآلاتي⁽³⁾:

(1) - عبد القادر فيدوح، مقارنة سيميائية في قصة جزائرية قصيرة تطبيق مفهوم غريماس وبارت، مجلة كتابات معاصرة

الناشرون، بيروت، لبنان، مجلد: 05، عدد: 19، أوت 1993، ص: 84.

(2) - السعيد بوطاجين، الاشتغال العاملي المرجع السابق، ص: 16.

(3) - المرجع نفسه، ص: 16-17.

2- آن أوبرسفالدي	1- غريماس
مرسل ← ذات ← مرسل إليه مساند ← موضوع → معارض	مرسل ← موضوع ← مرسل إليه مساند ← ذات → معارض
النقص التي رصدتها آن عند دراستها للمسرح	وفي نفس الموضوع يوضح الناقد أوجه الإغريقي، نوجزها في النقاط التالية:

1- المرسل يطلب من الذات إنجاز موضوع لفائدة المرسل إليه، ومنه يكون السهم متجه من المرسل إلى الذات، لأنه لا يمكن أن يطلب من الموضوع شيئاً لأنه المسعى.
3- إن المساندة أو المعارضة تكون للموضوع وليس للذات.

يقر السعيد بوطاجين بأن ترسيمة غريماس وإن بدا فيها النقص فهو لا يؤثر على منهجها الإجرائي، عند دراسة انتقال العوامل في المقاطع الكبرى، المكونة للرواية المدروسة، لذا اعتمادها بوجه خاص كآلية إجرائية في دراسته الاشتغال العملي إلى جانب ذلك يبين أوجه النقص في ترسيمة آن وأوبرسفالدي، تمثلت في⁽¹⁾:

1- طرحت إشكالية السهم المتجه من الذات إلى المرسل إليه، إذ وجب أن يوصل الموضوع بالمستفيد منه، لأن المرسل غير معني بالذات كذات، إنما بغايتها وهدفها.
2- لا يمكن أن تغفل حالات تكون فيها المساندة أو المعارضة لذات بعينها.

وفي شأن مصطلح العامل ينتقد بوطاجين ترجمته بغير هذا الملفظ، لأن ذلك فيه إسقاط لمفهومه ودلالته المنهجية، كما أن « ربط العامل بالفاعل يعد إخلاقاً بمعناه، والحال أن هناك عوامل لها علاقة بالفعل، الذات- المساندة، المعارض، في حين تظل العوامل الثلاثة الأخرى قابلة أن تكون في حالة خفوت كلي، ولهذا يكون الاستقبال تضييغاً للمفهوم والمعنى معاً.»⁽²⁾

وقد أحصى الناقد ترجمات عربية مختلفة استخدمت مقابلة للمصطلح actant وأوردها في الجدول الآتي:⁽³⁾

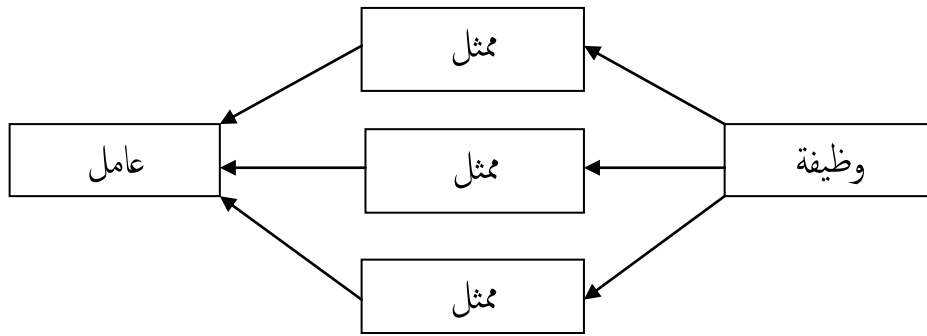
(1)- السعيد بوطاجين، الاشتغال العملي المرجع السابق، ص- ص: 17-18.

(2)- السعيد بوطاجين، الترجمة والمصطلح -دراسة في إشكالية ترجمة المصطلح النقدي الجديد، المرجع السابق، ص: 162.

(3)- المرجع نفسه، ص: 161.

المصطلح	الترجمة	عنوان الكتاب	الصفحة	الأمل
actant	مفاعل	قاموس اللسانيات	249	agere
actant	عامل	قاموس مصطلحات السيمياء	15	
actant	عامل	الإشغال العمالي	العنوان، المتن	
actant	فعل حقيقي	المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات	55	

يشكل العامل (الذات، المرسل، المساعد...) مع الممثل مزدوجة تجسد العلاقة بينهما، حيث يمكن أن يكون للعامل الواحد عدة ممثلين، كما يمكن أن يؤدي ممثل واحد عدة أدوار عملية، يُعبّر عن ذلك في الخطاطين الآتيتين:⁽¹⁾



ولا تتشكل العوامل فقط في المنظور السيميائي السردية من الشخصيات والكائنات الحية، إنما أيضًا من أشياء وجمادات ونباتات وأفكار وقيم وفضاءات و مؤسسات⁽²⁾ يمكن أن تحدث أثرًا في مسرى السرد والبرامج المتولد فيه، وقد تسهم في بناء الحدث

(1)- شادية شقروش، العامل في السيميائية السردية، مجلة كلية التربية، جامعة واسط، العراق، عدد 20، جويلية 2015، ص: 144.

(2) - جميل حمداوي، السيميوطيقا السردية، المرجع السابق، ص: 90.

وتعمل على جريانه في المنطوق السردى، « فالعوامل هي الكائنات والأشياء التي تسهم في الحدث بأي صفة كانت، وحتى بوصفها ممثلاً صامتاً، ولو بشكل أكثر سلبية»⁽¹⁾، فتكون هذه الفواعل غير المشخصة محرّكاً للحدث إيجاباً أو سلباً، حركةً أو سكوتاً فتجعله ينعرج من نقطة إلى أخرى، هذا التحول الحاصل بفعالها يجعل منها عوامل فتتسع دلالة العامل من الممثل والشخصيات إلى كل عنصر مفعّل للحدث.

صحيح أن مأساة صغيرة تحوي -على أنها كباقي الخطابات السردية- "حدثاً ومتخاطبين وظروف"، وإذا نقلنا الحدث والمتخاطبين والظروف من صعيد الواقع المأساوي إلى التركيب البنيوي فإننا نحصل على الفعل والعوامل والظروف⁽²⁾؛ بمعنى أنه إذا قرأنا هذه البنيات السردية بتحليل السيميائي فإن الحدث كمقوم السردى يعبر عنه بنائياً بالفعل، والمتخاطبين بالعوامل.

تبيّن من عرض الترسيمية العاملة كنسق أن إن الترسيمية العاملة عبارة عن شكل إجرائي، يهدف إلى تنظيم العوالم الدلالية⁽³⁾، يحدد تخطيطاً للوجهات والعلاقات القائمة بين الفواعل، ولا يوضح أكثر من ما تقوله الخطاطة حول حركة هذه العوامل ضمن البنية السردية، والعلاقات القائمة بينها كوجه من وجوه رصد شكل المعنى، والبنية السطحية لدلالة المحكى المطبقة عليه، وليس أكثر من هذا.

2.3 الترسيمية العاملة باعتبارها نسقاً:

إن ترسيمية غريماس العاملة لا تحمل معنى وإنما شكله، وإلا سنحمل الترسيمية أكثر مما وجب حمله، هي في الواقع أنموذج يضبط آليات تحليل الخطاب السردى⁽⁴⁾، بتوضيح اتجاهات وحركة العوامل فيما بينها، ورصد للعلاقات القائمة بين العوامل المشكلة في برنامج سردي ما، وتحقيق للعمليات المبرمجة في المشروع السردى المنتمية إليه، من ذلك فهي إجراء وآلية قراءة لوجه الدلالة، وموجه عاملي لكل مقوم من مقومات بناء المعنى. وإن بناء الترسيمية العاملة على ستة عوامل وجعلها في ثلاثة أزواج تحكمها علاقات

(1) - رشيد بن مالك، مقدمة في السيميائية السردية- المرجع السابق، ص 17.

(2) - المرجع نفسه، ص: 17.

(3) - سحّين علي، السيميائيات السردية نظرية غريماس الأصول العلمية والمرجعيات الفكرية، المرجع السابق، ص: 51.

(4) - المرجع نفسه، ص: 51.

معينة، يثبت شرعيتها كنظام قائم على وحدات ثابتة، تشكل في معناها التجريدي المنطقي نسقاً يقبل التطبيق على أشكال مختلفة ويحتويها.

أ- مزدوجات الترسمة العاملة

ترتبط الترسمة العاملة بثلاثة أزواج للعوامل تحكمها علاقات تكسيها شرعية تكوين هذه المزدوجات، هي:

1- المزدوجة الأولى: " الفاعل / الموضوع":

يمكن تعيين العاملين ذات / موضوع من خلال تتبع ملفوظات النص، ومن خلال ملفوظ بسيط نستطيع تعيينهما بواسطة الصلة القائمة بينهما، وهي علاقة الرغبة المولدة لهما. ويعتبر الموضوع "حيز توظف فيه قيم تقتزن بالفاعل أو تنفصل عنه." (1) وتحدد قيمته من حالة الرغبة الدفينة إلى تعزري الفاعل، وتقوده إلى التنافس والصراع لامتلاكها، ولا تتحدد حسب الكاتب في وجودها منفردة أو لذاتها، إنما بحسب رغبة الفاعل في تملكها والصراع عليها.

يدرج بن مالك انتقاد غريماس من أننا نميل إلى مزج الموضوع بالقيمة، والخلط بين هذين المفهومين، والمطابقة بين القيمة والشيء المرغوب فيه، وبين أن بروب بدوره ربط الموضوع بالرغبة أثناء حديثه عن الافتقار ورغبة البطل في الحصول على الموضوع المفقود؛ والانتقال إلى هناك، وهذه رؤية منهجية هامة في آليات الكشف والتحليل السيميائي، غير أن هذا المنظور البروبري قد « أهمل الشروط المحققة لوجود الموضوع ذلك أن طرح المسألة بهذا الشكل يحمل على الاعتقاد بأن القيمة تنصهر في الموضوع، غير أن العملية لا تتم بهذه البساطة كما لاحظ ذلك غريماس، إذ يستحيل أن يفهم الموضوع بقطع النظر عن القيمة المستثمرة فيه.» (2)

يشرح غريماس رأيه في مثال، موضحاً ما يؤخذ فيه بروب في شأن هذه الجزئية إذ يرى أنه إذا أراد شخص شراء سيارة فهو لا يريد امتلاكها كموضوع؛ إنما كوسيلة سريعة التنقل، بديل عن البساط الطائر في الماضي، فرغبة الشراء هذه ممزوجة بالخطوة والرفعة

(1) - رشيد بن مالك، البنية السردية النظرية السيميائية، المرجع السابق، ص: 15.

(2) - رشيد بن مالك، مقدمة في السيميائية السردية، المرجع السابق، ص: 30.

الاجتماعية والإحساس بالقوة والقدرة، بذلك فهذا الموضوع ليس في الواقع إلا ذريعةً وحيثًا تركيبياً تطرح وتوظف فيه قيم، التي يرغب العامل أو الفاعل في إنجازها وتحقيقها. وهو المكان الوسيط بين الذات ونفسها.⁽¹⁾

يشكل الموضوع بمعية الفاعل بؤرة النموذج العملي، تحكمها علاقة الرغبة، حيث « يحدد الفاعل من هذه الرغبة العامل الراغب المتحرك، بينما تمثل الطلبة موضوع الرغبة.»⁽²⁾ وتنحصر من هذه العلاقة الأساسية بين الفاعل والموضوع، حالات الفصل والوصل العاكسة لها، كما تنحصر عليها دراسة البرنامج السردية، والوقوف على منطلقاته المساهمة في إيراد دلالة ومعنى النص السردية.

يري غريماس -ترجمة العجيمي- أن هذه العلاقة «محملة بشحنة دلالية كامنة في الرغبة.»⁽³⁾، ويعين غريماس من ملفوظ الحالي وضع كل عامل بالنسبة للآخر، على أن الصلة بينهما استتباعية "implication" والصلة التعالقية (relation jonctive) بمعنى وجود أحدهما يفترض وجود الآخر ويستوجبه؛ الأمر الذي يجعل وجود أحدهما دلاليًا يكون لأجل الآخر، وبه.⁽⁴⁾ يمثل الذات للعامل المقابل له حسب محور تقابلها مصدر الحركة، في حين يجسد الموضوع للذات غاية الحركة، عينها بنكراد في الصيغة الآتية: مصدر الحركة (م) غاية الحركة.⁽⁵⁾

تعد العلاقة بين (الفاعل / الموضوع) ذات أهمية بالغة في العلاقات المبنية في النص إذ عليها تقوم بقية العلاقات والأدوار، «وتبنى عليها طموحات الفاعل، وفي إطارها تتوزع الأدوار، وعلى متنها تتولد الرغبات ويشتد التنافس والصراع.»⁽⁶⁾ لذا اعتبرها بنكراد المزدوجة الأساس في النموذج، لأنها « مصدر للفعل ونهاية له، أنها مصدر له لأنها تعد نقطة الإرسال الأولى لمحفل يتوق إلى إلغاء حالة ما أو إثباتها، أو خلق حالة جديدة، وهي نهايته؛ من حيث أن الحد الثاني داخل هذه الفئة يعد الحالة التي ستنتهي إليها الحكاية

(1) - الجيرداس جوليان غريماس، في المعنى -دراسات سيميائية-، المرجع السابق، ص- ص: 70-71.

(2) - محمد الناصر العجيمي، في الخطاب السردية نظرية غريماس (Greimas)، المرجع السابق، ص: 40.

(3) - Algirdas Julien Greimas, Semantique Structurale, Op cit, p: 176.

(4) - محمد الناصر العجيمي، في الخطاب السردية نظرية غريماس (Greimas)، المرجع السابق، ص: 40.

(5) - سعيد بنكراد، السيميائيات السردية، المرجع السابق: 96.

(6) - رشيد بن مالك، البنية السردية، المرجع السابق، ص: 15.

ويستقر عليها الفعل الصادر عن نقطة التوتر الأولى.⁽¹⁾ يشير العجبي إلى أن الفاعل ليس ضرورياً أن يكون كائناً إنسانياً أو حياً، كما لا يشترط أن يكون الموضوع شيئاً مادياً جامداً⁽²⁾، وتكون العلاقة بين الموضوع القيمي والفاعل في الوضع البدئي معبر عنها بالعلاقة الحالية، المتمظهرة في وضعين احتماليين هما إما وضع الاتصال أو وضع الانفصال.

ولا يعبر الانفصال عن انقطاع الصلة بين الفاعل وموضوعه أو استقلال أحدهما عن الآخر، إنما - حسب غريماس - « يظل حضورهما قائماً بالقوة، ويظل الأول ينزع إلى الثاني، ساعياً إلى الاتصال به وضمه إليه »⁽³⁾، وعلى الرغم من أن الفصل هو نفي للوصل إلا أنه لا يعني إلغاء كل علاقة بين العاملين⁽⁴⁾، وإلا فلن يكون لوجودهما مبرر، وتنتفي العلاقة بينهما، ومنه العود والانحدار إلى الوضع الأول أو العدم الأول. فمجرد الرغبة من الفاعل في تحقيقه للموضوع القيمي الساعي لامتلاكه أو الاتصال به يعطيه الشرعية ويؤهله كذات راغبة للانتصاب فاعلاً بالقوة.⁽⁵⁾

بتعبير غريماس، فإن زوال العلاقة بين الذات والموضوع، يؤدي إلى إلغاء الوجود السيميائي ويلقي بالمواضيع في الفوضى الدلالية الأولى. إذن، النفي «يحافظ على الذات والموضوع في وضع كائنات دلالية مانحاً إياها صيغة وجود مختلفة عن حال الوصل. وربما قلنا أن الفصل يجعل العلاقة بين الذات والموضوع كامنة من خلال تثبيتها على شكل أمكانية وصل»⁽⁶⁾.

بناء على ما سبق، يوجد نوعين من الفاعل -الذات-، هذا الذي يستمد وجوده الدلالي من العلاقة التي يقيمها مع القيمة المستهدفة⁽⁷⁾، هما ذات الحالة وذات الفعل ووضح غريماس - الترجمة لرشيد بن مالك - أن:

- (1) - سعيد بنكراد، مدخل إلى السيميائية السردية، المرجع السابق، ص: 48.
- (2) - محمد الناصر العجبي، في الخطاب السردية نظرية غريماس (Greimas)، المرجع السابق، ص: 41.
- (3) - نادية بوشفرة، مباحث في السيميائية السردية، المرجع السابق، ص: 50.
- (4) - الجيرداس جوليان غريماس، في المعنى -دراسة سيميائية، المرجع السابق، ص: 80.
- (5) - محمد الناصر العجبي، في الخطاب السردية نظرية غريماس (Greimas)، المرجع السابق، ص: 42.
- (6) - الجيرداس جوليان غريماس، في المعنى -دراسة سيميائية، المرجع السابق، ص: 80.
- (7) - رشيد بن مالك، البنية السردية في النظرية السيميائية، المرجع السابق، ص: 16.

1- **فاعل الحالة:** به تحدد علاقته بالموضوع اتصالاً أو انفصلاً والصلة التي تحكمه بالموضوع القيمي.⁽¹⁾

2- **الفاعل المنفذ:** يتجلى من خلال علاقة التحويل، يحيل على كيان دينامي حركي قادر على امتلاك المؤهلات وممارسة الأفعال.⁽²⁾

وينظر للذات بالنسبة للمربع السيميائي على أنها المحرك الفعلي له، أما الموضوع كعنصر داخل هذا النموذج وفي مستواه التجريد يكون بعيداً عن أي حركة.⁽³⁾ لأنه شيء شيء له قيمة أو غاية يسعى الفاعل لإدراكها، والحاصل بينهما تحدد علاقة الرغبة، بسيمين: إما الاتصال أو الانفصال. وكل واحد من السيمين يشكل ملفوظاً سردياً. يحمل موضوع قيمة يعد إلى جانب الفاعل دعامتين في تأسيس البرنامج السردية.

وقد وقف بن مالك على تحديد مفهوم موضوع القيمة، ومن الأسباب التي جعلته يحدد نظرياً ومنهجياً هذا المفهوم أن⁽⁴⁾:

- التفكير في قراءة الموضوع القيمة تكاد تكون مقصاة، لظن النقاد الغرب أنها مدركة محسوسة سلفاً، والاكتفاء بالإحالة إلى ما جاء به غريماس؛ خاصة في بحثه " في المعنى II".
- تداخل المصطلح في البحوث العربية، التي تقدم الموضوع والقيمة على أنها شيء واحد.
بين بن مالك أن مفهوم موضوع القيمة مبني على تحديد مفهومي الموضوع والقيمة من البحوث اللسانية، التي اتكأ عليها غريماس، الذي اعتبر الموضوعات صنفين موضوعات ذات قيم ذاتية متعلقة بالكيان، تحدد حالة الذات يطلق عليها "حالة الكيان" "état de l'être"، وأخرى ذات مدى موضوعي مشخصة، يكون حضورها فعلياً.⁽⁵⁾
يوضح بن مالك أن العلاقة بين الفاعل والموضوع من الوجهة السيميائية مؤسسة على مبدأ

(1) -Algirdas Julien Greimas, Joseph Coutres : Sémiotique, Dictionnaire Raisonné de la théorie du langage, Op cit, p: 259.

(2) -Ibid, p: 259.

(3) - سعيد بنكراد، السيميائيات السردية، المرجع السابق، ص: 97.

(4) -رشيد بن مالك، البنية السردية في النظرية السيميائية، مرجع سابق، ص: 16.

(5) محمد الناصر العجمي، في الخطاب السردية نظرية غريماس (Greimas)، المرجع السابق، ص: 41.

المقايسة الرياضي^(*)، وأن سهم التوجيه ينطلق من الفاعل نحو الموضوع في علاقة غير تماثلية بل موجهة على النحو الآتي:⁽¹⁾ الفاعل ← الموضوع
وهذه العلاقة - بتوضيح بنكراد- هي أساس أي سلوك إنساني فكل الموضوعات القيمة في الكون البشري ينظر إليها من خلال عنصر الرغبة وغائية الفاعل في امتلاكها وتبنى العلاقة على طرفين يحددان من الملفوظين السرديين الاتصالي والانفصالي، ولأن عملية السرد تكون سجالاً وتتابعاً للأحداث فإن هذين الملفوظين سوف يقرآن خطياً وعمودياً، استبدالياً وتوزيعاً، فنكون أمام الصيغة الآتية⁽²⁾:

$$\begin{array}{c} \text{ذ } u_1 \text{ م} \longleftarrow \text{ذ } n_2 \text{ م} \\ \text{أو:} \\ \text{ذ } n_1 \text{ م} \longleftarrow \text{ذ } u_2 \text{ م} \end{array}$$

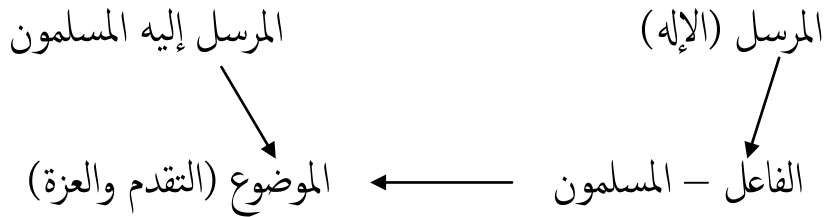
2- **المزدوجة الثانية مرسل/ مرسل إليه:** (destinateur/ destinataire) ترجم أيضاً بـ المؤتى /المؤتى إليه. يبدأ عمل المرسل - العنصر الأهم في هذه المزدوجة- عند احتواء الخطاب السردى على جملة من القيم أو " منظومة من القيم système axiologique، يعمل على صيانتها والمحافظة عليها، وضمان استمرارها ويحكم على الأفعال بوجود هذه المنظومة بسلبيتها أو إيجابيتها، ويتم تبليغها إلى المرسل إليه⁽³⁾ وقد يكون الفاعل ذاته « déstinataire – sujet » المرسل إليه، فيحقق الموضوع لنفسه المستفيد ويكون المستفيد الأول منه، فيحتل بذلك هذا العامل دورين

*- والعلاقة غير تماثلية فهما في المنحى الرياضي أنها افتراض النقطة "س" فوق النقطة "د"، حيث تكون بذلك العلاقة بينهما غير تماثلية، فيقَدَّم العنصر "د" على أنه الموجة، ونقطة انطلاق نحو "س" (علاقة موجهة)، في حين يكون التماثل في افتراض وجود نقطتين (س.د)، على نفس البعد دون أن يمس التغيير طبيعة العلاقة التي تربطهما. رشيد بن مالك، البنية السردية في النظرية السيميائية "ص21"



- (1) - رشيد بن مالك، البنية السردية في النظرية السيميائية، المرجع السابق، ص: 13.
- (2) - سعيد بنكراد، مدخل إلى السيميائية السردية، المرجع السابق، ص: 50.
- (3) - محمد الناصر العجيجي، في الخطاب السردى نظرية غريماس (Greimas)، المرجع السابق، ص: 42.

عاملين - فاعل و مرسل إليه - مثال⁽¹⁾:



وقد يكون المرسل إليه مستفيداً آخر، سواء تمثل في شخص أو كيان منفرد أو صور جماعة، يسمى في هذه الحالة بالمستفيد المتعدي، في حين يسمى في الحالة السابقة المستفيد الانعكاسي.⁽²⁾

تجمع هذا الزوج علاقة التواصل على محور الإبلاغ؛ فيه يعمل المرسل على إقناع الفاعل، وحثه لتحقيق الفعل والبحث عن موضوع القيمة، ويكون كل ذلك لصالح المرسل إليه المستفيد من تحقيق الهدف المنشود، ونجاح الفاعل في امتلاك الموضوع القيمي، هذا من جهة، ومن جهة أخرى يقوم المسار السردى باعتباره فاعلاً تأويلياً.⁽³⁾ فتنظم العلاقات في الترسمة العملية للخطاب السردى بتواجد المرسل في مركز فوقى، تربطه علاقة بالمرسل إليه، قائمة على التبعية، تكون موجهة من الكل إلى الجزء، في حين تربطه علاقة معاكسة بينه وبين المرسل إليه تنطلق من الجزء إلى الكل.⁽⁴⁾ والعاملان المرسل والمرسل إليه هما «مخفلان يقعان على المستوى الذهني للفعل... لذلك لا يتحددان إلا من خلال موقعهما من حالي البدء والنهاية، كجزأين سرديين مؤطرين لمجموع التحولات المسجلة داخل النص السردى».⁽⁵⁾

تدخل هذه المزدوجة في علاقة مع المزدوجة الأولى (ذات / موضوع) - كما سوف نبينه في العنصر اللاحق - فيقوم المرسل بدور الوسيط - بموجب هذه العلاقة الثانية - بين عالمين؛ العالم الآني والعالم المفارق السامي⁽⁶⁾، إذ يعمل المؤتى إلى تقريب القيم المرغوب

(1) - محمد الناصر العجيجي، في الخطاب السردى نظرية غريماس (Greimas)، المرجع السابق، ص: 41.

(2) - جميل الحمدواي، السيميوطيقا السردية، المرجع السابق، ص: 93.

(3) - عبد المجيد العابد، مباحث في السيميائيات، المرجع السابق، ص: 38.

(4) - محمد الناصر العجيجي، في الخطاب السردى نظرية غريماس (Greimas)، المرجع السابق، ص: 43.

(5) - سعيد بنكراد، السيميائيات السردية، المرجع السابق، ص: 99.

(6) - محمد الناصر العجيجي، في الخطاب السردى نظرية غريماس (Greimas)، المرجع السابق، ص: 43.

فيها- الممثلة في موضوع قيمي - من الفاعل المتواجد في عالم آني، ويرغب في تغييره وتحقيق موضوعه الهدف، المنتهي إلى العالم المفارق السامي، فيجيء المرسل وسيطاً لامتناس هذه الفجوة، يحرص على ضمان وجود هذه القيم ضمن مسارها السردية، سواءً أكانت هذه القيم عائدة لعالم الواقع المعاش، مثلما عليه في الروايات والقصص البعيدة عن الفكري الأسطوري، أو عائدة لعالم المثل المطلق كما هو سائد في الفكر الأسطوري، فهمة المرسل في العالمين لن تخرج عن مهمة الحفاظ والصيانة لهذه القيم وضمان استمرارها.⁽¹⁾ وقد يكون المرسل مخالفاً في قيمه لهذه القيم السامية المرغوب فيها من الفاعل المتدهور الوضعية، فيخمله على الاقتناع بها واعتناقها وتحقيقها، إما أن يفرضها عليه قهراً وأما عن طريق الزور والخداع، أو ينجزها اعتماداً على حيويته وقدرته الطبيعية أو السحرية.⁽²⁾

يظهر الناقد محمد الناصري العجيمي مخالفة بعض أتباع^(*) غريماس رأيه الذي جاء على فصل المرسل والمرسل إليه في الدور؛ أي حصر الوظيفتين في عاملين كل على حده، فيرى المخالفون في أنه قد يحصل تطابق تام بين المرسل والمرسل إليه، حيث يجسد عامل واحد الوظيفتين معاً، كأن يكون الرسل قيمة مجردة كامنة في الفاعل من مثل: (الحب، الحقد، الشعور بالواجب...)، وقد يصيب الفاعل التردد والاضطراب حين يتنازع مرسلين متناقضين داخله.⁽³⁾

محمل ما نقوله عن المزدوجة أن المرسل دوره إقناع الذات، والمرسل إليه المستفيد من الموضوع المنجز، و تعطى فيها الأولوية للمرسل. ولا تتضح علاقة المزدوجة إلا بوجود عاملي (الفاعل / الموضوع) على محور الرغبة.

3- المزدوجة الثالثة: المساعد / المعارض

يعود وجود هاذين العاملين إلى وجود العلاقة بين الفاعل والموضوع يعمل ضمنها المساعد على مساندة الفاعل وتقديم العون له لتحقيق مشروعه، والحصول على رغبته

(1) - محمد الناصر العجيمي، في الخطاب السردية نظرية غريماس (Greimas)، المرجع السابق، ص: 43 - 44.

(2) - سمير مرزوقي وجميل شاكر، مدخل إلى نظرية القصة تحليلاً وتطبيقاً، المرجع السابق، ص: 134.

* - نجد هذا عند فريق إنترفرن، التحليل السيميائي للنصوص، ص: 92-93.

(3) - محمد الناصر العجيمي، في الخطاب السردية نظرية غريماس (Greimas)، المرجع السابق، ص: 44.

في حين، وعلى الوجهة الأخرى يسعى المعارض إلى عرقلة ذلك والحوّل دون تحقيق الفاعل لموضوعه، لذا تنشأ من علاقتها حركة جدلية تصنف على محور الصراع. وتقاس درجة وحدة الصراع بين العوامل في النص « بالقيم التي يسعى كل طرف إلى الدخول في صلة بها.»⁽¹⁾

ينتج عن هذه المزدوجة وفق علاقتها الرابطة لها إما أن تستحوذ الذات على الموضوع وتحقق رغبتها المنشودة، أو تفشل في ذلك، وفي كلتا الحالتين يحدث الصراع بين الذات والذات الضديّة⁽²⁾، ويتولد عن ذلك عوامل مساعدة تساند الذات وعوامل معارضة للذات؛ تساند الذات الضديّة التي تعمل على عرقلة المشروع، أو التواصل معه⁽³⁾. بيد أن المساعد قد أعطي مكانة هامشية مقارنة مع المعرض بالنسبة لعلاقتها بالفاعل، مما جعل نظرية الصيغ من اسقاط دور المساعد من الوضعية العاملة لاعتبارها أنه لايشكل عنصرًا أساسيًا في تداول وإنتاج المعنى، في حين ترى دور المعارض أكثر تعقيدًا من سابقه لأنه يعين كذات مضادة للفاعل.⁽⁴⁾

وليس شرطًا أن يكون المساعد أو المعارض شخصًا أو شخصيات بعينها، إنما قد يكونان شيءًا أو عوامل مادية أو معنوية.⁽⁵⁾

نجد من هذه الأزواج الثلاثة وعواملها الستة أن قطب الرحي فيها هو الموضوع عليه تقوم العلاقات، وتتحدد مساراتها العاملة، ومجراها في المحكي، لاستقطاب للدلالة ولا يمكن لأي عامل إلا والدخول في دائرة الموضوع إما سعيًا لتحقيقه أو التحفيز لذلك أو المساعدة لإنجازه أو عرقلته.

ب- علاقات العوامل في الترسمة العاملة مع الموضوع:

يقع الفعل في الجملة البسيطة موقع النواة والمركز، يقابله اصطلاحًا عند "

(1) - رشيد بن مالك، البنية السردية في النظرية السيميائية المرجع السابق، ص: 15.

(2) - شادية شقروش، سيمياء السرد بين سر المكبوت وسحر المكتوب في رواية حارث النسيان لجمال الخليلي، ص: 12.

الموقع الإلكتروني: www.dalilmag.net

(3) - جوزيف كورتيس، مدخل إلى السيميائية السردية الخطافية، المرجع السابق، ص: 110-111.

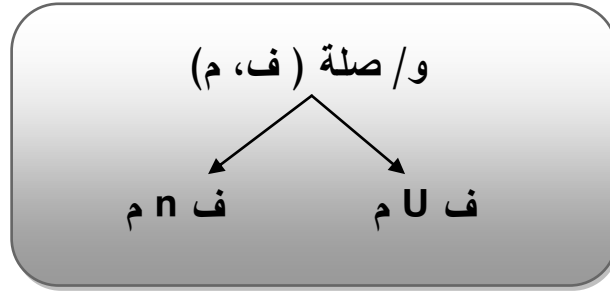
(4) - جميل الحمدوي، السيميوطيقا السردية- من سيميوطيقا الأشياء إلى سيميوطيقا الأهواء-، المرجع السابق، ص: 93-

94.

(5) - المرجع نفسه، ص: 93.

ريشنيخ "مصطلح الوظيفة"⁽¹⁾، بمفهومه المصور للعلاقة الجامعة بين العوامل، حيث تربط بينها، فنجد ثلاثة مقاربات اصطلاحية لمفهوم واحد، هي: الحدث - الفعل - الوظيفة. وإن التماثل الحاصل بين الجملة والخطاب يجعل الملفوظ البسيط الأولي في البعد السيميائي قائماً على وجود علاقة بين العوامل والموضوع، وأن هذه العلاقة علاقة وظيفية، إذ تكون الوظيفة التي تربط عامل الذات بالموضوع هي العلاقة المحددة لتواجهها كما هما⁽²⁾، نختزلها في: (ع، م)، حيث العامل هو الذات الباحثة عن الموضوع، والعلاقة بينه وبين موضوعه محكمة إما بصلة وصل أو صلة فصل.

● عند وجود موضوع واحد، يعبر عن الصلة أو العلاقة كالآتي:



كما يعبر عن هذه العلاقة بالرمزية الآتية: و / تحويل (ف. م).
يوضح بن مالك بأن الرغبة المتولدة من فعل المرسل الممارس على الفاعل تعكس ظهور حالة الافتقار "état de manque"، تتسبب في فقدان التوازن على مستوى الوضع الأولي، ويتمحور تعويض الافتقار حول العلاقة: فاعل / موضوع التي يحددها ملفوظ الحالة "énoncé d'état"، ويجسد وضعية كل عنصر في علاقته بالعنصر الآخر عبر الصلة المفصلة من المنظور السيمي إلى وضعين متناقضين، وضع فصلة ووضع وصلة.⁽³⁾

تعد رغبة الفاعل هي الدليل على الوضعية الأولية التي عليها الفاعل، وهي تعبير عن حالة الافتقار والانفصال عن شيء معين ذي قيمة يريد الفاعل امتلاكه، ويدفعه إلى ذلك

(1) - أنظر: رشيد بن مالك مقدمة السيميائية السردية، ص: 17.

(2) - جوزيف كورتيس، الأشكال السردية، تر: عبد الحميد بورايو، ضمن كتاب: الكشف عن المعنى السرديات والسيميائيات، دار السبيل، الجزائر، (د ط)، 2008، ص: 58.

(3) - رشيد بن مالك، مقدمة في السيميائية السردية. المرجع السابق، ص: 31.

تحفيز المرسل إلى ذلك ، ويتضح كل هذا من ملفوظات الحالة للفاعل، وفي نفس المسرى السردى وعن الوضعية الأولية تكون هناك فواعل أو فاعل مغاير في وصلة واتصال مع الموضوع، ويمكننا التعبير عن ذلك بالرمزية الآتية:

$$(ف_1 U م n ف_2)^{(*)}$$

إن وجود موضوع واحد لفاعلين يجعل كل واحد منهما يحدد الموضوع القيمي لذاته على محور الرغبة، يسعى لامتلاكه، وسوف يتميز الوضع النهائي بينهما بدخول ف₁ وف₂ بشكل آني في فصلة وصلة مع م⁽¹⁾:

$$ف_1 U م \times م n ف_2$$

● حين يتعدد الموضوع؛ بمعنى نكون أمام موضوعين أو أكثر، لفواعل محددة حسب الترسمة العاملية المنتمية إلى مشروع سردي معين، فإنه تتحدد علاقات ووضعيات جديدة تبادلية (علاقات التبادل) نعيها في الآتي⁽²⁾:

- على افتراض وجود موضوعين يتواجدان في المشروع السردى للفاعل (ف₁) حيث أحدهما يكون في اتصال معه والآخر في انفصال عنه، يصاغ رمزياً على النحو الآتي:

$$(م n_1 ف_1 u) \text{ أو } (م u_1 ف_1 n_2)$$

- وعند عملية التحويل يصير الفاعل في حالة انفصال عن المتصل به قبل التحويل وفي اتصال مع الموضوع الآخر الذي كان في انفصال عنه، وتكتب الرموز كالتالي:

$$(م n_1 ف_1 u) \leftarrow (م u_1 ف_1 n_2) \text{ أو } (م u_1 ف_1 n_2) \leftarrow (م n_1 ف_1 u)$$

- ويكون الفاعل الضديد في وضع عكسي للفاعل الحالي؛ إذ يكون في اتصال مع الموضوع الذي يكون فيه (ف₁) في انفصال عنه، وفي انفصال عن الثاني الذي (ف₁) في اتصال به، يكتب رمزياً في الصورة الآتية:

$$(م u_1 ف_1 n_2) \leftarrow (م n_1 ف_1 u)$$

* - ف₁: فاعل الحالة. م: الموضوع القيمي. ف₂: الفاعل أو الفواعل المغايرون. u: صلة فصلة. n: صلة وصلة.

(1) - رشيد بن مالك، مقدمة في السيميائية السردية، المرجع السابق، ص: 31.

(2) - أنظر: جماعة أترفون، ص، ص: 57، 60. كذا محمد الناصر العجمي، في الخطاب السردى نظرية غريماس (Greimas)

ص، ص: 54، 57.

بعد التحويل: (م₁ ف u₁ م₂) ← (م₂ ف u₁ م₁)

تدخل هذه الترميزة ضمن المشروع السردى المركب، حيث تحمل العمليتان التحويليتان انجازًا ثنائيًا مبيّنًا على الهبة، فيه يكون الفاعلين الحاليين هما ذاتهما القائمين بفعل التحويل.

يدخل العمل التحليلي لهذه الجزئيات في عملية تحديد معنى ودلالة البنيات السردية التي تقوم على علاقات الفواعل أو العوامل بالمواضيع أو بعضها ببعض، وعملية انتقالها فيما بينها البين، وفق المواضيع السردية القيمة التي عليها يبني المشروع السردى بذلك تنتمي الترسمة العاملة بمنطقها وانتظامها في وحدات مؤسسة للنموذج العاملي إلى المكوّن السردى، القائم على المستوى السطحي لتحليل السيميائي السردى، وقد خلاص الناقد الناصري حركة هذا النموذج وانتظامه في البنى السردية إلى⁽¹⁾:

1. أن الوحدات العاملة لا قيمة لها في ذاتها، إنما قيمتها في علاقاتها وانتظامها فيها فلا قيمة للموضوعات^(*) بمعزل عن الفواعل، كما لا أهمية للفواعل إلا بموضوعاتها التي تكون قطبًا يربط جل الفواعل بعضها ببعض.

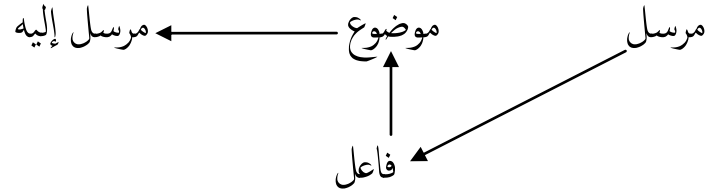
2. تحديد الملفوظات السردية البسيطة أو مركبة يدخل في مفهوم السردية، التي يراها غريماس عملية التحول أو التحولات التي تضيف إلى اتصال الفواعل بموضوعاتها أو انفصالها عنها.

إن تحليل البنية العاملة من شأنه أن يكشف الوضعيات التركيبية التي عليها العوامل بالنسبة للموضوع القيمي، الموزعة في النص السردى، ومن الضروري تحديد هذه الوضعيات، لأنه يعد ضابطًا للعلاقات التي تنظم العوامل وحركتها مثل: علاقة الرغبة التي تربط الفاعل بالموضوع، والعلاقة المعاكسة الرابطة بين المعارض بالفاعل، الراغب في الموضوع، فيحول المعارض دون ذلك، وهناك علاقة متجانسة بين الفاعل والمرسل، تتم على الصعيد المعرفي الإقناعي، في حين تكون نهاية هذه العلاقات عند المرسل إليه

(1) - محمد الناصر العجمي، في الخطاب السردى نظرية غريماس (Greimas)، المرجع السابق، ص: 56.

* - تكتسب الموضوعات أهميتها عند تحديد الفواعل قيمتها وتبدي موقفها منها، فيحصل بينها تبادل وفق عقد مبرم صراحة أو ضمّنًا يسميه غريماس بالعقد الإقناعي يكون بين الفواعل المعنية بعملية التبادل.

« المستفيد الأول من التحري "quête"»، والذي يحتل موقعا واضحا في الرسم الآتي⁽¹⁾:



عند النظر في تشكيلة العوامل التي تخضع في توزيعها إلى محاور دلالية مضبوطة في أزواج ثلاثة، نجدها تتعلق فيما بينها البين - كما يوضح الشكل السابق - فنلاحظ مثلا مزدوجة المرسل والمرسل إليه لها علاقة ثانية بينة مع مزدوجة الذات والموضوع، ويمكن العلاقة مع الفاعل، حيث يعمل المرسل على تحفيزه وإقناعه، يكون المرسل إليه المستفيد من إنجاز الموضوع، أما من ناحية ارتباط المرسل والمرسل إليه بالموضوع، فإن الموضوع بالنسبة إليهما هو « الرهان الأساسي في أي إبلاغ، الموضوع كرحلة للبحث، ومكشروع للقيم وكغاية إبلاغية. »⁽²⁾ تعقد عليه علاقة ثلاثية الأطراف نجسدها في التخطيط الآتي:



يقوم المرسل بإلقاء الموضوع والحث عليه، في حين يتبناه الذات وتعمل على البحث عن حقيقته، بعد الاقتناع به بواسطة المرسل، وهنا نكون أمام تحوّل في المسار الدلالي السردية، من إقناع والقبول إلى تأويل وإنجاز الفعل. فتتولد التجليات الدلالية عن طريق العلاقات الضابطة، والمؤطرة للرسم السردية فيكشف عن بعض تفاصيل المعنى⁽²⁾، بهذا الإجراء الإيضاحي من مستوى القراءة السطحي، ومن الأمثلة المساقاة من طرف غريماس أدرجه بن مالك في كتابه مقدمة في السيميائية السردية، الكاشف عن مسرى العلاقات في الترسمة العاملة، يصوغ فيه الايدولوجيا الماركسية لمناضل يرغب في خدمة الإنسانية، الآتي⁽²⁾:

(1) - رشيد بن مالك، مقدمة في السيميائية السردية، المرجع السابق، ص: 32.

(2) - السعيد بنكراد، السيميائيات السردية، المرجع السابق، ص: 51.

(2) - رشيد بن مالك، مقدمة في السيميائية السردية، المرجع السابق، ص: 32.

(2) - Algirdas Julien Greimas, Semantique Structurale, Op cit ,p: 181.

ت- مهام والاختبارات الوظيفية للرسمية العاملة:

يدل معنى الوظيفة عند بروب على فعل، فيما يمثّل الفعل عند غريماس بمسند تمثيلاً يضم إليه العوامل، فيأخذ فيه شكل الوظيفة شكل الملفوظ السردية- الذي هو من المنظور السيميائي السردية علاقة / وظيفة بين العوامل- الآتي:⁽¹⁾
م.س = و (ع1، ع2، ...)

لقد حاول غريماس شكلنة النموذج الوظيفي لبروب ليصبح قابلاً للتطبيق على كل أنماط القصص، فميز بين ثلاثة أنواع من الوظائف⁽²⁾:

- 1- العقد.
- 2- الاختبار.
- 3- الاتصال.

1) العمليات التعاقدية:

يحصل التعاقد كلما وقع تحويل شيء (كلاماً أو مادة ملموسة) من المرسل إلى المرسل إليه، ويراعى مع كل عقد أرادة المتعاقدين مراميمهم، ومن أشكاله:

● **العقد الإجمالي:** يوجه المرسل أمراً إجبارياً للمرسل إليه، بصفته الفاعل، يرغمه فيه على قبوله، بحكم العلاقة الرابطة بينهما وهي علاقة الرئيس بالمرؤوس.

● **العقد الترخيصي:** يخبر المرسل إليه / الفاعل المرسل بإرادته لانجاز للفعل، فيكون موقف الأخير القبول، فيعزم الفاعل المباشرة لانجازه.

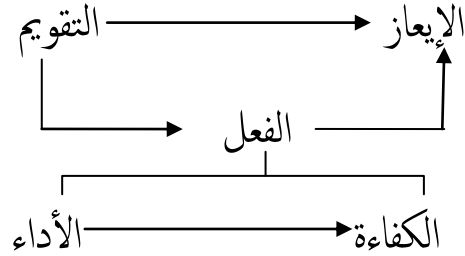
● **العقد الانتمائي:** يتم بالفعل الإقناعي الذي يقوم به المرسل، ويؤوله المرسل إليه، فإن كان الفعل الإقناعي كاذباً يكون الفعل التؤيلي واهماً.

يحتم أي عقد مبرم بين المرسل / الفاعل، الضرورة الاحتكام إلى جملة من القيم

(1) - رشيد بن مالك، مقدمة في السيميائية السردية، المرجع السابق، ص: 35.

(2) - سمير مرزوقي وجميل شاكر، مدخل إلى نظرية القصة تحليلاً وتطبيقاً، المرجع السابق، ص: 65، 67.

(1) والنظام الأخلاقي، والذي به « يعبأ الفاعل ويقوم بعمله، ويتم التحقق من تنفيذ العَقدِ. » وهذا ما يوضحه الرسم السردى الآتي المسند إلى ملاحظات كورتيس:



يعلل بن مالك هذا الشكل في أن الفعل صاحب الصدارة في المسار السردى وهو يفترض التقويم، متمفصل إلى الكفاءة والأداء مشيراً لتفاعلات على جبهة علاقات العاملين، ويحيل إلى الإيعاز «بوصفه هيئة حاسمة في تحويل الكفاءة». (2) والممثل لأهم اختبارات الفاعل التي تؤهله لأداء الفعل وتحقيق الموضوع المرغوب فيه.

2) الاختبار:

تجتمع في التركيبة العاملة في علاقتها المتعددة عدة مهام يمر بها الفاعل، تأتي بعد كل افتقار بصفته وظيفية ضرورية في كل الحكايات الشعبية والعجبية، إذ به تحبك العقدة (3). وهذه المهام كلها تؤخذ من ملفوظات الحالة والتحول وتتجلى فيها، يتم رصدها من المشروع السردى المرتقب والمعد للمعاينة. ويطلق عليها غريماس الاختبار، وتمر عبر مراحل ثلاثة أساسية عينها في:

1- المهمة التأهيلية: أو الاختبار الترشيجي: تكون بين المرسل والفاعل يحاول من خلالها المرسل تأهيل الفاعل، فيكتسب الكفاءة والطاقة لإنجاز مهمته، فيه تكتسب الذات الفاعلة القدرة التي تؤهلها لتحقيق رغبتها. (4) يرى غريماس أن تعرض البطل للاختبار الترشيجي يرد في شكل مجموعة من الأسئلة أو الهجوم، يعده لتقبل أداة سحرية أو وسيلة أو معرفة تكسبه الكفاءة، التي يقتضيهما الفعل أو الانجاز، وتعد هذه أولى

(1) - رشيد بن مالك، مقدمة في السيميائية السردية، المرجع السابق، ص: 35.

(2) - المرجع نفسه، ص: 35.

(3) - سمير مرزوقي وجميل شاكر، مدخل إلى نظرية القصة تحليلاً وتطبيقاً، المرجع السابق، ص: 30.

(4) - نادية بوشفرة، مباحث في السيميائية السردية، المرجع السابق، ص: 67.

وظائف المرسل، والتي يراها غريماس الفاتحة لسلسلة من الوظائف تمثل الاختبار الترشيجي⁽¹⁾.

وهذا الاختبار هو امتحان يضعه المرسل (المانح) للبطل، وتعتبر أي ردة فعل للبطل سلبية كانت أم ايجابية مكوناً من هذه الوظيفة وتابعة لهذا الاختبار، المتمحور حول اكتساب البطل الكفاءة التي يفنقر إليها، وهي ترد في شكلين؛ كفاءة في الطاقة البدنية، وكفاءة في استعمال الأدوات (قنديل، خاتم...)، أو ما يسميها غريماس القدرة المادية على الأداء التي تكسب البطل بعض الأسرار، أو الاطلاع على بعض الخفايا أو التمكن من معرفة ما تخلصه من العقبات.⁽²⁾

2- المهمة الأساسية: أو الاختبار الرئيسي الحاسم: وهي مهمة بين الفاعل والفاعل الضديد، يحاول فيها الفاعل تطويق الصراع لتحقيق موضوعه وتعويض الافتقار، مما يجعل الصراع على أوجه بينه وبين الفاعل الضديد، تتحقق فيه الرغبة أو يتم المشروع بالفشل وتكتسي هذه المرحلة مع سابقتها مسحة عملية⁽³⁾.

تعد وظيفة انتقال البطل أو نقله قرب مكان الذي توجد فيه ضالته أو موضوعه القيمي، بوابة للاختبار الحاسم والرئيسي⁽⁴⁾، الذي قد يقع مرتين مما يجعل القارئ يعده نوعاً من التكرار الممل، غير أن سميير المرزوقي وجميل شاكر يعدان الغرض من الأول تقويم الإساءة الحاصلة، بالقضاء على القوى الشريرة، أما الثاني فغرضه إثبات طاقة البطل في إبراز قدرته في المكان الاجتماعي الواقعي وهو المكان الأصلي الذي حدث فيه الافتقار الوضع الأول؛ حيث تبدأ الحكاية ويبدأ عمل البطل، فيكون هناك تغيير جذري لمكانة البطل، وانتهاء الحكاية بتمجيده ومكافأته وهذا الاختبار التمجيدي.⁽⁵⁾

3- المهمة التجميدية: أو الاختبار التمجيدي: يكون بين الفاعل والمرسل، فيه يقيم المرسل النتائج الحاصلة في المرحلتين السابقتين، وبفعل تأويلي يبيدي رأيه، فإن كان إنجاز

(1) - سميير مرزوقي وجميل شاكر، مدخل إلى نظرية القصة تحليلاً وتطبيقاً، المرجع السابق، ص: 34.

(2) - المرجع نفسه، ص- ص: 35-36.

(3) - محمد الناصر العجمي، في الخطاب السردى نظرية غريماس (Greimas)، المرجع السابق، ص: 53.

(4) - سميير مرزوقي وجميل شاكر، مدخل إلى نظرية القصة تحليلاً وتطبيقاً، المرجع السابق، ص: 39.

(5) - المرجع نفسه، ص: 49.

الذات وفعالها مطابقا لما كان بينهما من اتفاق كوفئت، وإلا حل بها العقاب، وهي مرحلة تأخذ البعد المعرفي.⁽¹⁾

تكن أهمية هذا الاختبار في إبراز طاقة البطل أمام المجتمع ومكافأته، وقبل تمجيد البطل يعاقب البطل المزيف بأشد عقاب. فتقع هذه المهمة في نهاية النشاط السردى للفاعل، يتم فيها التعرف على البطل الحقيقي، وتقييم مساره طبقا للالتزام الذي أخذه على نفسه.⁽²⁾ فالغاية من كل اختبار والانتقالات المكانية هي تحسين مكانة البطل وتمجيده.⁽³⁾

يوضح سمير المرزوقي هذه المهام وفق وظائفها في الجدول التالي⁽⁴⁾:

اختبار موجد	اختبار حاسم	اختبار ترشيحي	
خ- اقتراح اختبار صعب	ج- تفويض ح- قبول	ث- أول وظيفة للمناخ	عقد
ر- نجاح	د- صراع ذ- انتصار	/	اختبار
ش- معرفة البطل الحقيقي ومكافأته	س- إصلاح الافتقار	ز- تسلم الأداة المساعدة	نتيجة

مع العلم أن كل مرحلة من هذه المراحل قد تتفرع إلى أخرى ثانوية، هي: المواجهة والهيمنة والنتيجة.⁽⁵⁾

- (1) - محمد الناصر العجيجي، في الخطاب السردى نظرية غريماس (Greimas)، المرجع السابق، ص: 53.
- (2) - رشيد بن مالك، مقدمة في السيميائية السردية، المرجع السابق، ص: 33.
- (3) - سمير مرزوقي وجميل شاكر، مدخل إلى نظرية القصة تحليلاً وتطبيقاً، المرجع السابق، ص: 49.
- (4) - سمير مرزوقي وجميل شاكر، مدخل إلى نظرية القصة تحليلاً وتطبيقاً، المرجع السابق، ص: 68.
- (5) - نادية بوشفرة، مباحث في السيميائية السردية، المرجع السابق، ص: 68.

تعد هذه المهام الثلاثة عند بروب المفضلة للحكاية ككل؛ فبعد قبول البطل أداء المهمة يخضع يخضع بداية لاختبار المرور الذي يساعده على اكتساب المؤهلات للقيام بالتحري والبحث عن الموضوع، والذي ينتهي في نهاية المطاف بالاستلاء عليه والالتزام بالعقد المبرم، وعلى إثر ذلك يتم مكافأته والاعتراف به ليمجد كبطل حقيقي. والمتعمن في هذه المهام يجدها تصور قصة مثالية كاملة.⁽¹⁾

استفاد غريماس من هذا النموذج المهامي البروبري، لكن بطريقة معاكسة لما جاء به بروب، الذي اعتقد أن الحكاية مبنية على التابع الكرونولوجي للمهام. فيرى غريماس أن البناء السردى يجري مجرى التابع المعكوس، وإن توالى المهام وراء بعضها زمنياً، حيث لا يوجد أي منطق يحتم ضرورة التحاق المهمة التأهيلية بالمهمة الحاسمة، وهذه بالمهمة المجددة، فالرؤية المعكوسة للمهام قد تأتي بترتيب منطقي لجملة من الفرضيات، إذ تفترض المهمة التجميدية وجود المهمة الحاسمة والتي تفرض بدورها وجود المهمة التأهيلية.⁽²⁾

تتميز الاختبارات عند بروب بمبدأ الثابت، فهي قارة في كل الحكايات الشعبية التي تربط التغيير الجوهرى بالطاقة الكامنة أو القدرة والطاقة الحادثة أو الانجاز والتحليل الوظيفي للحكايات يبرر الطبيعة الخيالية للتجربة الاختبارية.⁽³⁾

تقدّم هذه المهام الثلاث دعماً منهجياً للمقاربة السيميائية، مشكلة نموذجاً تبرز قيمته في نجاعة فاعلية استفزازه وقدرته على إثارة الفرضيات.⁽⁴⁾ نتحصل من خلاله على بعدين أساسيين في النظرية السيميائية، هما⁽⁵⁾:

➤ **بعد معرفي:** مؤسسة على الإيعاز والتقويم.

➤ **بعد تداولي:** يقوم على فعل الفاعل أو عمله

يقوم البعد الأول على جملة المعارف أو الكفاءات التي يتحصل عليها الفاعل بإيعاز من المرسل، الذي يقوم اختباره ويؤولها، سلّباً أو إيجاباً، ومن هذا البعد يحكم للفاعل

(1) - رشيد بن مالك، قاموس المصطلحات التحليل السيميائي للنصوص، المرجع السابق، ص: 162.

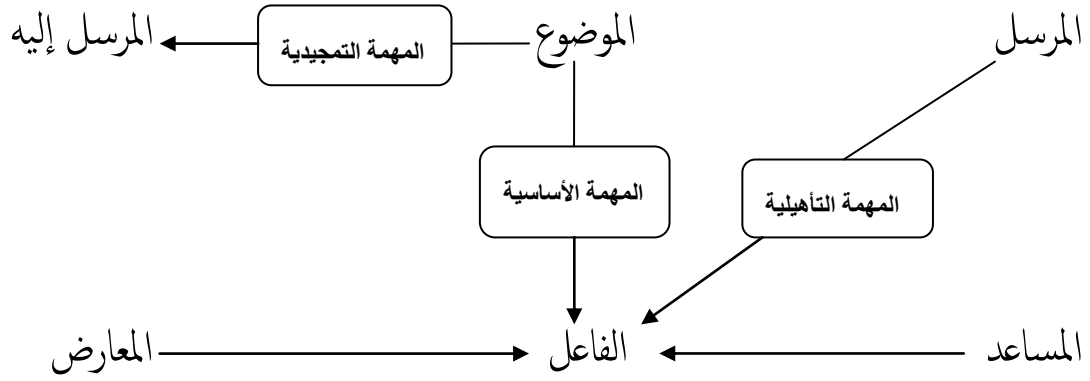
(2) - رشيد بن مالك، مقدمة في السيميائية السردية، المرجع السابق، المرجع السابق، ص: 34.

(3) - سمير مرزوقي وجميل شاكر، مدخل إلى نظرية القصة تحليلاً وتطبيقاً، المرجع السابق، ص: 53.

(4) - رشيد بن مالك، مقدمة في السيميائية السردية، المرجع السابق، المرجع السابق، ص: 33.

(5) - المرجع نفسه، ص: 34.

بالأهلية والاستطاعة للقيام بالفعل وأدائه. في حين يكون البعد التداولي خاص بنشاط الفاعل من حيث انجازه للمهمة المنوطة به، ضمن الاختبار الرئيسي المكلف به. تتموقع كل مهمة في الخطاطة العاملة كالاتية⁽¹⁾:



تعتبر الترسمة العاملة نسق تمثيلي للعوامل المحركة لمسار السرد، ولا تكون محل تطبيق إلا إذا تحولت إلى إجراء عملي، وهذا من خلال مراحل الأربع المشكلة للخطاطة السردية، (التحفيز، الكفاءة، الأداء، الحكم)، فيتم الانتقال بالنموذج العملي عبر هذه الخطاطة من الوصف النسقي إلى الوصف الإجرائي.

3.3 الترسمة العاملة باعتبارها إجراء:

وجب أولاً تبين المقصود من اجرائية الترسمة العاملة في النصوص، ثم بعدها نوضح السبيل لذلك.

01- معنى الترسمة العاملة كإجراء:

يمثل النموذج العملي نظاماً يستدرج به منطقية حركة السرد، وبناء الفواعل المنسوج في الخطاب الأدبي، لكنه يبقى بنية ساكنة، لا يمكن التعرف عليه في حركته كإجراء يتم تحقيقه في النص السردية، وفق العلاقات الضابطة له، وآليات التحول التي يخضع لها مسرى السرد المتغير والمتحول من طور إلى آخر، والانتقال من حال إلى أخرى، إلا عبر مخطط منطقي منظم من بداية المشروع السردية إلى نهايته، سماه غريباس الخطاطة السردية، تجسد « تمثيلاً مبسطاً ومختصراً لمختلف العمليات التحويلية

(1) - رشيد بن مالك، مقدمة في السيميائية السردية، المرجع السابق، ص: 33.

الكبرى في مجرى السرد التي تنتظم وفق البنية الآتية: بداية وسط نهاية.⁽¹⁾ ولا يمكن عزل عناصر الترسمة العملية بوصفها نسقاً بعضها عن بعض إلا إجرائياً، من هنا تكمن صعوبة التمييز بين ما يعود إلى الترسمة العملية وبين ما يعود إلى خطاطتها.⁽²⁾

تتبع حركة النموذج العاملي بالخطاطة السردية التي يستند إليها مجرى ومنطق الحكيم⁽³⁾، وتحدد من رصد الملفوظات المشكلة للمشروع السردية، من خلالها تنتظم علاقة الفاعل بموضوعه، إمّا على الصلة الاتصالية أو الانفصالية، وإذا تم معاينة الملفوظ الذي يثبت تحولاً في علاقة العاملين (الفاعل / الموضوع) من الاتصال إلى الانفصال أو العكس، يسمى هذا الملفوظ بالملفوظ السردية الأساسي⁽⁴⁾، يحدد رمزياً:

$$[(f \ n \ m) \longleftarrow (f \ u \ m)] \text{ أو } [(f \ u \ m) \longleftarrow (f \ n \ m)]$$

يرى بنكراد أن التحولات هي التي تمنح القصة ديناميتها وتلونها القيمي الخاص، إذ الذات المحولة ليست معطى قبلي عن بناء القصة؛ إنما تتحدد من خلالها، والشأن نفسه مع باقي العوامل، وإنما لا نستطيع أن نفصل الأدوار التي تقوم بها الشخصيات فصلاً عينياً عن الأدوار الدلالية الثقافية، التي تتشكل في إطارها، وكذا لا يمكن فصلها عن الأكوان الثمينة المرتبطة بها، لأنها لا تجسد سمات ثابتة ودائمة في النص، فتسند بشكل نهائي للشخصيات منذ الوهلة الأولى لانطلاق الأحداث، بل تمثل بناءً تدرج ضمنه جملة التغيرات والتحولات الموزعة في الكون القصصي.⁽⁵⁾ فيتم رصدها بتشخيص عناصر الترسمة العملية وتحقيقها الحدتي الحركي لعلاقتها ووضعياتها داخل هذا النموذج، عن طريق الخطاطة السردية الممثلة لوضعيات ومراحل مولدة من بعضها البعض.

02- الخطاطة السردية: "Schéma narratif"

تدعى أيضاً المركبة السردية، وهي النموذج التجريدي لتصوير الدلالة، ومفهوم الوحدات التركيبية لمعنى النص، « والمقصود بالخطاطة السردية ما يشبه المفاصل التي

(1) - السعيد بنكراد، مدخل إلى السيميائية السردية، المرجع السابق، ص 88.

(2) - عبد المجيد العابد، مباحث في السيميائيات، المرجع السابق، ص: 37.

(3) - السعيد بنكراد، مدخل إلى السيميائية السردية، المرجع السابق، ص: 88.

(4) - محمد الناصر العجمي، في الخطاب السردية نظرية غريماس (Greimas)، المرجع السابق، ص: 47.

(5) - سعيد بنكراد، السيميائيات السردية، المرجع السابق، ص: 104.

تتميز من خلالها اللحظات السردية عن بعضها البعض. إنها ليست الشكل الكوني الذي يجعل الحكيم جزءاً من تاريخ الإنسان، ولكنها تشير مع ذلك إلى تنظيم عام يهتدي به القاص في عرض مادته القصصية.⁽¹⁾ هذه المادة القصصية تعرض في شكل تحولات وانتقالات من وضع لآخر، مبرجة مسبقاً بطريقة مقعدة ضمناً داخل الخطاطة السردية للمشروع المبرمج، مما يعطيها تواليها وتتابعها السردية، ولا يتم الانتقال مصادفة لأن ذلك لا يسمح أبداً بصناعة نص منسجم.

تمثل الخطاطة السردية «عنصرًا منظمًا ومتحكمًا في التحولات، فما يبدو من خلال قراءة بسيطة لنص سردي تنافرًا وتداخلًا بين مجموعة من العناصر، يشكل في مستوى آخر بنية بالغة الانسجام والتناسك، ومن هنا فالخطاطة السردية تشكل نموذجًا لكل التحولات الواقعية*.⁽²⁾ ثم أن التحول من نقطة ما إلى أخرى في النص السردية لا يكون انتقالًا اعتباطيًا جزافيًا؛ إنما يتم بترتيب منطقي، وفق هذه الخطاطة المترتبة على أربع خطوات هي: **التحريك - الأهلية - الانجاز - الجزاء**. وتطبيقها مرحلة مرحلة، تستحيل الترسيمية العاملة من نسق إلى إجراء.

تستطيع الذات من خلال الخطوات المذكورة تحقيق برنامجها السردية، فتتبع هذه المراحل بترتيبها المنطقي خطوة بخطوة، فكل مرحلة منها تستدعي الأخرى تتابعًا، دون تجاوز فيما بينها، فلا يؤتى بالتالية قبل السابقة لها، لأن لأي لحظة منها موقعها الخاص في المسرى الأفقي للمحكي، تلزم الذات النهوض بالاستحقاقات الضرورية التي تؤهلها لإدراك الهدف المنشود⁽³⁾، هذا الهدف المصرح به أو الضمني يعد المعبر عن مبررات وجود الفعل، الذي يلزم أن يتخذ دوافع تفسره وتؤهله أن يؤدي لتحقيق الغاية، فيتولد حول الفعل وفاعله- الوظيفة- والموضوع المرغوب فيه لحظات تسرده منطقيًا؛ هي خطاطة

(1) - سعيد بنكراد، السيميائيات السردية، المرجع السابق، ص: 105-106.

*- تبدو لي لفظ الواقعة أدق وأصلح من الواقعية، لمقصود القول أن التحولات واقعة أي حاصلة في النص حقيقية أم محتملة، أما الواقعية تجسد دلالة الحقيقة والتصديق.

(2) - شادية شقروش، سيررة الدلالة وإنتاج المعنى - المرجع السابق، ص: 8.

(3) - محمد الداوي، سيميائية الكلام الروائي، شركة النشر والتوزيع المدارس، الدار البيضاء، المغرب، ط01، 2006، ص:

سردية.

يتجاوز غريماس طرح بروب في بناء الخطاطة الحكائية حيث كانت عند الأخير مشكلة من ثلاث وضعيات إنجازية المتمثلة في الاختبارات المحددة أعلاه؛ أو كما وصفها محمد الداوي بالحن أو التجارب الإنجازية⁽¹⁾، هي:

- التجربة المؤهلة: تكتسب فيها الذات جهات معينة.

- التجربة الأساسية: تتعرف الذات عن المهمة المقيدة لتنفيذها.

- التجربة المجددة: الجزء الذي تكافأ به الذات أو العناصر المستفيدة.

أما غريماس فجعل الخطاطة مبنية على أربع خطوات- كما سبق وذكرنا- يغلب عليها منطقية الترتيب لتحقيق الانتقال المقنن في الخطاب السردية.

يعتبر الحكي كوحدة خطائية «خوازماً أي تتابعا من الملفوظات التي يضطلع داخلها الوظائف / المحمولات بتشخيص لساني لجماع من السلوكات الموجهة نحو غاية»⁽²⁾ فمن خلال الخطاطة السردية يتبين لنا كيف استطاع المبدع بناء هذه الوحدة وهذا الصرح السردية⁽³⁾، وكيف انتقل بمنطق السرد من ملفوظات الحالة إلى ملفوظات التحول. ويتم إسقاط عناصرها على العينة النصية باعتبارها عنصراً منظماً، يتحكم في كل التحولات المسجلة في ذاك النص، فالذي يبدو من تصفح تحليلي بسيط للنص السردية كأنه متنافر ومتداخل دلالياً وعلائقياً بين وحدات عناصره، يشكل بالاستناد إلى هذه الخطاطة السردية بنية في غاية الانسجام والاتساق⁽⁴⁾. مما أهلها أن تكون إجراء قرائياً لشكل المعنى ودلالة النصوص بالاعتماد على تحليل الأجزاء اعتماداً على الكل تحليلاً تجريدياً منطقياً تسقط عليه كل العوالم الدلالية الحقيقية والمتخيلة لقابليته للتشخيص.

(1) -- محمد الداوي، سيميائية الكلام الروائي، المرجع السابق، ص: 12.

(2) - المرجع نفسه، ص: 12.

(3) - شادية شقروش، سيررة الدلالة وإنتاج المعنى، المرجع السابق، ص: 8.

(4) - سعيد بنكراد، السيميائيات السردية، المرجع السابق، ص: 105.

03- مراحل الخطاطة السردية:

تتكون الخطاطة السردية من أربعة عناصر أو مراحل، هي:

1- التحفيز. (التحريك.....)

2- التأهيل. (الأهلية، الكفاءة....)

3- الانجاز. (الأداء)

4- التقويم. (الجزاء)

ولن نناقش اختلاف النقاد السيميائيين السرديين المغاربة في تسميتها، بل سوف نقف عليها كإجراءات مفعلة للقراءة وإنتاج المعنى

1- **مرحلة التحريك أو التحفيز:** من ترجماته التفعيل*، الموعز، الدافع، الإيعاز، التطويع، التسخير، وتسمي أيضًا مرحلة فعل الفعل. تكون بين الذات والمرسل. ومرحلة أولى في الخطاطة السردية تمثل البعد المعرفي فيها، لقيامها على الفعل الإقناعي الممارس من المرسل على الفاعل، بواسطتها يحمل الأول الثاني على تبني المشروع وتنفيذه، ولتحقيق الإنجاز تقويمه. «مشيرًا في ذلك إلى المعينات التي قد تعترض سبيله وحلولها المتوقعة وطبيعة الصراع الذي سيواجهه والمساعدات التي يتلقاها، وتشكل هذه العناصر التحفيزية الفعل الذي يمارسه المرسل على الفاعل والمولد لفعله على مستوى محور الرغبة.»⁽¹⁾

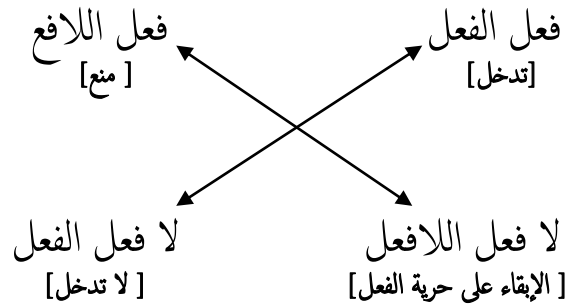
غالبًا ما يكون التحفيز إقناعًا وتأثيرًا وشرحًا من قبل المرسل اتجاه الذات. حيث يعمل المرسل بكل السبل والوسائل التحفيزية على حث الذات (الفاعل) لإنجاز الفعل حتى تتحصل على الموضوع القيمي المرغوب فيه، أو تركه والانفصال عنه، فهي بمثابة تفعيل الفعل أو تحريكه، ليخرج من حيز الافتراض والتمني إلى حيز التطبيق، فالتحفيز يكون لشأن تحقيق البرنامج السردية والانتقال من حالة إلى أخرى مغايرة لها.

*- وضح بن مالك أن جملة الترجمات لمصطلح Manipulation انتقصت من مفهومه الاصطلاحي، ولا تعطي مساراته الدلالية الفرعية، من ذاك مصطلح التحريك الذي تبناه في سير دراساته للمنهج السيميائي السردية، ويقترح بديلاً له هو التفعيل المشتق من فعل؛ والذي يغطي المسارات الدلالية لفعل الفعل Faire- faire. وقد طرحه على بعض المختصين على أمل الموافقة عليه.

(1) - رشيد بن مالك، البنية السردية في النظرية السيميائية، المرجع السابق، ص - ص: 27-28.

وحمل الفاعل الإجرائي على تنفيذ مهمة ما في ضوء المؤهلات والإمكانات المتوفرة لدى الفاعل الذات، يكون وفق عمليات تعاقدية بينه وبين المرسل، فتربطها علاقة التحفيز التي يدفع بها المرسل الذات إلى تجريب حظها والمغامرة صوب المجهول.⁽¹⁾

أوضح الناقد بن مالك في إشارة لعمل الموغز بأنه قد يحمل الفاعل على التعاقد معه وقبول عرضه بالترغيب وإغراءه بالقيم الإيجابية ليحدث الاتصال لموضوع القيمة، فإن رفض يلجأ إلى القوة والتهديد، أو مراوغته فيستدرجه باللعب على وتر مؤهلاته، يثيره أو يغريه أو الاثنين معاً، بطريقة إيجابية " إنك تملك القدرة على ... "، أو بحكم سلبي " إنك لا تملك القدرة على ... "، وهي جهة من جهات الكفاءة للذات.⁽²⁾ فيأخذ الإيعاز عدة أشكال مختلفة، توضح التأثير الممارس من قبل المرسل على الفاعل لإقناعه بتنفيذ برنامجه السردية، الموكل له. تتولد منها امكانات أربعة تتجسد في المربع السيميائي الذي حدده بن مالك على النحو الآتي⁽³⁾:



يتم الفعل الإقناعي بين المرسل والفاعل عن طريق التعاقد*؛ أي إبرام عقد بينهما سواء أكان " العقد إجبارياً، أو ترخيصياً، أو إنتمائياً. وهنا تكون دائماً الرسالة خطاباً كلامية، تظهر قيمة الإنجاز الخطاب وفاعلية البنيات التركيبية للملفوظات السردية.⁽⁴⁾

يهدف المرسل بفعله الإقناعي التأثير على المرسل إليه، ويكون على محور موازٍ

(1) - عبد الحميد بورايو، المسار السردية وتنظيم المحتوى، ص: 106.

(2) - رشيد بن مالك، البنية السردية في النظرية السيميائية، المرجع السابق، ص: 29.

(3) - المرجع نفسه، ص: 28.

* - تم التفصيل في أنواع العقد في العنصر السابق، ص: 348-349.

(4) - جميل حمداوي، الاتجاهات السيميوطيقية (التيارات والمدارس السيميوطيقية في الثقافة الغربية)، المرجع السابق، ص:

للفعل التأويلي المؤول لعملية الاتفاق وتناجها، إذ « ينبنى على تقييم مدى مصداقية المنجز للفعل الإقناعي، ويستوي في منزلة المعرفة عن الذات»⁽¹⁾ فإذا أحدث الفعل الإقناعي الرضى والقبول عند متلقيه سواءً أكانت المعرفة المستمدة منه صحيحة أو باطلة، تم إبرام عقد بين العاملين واتفاق بينهما، وإلا أخذت أحداث السرد مجرى مخالفاً. وفي النهاية يقيم المرسل ما أنجزه المرسل إليه/الفاعل، فإن وافق الانجاز ما اتفق عليه في العقد كافأه وأكرمه وإلا حل عليه العقاب.

يتخذ الفعل الإقناعي بُعد المناورة، وهذا إما بالعمل على كفاءة المؤتى إليه أو بالعمل على قيمة الأشياء، فتكون⁽²⁾:

المناورة بالكفاءة: إيجاباً = الإشادة والثناء ← الإطراء

سلباً = الاحتقار والازدراء ← التحدي

المناورة بقيمة الأشياء: سلباً ← التحذير

إيجاباً ← الأغراء

يعتبر بنكراد أن التحريك يتم أيضاً في المربع السيميائي، من خلال التعامل مع الدلالة باعتبارها إمساكاً للمعنى من طرف ذات ما، وأنه أيضاً صيغة تشير إلى ما يبرر التحول من العلاقات إلى العمليات؛ بمعنى أن التحريك صيغة تبرر الانتقال من الوظيفة إلى العامل أو من القيمة المجردة إلى القائم بها. وهذه الوظائف إذا ألحق بها المعنى السياقي "الإرادة"، سوف تشكل العوامل المتناظرة مع هذه الوظائف قسماً محدداً يمكن أن يعين في العوامل أو الذوات، فيحوّل معنم الإرادة وهو وحدة معجمية العامل ذاتاً يُحتمل قيامها بالفعل، وليس فقط بتحويل القيم المجردة إلى وضعيات ضمن مكون سردي يضمها، إنما الأمر متعلق كذلك بالذات المستجيبة لدافع وحاجة داخلية أو خارجية، توغز لها القيام بالفعل وتبرر لها حمل القيمة، والسعي لأجلها والدفاع عنها.⁽³⁾

ويقع التحفيز في البرنامج السردية أو الترسمة العاملة على الفاعل الإجرائي، فيها يتم تحفيز الفاعل على القيام بالفعل فيعمل على خلق صيغة إجرائية هي فعل الفعل

(1) - محمد الناصر العجبي، في الخطاب السردية نظرية غريماس (Greimas)، المرجع السابق، ص 70.

(2) - المرجع نفسه، ص: 71.

(3) - سعيد بنكراد، السيميائيات السردية، المرجع السابق، ص: 108.

أو الفعل الدافع إلى انجاز الفعل. فيحث العامل الدافع الذي هو المرسل الذات للقيام بالفعل وإقناعها به، وإقناعها بالبحث عن موضوع القيمة، مما يجعل من هذه المرحلة مرحلة إقناع هامة في مسار البرنامج السردى، لأنها مرحلة تُدفع فيها الذات بإلحاح المرسل للقيام بتحويل الوضع، مما يثبت أن الحالة السابقة للتحويل هي حالة نقص وافتقار يُرغَب في تغييرها.⁽¹⁾ بذلك فتقع هذه المرحلة على الفاعل الإجرائي بغية إقناعه لحصول التغيير.

وترتبط هذه العملية الإقناعية بمدى استجابة الذات الفاعلة لهذه العملية، وتحقيق هذه الاستجابة يتطلب الانتقال إلى خطوة ثانية من مراحل وصف البرنامج السردى وهي مرحلة الإرادة والرغبة أو التأهيل، حيث تكون عملية التحفيز في شكل أوامر أو التماسات لتحويل وتغيير الوضع في فعل تأويلي، لصالح المرسل إليه المستفيد من تحقيق البرنامج السردى.

يأخذ التحفيز كعملية أساسية لتحريك الأحداث وتعبئة البرامج الحكائية، البعد الذهني مما يجعله منه مرحلة سردية سابقة على الفعل الحدتي، محددة من باب الافتراض والتقدير⁽²⁾، يحرص في مرحلته المعنى ويتحدد في الوقت نفسه، فتمثل « هذه المرحلة بالنسبة لتطور البرنامج السردى مرحلة ابتدائية، يتخذ فيها البرنامج السردى شكله على مستوى التصور الاحتمالي»⁽³⁾.

أما من وجهة نظر الفاعل الإجرائي، فتشكل له المرحلة التي يتم فيها امتلاكه القيم الاستعملية الاحتمالية، فيقع التحفيز بين فعلين؛ الفعل الإقناعي يقوم به المرسل، والفعل التأويلي تجسده الذات. ونوضح ذلك من خلال الرسم التالي⁽⁴⁾:

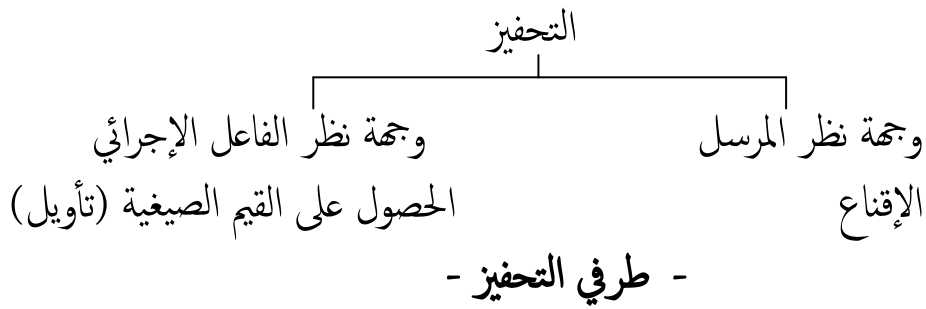
(1) - سعيد بنكراد، السيميائيات السردية، المرجع السابق، ص: 108.

(2) - محمد الدايمي، سيميائية الكلام الروائي، المرجع السابق، ص: 12.

(3) - سعيد بوعيطة، المرجعية المعرفية للسيميائيات السردية - جريماس نموذجاً -، المجلة البولية سباط، المغرب، ج 1، عدد 1

ماي 2013، ص: 53.

(4) - سعيد بوعيطة، المرجعية المعرفية للسيميائيات السردية - جريماس نموذجاً، المرجع السابق، ص: 53.



وبما أن التحريك موجود خارج الفعل لوضعه الاحتمالي، فإنه قد لا يتحقق، لعدم تحقيق الذات رغبة المرسل في إقناعها، أو يعجز في جعلها تنتقل من التحيين إلى الانجاز. وعند قبول الذات مساعي المرسل الإقناعية يجعلها تعلن انخراطها في عملية تسريد الأحداث والنشاط السردية، المنغلق بالبرنامج والفعل السردية. يتم من هنا الانتقال إلى خطوة تابعة تالية للتحفيز هي الكفاءة، عليها يحدد مصير الذات والقصة معاً⁽¹⁾. ولا يعني القبول الانتقال المباشر إلى انجاز الفعل - كما أشار بنكراد في نفس الموضع - بل يشير إلى إمكانية الانتقال من الاحتمال إلى لحظة التحيين.

تكتسي هذه المرحلة أهمية بالغة في مسرى السرد، ويجب أن تحل خطوة أولى في الخطاطة السردية، إذ بها تشكل كفاءة الذات وتتهيأ للقيام بالفعل وكسب المشروع فينبغي على الذات لتحقيق مرادها أن تملك المؤهلات والقدرة مسبقة لانجاز الفعل المؤدي لامتلاك الموضوع القيمي، وهذه المؤهلات الواجب توفرها تقودنا للمرحلة الثانية الكفاءة.

2- **مرحلة الكفاءة أو الأهلية:** تسمى أيضاً القدرة.

01- تحديد الكفاءة وشروطها:

وضح بن مالك في لفظة تفصيلية كيفية استثمار غريماس لمشروع تشومسكي، في بناء مفهومي الأداء والكفاءة من منظور سيميائي، حيث وظف تشومسكي المصطلحين في دراسته اللسانية "النحو التوليدي" « وهذا يقودنا إلى رافد آخر من الروافد اللسانية في النظرية السيميائية، الممثل في الزوج: كفاءة / أداء، الذي يعد ضرورياً لفهم آليات الرسم السردية. »⁽²⁾ ولقد شخّذ تشومسكي هذا المفهوم للتدليل على « القدرة التي يتمتع

(1) - سعيد بنكراد ، السيميائية السردية، المرجع السابق، ص: 113.

(2) - رشيد بن مالك، مقدمة في السيميائية السردية، المرجع السابق، ص: 18.

بها الناطقون بلغة ما والتي تمكنهم من إنتاج وفهم عدد لا متناه من الجمل الجديدة.⁽¹⁾ كما نجد ما نقونو قد استعمل المصطلح ليستدل به على المقدرة التي يجب أن تتوفر عند الفرد ويتمتع بها لإنتاج ملفوظات تنتمي إلى تشكيلة خطائية معينة.⁽²⁾

تتجسد رؤية غريماس المحصلة من هذا مشروع في أنها تعديل جوهري واقتراب منهجي من الظاهرة اللغوية اللسانية في جانبها التواصلية، وأنها استيعاب لما جاء في الدرس اللساني ككل، خاصة أعمال تشومسكي التي مكنته من إعطاء طرح جديد للكفاءة والأداء ببعديه: المعرفي والتداولي.⁽³⁾

يرى تشومسكي أن الكفاءة اللغوية هي المعرفة الضمنية لإنسان ما عن قواعد اللغة أي « القدرة على إنتاج الجمل، وتفهمها في عملية تكلم اللغة، فهي تعني امتلاك الآلية اللغوية.»⁽⁴⁾ التي تجعله قادرًا على استعمال كم غير محدد من الجمل، بعبارة أخرى معرفة نظام من القواعد والقيود اللغوية الممارسة عند الأداء اللغوي، بواسطة فعل الكلام، لإنتاج الملفوظات على ضوء هذه الكفاءة، الدالة على القدرة التي يتمتع بها الناطقون بلغة ما والتي تمكنهم من إنتاج وفهم عدد لا متناه من الجمل الجديدة.⁽⁵⁾ في حين الأداء الكلامي هو استعمال آني للغة اعتمادًا على القواعد الضمنية التي يخزنها المتكلم.

أما الكفاءة والملكة الخطائية فهي دالة على « القدرة التي يجب على الفرد أن يتمتع بها لإنتاج ملفوظات تنتمي إلى تشكيلة خطائية محددة.»⁽⁶⁾ على هذا الأساس تكون الكفاءة في أي مجال لغوي أو أدبي امتلاك القدرة على الإنتاج في المجال الذي يستدعي الكفاءة، فهي ليست مقصورة على الناحية اللسانية فقط، إذ « إن الكفاءة اللسانية ليست شيئًا لذاته، بل هي حالة خاصة لظاهرة أشمل، تدخل في إطار إشكالية الفعل الإنساني، وتؤسس الفاعل بوصفه عاملاً.»⁽⁷⁾ فيكون استثمار مفهومها في النظرية

(1) - دومينيك موقانو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، المرجع السابق، ص: 21.

(2) - المرجع نفسه، ص: 23.

(3) - رشيد بن مالك، مقدمة في السيميائية السردية، المرجع السابق، ص: 19.

(4) - نعمان بوقرة، المدارس اللسانية، المرجع السابق، ص: 151.

(5) - دومينيك موقانو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، المرجع السابق، ص: 21.

(6) - المرجع نفسه، ص: 23.

(7) - رشيد بن مالك، مقدمة في السيميائية السردية، المرجع السابق، ص: 19.

السيميائية قائماً على اعتبارها معرفة للفعل، والتي تجعل حدوثه ممكناً، « ولئن كانت معرفة الفعل حدثاً بالقوة، فإنها مستقلة على الفعل الذي تقوم عليه.»⁽¹⁾ فالمعرفة موجودة، دون شك في وجودها، فهي حدث في الفعل بقوة نظام اللغة المنتمي إليه، لكنها في نفس الوقت مستقلة عنه كقواعد ضمنية تجسد نظام تلك اللغة.

يعرف غريماس الكفاءة في مستواها السيميائي السردية على أنها إرادة فعل الذات و/ أو قدرتها على الفعل / أو معرفتها الفعل التي يتطلبها فعل الأداء⁽²⁾، فإن انجاز الذات لفعل ما كممارسة فعل كلام في أي نظام سيميائي يفترض منها وجوداً مسبقاً لكفاءة القدرة على التعبير، ووجودها في ملفوظ الكلام المشكل من وحدات اللغة، يكون ضمناً في عمومها، فعلى الذات « أن تكتسب أولاً كفاءة ما كي تصبح قادرة على الأداء.»⁽³⁾

أما القصد من الكفاءة في السيميائية السردية ما تتمتع به الذات من إمكانات للحصول على موضوع الرغبة والاستحواذ عليه. « فكل سلوك مبرر يفترض برنامجاً سردياً مضمراً، وكفاءة تضمن تنفيذه»⁽⁴⁾؛ أي لكل فعل مبرراته في الخطاب السردية يمثل سلوكاً أو حدثاً يطرح برنامجاً سردياً، يؤسس على كفاءة تعين الذات على أداء الفعل. فلا يكفيها التحفيز فقط، بل يجب أن تتوفر على إمكانات تجعل الفعل ممكناً يشترط تواجدها لتحقيق الانجاز والأداء، فتمكنا الكفاءة بذلك من الانتقال من حالة الافتراض إلى حالة التحيين.⁽⁵⁾

وكي تكون الذات مؤهلة قادرة على الاستحواذ على الموضوع المرغوب فيه ويشترط وجود أربعة عناصر، تعقد عليها الكفاءة، هي: القدرة على الفعل - إرادة الفعل - وجوب فعل - معرفة الفعل، حيث⁽⁶⁾:

(1) - رشيد بن مالك، مقدمة في السيميائية السردية، المرجع السابق، ص: 20

(2) - الجيرداس جوليان غريماس، في المعنى - دراسات سيميائية -، المرجع السابق، ص: 109.

(3) - المرجع نفسه، ص: 110.

(4) - رشيد بن مالك، مقدمة في السيميائية السردية، المرجع السابق، ص: 20

(5) - محمد الداوي، سيميائية الكلام الروائي، المرجع السابق، ص: 12.

(6) - شادية شقروش، سيررة الدلالة وإنتاج المعنى، المرجع السابق، ص: 12.

- **معرفة الفعل:** أن تعرف الذات ماذا تفعل، وماذا تريد، ما هدفها.
 - **إرادة الفعل:** أن يكون لديها الإرادة القوية، والرغبة الملحة الجانحة للقيام بالفعل.
 - **وجوب الفعل:** أن تحمل الشعور بضرورة القيام بالفعل.
 - **استطاعة الفعل:** لديها القدرة والإمكانية للقيام بالفعل، فقد يكون لها المعرفة والإرادة والوجوب وعدم استطاعتها يوصلها للفشل.
- من هنا تكون الكفاءة الشروط الأساسية والضرورية التي يجب أن تتوفر في الذات المنفذة لتحقيق الانجاز. فلا يتمكن الفاعل من تحقيق الفعل إلا عند امتلاكه العناصر-الشروط- الأربعة المذكورة آنفًا، ما عدا ذلك فلن يتمكن من أداء عمله، فالذات الفاقدة لكفاءتها تحاول الحصول عليها وكسبها لتحقيق الفعل، فيصبح البحث عن الكفاءة موضوعًا آخر أو مشروعًا استعماليًا إلى جانب الموضوع القيمي الرئيسي المرغوب فيه من قبل الذات، يسمى مثل هذا النوع من المواضيع بالمواضيع الكيفية أو مواضيع جهة بنسبه بالمثل التوضيحي المقترح من بنكراد؛ بأننا لا نستطيع الحصول على حبة تين إلا بعد البحث عن عصا تساعدنا على إسقاطها من أعلى الفن.⁽¹⁾
- فيظهر في البرنامج السردى نوعين من المواضيع⁽²⁾:
- 1- **الموضوع القيمي:** وهو الموضوع الرئيسي الذي يبنى عليه البرنامج السردى، ويعقد عليه التحويل من موضع لآخر.
 - 2- **الموضوع الكيفي:** أو **موضوع جهة**، كما يسمى الموضوع الاستعمالي، وهو جملة الشروط التي يتطلب جمعها، والعناصر الضرورية لتحقيق الانجاز. ويعقد هذا الموضوع عند محاولة الفاعل اكتساب العناصر الأربعة لأداء فعله. وحين يتم تجميعها يتشكل لحظتها برنامجًا استعماليًا⁽³⁾، يُلزم فيه سعي الذات الفاعلة لتحقيق الكفاءة إذا أرادت امتلاك الموضوع القيمي، من خلال هذه الكفاءة يحقق الأداء وينجز الفعل فتكون شرطًا واجبًا لتحقيق الأداء المجسد في فعل التحويل.

(1) - سعيد بنكراد، السيميائيات السردية، المرجع السابق، ص: 114.

(2) - رشيد بن مالك، مقدمة في السيميائية السردية، المرجع السابق، ص 20.

(3) - سعيد بنكراد، السيميائيات السردية، المرجع السابق، ص: 114.

كما يخلق في البرنامج السردى المعزم أداءه من طرف الفاعل، نوعين من البرامج، هما⁽¹⁾:

- **البرنامج السردى الرئيسى:** يخص العلاقة بين فاعل الحالة بالموضوع؛ الموضوع القيمي تحكمه موجّهات ملفوظ الحالة الدالة عليه من خلال تتبع مصداقية الفعل بالحكم عليه بالصدق أو الكذب.

- **البرنامج السردى الاستعمالي:** يخص علاقة الفاعل المنفذ بفعله؛ أي موضوع الجهة أو الموجه (معرف، قدرة، وجوب، إرادة/ الفعل)، تحكمه موجّهات ملفوظ الفعل. بهذا لا يمكننا الحديث عن الكفاءة إلا بربطها بالأداء لارتباط الاثنين بدائرة فعل في بعده التداولي.⁽²⁾ وتوجب امتلاك هذه الموجّهات وتحقيقها لكسب الموضوع القيمي وتحقيق البرنامج الرئيسى. ومن نوعي مواضيع البرنامج السردى ميز غريباس بين نوعين من الأداء هما⁽³⁾: أداء

أ- لامتلاك قيم الجهة.

ب- لامتلاك وإنتاج القيم الوصفية.

02- المكيفات والقيم الجهاتية:

تدخل العلاقات التي تربط الفاعل بفعله من جهة، وموضوعه المنجز من جهة ثانية في دائرة العمليات الإجرائية التي تثبت حركة المشروع السردى والترسيمة العاملة، المنتمي إليها الفاعل بفعله. توسم العلاقات الرابطة بين الفاعل والفعل بـ: **جهات أو مكيفات الفعل**، والتي تربط الفاعل بموضوع بـ: **جهات أو مكيفات الملفوظ الحالى**.

● مكيفات الفعل:

هي موجّهات للفعل تلعب دورًا هامًا في بناء القصة لرصدها تتابع المحكى، والتميز بين الفواعل المحركة للقصة بأدوارها المؤثرة في الكون السردى، من غيرها السطحية والعارض فيه حيث أن هذه المكيفات هي الأداة الإجرائية متمثلة في مواضيع الجهة للفاعل لتحقيق الهدف والموضوع القيمي.

(1) - نادية بوشفرة، مباحث في السيميائية السردية، المرجع السابق، ص: 61.

(2) - سعيد بنكراد، السيميائيات السردية، المرجع السابق، ص: 113.

(3) - رشيد بن مالك، مقدمة في السيميائية السردية، المرجع السابق، ص: 19-20.

لتوضيح هذه الجهات، ندرج الأمثلة الآتية وقد عرضها بن مالك في كتابه مقدمة في السيميائية السردية⁽¹⁾:

- 1- أوفر لك طريقة تريح بها أكثر
- 2- أريد أن أوفر لك طريقة تريح بها أكثر
- 3- أستطيع أن أوفر لك طريقة تريح بها أكثر
- 4- يجب أن أوفر لك طريقة تريح بها أكثر

يوضح الناقد بن مالك- في نفس الصفحة- من الأمثلة التي ساقها أن الفاعل حاصل في ضمير المتكلم والأداء محقق في الفعل "أوفر"، ومع ذلك فإن هذه الملفوظات تختلف في دلالتها عن بعضها البعض، ففي المثال 2 و 3 و 4 نجد أن الفعل "أوفر" مستند إلى أفعال تحدد الجهة التي تتحكم في الفعل، ومستوى كفاءة الفاعل، ذلك أن:

➤ **الملفوظ 2:** أريد أن أوفر لك طريقة تريح بها أكثر، هنا يحدد الفعل "أريد" الإرادة التي تحقق الفعل "أوفر"، بالاعتماد على الكفاءة التي يمتلكها الفاعل. وهذا شرط إرادة الفعل.

➤ **الملفوظ 3:** أستطيع أن أوفر لك طريقة تريح بها أكثر، فالفعل "أستطيع" يحدد القدرة أي قدرة الفاعل على تحقيق الفعل، بقدر الكفاءة التي يمتلكها. وهذا شرط استطاعة الفعل.

➤ **الملفوظ 4 :** يجب أن أوفر لك طريقة تريح بها أكثر، نجد الفعل "يجب" يحدد الواجب، واجب الفعل من طرف الفاعل. وهو شرط وجوب الفعل.

تكوّن هذه المحددات أو الوجهات للفعل الموضوع الذي يُبنى عليه أداء الفعل فيجسد هذا الموضوع قوة تمثل شرطًا من شروط أداء وتحقيق الفعل، أطلق عليها غريباس مصطلح "موضوع الجهة"، واعتبرها صيغ محددة في الأفعال - أريد - أستطيع - يجب - أفعال الإسناد للفعل ومواضيع جهة، واجب امتلاكها لتنفيذ البرامج السردية. وليس من الضروري امتلاكها دفعة واحدة أو اكتسابها في مجملها، كما ليس من الضروري أن تمتلكها ذات واحدة، بل قد يتم الحصول عليها تبعًا وعلى مراحل، وقد توزع على

(1) - رشيد بن مالك، مقدمة في السيميائية السردية، المرجع السابق، ص: 20.

مجموعة من الذوات المنتمية لمشروع سردي واحد في كون قيمي واحد.⁽¹⁾
 إن امتلاك الفاعل لموضوع جهة ليثقل كفاءة له، يحقق بها موضوع القيمة الراغب في الحصول عليه، يجعل برنامجه يحوي: **موضوع جهة، فاعل، موضوع قيمة**.
 وقد تبّه غريماس من تصوّر أن الذات الكفاء تختلف عن ذات الأداء، لأنهما لا يشكّلان مع هذا الاختلاف ذاتين منفصلتين، فهما ليسا سوى موقفين للعامل نفسه أي على الذات أولاً كسب كفاءتها ومواضيع الجهة كي تكون قادرة على انجاز المشروع السردية وموضوعها القيمي. وهذا المنطق السردية الذي يفترض السبق للكفاءة عن الأداء، فيعيّن للذات تسلسلاً من الأفعال والأدوار تعرّفها كشكل منطقي، يسمح بتنظيم قواعد السرد وشكل المعنى.⁽²⁾
 وقد أعطى الناقد بن مالك مثلاً حدد فيه موضوع الجهة وموضوع قيمة بناء على الجدول الآتي:⁽³⁾

أريد أن أوفر لك طريقة تريح بها أكثر

أريد	أن أوفر لك طريقة	تريح بها أكثر
موضوع جهة	برنامج سردي مضمّر	موضوع قيمة

يكون بذلك الفاعل - الضمير المتكلم أنا - مالكاً لموضوع الجهة "الإرادة"، المتضمن في البرنامج السردية الاستعمالي يسعى به لتحقيق موضوع القيمة المستهدف "الريح".
 المنتمي للبرنامج السردية الرئيسي.

• أقسام مكيفات الفعل:

تعد الكفاءة هي المحددة للمسار الذي يسير عليه الفاعل في برنامجه السردية لتحقيق موضوعه القيمي، ويساعد تحديد وجهات الكفاءة على تباين طبيعتها، فهي لا

(1) - سعيد بنكراد، السيميائيات السردية، المرجع السابق، ص: 114.

(2) - جيرداس جوليان غريماس، في المعنى - دراسات سيميائية-، المرجع السابق، المرجع السابق، ص: 110.

(3) - رشيد بن مالك، مقدمة في السيميائية السردية، المرجع السابق، ص: 21.

تكون دائماً إيجابية، إذ قد تكون سلبية أو غير كافية، على نحوها يكون الأداء ناجحاً أو فاشلاً⁽¹⁾، فتكون المواضيع الجهة الموجهة للبرنامج السردى إما للتحقيق أو الفشل، بها بها يكشف عن آليات الكفاءة التي يتمتع بها الفاعل، وأثرها في امتلاك موضوع القيمة من عدمه.

كما لا تأخذ جهات الكفاءة في علاقتها بأداء الفاعل لها المستوى الواحد، إنما تأخذ عدة دلالات مختلفة، حسب امتلاك الفاعل لها من جهة، ومن جهة أخرى حسب سيرورة ومسار تأدية البرنامج السردى. يفصل الناقد بن مالك ذاك في الجدول الآتي:⁽²⁾

كفاءة		أداء
جهات مضرة	جهات محيئة	جهات محققة
/ إرادة الفعل / / وجوب الفعل /	/ معرفة الفعل / / قدرة الفعل /	/ ماهية / / فعل /
تأسيس الفاعل	تأهيل الفاعل	تحقيق الفاعل

إن رغبة الذات في موضوع القيمة وسعيها له يتطلب منها إيجاد هذه الجهات والإمكانات التي تجعلها قادرة على تحقيق المراد المطلوب، وجعل الفعل أمراً ممكناً⁽³⁾ فالذي يجعل الكفاءة تختلف وتتميز عن الأداء كون الأولى مندرجة ضمن الوجود وشرطاً لتحقيق الثاني، في حين الأداء يكون ضمن الفعل ذاته.⁽⁴⁾ فيجعل فحص العنصرين السرديين الكفاءة والأداء انطلاقاً من البنيتين الجهاتيتين: /فعل الكينونة/ و/كينونة

(1) - أ.ج. غريماس، السيميائيات السردية (المكاسب والمشاريع)، تر: سعيد بنكراد، ضمن كتاب: طرائق تحليل السرد الأدبي

الأدبي منشورات اتحاد كتاب المغرب، الرباط، المغرب، ط01، 1992، ص: 194.

(2) - رشيد بن مالك، مقدمة في السيميائية السردية، المرجع السابق، ص: 21 .

(3) - محمد الداوي، سيميائية الكلام الروائي، مرجع سابق، ص: 12.

(4) - مرجع نفسه، ص: 12

الفعل/، حيث يرتبط الأداء الممثل للتحويل السردى بالجهة الأولى، والكفاءة المجسدة لنمط الوجود السيميائي للافتراض بالجهة الثانية.⁽¹⁾

ترتبط الملفوظات السردية القيم الجهائية (وجوب وقدرة وإرادة ومعرفة الفعل) بالعوامل مما أعطاهما مبرراً الارتباط على مستوى بالخطاطة العاملة، إذ تتوافق الإرادة مع محور الرغبة، والمعرفة مع محور التواصل، والقدرة مع محور الصراع.⁽²⁾

نوضح هذه الجهات وفق الجدول على ضوء شروحات الناقدين الجزائريين رشيد بن مالك⁽³⁾ وعبد القادر فهم شيباني، كآتي:

➤ جهات الإضمار: تسمى أيضًا جهات الافتراض

تتمثل في صيغ "إرادة الفعل" و"وجوب الفعل"، وهي المساهمة في تأسيس الفاعل - المنفذ، تُولد في اللحظة التي يدرك فيها الفاعل أنه يجب أو يريد تنفيذ البرنامج الممنوح له، فالوجوب والإرادة يترجمان استعدادات الفاعل وهتمته للقيام بالفعل، فلا يمكن الحديث عن إرادة أو وجوب في الفعل دون افتراض لفاعل منفذ ذلك⁽⁴⁾. وهي إذًا أفعال مسندة للفعل - الحامل للموضوع القيمي والذي يمثل البرنامج المسعى لتحقيقه - حضورها مرهون بوجود مرسل إليه، تسند له مهمة تبليغها على النحو الذي توضحه الصياغة الإضمارية الآتية:

ف (ف 2) ← (ف 1 U م ج) ← (ف 1 n م ج) (*)

نقرأ الصيغة أعلاه كآتي:

فعل التحوّل للفاعل المنفذ له، جعل فاعل الحالة المنفصل عن موضوع الجهة (يجب -

(1) - عبد القادر فهم شيباني، سيميائيات المحكي المترابط، المرجع السابق، ص: 34.

(2) - مرجع نفسه، ص: 34.

(3) - رشيد بن مالك، مقدمة في السيميائية السردية، المرجع السابق، ص: 22- 23.

(4) - عبد القادر فهم شيباني، سيميائيات المحكي المترابط، المرجع السابق، ص: 35.

* - لم يشر الناقد بن مالك إلى معنى هذه الرموز التي تعد اختراعات لأهم المقولات الإجرائية للنظرية السيميائية السردية ولعله يتوجب علينا فك شفرات هذه الرموز للقارئ، وأن كانت بديهيات عند المختص في المنهج، فهذا لا يمنع من تفسيرها وإيضاح الرؤية بشرحها.

أريد) في اتصال معه.

وعملية إبلاغ المرسل الفاعل أو حثه على الفعل بمواضيع الجهة يؤدي إلى التأثير في كفاءة الفاعل، كي يمتلك موضع الجهة وقبلًا كان في انفصال عنه. وتبليغ مواضيع الجهة يتأتى بإحدى الإمكانيتين:

1. التبليغ الانعكاسي: يتحقق حين يسند دور الفاعل والمرسل لمثل واحد ضمن البرنامج السردى المسطر، يتحمل بذاته دون أي ضغط أو تأثير خارجي تنفيذه للبرنامج المسند له.

2. التبليغ المتعدي: ويصدر عن قوى فاعلة تؤثر في كفاءة الفاعل.

➤ جهات التحيين:

ويعود مصطلح التحيين إلى ترجمة المصطلح الأجنبي actualisation، وقد ترجمه نجيب غزاوي إلى مصطلح "تجهيز"⁽¹⁾، في حين يقترح أكثرية النقاد المغاربة من أمثال السعيد بوطاجين ورشيد بن مالك وسعيد بنكراد مصطلح "التحيين"، يُعنى به طريقة تجسيد الفرضية التي تتمثل في عنصر الرغبة، المراد تنفيذه.⁽²⁾

تتعلق هذه الجهات بـ/ معرفة الفعل / و/ قدرة الفعل /، وهي جهات وسط بين جهات الإضمار و جهات تحقق الفعل، ولها امتداد مع جهات الإضمار، تحتل مكانة هامة في مسار البرنامج السردى المعطى للفاعل. فيجب لتجسيد الفعل من طريقة تكون الدعم لتحقيقه تمثل لحظة التحيين، إذ لا يمكن أن يتم التجسيد دون أن يكون الفاعل مؤهلاً لذلك، ويحدث تأهيله المحدد لطريقة تأدية الفعل عبر وجهتي معرفة الفعل واكتساب القدرة على أدائه⁽³⁾، فكانت بذلك كل من قيمتي معرفة والقدرة سبيلين لتنفيذ الفاعل لفرضيته ممثّلتين لوضع التحيين في المسار السردى للبرنامج المسطر، قصد تحقيقه.

تعتمد معرفة الفعل - والتي هي قيمة سابقة للفعل - على التجارب والخبرات وتراكم الأفعال العديدة، التي يكتسبها الفاعل على مدار الزمنى المعاش له، وهذا الاكتساب

(1) - انظر تعريف نجيب غزاوي كتاب - الجيرداس جوليان غريماس، في المعنى - دراسات سيميائية-، المرجع السابق ص: 201.

(2) - السعيد بوطاجين، الاشتغال العملي، المرجع السابق، ص- ص: 25 - 26.

(3) - عبد القادر فهم شيباني، سيميائيات المحكي المترابط، المرجع السابق، ص: 35.

يُولد عنه قدرة على توقع العمليات الضرورية لتنفيذ البرنامج المعطى وبرمجته، فهي بذلك قيمة معرفية، في حين القدرة على الفعل هي الطاقات التي يمتلكها الفاعل لأداء الفعل واستعداداته لتنفيذه.⁽¹⁾ وتواجد القيمي الفعل (المعرفة والقدرة) يتحرك الفاعل لتنفيذ المخطط الذي باشره وبنى عليه برنامجه السردى، والمحضور في تحقيق موضوع القيمة الراغب فيه، والمستهدف طيلة سيرورة المقطع السردى خطاطةً وبرنامجًا.

➤ جهات التحقيق:

تتمثل في الفعل وماهيته، حيث يُسقط الفاعل مؤهلاته وعناصر كفاءته على الأداء الأساسي المحول للحالات⁽²⁾، وفيه تعين عن كل الخبايا والإضمارات التي كانت الفواعل تخفيها في مسارها السردى، وفي هذا الطور تختفي العناصر التي كانت تحضر وتحفز الفاعل، أي المرسل وتظهر الأطراف المعادية له anti sujet والمعيقة لرغبته في تنفيذه برنامجه السردى، تسعى لزعزعته وإعاقته وكسر قواعده الإستراتيجية.⁽³⁾

هي إذن جهة يعمل فيها الفاعل على انجاز وأداء برنامجه السردى، والفعل الذي يريد تأديته، فتتحول الأوضاع أو الملفوظات من ملفوظات الحالة إلى ملفوظات الفعل والتحول. وينعدم في هذه المرحلة التوجيه - مرحلة اللاتوجيه- لضمور سلطان المرسل ولا تنقطع فيها جهات الكفاءة، ليصل الفاعل إلى تأدية الفعل ووضع التحول من حال إلى أخرى، وإن تحرر من قبضة المرسل، فهناك إمكانية ظهور قوة عامل آخر يصعد معه البرنامج إلى حدة الصراع ونعني به الفاعل المضاد.⁽⁴⁾

ففي الوقت الذي يتحرك البرنامج السردى نحو التنفيذ، يتحرك في الآن ذاته البرنامج السردى الضديد، من أجل إعاقة البرنامج الأساسي، بذلك تتولد حركة جدلية في النص السردى للقصة، ويتم عبر هذا الطابع الجدلي « التحويلات الأساسية، وتنشأ في إطاره المواقع الإستراتيجية للعوامل ومواضيع القيمة وتنقلاتها من طرف إلى آخر، وذلك تبعا لقوة هذا الطرف وضعف الطرف

(1) - رشيد بن مالك، من المعجمات إلى السيميائيات، المرجع السابق، ص: 240.

(2) - المرجع نفسه، ص: 23.

(3) - المرجع نفسه، ص: 240.

(4) - عبد القادر فهم شيباني، سيميائيات المحكي المترابط، المرجع السابق، ص: 35.

(1) «الأخر».

تحوّل الفاعل من حال الافتراض والتحيين إلى التحقيق يأتي بموجب عمليات التحويل، مما يجعلنا نميز بين نوعين من التحويلات، في النوع الأول سعى الفاعل إلى امتلاك قيمة الجهة، في حين يرمي في النوع الثاني إلى الدخول في وصلة مع القيم الوضعية. إن جهة التحقيق التي تتمثل في الفعل وأداء البرنامج تعتمد في تحقيقها على الفاعل الذي يعد البطل الأول، والممثل الرئيس في القص، هذا البطل الذي اختلف في تحديد مفهومه، يقول السعيد بوطاجين في هامش مؤلفه الاشتغال العملي «لم نعثر على دراسة تحدد مفهوم البطل بشكل منهجي دقيق، ولا على طريقة واضحة لتصنيف الشخصيات إلى شخصيات رئيسية وشخصيات ثانوية، ولا يوجد مقياس لذلك، إذ يحدث أن تكون الشخصية بطلًا على مستوى الرغبة أو على مستوى القول أو على مستوى الفعل، ولا شيء يثبت تموضعها الحقيقي سوى الأحكام الذاتية المؤسسة على العاطفة أحيانًا، وعلى الميوع المنهجي في أغلب الأحيان»⁽²⁾.

على هذا الأساس يصعب تحديد هوية البطل في القصة لأن تجليه المتكرر في القصة لا يعني أنه البطل الفاعل المغير لمسرى السرد، إذ قد يُحدث ظهور عرضي لشخصية ما التحول الفعلي لأحداث القصة، وتسير الأدوار السردية لباقي الشخصيات على أساسه «لأن ظهورًا عرضيًا واحدًا قد يحول مجرى الأحداث تحويلًا جذريًا، ويحدث أن يكون البطل غائبًا نصيًا لكنه يقوم مقام البطل، وتصبح الذوات الأخرى مجرد ذوات منفذة ليس لها استقلالية حقيقية»⁽³⁾ وعليه يتطلب على قارئ النص السرد أن يجري عملية مسح لجميع الأحداث والتحويلات والعناصر الفاعلة والمنفذة، حتى يتم الضبط الدقيق لكل مجريات النص، وتبيان البنيات السردية المكونة له، إلى جانب العناصر المفعلة لعملية السرد.

(1) - رشيد بن مالك، مقدمة في السيميائية السردية، المرجع السابق، ص: 23.

(2) - السعيد بوطاجين، الاشتغال العملي، المرجع السابق، ص: 40.

(3) - المرجع نفسه، ص: 40.

• نسق مكيفات الفعل:

تحدد نسقية مكيفات الفعل كفاءة الذات القائمة بالفعل، ونوعية العلاقة بين الفاعل وفعله من خلال النظر في كيفية الفعل.^(*) وتتجلى برصد الملفوظات التي تعين على إظهار هذه العلاقة، الدالة على عملية التحويل التي قام بها الفاعل، مع افتراض وجود عامل المؤتى بصورة ظاهرة أو خفية، يدفع بفعل الإقناع الفاعل إلى الفعل، ويسهم في تغيير العلاقة بين الذات الفاعلة والفعل المعتزم إنجازه⁽¹⁾. وتحيلنا نسقية مكيفات الفعل إلى وجوب النظر في كفاءة الذات الفاعلة المنجزة للفعل، « ومحاولة تبين أينصب هذا القائم بالفعل فاعلاً بإرادته أم بقدرته أم بمعرفته، أم بهذه المقومات جميعاً أم ببعض الأجناس المتولدة عن امتزاجها دون بعض؟ »⁽²⁾

ورغم عدم حصر مكيفات الكفاءة، لعددتها اللامتناهي، حيث فقد أرجعها غريماس إلى ثلاثة أصناف، وأضاف إتباعه صنفاً رابعاً، هي حسب نوعية تكييفها للفعل وفاعله :

- | | | |
|---|---|-----------------------|
| مكيفان مؤسسان للفاعل بالقوة. | { | 1- الشعور بوجوب الفعل |
| | | 2- الرغبة في الفعل |
| يحددان مدى قدرة الفاعل على إنجاز الفعل. | { | 3- القدرة على الفعل |
| | | 4- المعرفة بالفعل |

سُمّيا الصنفان الأولان بـ: **كيان الفعل** être du faire، والثانيان بـ: **فعل الكيان** faire de l'être⁽³⁾. وهذه المكيفات التي عينها سابقا حسب جهات الفعل هي مكيفات أساسية يمكن أن نولد منها أخرى فرعية، توضح التغيرات الحاصلة ونسقيتها عبر

* - قد يتجلى الفعل في الرغبة في الفعل، أو الشعور بوجوب الفعل، أو انعدام القدرة على الفعل.

(1) - محمد الناصر العجمي، في الخطاب السردى نظرية غريماس (Greimas)، المرجع السابق، ص: 58.

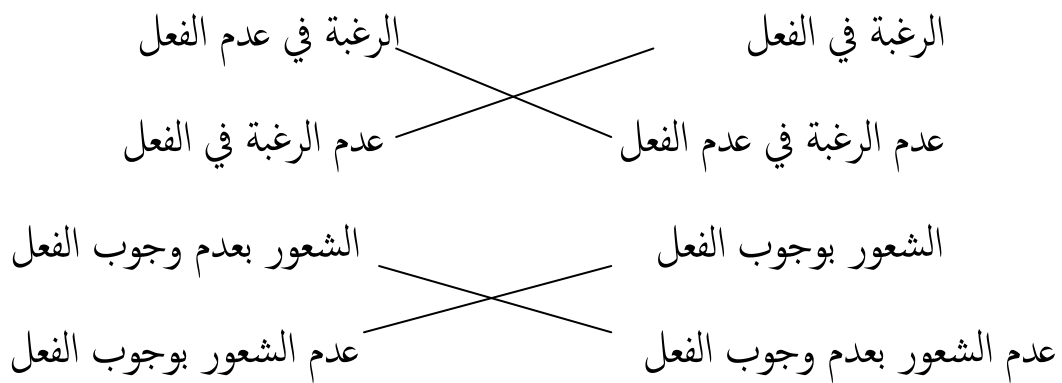
(2) - المرجع نفسه، ص: 58.

(3) - المرجع نفسه، ص: 59.

كل صنف من المكيفات الرئيسية.

يسمح تتبع نظام المكيفات ونسق تغيراتها في المحكي إلى إدراك الصور المختلفة المرتبطة بجهات الفعل، والتي تجعلنا ندرك تنوع الفواعل المنفذة في أنواع القصص من خلال الانطلاق من تحقيقات العلاقات التعاقدية فيها، فتولد القيم الجهاتية للفعل نظامًا ونسقًا من التغيرات عائدة إلى إدماج بعض المكيفات ببعض، وإلى إظهار الجهة وما يقابلها نفيًا أو الفعل وما يعاكسه.⁽¹⁾

تتولد أوضاع فرعية عن المكيفات الرئيسية، يتم وضعها بإسقاطها على النموذج الدلالي الرباعي الأضلاع، فينتج منه مكيفات فرعية متولّدة عن الأصلية⁽²⁾، من أمثلة ذلك إسقاط الرغبة في الفعل والشعور بوجود الفعل على المربع الدلالي، فينتج الآتي⁽³⁾:



يوافق كل وضع من هذه الأوضاع نفيه في جهة المقابلة له؛ مثلًا الشعور بوجود الفعل ينفيه عدم الشعور بوجود الفعل، من هنا نتبين أن في الوضعية الأولى الوضع حضور الشعور بالفعل لدى الفاعل في المرحلة البدئية ثم الوضع يغيب في الوضع النهائي. كما أن مازجنا بين أوضاع نسق كل مكيف من المكيفات تتجلى لنا مظاهر نسقية متعلقة بأقسام الجهات المنتمية إليها، من ذلك نوافق كل وضع من أوضاع نسق / وجود الفعل / مع أوضاع / إرادة الفعل / سنحقق نسقًا من التعريفات الجهاتية المرتبطة بذات منفذة في

(1) - فريق إنترفرن، التحليل السيميائي للنصوص، المرجع السابق، ص: 69-70.

(2) - محمد الناصر العجمي، في الخطاب السردى نظرية غريماس (Greimas)، المرجع السابق، ص ص 60-61.

(3) - المرجع نفسه، ص: 60.

مرحلة الإضمار.⁽¹⁾

وعند المزج بين هذه العلاقات أو الأنساق المتفرعة من المكيفين الرئيسيين نخرج بدلالات معنوية، وقراءة للمعنى عن طريق استنباط هذه المكيفات من الملفوظات السردية العينية الحاملة لها، فتمثل بذلك محتملاً من أنماط الكفاءات التي تظهر من خلالها الذات الفاعلة، كأن نجمع بين وجوب الفعل مع إرادة الفعل لنلخص إلى نتيجة دلالية مفادها الطاعة الإيجابية للذات الفاعلة، ويؤوّل لا وجوب-لا الفعل مع لا إرادة-لا الفعل إلى الإرادة السلبية الذي تقع فيها هذه الذات الحاملة لهذين الحدين من الكفاءة⁽²⁾ وهذا يظهر التطور الحاصل في كفاءة الذات الفاعلة، المستوجب تعيينه، قلّ أو كثر لتوضيح مجرى السرد في المشروع المطبق، أيسير نحو الاتجاه السلبي أم الإيجابي. ويتم اختيار مكيفات الكفاءة الرئيسية والفرعية من الملفوظ السردية، إذ بها تحدد الدلالات التي يقوم عليها الفعل المنجز، ويحكم من خلالها بالإيجابية أو السلبية في سير المشروع وتحقيق الموضوع، ويتم رصد التطورات الحاصلة في هذا المشروع والمتغيرة والتي تعود إلى كيفية بناء الفاعل علاقات بفعله.

وهذه التفريعات وسياقات العلاقات المساقة قد فرضت احتمالية توالدها عند وجود أكثر من فاعل، إدراج فاعلين متقابلين مهتمين بموضوع واحد، فليس شرطاً أن يمر المشروع السردية بكل هذه المراحل، بل هي احتمالات تتولد في المسرى السردية، قد يحدث بعضها ويغيب الآخر.

● مكيفات ملفوظ الحالة:

تتعلق موجّهات ملفوظ الحالة، بالتقييم الفاعل من منظور معرفي، بالحكم على علاقته بالموضوع أكانت مطابقة للمتفق عليه في المشروع السردية أم لا، فهي موجّهات الكينونة يتم فيها إتباع المصادقية من طور لآخر. نطلق عليها أيضاً مربع المصادقية يعمد فيه معاينة المستوى الظاهر والخفي للعلاقة والصور الناجمة عنها.

تشير الناقدة الجزائرية نادية بوشفرة أنه أولاً يجب التسليم مبدئياً بوجود علاقة

(1) - فريق إيتروفن، التحليل السيميائي للنصوص، المرجع السابق، ص: 71.

(2) - المرجع نفسه، ص: 71.

حالية بين الفاعل والموضوع القيمي، تفترض معانيًا لها ضمن نصها ومسار مشروعها، يتمثل عادة في المرسل بفعله التقويبي التأويلي، يعرض وجهة نظره في تلك العلاقة، التي تعرّف حالة الفاعل على المستويين الظاهر والباطن على المستوى الإيني ومدى التطابق بينهما.⁽¹⁾ يعني ذلك أن مربع المصدقية ينظر في مدى مطابقة الشكل الخارجي لفاعل الحالة مع باطنه عن الموضوع القيمي، فإن كانت هذه العلاقة محددة بصلي الوصل والفصل، فإن جهات ملفوظ الحالة تعمل على تقييم هذه الصلة وتأهيل العلاقة، مثلًا إذا كانت علاقة فاعل الحالة وصلية بالموضوع القيمي (ف n م)، وإن لم تتغير هذه العلاقة فإنه يمكن تغييرها وصفًا بالحكم عليها بالصدق أو البطلان أو الزيف....⁽²⁾

فعند قول: "الرجل غني" و"يظهر الرجل غنيًا"، فإن الفاعل في المثالين متصل بالموضوع لكن العلاقة الوصفية بينهما مختلفة، من هنا كانت مقولات مربع المصدقية تقييمية تصف العلاقة الرابطة بين الفاعل والموضوع على مستوى الموجهات، لا تعمل على تحويل الفعل، بل تفسير العلاقة وتأويلها ووصفها، لا أكثر من ذلك، بإخضاعها لثنائية الكينونة والظهور، أو السطح والعمق، فننظر إلى العلاقة الحاكمة للفاعل بالموضوع من زاوية الظهور-السطح-، ومن زاوية الكينونة-العمق-، وعلى إثرهما تكون العلاقة إما ايجابية أو سلبية.

ويشير غريماس إلى أن مصطلحي الكينونة والظهور (الكنه والتجلي) هي تسميات سيميائية لا علاقة لها بالمفاهيم الوجودية - من الوجود لا علاقة لها بالمذهب الوجودي- التي يمكن أن تشبهها، وهما يشكلان محوي مربع المصدقية استعارهما من يلمسليف غير أن بإمكاننا أن نقارنهما مع الفئتين السطحي المقابل للعميق في اللسانيات، أو ظاهر مقابل لكامن في التحليل النفسي والفلسفي.⁽³⁾

تحكم مكيفات الملفوظ الحالي وصفًا على علاقة بين الفاعل موضوعه، انطلاقًا مما يرصد في الملفوظات الحالة السردية، فهي تحمل إلى جانب العلاقة، صفات هذه العلاقة ومدى مصداقيتها، فهناك ملفوظات حالية تؤكد نفس القيمة في بيان صدق العلاقة بين

(1) - نادية بوشفرة، مباحث في السيميائية السردية، المرجع السابق، ص: 74.

(2) - فريق إيتروفن، التحليل السيميائي للنصوص، المرجع السابق، ص: 73-74.

(3) - الجيرداس جوليان غريماس، في المعنى -دراسات سيميائية-، المرجع السابق، ص: 135.

الفاعل الحالي والموضوع، وتنبتها، فتظهر صادقة جلية في أقوال أو أفعال المتلفظ بها فيتطابق باطنه مع ظاهره، في حين قد يُسرد ملفوظ يومي بالحكم الذي يدرج ضمناً في النص، ولا يكشف إلا بالاعتماد على أدلة وقرائن، تكون مبثوثة في ثنايا النص كاملاً.⁽¹⁾

ندرس عند تحليل مكيفات ملفوظ الحالة المصدقية في سيرورة المشروع السردية أو النص ككل، يتقييم مدى مطابقة الظاهر للباطن. وتطبيق مربع المصدقية نوضح الأبعاد التي تتجلى فيها العلاقة الفصلية أو الوصلية بين الفاعل وموضوعه.

➤ المصدقية:

ترصد المصدقية بين ظاهر الملفوظ وباطنه، وسطحه وعمقه، وهي أحكام تقويمية تصديقية قائمة في صلب النص دون غيره ترتبط بداخل الخطاب ووحداته المضمونية⁽²⁾، فلا يؤخذ إلا بما يوجده العالم السردية- قصة، رواية، أقصوصة، حكاية... وهذا ما يكسبها استقلاليتها عن كل مرجع خارجي.

ويجلبنا هذا الطرح الذي جاء به غريماس إلى أن أبعاد معالجة العلاقة بين الفاعل بموضوعه، من حيث الكشف عن صدقها من عدمه، بعيد عن السنن التقليدية القديمة الآخذة بالمقاييس الخارجية، يعود إلى وجهة نظر دي سوسير حول اللغة، باعتبارها نظام من العلامات دال، مستقل عن بقية الأنظمة الأخرى من التعبير، وأي خلفيات مرجعية خارجه عنه، وهذا ما عبر عنه بـ "آنية اللغة"⁽³⁾، وعلى هذا الأساس عوّض مصطلح **الصدق أو الحقيقة** اللذين يجعلان مباشرة إلى ملاءمة القول للحقائق الخارجية التي يعبر عنها وصدقها وحقيقتها في ذاتها، بمصطلح **المصدقية**، لأن مسألة الصدق لم يُعد يُنظر إليها في حدودها الخارجية، بقدر ما عادت ملامستها مبنية على الملفوظات الداخلية وبنائها وظهورها كأثر لمسار سردي يصفه التحليل السيميائي من خلال البحث في صعيدي

(1) - محمد الناصر العجيمي، في الخطاب السردية نظرية غريماس (Greimas)، المرجع السابق، ص: 63-64.

(2) - جميل حمداوي، السيميوطيقا السردية السيميوطيقا السردية- من سيميوطيقا الأشياء إلى سيميوطيقا الأهواء- السيميوطيقا

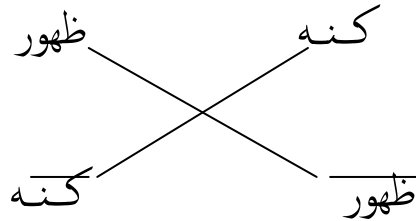
السردية- من سيميوطيقا الأشياء إلى سيميوطيقا الأهواء-، المرجع السابق، ص: 79.

(3) - محمد الناصر العجيمي، في الخطاب السردية نظرية غريماس (Greimas)، المرجع السابق، ص: 64.

الظاهر والخفي⁽¹⁾.

يبين العجبي أن الموضوع يوصف بصدقه أو كذبه أو بطلانه، انطلاقاً من آليات معرفية منتظمة في صلب البلاغ والخطاب القائم بين المرسل والمرسل إليه، وللبحث عن مصداقية الملفوظ ننظر في ما يسميه بارت: أصداء الحقيقة؛ أي وصل الملفوظ والخطاب بملاساته الزمكانية، ونوعية المتخاطبين، والصلات القائمة بينهم لإكساب الخطاب صفة الصدق، ومن ثمة إقناع المخاطب بصحته والتأثير فيه⁽²⁾. فيجب تجنب الحكم بالصدق والكذب من منظور خارجي عن النص⁽³⁾، من هنا الأمر لا يتعلق بالصدق أو الكذب في حد ذاته، إنما بالنظر في حقيقة الملفوظ وجوهره، ما يتعين عليه من وضع ومآل للفاعل والبرنامج السردى ككل.

تظهر ملفوظات الحالة في القصة أمام المعائن أو المرسل؛ بحيث يمكنه تأويلها، فهي حالة ذات معرفة حسب الظهور، تتضح بالنظر لها أو الفهم أو التأويل، فإن تم تحديدها كما هي عليه في القصة، مستقلة عن هيئة تأويل، نقول أنها قد عرفت حسب المحايثة⁽⁴⁾. ويمكن معالجة هذه الملفوظات بصيغها على أنها فئة دلالية تنتظم وفق المحورين الكنه والظهور على الشكل الآتي⁽⁵⁾:



يولد ترابط القيم صوراً متعددة للمصداقية (سر، كذب، صدق...)، مع العلم أن القيمتين (الكينونة والظاهر) ليستا قيمتين في ذاتهما، محددتين نهائياً باعتبار أنهما بصورهما المتعددة أحكاماً تقويمية، على العلاقات المحددة عبر الملفوظات الحالة، فتعيين المحورين

(1) - فريق إنترفرن، التحليل السيميائي للنصوص، المرجع السابق، ص: 76.

(2) - محمد الناصر العجبي، في الخطاب السردى نظرية غريماس (Greimas)، المرجع السابق، ص: 65.

(3) - ألجيرداس جوليان غريماس، في المعنى -دراسات سيميائية-، المرجع السابق، ص: 135.

(4) - جمال حضري، سيميائية النصوص، المرجع السابق، ص: 35.

(5) - ألجيرداس جوليان غريماس، في المعنى -دراسات سيميائية-، المرجع السابق، ص: 135.

على مربع المصدقية هو تعيين جهاتي للمفوض الحالة يندرجان ضمن بنية المحكي نفسه، لا يتعلقان بالتحديد المعنوي للشخصيات، بل بتصنيف جهاتي آلي منطقي للوضعيات المتضمنة من خلال رصد الحقيقة داخل نسيج النص.⁽¹⁾ فيتم استخراج جملة القيم ووضعياتها الموجودة من داخل النص، والتي يتبناها الباث الخفي، ويقع بها المتلقي لها فقد يكون الفاعل صادقاً أو كاذباً بموجب الحكم التقويبي الصادر من الشخصيات المعاينة له، لكن الباث يعمل بكل القرائن والأدلة للتدليل على نقيض هذا الحكم، بيد أنه حكم يدل على موقفه الذاتي⁽²⁾.

سمى غريماس الفعل التأويلي الذي بحكمه تربط بين السبب والنتيجة، بـ: العلاقة الإيتائية، هي غير العقد الإيتائي القائم على تقييم الفواعل للموضوعات المتبادلة، إنما تقوم العلاقة الإيتائية على معرفة الروابط بين المستوى الظاهر الجلي والمستوى الآني الباطن ويتولد عادة من هذا الفعل التأويلي الرئيسي فعلاً تأويلياً ثانوياً أو أكثر.⁽³⁾

➤ المربع المصدقية:

يقوم هذا المربع على وجهتي الظاهر والباطن، وينشأ من هاتين الوجهتين صور أربع محددة، تقوم على علاقة حالية في تألفها، ويزيد تصنيف ووصف العوامل وفق مربع المصدقية بكل كبير في عدد لأدوار العاملة من خلال زيادة بؤرة التعقيد في مجرى السرد، وتتوَع المسارات النحوية التي تنجزها الذوات، وإمكانات توزيع جديدة للبرامج السردية، وهذا شكل مربع المصدقية بتفسيراته السيميائية الموضحة لعلاقة الفاعل بموضوعه على محور التقابل* بين الكنه (باطن) والتجلي (ظاهر)⁽⁴⁾:

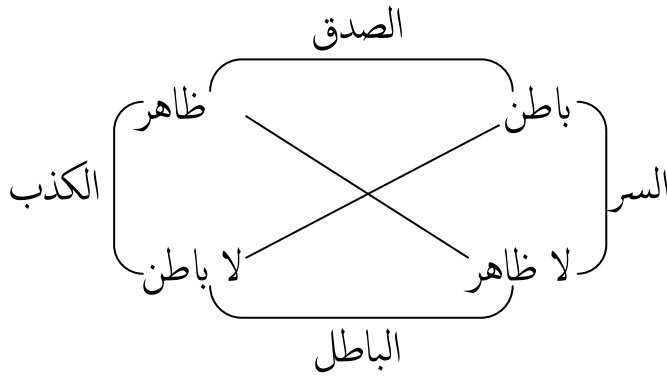
(1) - فريق إترورن، التحليل السيميائي للنصوص، المرجع السابق، ص: 78.

(2) - محمد الناصر العجيمي، في الخطاب السردية نظرية غريماس (Greimas)، المرجع السابق، ص 66.

(3) - المرجع نفسه، ص: 67.

* - مفردات المربع بترجمة العجيمي في حين ترجم نجيب الغزاوي مصطلحات المربع عند ترجمته كتاب غريماس في المعنى بالآتي:
الكنه = الباطن، المظهر = الظاهر، غير الكنه وغير المظهر = لا باطن ولا ظاهر، صحيح = الصدق، خطأ = البطلان.

(4) - الجيرداس جوليان غريماس، في المعنى - دراسات سيميائية -، المرجع السابق، ص - ص: 111 - 112.



نشرح نسقية وتغيّرات مكيفات الحالة حسب تقابلها المنطقي كآآتي⁽¹⁾:

1. علاقة حالية إيجابية مثبتة في الوجهتين (ظاهر + باطن)، استقامت في رتبة الصدق، فيها يكون اتفاق الظاهر مع الباطن.
2. علاقة حالية سلبية في الوجهتين منفية (لا ظاهر + لا باطن)، استقامت في حكم البطلان.
3. علاقة حالية محددة سلبيًا في وجهة التجلي، وإيجابًا في وجهة الباطن (لا الظاهر + باطن) تستوي في مرتبة السر.
4. علاقة حالية قائمة إيجابيًا في وجهة التجلي، وسلبيًا في وجهة الباطن (الظاهر + لا باطن)، يحكم عليها بالكذب.

تسجل هذه الانتقالات والتحويلات المبينة لوضعيات ذات الحالة، وهي تحولات كيفية، كأن تنتقل الذات من وضعية السر إلى وضعية الصدق، ويمكن لبرنامج سردي كامل أن يقوم على مثل هذه الوضعيات الكيفية بانتقالاتها المختلفة، مثل التركيز في برنامج ما على كشف الحقيقة أو سر ما أو اكتشاف علمي مثلاً، خاصة وأن المسائل العلمية في القصص توجد للتحليل من خلال مفردات ملفوظات الحالة وتكيفاتها.⁽²⁾

إذن؛ يتضح عمل مربع المصادقية على كشف تطور وتغير الكفاءة عبر مراحل

(1) - محمد الناصر العجبي، في الخطاب السردية نظرية غريماس (Greimas)، المرجع السابق، ص- ص 68 - 69.

(2) - جمال حضري، سيميائية النصوص عرض وتطبيق منهجي، المرجع السابق، ص: 37.

السرد والبرامج السردية المسطرة، وعلى إيضاح الاختراقات الحاصلة مع كل وجه من الوجوه المحددة في مربع المصادقية، كأن تكون الذات مثلاً في وضع الصدق وتتحول إلى وضع السر أو الكذب، كما يمكن أن يطبع المشروع السردى المعين على وجه من هذه الوجوه الأربعة، وينسحب على كامل الخطاب السردى.

يوضح غريماس أن مثل هذا النموذج يفسر لعبة الأقنعة الدائمة، القائمة على المجاهبات بين الأبطال المختبئين أو غير المعروفين...، وبين الخونة وأشباههم، وهي لعبة تشكل دوماً أحد محاور الخيال السردى. كما أنه تحرير للعلاقات من البعد التجريدي الشكلي المنطق لها، البعيد عن المرجع غير الدلالي، بمعنى هو ربط للعلاقات بالوجهة المعنوية الدلالية، وأن تبيان مصادقية العلاقات التي تحملها ملفوظات الحالة، فيشكل « مجموعة تناظرية سردية مستقلة قادرة على تكوين مستواها المرجعي الخاص وعلى تنظيم الفروق والانحرافات وهو يقيم على هذا النحو "الحقيقة الداخلية للرواية".»⁽¹⁾ لذلك لا تتعلق أحكامه التصديقية بما هو خارج عن النص، « بل ترتبط بداخل الخطاب، وبالضبط بالوحدات المضمونية حينما تتعالق الذات بالموضوع ولا ترتبط بأي شكل من الأشكال بإصدار الأحكام الخارجية... فالخطاب له قانونه التصديقي الداخلي الخاص به، ومن مهام السيميوطيقا أن تستكشف ذلك القانون تبيانا وتوضيحا.»⁽²⁾ فتجسد هذه الموجهات حلقة ضمن حلقات المشروع السيميائي، والذي يقوم على « وصف الأنساق التي انطلقاً منها يمكن أيجاد ووصف آثار المعنى التي تتعرف عليها أثناء القراءة »⁽³⁾. فتصبح هذه القراءات المتعددة للنصوص السردية والخطابات الأدبية محتمل للمعنى يقف على أثره في النص، بإجراءات تدخل جاهزة عليه، فنكيف إنتاج المعنى بالصور المنطقية المحتملة الظهور فيه.

(1) - الجيرداس جوليان غريماس، في المعنى -دراسات سيميائية-، المرجع السابق، ص: 112.

(2) - جميل حمداني، السيميوطيقا السردية السيميوطيقا السردية- من سيميوطيقا الأشياء إلى سيميوطيقا الأوهام-، المرجع السابق، ص - ص: 79.

(3) - فريق إنترفرن، التحليل السيميائي للنصوص، المرجع السابق، ص: 78.

3- مرحلة الأداء أو الإنجاز: يمثل الوضع النهائي الذي سيستقر عليه فعل السرد، ويعتبر الفعل المزاوِل من طرف الذات المنفذة على ما يحيط بها من الطبيعة أو الأشياء أو الشخصوس.

01- تحديد الأداء وتفرعاته:

يمثل الفعل الإنجازي في الواجهة اللسانية - حسب غريماس - حالة خاصة داخل إشكالية عامة، سُخِّر لفهم النشاطات الإنسانية المتعددة الخطابات، يكون من خلاله الأداء اللساني موقف إنجاز لفعل لساني يندرج ضمن السلوكات والنشاطات الأساسية عموماً والتي تتمتع في وجودها بالتنوع في الخطابات⁽¹⁾، وليس بعيداً عن ما جاءت به اللسانيات فإن أداء فعل سيميائي داخل بنية سردية، وجب أن يندمج ضمن هذا الفعل صيغ الإرادة والقدرة ومعرفة الفعل، والتي تمثل كفاءة الذات، «ووفقاً لمنطق الافتراض المسبق يتطلب فعل أداء الذات، في البداية، كفاءة الفعل.»⁽²⁾

تسمى العملية التي تحقق البرنامج السردية، والانتقال من حالة إلى أخرى مغايرة لها- من فصل إلى وصل أو العكس- أداءً⁽³⁾ فهو كل ممارسة لفعل يتحقق من خلالها التحول لحالة مغايرة عن ما كان عليه الوضع قبل فعل التحول، إما تحول اتصالي بالموضوع المرغوب أو تحول انفصالي عنه، فيعرف بأنه عملية الانجاز التي تغيّر الحالات⁽⁴⁾، فتقتضي عاملاً معيناً هو الفاعل الإجرائي المنفذ، وبرنامجاً سردياً أساسياً الهدف منه الحصول على الموضوع القيمي.⁽⁵⁾

يعتبر السعيد بنكراد الإنجاز -مرحلة ثالثة في الخطاطة السردية- « يشير إلى نوع من الإشباع الذي يقود الدورة السردية إلى الامتلاء، ويقود الخيط السردية إلى الانكفاء على نفسه.» وهي ترسم معالم بنية قيم مخصوصة، تحدد دروب المخرج والانفراج

(1) - الجيرداس جوليان غريماس، سيميائيات السرد، المرجع السابق، ص -ص: 150-151.

(2) - الجيرداس جوليان غريماس، في المعنى -دراسات سيميائية-، المرجع السابق، ص: 110.

(3) - فريق إنترفرن، التحليل السيميائي للنصوص، المرجع السابق، ص: 45.

(4) - محمد القاضي وآخرون، معجم السرديات، المرجع السابق، ص: 39.

(5) - عبد المجيد عابد: المسار السردية وتشكل المعنى في الكرامة الصوفية-كرامة الفقيه أبي حفص أنموذجاً- ضمن: من كرامات

الصوفية- دراسات سيميائية- تنسيق: حسن مسكين، دار جنود للنش، الرباط، المغرب، 2006، ص: 20.

على النهاية، لذا يمكن اعتبار الإنجاز مقطع حكائي كبير، مرتبطة بتسلسل ملفوظي سردي منطوق الترابط، يؤدي إلى حالة بعينها⁽¹⁾ - حالة تحقيق الناجح أو الفاشل-.
ويمكن تحديد تتابع هذه الوحدة السردية المتشكلة من سلسلة ملفوظات مترابطة فيما بينها، على الشكل الآتي⁽²⁾:

➤ **ملفوظات سردية = المواجهة:** وجود ذات₁ تقابلها ذات₂؛ الذات ترغب في موضوع وتواجه الذات الضديدة.

➤ **ملفوظات سردية = الهيمنة:** وجود ذات₁ تهيمن على ذات₂؛ الذات تصارع الذات الضديدة من أجل الهيمنة على الموضوع.

➤ **ملفوظات سردية = الاستحواذ أو المنح:** وجود ذات₁ تهيمن على الموضوع الذات تستحوذ على الموضوع.

كل هذه الخطوات الراصدة للمعنى يكون فيها البرنامج السردى من بداية الانطلاق إلى نهايته بين وصلتي الاتصال أو الانفصال، إما الاتصال بالموضوع أول البرنامج ويقع الانفصال عنه في النهاية، أو العكس. ويعتمد وجوده على مواضيع يُسعى لتحقيقها وأدائها، وبها تحمل القصة الطابع الجدلي بين المواضيع القيمة الرئيسية والضديدة. يتفرع الأداء إلى نوعين متميزين⁽³⁾:

● **الأداء الأول:** يتجلى في ملفوظ سردي وصلي "conjonctif"، يعكس انتقال الفاعل من وضعية فصلة عن موضوع القيمة إلى وضعية وصلة به. نحدده بالرمزية الآتية:

ف.ت (ف₁) ← [(ف U₁ م)] ← [(ف n₁ م)]

● **الأداء الثاني:** يظهر من خلال ملفوظ سردي فصلي "disjanctif"، فيه يتم الانتقال الفاعل من وضعية الوصل بالموضوع إلى وضعية الفصل عنه. نعبر عنه بالآتي:

(1) - سعيد بنكراد، السيميائيات السردية، المرجع السابق، ص: 118.

(2) - شادية شقروش، سيررة الدلالة وإنتاج المعنى، المرجع السابق، ص: 14.

(3) - رشيد بن مالك، مقدمة في السيميائية السردية، المرجع السابق، ص: 23.

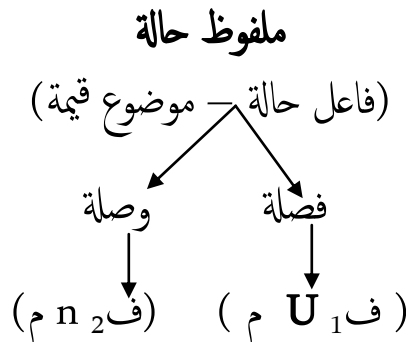
ف.ت (ف₁) ← [(ف₁ n₁ م)] ← [(ف₁ U₁ م)] *

يحدد كل من الأداءين الأول والثاني العلاقة بين الفاعل وموضوعه، وهنا تكون للموضوع علاقة بسيطة مع فاعل حالة واحد فقط. لكن قد يكون للموضوع أكثر من محتم يطلبه، فتتصارع عملياً أطراف عديدة عليه فيكون الأداء وفق وضعيات التبادل الحاصلة في البرنامج السردية. ولأن كل فاعل ببرنامج يستدعي نقيضه ويستدعي تحديد علاقات الذات بالموضوع المرغوب فيه، فإن في كل وضع فصلي أو وصلي للذات سيكون ملفوظ الحالة مركباً⁽¹⁾؛ بمعنى أن لكل برنامج سردي في صيغته البسيطة فاعلاً يسعى لتحقيقه، وفي نفس الوقت فاعلاً ضديداً له يعمل على عرقلته. نرّمز لهذه العلاقة بصيغة الآتية:

$$(ف_1 U_1 م n_1 م) \text{ أو } (ف_2 U_2 م n_2 م) .$$

02- وضعيات تبادل الموضوع:

يتعقد الأمر حين يتزايد علاقة الموضوع بعدة فواعل؛ فعند وجود فاعل ثالث يسعى بدوره إلى الدخول في صراع مع أطراف أخرى لأجل تحقيق الموضوع، تكون المعادلة أكثر تعقيداً من ذي قبل، مما يجعلنا نشير إلى فاعل الحالة في البرنامج السردية القاعدي ب (ف₁)، ونشير لكل الفواعل المغايرة له ب (ف₂)، في حين يكون (ف₃) فاعل الانجاز أو المنفذ، الذي يقوم بأداء التحول على صيغ ملفوظات الحالات المذكورة آنفاً. نوضح الدورين في الخطة الآتية⁽²⁾:



* - وقد فككنا رموزها بالعودة إلى كتاب جماعة أنترفون. ف.ت: فعل التحويل. ف₁: الفاعل المنفذ. م: الموضوع. n: وصل. U : فصل. ← : ملفوظ الفعل.

(1) - جبال حضري، سيميائية النصوص عرض وتطبيق منهجي، المرجع السابق، ص: 20.

(2) - رشيد بن مالك، مقدمة في السيميائية السردية، المرجع السابق، ص 24.

ملفوظ الفعل

(فعل الفاعل المنفذ)

↓
تحويلي اتصالي

$$ف.ت (ف_3) \iff [(ف_1 \text{ U } م \text{ n } ف_2)] \iff [(ف_1 \text{ n } م \text{ U } ف_2)]$$

يضعنا ذلك أمام أربع فرضيات محتملة، هي:

1- $ف_1 = ف_3$

2- $ف_1 \neq ف_3$

3- $ف_1 \neq ف_3$

4- $ف_1 = ف_3$ و $ف_2 \neq ف_3$

ولا تتحدد حيثيات كل فرضية إلا بالعودة إلى الحالة البدئية، وضبط صيغ الحالة ووضع فواعل الحالة في برنامج سردي مركب الملفوظ، والتي منها نتيّن علاقة الفاعل الحالي المبدئية بموضوع، ونوع التحوّل الحاصل، أكان عن طريق المنح أو التملك، أم التنازل أو السلب. وحتى نبين كيف يتغير وجه العمليات التحويلية بتغير صيغ فعل الحالة، نقدم برنامجين متعاكسين* ونكتشف تغير الأوضاع في ملفوظي الحالة والتحوّل رغم عدم تغير الفرضيات المقدمة.

- البرنامج السردى الأول فصلي:

$$ف.ت (ف_3) \iff [(ف_1 \text{ n } م \text{ u } ف_2)] \iff [(ف_1 \text{ u } م \text{ n } ف_2)]^*$$

- البرنامج السردى الثانى وصلى:

$$ف.ت (ف_3) \iff [(ف_1 \text{ n } م \text{ u } ف_2)] \iff [(ف_1 \text{ u } م \text{ n } ف_2)]$$

سوف ننظر للفرضيات والوضعيّات الحاصلة في كل برنامج بحسب وضع فاعل الحالة $ف_1$ بالموضوع، بدء بموضعه في البرنامج السردى الأول ثم الثانى.

*- مثل فريق إيترفون للفرضيات بالبرنامج الأول، بينما البرنامج الثانى استحضره رشيد بن مالك لبناء الفرضيات. حيث: $ف_3 =$ فاعل منفذ. $ف_1 =$ فاعل الحالة. $ف_2 =$ الفاعل المغاير أو المعاكس.

● الفرضية الأولى: $F_1 = F_3$

يستلزم على هذه الفرضية أن $F_1 \neq F_3$. إذ تقوم على أداء نفس الممثل لدوري الفاعل المنفذ وفاعل الحالة، على أن الوضع في الحالة البدئية وصلي ويضفي التحول إلى وضع الفصلي في الحالة النهائية. فينفصل هذا الممثل بنفسه عن الموضوع وهي عملية انعكاسية تسمى **التنازل**⁽¹⁾.

لكن يلزم العملية الانعكاسية المسماة **التملك** حين وجود الفرضية البرنامج السردية الثاني:

$$F_1 = F_3 \iff [(F_1 \text{ م } u \text{ م } n \text{ م } F_2)] \iff [(F_2 \text{ م } n \text{ م } u \text{ م } F_1)]$$

تبين هذه الرمزية أن هناك تماثل بين F_1 و F_3 ؛ بإسناد دوري الفاعل المنفذ وفاعل الحالة لممثل واحد، فحين يسند للذات دور التحول، تتحول من ذات حالة إلى ذات فاعلة أو منقذة، تعمل على تحقيق برنامجها السردية، فإن كان فاعل حالة منفصل عن موضوعه القيمي، يرغب في امتلاكه في الوضع البدئي للبرنامج السردية، ثم ينجح في الاتصال به في الوضع النهائي، فقد تملكه، أما تنازله عن الموضوع حين يكون متصل في الوضع البدئي وينفصل في الوضع النهائي، وتستعمل العملية الانعكاسية للدلالة على حياة الفاعل للموضوع بفعله الخالص.⁽²⁾ وتضبط المعادلة بتعويض F_3 بـ F_1 ، على أنه الفاعل المنفذ وفاعل الحالة في آن واحد. نختزل ذلك في الرمزية الآتية:

● التحويل الفصلي: $[(F_1 \text{ م } u \text{ م } n \text{ م } F_2)] \iff [(F_2 \text{ م } u \text{ م } n \text{ م } F_1)]$ عملية انعكاسية تنازل.

● التحويل الوصلي: $[(F_1 \text{ م } u \text{ م } n \text{ م } F_2)] \iff [(F_2 \text{ م } n \text{ م } u \text{ م } F_1)]$ عملية انعكاسية تملك.

(1) - فريق إنترفرن، التحليل السيميائي للنصوص، المرجع السابق، ص: 55.

(2) - رشيد بن مالك، مقدمة في السيميائية السردية، المرجع السابق، ص: 24.

● **الفرضية الثانية: $F_3 \neq F_1^*$**

يكون F_3 مختلفاً عن F_1 في الدور والبنية العاملة، فهو المنفذ الذي يساعد F_1 على الاتصال بموضوع القيمة أو الانفصال عنه في الوضعية الختامية. ينتج وضع التعدي الممثل السلب، إذا كان البرنامج السردى فصلي، ويمثل المنح إذا كان البرنامج السردى وصلي. حيث «الفاعل المنفذ للتحويل هو ممثل آخر غير الفاعل الوصلي للحالة الأولية»⁽¹⁾، هذا الأخير إن انفصل عن الموضوع بسبب فاعل آخر فهي عملية انتقالية تسمى السلب. وعند عرض العملية الانتقالية لنفس الفرضية نجدتها عملية متعددة تمثل المنح إن اتصل الفاعل بالموضوع القيمي، ويعكس هذا التحويل في النظرية السيميائية «التحقيق الممارس في لحظة ما من مسار سردي معطى»⁽²⁾، نشرحه في بالمعادلتين الآتيتين:

● التحويل الفصلي: $[(F_1 \text{ م } n \text{ ف } u_2)] \Leftarrow [(F_1 \text{ م } n \text{ ف } u_1)]$ عملية متعددة سلب.

● التحويل الوصلي: $[(F_1 \text{ م } n \text{ ف } u_1)] \Leftarrow [(F_1 \text{ م } n \text{ ف } u_2)]$ عملية متعددة منح.

● **الوضعية الثانية: $F_2 = F_3$**

يلزم عن هذا الوضع أن $F_3 \neq F_1$ ، إذا كان في البرنامج السردى الأول يؤدي (F_1) وهو «نفس الممثل دور الفاعل المنفذ ودور فاعل الحالة الفصلي في الحالة الأولية والوصلي في الحالة النهائية، يتعلق الأمر بالنسبة لهذا الممثل بالحصول لنفسه على موضوع القيمة: وهي عملية انعكاسية تسمى التملك»⁽³⁾ بالمقابل للفاعل المغاير F_2 الذي

*- وردت صيغة الفرضية في كتاب بن مالك مقدمة في السيميائية السردية على النحو الآتي: ف.ت (3) $\Leftarrow [(F_1 \text{ م } n \text{ ف } u_1)] \Leftarrow [(F_1 \text{ م } n \text{ ف } u_2)]$ ، يقيماً أن السهم في الجزئية التالية من المعادلة ($F_1 \text{ م } n \text{ ف } u_1 \Leftarrow F_2$) يرجع خطأ مطبعي والأصوب أن نكتبها كالآتي: ($F_1 \text{ م } n \text{ ف } u_1$)

(1) - فريق إنتروفر، التحليل السيميائي للنصوص، المرجع السابق، ص: 56.

(2) - رشيد بن مالك، مقدمة في السيميائية السردية، المرجع السابق، ص: 25.

(3) - فريق إنتروفر، التحليل السيميائي للنصوص، المرجع السابق، ص: 55.

يسلب ويغتصب منه، لكن تعتبر العملية العكسية بالنسبة لفاعل الحالة ف₁ فعل تعدي ينعت بالسلب، عندما يكون ف₃ = ف₂. يعني ذلك أن الفاعل المنفذ هو نفسه الفاعل المغاير، وهو الذي يتنازل عن الموضوع لصالح ف₁، « فنسجل هنا تنازل الفاعل التلقائي (ف₂) عن الموضوع القيمة للفاعل (ف₁).»⁽¹⁾ فهو فعل تعدي السلب في حالة البرنامج السردية الأول الفصلي، و متعدي يجسد التنازل في الثاني الوصلي.

تكون معادلة وضعية الفرضية الثالثة في البرنامجين السرديين الوصلي والفصلي كالآتي:

● التحويل الفصلي: $[(ف_1 م n_1 u_2 ف_2)] \iff [(ف_1 م n_1 u_2 ف_2)]$ عملية متعدية سلب.

● التحويل الوصلي: $[(ف_1 م n_1 u_2 ف_2)] \iff [(ف_1 م n_1 u_2 ف_2)]$ عملية متعدية التنازل.

● الوضعية الرابع: $ف_3 \neq ف_2$ و $ف_3 = ف_1$

يعد الوضع بالنسبة لفاعل المغاير ف₂ فعل متعدي لعدم قيامه بالفعل، وبالنسبة لفاعل الحالة ف₁ فعل انعكاسي باعتباره مجسداً للفعل، فيكون في هيئة المنح إن انفصل عن الموضوع وفي هيئة التملك إن حققه لشخصه. إنه تحول انتقالي يرتبط بالتحول الذي يحدث فاعل الحالة لنفسه باعتباره المنفذ.

ينتج عن ذلك وضعيتين بحسب نوع التحول من جهة ووضع (ف₂) في برنامجين السرديين الآتين من جهة أخرى:

● التحويل الفصلي:

$[(ف_1 م n_1 u_2 ف_2)] \iff [(ف_1 م n_1 u_2 ف_2)]$ عملية متعدية منح.

● التحويل الوصلي:

$[(ف_1 م n_1 u_2 ف_2)] \iff [(ف_1 م n_1 u_2 ف_2)]$ عملية تعدي سلب.

نرى في هذه الوضعيات الأربعة المحددة في السلب والتملك والمنح والتنازل، أنها مجزأة إلى محتملين من الوضعيات ضمن البرنامجين السرديين الوصلي والفصلي. لكل محتمل

⁽¹⁾ - رشيد بن مالك، مقدمة في السيميائية السردية، المرجع السابق، ص: 25.

منهما وضعيتين خاصتين بالفاعلين (ف₁) و(ف₂) بالنسبة لـ (ف₃).
نضبط كل هذه الوضعيات في جدول يحوي نوعي التحويل والبرنامج السردى لكل منهما:

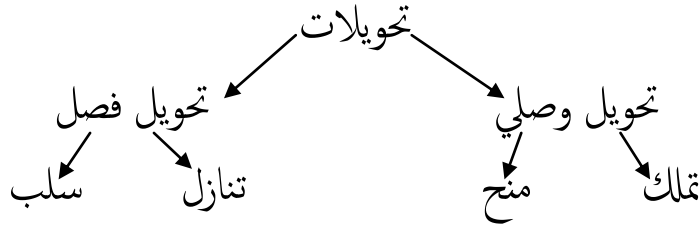
نوع البرنامج		البرنامج السردى لفاعل الحالة (ف ₁)		البرنامج السردى للفاعل المغاير (ف ₂)	
الوضعيات الأداء	تحويل فصلي	تحويل وصلي	تحويل فصلي	تحويل وصلي	تحويل وصلي
ف ₃ = ف ₁ يلزم ف ₃ ≠ ف ₂	[ف ₁ م n ₁ u ₂ ف ₂] [ف ₁ م n ₁ u ₂ ف ₂]	[ف ₁ م n ₁ u ₂ ف ₂] [ف ₁ م n ₁ u ₂ ف ₂]	[ف ₁ م n ₁ u ₂ ف ₂] [ف ₁ م n ₁ u ₂ ف ₂]	[ف ₁ م n ₁ u ₂ ف ₂] [ف ₁ م n ₁ u ₂ ف ₂]	[ف ₁ م n ₁ u ₂ ف ₂] [ف ₁ م n ₁ u ₂ ف ₂]
	انعكاسي-تنازل	انعكاس - تملك	تعدي - سلب	تعدي - منح	
ف ₃ = ف ₂ يلزم ف ₃ ≠ ف ₁	[ف ₁ م n ₁ u ₂ ف ₂] [ف ₁ م n ₁ u ₂ ف ₂]	[ف ₁ م n ₁ u ₂ ف ₂] [ف ₁ م n ₁ u ₂ ف ₂]	[ف ₁ م n ₁ u ₂ ف ₂] [ف ₁ م n ₁ u ₂ ف ₂]	[ف ₁ م n ₁ u ₂ ف ₂] [ف ₁ م n ₁ u ₂ ف ₂]	[ف ₁ م n ₁ u ₂ ف ₂] [ف ₁ م n ₁ u ₂ ف ₂]
	تعدي سلب	تعدي منح	انعكاسي تنازل	انعكاسي تملك	

إذا كانت الأوضاع التي ذكرها غريماس هي أوضاع محتملة منطقية التواجد في السرد وحالات يمكن توقع حوثها في أي نوع من الخطابات السردية، لماذا اكتفى السيميائيين السرديين المغاربة بهذه الوضعيات مع احتمال وجود وضع آخر لم يذكره غريماس هو:

● ف₃ ≠ ف₁ و ف₃ ≠ ف₂

ونعني أن الفاعل المنفذ ليس مجسداً لا في فاعل الحالة ولا في الفاعل المغاير، أي كأن تتحصل الذات على الهدف وتحقق الموضوع بالصدفة، أو هبة من الله، أو مساعدة القدر أو قوى عجيبة كما في الحكايات والأساطير...، بشكل آخر يسعى الفاعل قدر الإمكان لتحقيق هدفه، ويتحصل على جميع البرامج والمواضيع الاستعمالية، لكن تحقيق الموضوع القيمي يأتي من غيره ودون أن يمنحه أو يتنازل عنه الفاعل المغاير، بل يمثل ف₃ طرفاً ثالثاً حيث: يقوم الفاعل المنفذ (ف₃ ≠ ف₁) بعملية منح لصالح (ف₁)، بعملية سلب لصالح الأخير من ف₂ الذي ≠ ف₃، أو يسلب الموضوع من ف₁ لصالح ف₂ ليمنحه إياه مع ثبات نفس الوضعية ف₃ ≠ ف₂ و ف₃ ≠ ف₁.

اختزل الناقد بن مالك وضعيات التحويلات الانجاز في الخطاطة الآتية⁽¹⁾:



- تملك : $ف_1 = ف_3$

- منح : $ف_1 \neq ف_3$

- تنازل : $ف_2 = ف_3$

- سلب : $ف_1 = ف_3$ و $ف_2 \neq ف_3$

يتم في هذه الحالات تحقيق موضوع القيمة، وأداء البرنامج السردى الرئيسى والضديد وتبين معها أوجه التحويلات الممكنة في أنواع السرد، و« تستقطب برامج سردية تُشرك في آن واحد فاعلين، حيث يناسب كل امتلاك فقداناً في البرنامج الموازي ويؤدي في نهاية الأمر إلى تحقيق ملازمة بين:

- التملك والسلب

- المنح والتنازل.⁽²⁾

نمفصل التلازم بين البرنامجين في الجدول أدناه⁽³⁾:

الحرمان (استلاب، فقدان)	اكتساب (امتلاك)	
سلب (انتزاع)	امتلاك، (تملك، اكتساب)	امتحان (اختبار، مهمة)
التخلي (تنازل)	إسناد (وصل، منح)	هبة

(1) - رشيد بن مالك، مقدمة في السيميائية السردية، المرجع السابق، ص: 26.

(2) - المرجع نفسه، ص: 26.

(3) - الجيرداس جوليان غريماس، في المعنى -دراسات سيميائية-، المرجع السابق، ص:

نحدد الوضعيات وفق توزع عواملها داخل النظام البرنامج السردى الرئيسى والضديد فى الجدول التالى:

فقدان	امتلاك	وضعية التحوّل نوع فعل التحوّل
سلب \longleftrightarrow $ف_1 \neq ف_2 = ف_3$	تملك \longleftrightarrow $ف_1 = ف_3$	مهمة (اختبار)
تنازل \longleftrightarrow $ف_2 = ف_3$	منح \longleftrightarrow $ف_1 \neq ف_3$	هبة

يدل ضرب الهبة القائم على وضعى الوصل والتنازل على خطاب الاتزان والبراءة والهدوء، فى حين يدل ضرب الاختبار المحدد فى (اكتساب وانتزاع) على طابع الصراع والمنافسة والتوتر.⁽¹⁾

يجيل هذا الجدول إلى القراءات المنطقية التى تحوئها المعاني الجزئية القائمة على مستوى ملفوظات الذوات المتواجدة فى البرنامج السردية المرصودة ، والتي تحدد وجه الأداء الذى ستقوم به تلك العوامل، ومن هنا تكون إنتاجية المعنى على مستوى السطح فى هذه البنيات الدلالية الظاهرة ذات طابع منطقي، يُخضعُ العوامل لقانون مسبق، فلا تخرج الذوات عن هذه الوضعيات المفترضة، حيث تُفسَّرُ:

➤ **الوضعية الأولى:** الخانة الأولى الدالة على وضعية الامتلاك بما يلي:

أ- **مهمة:** الخاصة بوضع التملك، وهذا حسب الرمزية $ف_1 = ف_3$ ؛ أي أن نوع الفعل المؤدى إلى تحول فى مسرى البرنامج السردى هو مهمة، فالذات الفاعلة بصدد انجاز مهمة لصالح ذات الحالة فتُغيَّرُ بها علاقتها بالموضوع من حال الانفصال إلى حال الاتصال. ولأن الذات الفاعلة $ف_3$ المنجزة لفعل التحوّل هى نفسها ذات الحالة $ف_1$ ، فتمتلك

(1) - محمد الناصر العجمي، فى الخطاب السردى نظرية غريماس (Greimas)، المرجع السابق، ص: 52.

الذات الحالة الموضوع القيمي الذي تسعى وراءه بانجازها لفعل التحول، وبتأديتها الدورين معاً تصير $ف_3 = ف_1$ ، مما يلزم عنه أن $ف_3 \neq ف_2$.

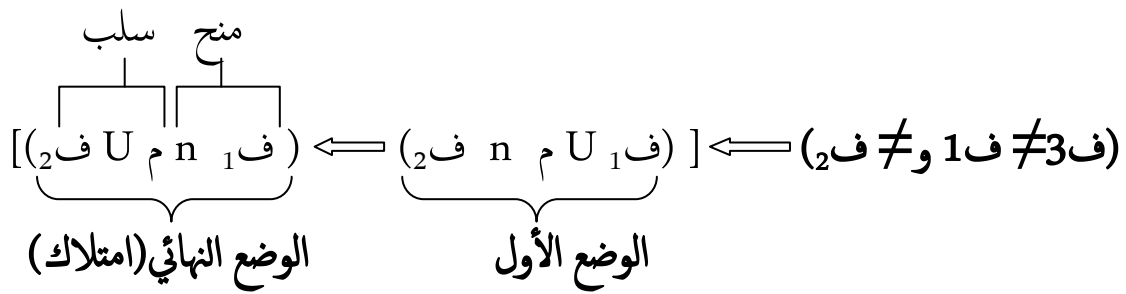
إن ذات الحالة حين تقوم بمهمتها وتنفذ فعل التحول بذاتها، وتتغير وضعيتها لصالحها إذ تمتلك موضوع القيمة دون مساعدة من أحد، فلا يُمنَح لها ولا يُتَنَزَّلُ عنه لصالحها تكون قد قامت بالدورين - فاعل حالة وفاعل منفذ- وهذا يعني سلب $ف_1$ موضوع القيمة من $ف_2$.

من هنا يكون وضع التملك في الوضعية النهائية للبرنامج السردى الرئيسي الممثل بفاعل الحالة $ف_1$ منفذاً، قد خلق وضع السلب الوضع النهائي في البرنامج السردى الموازي الممثل في الفاعل الضديد $ف_2$ ، ولن يكون بذلك $ف_3 = ف_2$ ، وتختصر ذلك كله في المعادلة التالية:

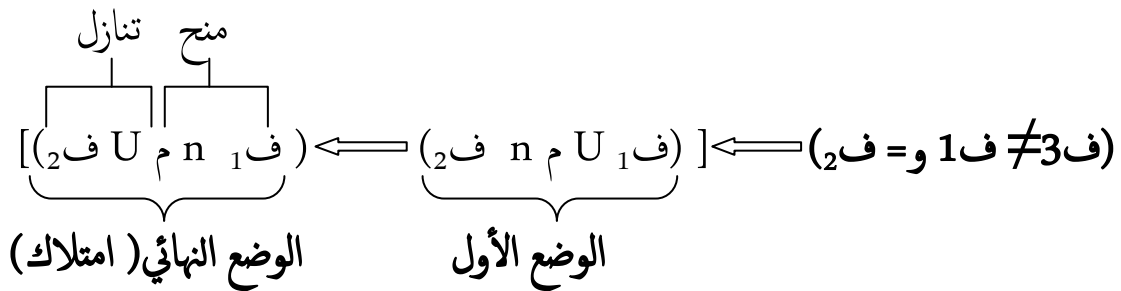
$$\begin{array}{c} \text{تملك} \quad \text{سلب} \\ \left[(ف_1 \text{ م } n \text{ U } ف_2) \right] \longleftarrow \left[(ف_1 \text{ م } n \text{ U } ف_2) \right] \longleftarrow (ف_3 = ف_1) \\ \underbrace{\hspace{10em}}_{\text{الوضع النهائي (امتلاك)}} \quad \underbrace{\hspace{10em}}_{\text{الوضع الأول}} \end{array}$$

ب- هبة: إن فعل التحول هبة في وضع الامتلاك يعطي المنح: حيث تكون ذات الحالة ($ف_1$) في انفصال عن موضوع القيمة، وبفعل التحول من الذات الفاعلة المنفذة له ($ف_3$) تصبح في حالة اتصال به، بعد أن تمنحها إياه، على غرار يكون ($ف_3$) \neq ($ف_1$)، لاكتفاء كل ذات بدورها، أي الذات المنفذة مغايرة عن ذات الحالة في البرنامج السردى الرئيسي وهنا نكون بين احتمالين، إما أن:

1-الفاعل المنفذ ($ف_3$) قد سلب الموضوع من ($ف_2$) ومنحه ل ($ف_1$) فيكون طرفاً ثالثاً في المسار السردى للبرنامج المعطى، فنصير أمام الوضع الآتي-وضع لم يدرج في الجدول: ($ف_3$) \neq ($ف_1$) و ($ف_3$) \neq ($ف_2$)، وتكون المعادلة الترميزية كما يلي:



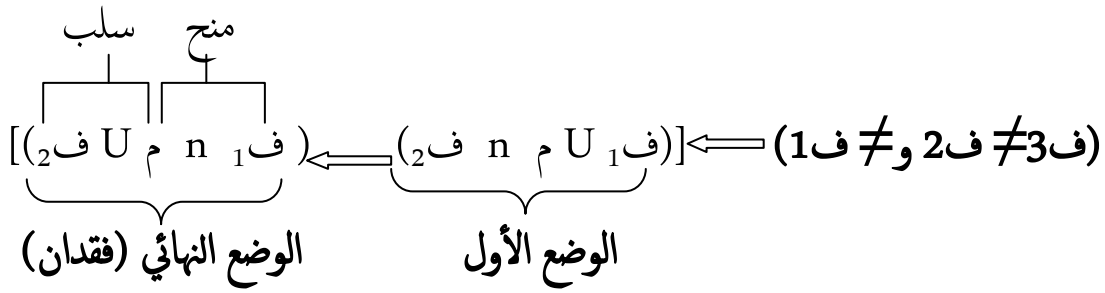
2- $ف_3 = 2 \text{ ف}$ هو وضع التنازل، أي أن فاعل الحالة في البرنامج السردى الموازي هو نفسه الفاعل المنفذ فيتنازل عن موضوع القيمة لصالح (ف₁) ويمنحه إياه، والتي تمثل خانة فعل التحول الهبة مع وضعيتي الامتلاك والفقدان والشاملة لـ : (منح، تنازل) ونكون أمام الرمزية الآتية:



➤ **الوضعية الثانية :** الخانة الأولى من وضعية الفقدان بما يلي:

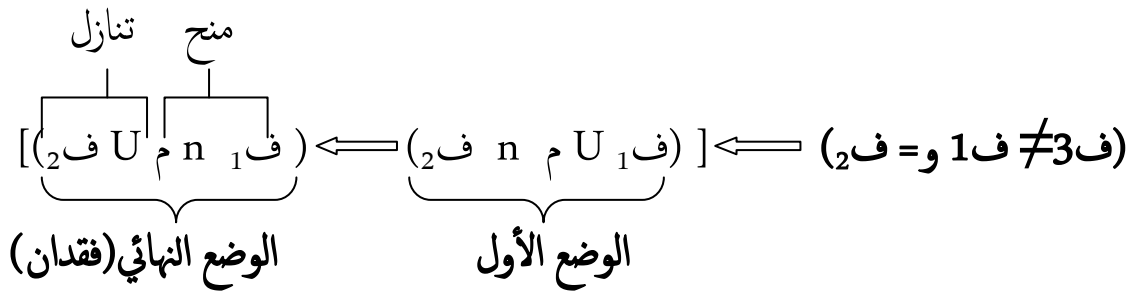
أ- **مهمة:** الحاملة لوضع السلب: أوصل نوع فعل التحول "مهمة بالسلب" الوضع النهائي إلى الفقدان، ذلك أن الفاعل المنفذ (ف₃) سلب موضوع القيمة من (ف₂) لصالح (ف₁)، ومنه (ف₃ ≠ 2).

لكن قد يكون (ف₃ = 1 ف) ونكون أمام الوضعية (أ) أعلاه " من وضعية مهمة بالتملك". لكن إذا كان (ف₃) فاعلاً منفذاً سلب الموضوع القيمي من (ف₂) ومنحه لـ (ف₁)، نكون أمام ثلاث ذوات، الذات (ف₁ و ف₂) ذاتا حالة في البرنامج السردى الرئيسي والبرنامج السردى الموازي له على التوالي، والذات (ف₃) كفاعل منفذ مستقل عن الاثنين، يقوم بتحويل الوضع لصالح (ف₁)، بسلب الموضوع من (ف₂) ومنحه لـ (ف₁)، فنكتب ذلك بالرمزية الآتية - لم ترد الوضعية في الجدول:-

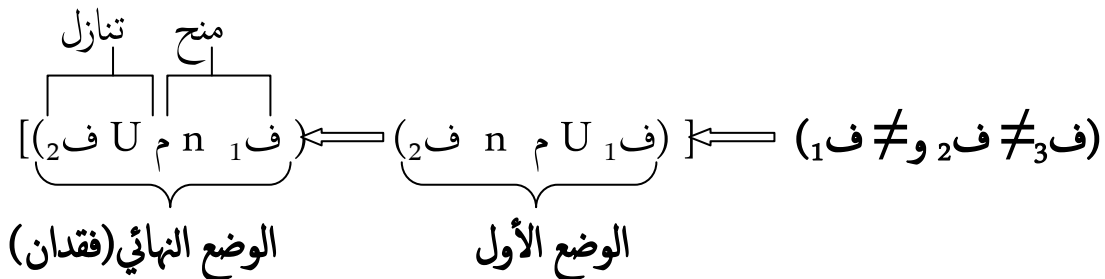


ب- هبة: يجسد وضع الهبة بالتنازل في وضعية الفقدان

1- الاحتمال الثاني الذي أدرج في النقطة (ب) من الوضعية الامتلاك في فعل التحول الهبة عن طريق المنح؛ (3 ف = 2 ف) هو وضع تنازل فاعل الحالة في البرنامج السردى الموازي الذي هو نفسه الفاعل المنفذ عن موضوع القيمة لصالح (1 ف) ومنحه إياه، وعليه رمزية الاحتمال كالاتي:



2- احتمال يفترض أن الفاعل المنفذ (3 ف) مغاير لذاتي الحال (1 ف و 2 ف)، فهو طرف ثالث موجود في البرنامجين السرديين، يتم التنازل له عن الموضوع القيمي من (2 ف)، وهو بدوره يمنحه ل (1 ف)، وعلى أساسه تكون المعادلة كالاتي:



تدل لفظتي مهمة وهبة عن نوع فعل تحول، ولفظ امتلاك عن الوضع الايجابي الذي آل إليه فاعل الحالة في برنامج السردى الرئيس، ولفظ فقدان عن الوضع النهائي السلبي لعامل ذات الحالة في البرنامج السردى الموازي لعدم تحقيق غايتها. وهي احتمالات

ووصف تفهم من ملحوظات الحالة والتحول المرصودة من النص السردى، والتي تكون البرنامج السردى المعطى والمراد تحليله، ومنه فإن الدلالة البنيات السردية المشكلة للبرنامج السردى تؤخذ من حيثيات النص، فتكون هذه الوضعيات شكل الدلالة التي تسعى السيميائية السردية للقبض عليها. والتي تكون بعد ذلك المادة الدسمة للقراءات الفاحصة على المستوى العميق، وبلملمة أجزائها نصل إلى قراءة موحدة للنص السردى المدرس.

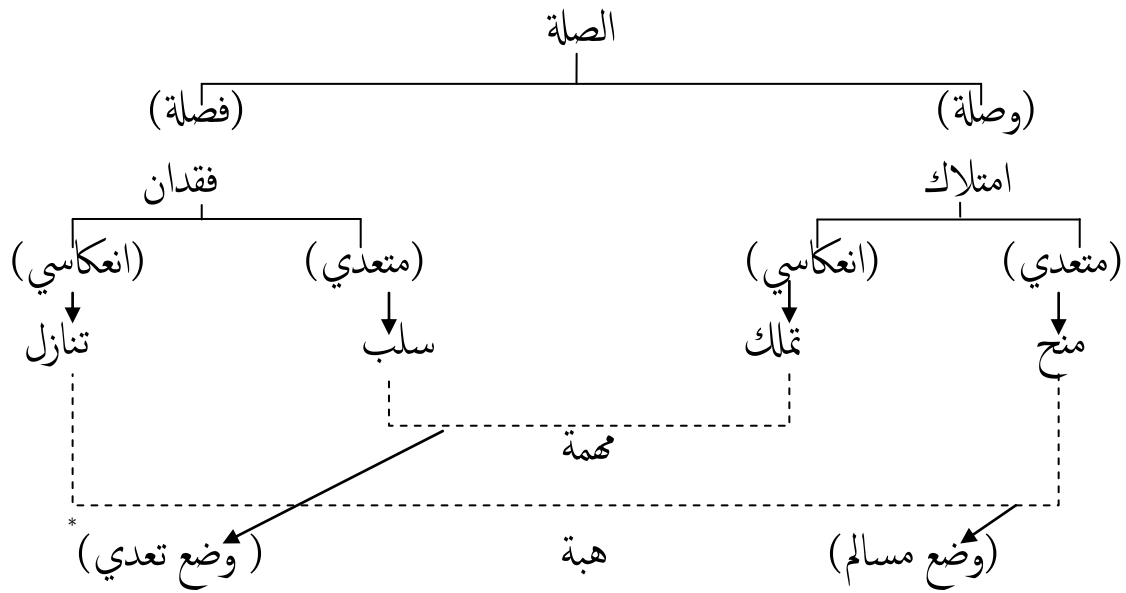
الآن، ما الذي يربح وضعًا عن آخر واحتمالًا عن غيره؟ كيف نغلب قراءة من كل هذه القراءات الدلالية المولدة من مقطوعة سردية حاملة للبرنامج السردى المسطر؟ نجيب ببساطة عن ذلك أن الملفوظات الحالة والتحول هي المرآة العاكسة التي بها نصل إلى كل وجه للدلالة، واحتمالًا من احتمالات الأداء المذكورة أعلاه. فنرصد بهذا احتمالات قراءة المعنى وإنتاجه.

وعبر الحالات السابقة نستشف نوعية الأدوار التي تحتلها هذه الذوات الموجودة في البرنامج السردى الرئيس والضديد، وهي:

- 1- تملك يستدعي السلب \leftarrow نوع الدور انعكاسي (ف₃ = ف₁)
- 2- السلب يستدعي المنح \leftarrow نوع الدور متعدي (ف₃ ≠ ف₁)
- التملك \leftarrow نوع الدور انعكاسي (ف₃ = ف₁)
- 3- المنح يستدعي السلب \leftarrow نوع الدور متعدي (ف₃ ≠ ف₂ و ف₁ ≠ ف₃)
- التنازل \leftarrow نوع الدور انعكاسي (ف₃ = ف₂)
- 4- التنازل يستدعي منح \leftarrow نوع الدور انعكاسي (ف₃ = ف₂)

إننا نرصد الدور الانعكاسي حين تكون الذات الفاعلة هي نفسها الذات المنفذة والدور المتعدي حين يكون فاعل الحالة يختلف عن الفاعل المنفذ؛ فليس هو من يقوم بالفعل إنما فاعل مغاير عنه. وهذا ما عبر عنه الناقد بن مالك في الخطاطة الآتية⁽¹⁾:

(1) - رشيد بن مالك، مقدمة في السيميائية السردية، المرجع السابق، ص: 27.



نفهم من هذه الخطاطة خاصية كل نوع من أنواع فعل التحول، حيث يشير فعل التملك والسلب إلى خاصية التعدي والتعصب، في حين يشير كل من المنح والتنازل عن خاصية المسالمة واللين والرفق .

بالعودة إلى تفسير الناقد بن مالك إلى الخطاطة السالفة الذكر « سيتضح أن الهبة تنبني على برنامجين متزامنين يدعو الواحد منها الآخر، بحيث تربطها علاقة افتراض متبادلة:

$$\left[\text{ف.ت} \left\{ \text{ف}_1 \leftarrow \text{ف} \right\} \left(\text{ف} \text{ n }_1 \text{ م} \right) = \text{برنامج المنح.} \right.$$

$$\left. \text{ف.ت} \left\{ \text{ف}_1 \leftarrow \text{ف} \right\} \left(\text{ف} \text{ u }_1 \text{ م} \right) = \text{برنامج التنازل.} \right]$$

من الواضح أن هذه النتيجة يمكن أن تسحب على المهمة لتفرز البرنامجين الآتين:

$$\left[\text{ف.ت} \left\{ \text{ف}_1 \leftarrow \text{ف} \right\} \left(\text{ف} \text{ u }_2 \text{ م} \right) = \text{برنامج السلب.} \right.$$

$$\left. \text{ف.ت} \left\{ \text{ف}_1 \leftarrow \text{ف} \right\} \left(\text{ف} \text{ n }_1 \text{ م} \right) = \text{برنامج التملك.} \right]^{(1)}$$

تعليق:

نعتقد أن هناك خلط في رموز المعادلة الأولى المكونة للبرنامجين المتزامنين في وضع

الهبة إذ:

فعل التحول من ف₁ تحصل على وضع التملك في البرنامج السردى الرئيس

* - عبارتي (وضع مسالم و وضع متعدي) لم يدرجها الناقد في التخطيط بل ذكرها في تحليله وقد أضفتها من باب تبيان موقعها من التخطيط و وضعيتي الصلة .

(1) - رشيد بن مالك، مقدمة في السيميائية السردية، المرجع السابق، ص: 27.

وبرنامج السردى الموازي يكون فيه وضع السلب، هذا ما تدل عليه المعادلة الثانية التي أفرزتها وضعية المهمة، في حين تفرز وضعية الهبة على فعل التحول من ف₂ حيث يعطي لنا ف₂ u م أي يتنازل عنه لصالح ف₁، ويعبر عنه ف₁ n م؛ أي منح له من ف₂ على شكل هبة، فتكون المعادلة على النحو الآتي:

$$\left[\begin{array}{l} \text{ف.ت} = \{ \text{ف}_2 \leftarrow (\text{ف}_1 \text{ n م}) \} = \text{برنامج المنح} \\ \text{ف.ت} = \{ \text{ف}_2 \leftarrow (\text{ف}_2 \text{ u م}) \} = \text{برنامج التنازل} \end{array} \right]$$

على اعتبار أن:

ف.ت = فعل التحول، ف₁ = ذات الحالة في البرنامج الرئيسي، ف₂ = ذات حالة في البرنامج الموازي.

يزيد بنكراد عن هذه الوضعيات للانجاز نوعين من الأداء هما⁽¹⁾:

1- **الانجاز التنفيذي:** نجده في اغلب الحكايات الشعبية يتمثل بالحصول على الموضوع الذي هو غاية في حد ذاته، بذلك يتم تضمين الفعل هدف مسبق وغاية مسطرة بوضوح منذ بداية المشروع السردى يسعى البطل لتحقيقها (الزاج من الأميرة، أو من ابنة العم الحصول على المال...). ويحدد هذا النوع من الانجاز في التحول في كينونة الذات ومحيطها، يُسعى فيه لإلغاء كل أنواع النقص في الحكاية، يمس الشخصوخ و مدار مكانها وأحوالها. أي يمس القيم الأساسية.

2- **الانجاز الاقاربي:** نجد نوعه في الروايات المعاصرة، خاصة ذات التوجه الواقعي الاشتراكي، إذ هو أداء يحيل إلى غيره دومًا، فينظر إليه على أنه برنامجًا سرديًا استعمالياً يهياً للفعل الواقعي، مما يدخله في أغلب الأحيان مع الكفاءة أهلية البطل، ذلك أن سيرورة السرد نحو تحقيق الموضوع القيمي المحكوم بهاجس الوصول إلى غاية التغيير في طبيعة الأشياء لا التغيير في محيط الذات. فهو يستهدف خلق وعي بهذا النقص، وإن كان يعد تحولاً في الكينونة الذهنية، لأنه لا يمس الذات والمحيط. يمس القيم الاستعمالية. نصل إلى أن مرحلة الأداء توضح الوضعيات الأقرب لبناء المعنى وإنتاجه عبر الملفوظات التي تحمل دلالاته، فكان بذلك الانجاز «عمليات سردية داخل النص، تعكس

(1) - سعيد بنكراد، السيميائيات السردية، المرجع السابق، ص- ص: 120- 121.

تبادلاً للموضوعات تبعاً للعلاقات التقابلية ... التي تربط المرسل المحفز بالذات كذات فاعلة في سيرورة السرد.⁽¹⁾ ويتعلق الأمر دومًا بدور وليس بشخصية.⁽²⁾ لأن عملية الانتقال وتحقيق التحويل تقتضي قائمًا بالمهمة هو فاعل الانجاز لحالة. تقيم مهمته في آخر المطاف بفعل تأويلي، من عامل كان قبلها العامل المحفز لها آلا وهو المرسل، مما يحيلنا إلى المرحلة النهائية للبرنامج السردى وخطاطة العاملية مرحلة الحكم.

4- مرحلة الحكم :

يحدث عندما يتم التحول؛ هو الجزء على الانجاز من طرف المرسل الذي يحكم على نجاح البرنامج السردى أو فشله.⁽³⁾ ويمثل الحكم وجهًا من وجوه البعد المعرفي، ولا ينظر إليه إلا من داخل النص، فهو النتيجة التي آل إليها الموضوع، إما يكون إقناعيًا أو غير إقناعي.⁽⁴⁾

يصور الحكم الوضع النهائي الذي آل إليه البرنامج السردى، لذا عدّ ما يقيم به المرسل انجاز الفاعل سواء أكان حسب ما تعاقد عليه معه أو خالف ذلك فعلاً تأويليًا يؤول نتيجة الفعل منذ انطلاقه إلى غاية نهايته بالنجاح أو الفشل.

يرتبط الجزء بالكفاءة فلا يدرك إلا بها، حيث الاثنان مرتبطان بالحضور المكثف للمرسل من جهة ومن أخرى تعد الكفاءة النقطة الأولى لانتشار الفعل السردى وللكون القيمي أما الجزء فهو النقطة الأخيرة له، يستقر عليها البرنامج السردى ككل، لا يمثل حكمًا صريحًا في الحكاية، إنما يمثل حلقة افتراضية في الوعي الختامي للنص.⁽⁵⁾ يقوم المرسل أعمال الذات المنفذة، بحسب موافقتها لنسق القيم والكون الإيديولوجي الذي يحمله المرسل وتبناه الفاعل، فتتم محاكمته من خلال المعيار الإيديولوجي للمرسل بالحكم على أعماله وأفعاله بالصدق أو الكذب، فيستلزم من التصديق المكافأة تداولًا والتمجيد

(1) - هدى التونسي، الكرامة الصوفية: مقارنة سيميائية- ضمن: من كرامات الصوفية- دراسات سيميائية- المرجع السابق، ص: 29.

(2) - جال حضري، سيميائية النصوص عرض وتطبيق منهجي، المرجع السابق، ص: 16.

(3) - عبد المجيد عابد: المسار السردى وتشكل المعنى في الكرامة الصوفية-كرامة الفقيه أبي حفص أنموذجًا، المرجع السابق، ص: 20.

(4) - شادية شقروش، سيررة الدلالة وإنتاج المعنى، المرجع السابق، ص: 15.

(5) - سعيد بنكراد، السيميائيات السردية، المرجع السابق، ص: 122.

والاعتراف معرفيًا. ويترتب على الكذب المعاقبة بالتوبيخ والتقريع.⁽¹⁾
لقد أعطى بنكراد بعض أوجه ورود الجزء في القص، فيحدث أن يرد في شكل
حكمة تختصر فيها الأحداث، تمثل عبرة وموعظة فيه، وهذا نجده واضحًا في النصوص
الوعظية الدينية، كما يمكن أن يجيء الجزء في صورة بعيدة عن المضمون الايجابي
أو السلبي للنص، إذ لا يتعلق الأمر باتمائه إليه، وتحميل السارد من خلاله نواياه، بل
يتعلق بالنص نفسه الذي يصح نفسه بنفسه، فيحكم على نفسه من خلال مطابقة القيم
المثمنة للأفعال القيمة وأفعال الكينونة. ومهما تنوعت أشكال ورود الجزء في الرواية أو في
عالم الواقع، فإنه يصور إسقاطًا لعالم الرواية على العالم الواقعي.⁽²⁾
يحدد جمال الحضري العناصر التي تظهر بشكل جلي وبأدوارها في المرحلة الختامية
للمشروع السردية، حيث نجد⁽³⁾:

- ذات الحالة التي تعترع بحالتها المحوِّلة.
- ذات الفعل المنجزة للتحويل.
- المرسل الذي يحكم على صدق الحالات المحوِّلة، والذي يقيم إيجابًا أو سلبيًا ذات الحالة.
ويعرف الحكم على البرنامج السردية بنوعين من التقويم:
- التقويم العملي.
- التقويم المعرفي.

يكون الحكم في الأول حكمًا إبستيميًا معرفيًا للفعل، يصدره المرسل المؤول على انجاز
الذات للبرنامج من عدمه، حيث تكافئها إن نجحت، وتعاقبها إن فشل البرنامج. أما
التقويم المعرفي فهو أيضًا حكم إبستيمي لحال الذات من خلال تهنئة وإكرام الفاعل الحقيقي
وإدانة وإرباك الفاعل المزيف.⁽⁴⁾

(1) - جميل حمداوي،، السيميوطيقا السردية السيميوطيقا السردية- من سيميوطيقا الأشياء إلى سيميوطيقا الأهواء، المرجع السابق، ص: 89.

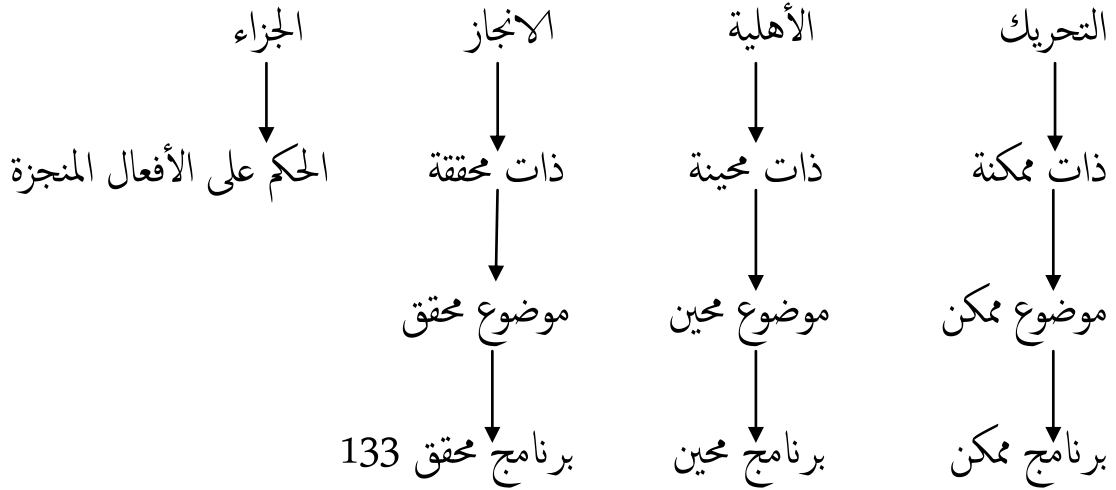
(2) - سعيد بنكراد، السيميائيات السردية، المرجع السابق، ص، ص: 122، 124.

(3) - جمال حضري، سيميائية النصوص عرض وتطبيق منهجي، المرجع السابق، ص- ص: 41- 42.

(4) - نادية بوشفرة، مباحث في السيميائية السردية، المرجع السابق، ص: 73.

يرمي القويم المعرفي إلى تقييم الفاعل وفق البعد المعرفي للبرنامج مما يجعله متعلقاً بموجهات ملفوظ الحالة، أي الحكم على موجهات الكينونة، بإتباع مصداقيتها من طور لآخر، في مقابل موجهات الفعل المتعلقة بملفوظات الفعل المفضية إلى الحكم العملي. و قد بينها في عنصر الكفاءة أعلاه.

نصل من خلال استكمال كل مراحل الخطاطة السردية لأي برنامج سردي رئيسي إلى تكوين مقطع سردي يمثل قصة مصغرة أو « وحدة سردية كاملة مكونة من المناورة والانجاز العملي للمشروع والجزاء»⁽¹⁾ إضافة إلى الكفاءة وأهلية الذات، تجسد عناصرها عناصرها مجتمعة – بتعبير بنكراد- نظاماً منطقياً لمكون سردي، وأنماط وجوده السيميائي، الذي يعين مواقع العوامل في تركيب سابق عن أي استثمار دلالي، فيكون وجودها أسبق من تواجدها المعنوي اللاحق في النص، وهذا ما تفسره المعادلات المنطقية الآتية⁽²⁾:



ساق العجبي مراحل الخطاطة السردية في جدول⁽³⁾، مختزلاً فيه تفاصيلها الإجرائية الإجرائية من عوامل وعلاقات وموجهات موضوعية وأبعاد معرفية وتأويلية، وقد تم مقارنته بجدول مماثل عند جميل حمداوي في كتابه السيميوطيقا السردية⁽⁴⁾، ومزجناهما في الجدول الجدول أدناه:

(1) - محمد الناصر العجبي، في الخطاب السردية نظرية غريماس (Greimas)، المرجع السابق، ص: 72.

(2) - سعيد بنكراد، السيميائيات السردية، المرجع السابق، ص، ص: 122، 124.

(3) - أنظر: محمد الناصر العجبي، في الخطاب السردية نظرية غريماس (Greimas)، المرجع السابق، ص: 72.

(4) - جميل حمداوي، السيميوطيقا السردية السيميوطيقا السردية- من سيميوطيقا الأشياء إلى سيميوطيقا الأوهام-، المرجع

السابق، ص: 51.

مدى معرفي إقناعي ↓		التعريف بقيمة الأشياء التي هي موضوع المشروع المعترزم القيام به.	تنظيم في مستوى علاقة المرسل بالمرسل إليه، وتأثير ذلك في هذا للقيام بالفعل وهو ما يوسم بالفعل الإقناعي أي: تحفيز الفاعل حيث الإقناع من طرف المرسل المحفز والتأويل من قبل المرسل إليه (فعل الفعل) (تفعيل الفعل)	التحريك (التحفيز)
		- الرغبة في الفعل. - الشعور بوجوب الفعل. - القدرة على الفعل. - المعرفة بالفعل	تنظم علاقة الفاعل الإجرائي بالموضوعات الوسائطية أو الكيفية. ، أي: تأهيل الفاعل كيان الفعل (كينونة الفعل)	الكفاءة
	مدى معرفي تأويلي	السعي إلى تحقيق الموضوع، ونقل الكيان من حال إلى حال.	يجسد علاقة الفاعل الإجرائي بالموضوعات القيمة، يتم فيه إنجاز الفعل فعل كيان، (تفعيل الكينونة)	الإنجاز
			يحكم علاقة المرسل المحفز أو المرسل إليه بالفاعل الإجرائي حيث تقويم الفاعل ، وتقييم الأفعال والموضوعات التي تم تحقيقها (كيان الكيان) (كينونة الكينونة)	الجزاء

يستدرك بنكراد ما قيل عن هذه المنظومة الآلية الدارسة لمستوى سطح المعنى عبر مكوّنه السردية، موضحاً أن رغم أهميتها الكبرى في صياغة نظرية تسمح بمدنا الأدوار والعلاقات التي تسمح بإجراء تقطيع شكلي للمكون الدلالي، يبدو وكأنه محكوم بمبدأ متصل، لكنه لا يستنفذ كل عناصر النص الخلاقة ولا تستوعبها وتقصد بها تحديداً الشخصيات، فالدراسة المحايثة الخالصة التي لا تخرج عن رصد الانتظامات والأنساق الداخلية للعمل الأدبي لن تكون قادرة على التعرف على شبكة الاكراهات والضغوطات التي تحدد بشكل مسبق طبيعة العمل الأدبي فهي اكراهات بمثابة العنصر الحاسم في تشكيل العمل الأدبي، وإنتاج معناه وبعده الدلالي، وهذا النوع من الدراسة تتحول معه النصوص إلى مجرد جرد بسيط أو مشكلة صياغة.

وللخروج من بوظقة الصياغة التجريدية وجب العمل على الناحية التلفظية للنص وهو المحفل المنتج للكون الروائي باعتباره الحد الفصل بين الصرامة التجريدية المسبقة المنظم للمحفل والتمثيل الإنساني والمفروضة على النص وبين تحققها فيه⁽¹⁾، مما يحيلنا إلى المكوّن الثني في المستوى السطحي، وهو المكوّن الخطابي.

تلك الإجراءات السابقة مكنت من تحليل الملفوظات برصد البنية السردية من حيث برنامجها السردية وما يحمله من ترسيمة وخطاطة سرديتين، لنصل إلى رصد رؤية حول العلاقات والعمليات المبرمجة عبر وضعيات البرامج السردية المتنوعة، وعبر التوزيع العاملي واشتغاله داخل الخطاب، ودراسة طرق تنظيم مضمونه والشكل السردية الذي يلبسه، فيحيلنا التحليل على مستوى شكل محتوى سرد إلى البنية النحوية السردية التي ينتظم فيها المكون الخطابي.

(1) - سعيد بنكراد، السيميائيات السردية، المرجع السابق، ص، ص: 135، 137.

I المكوّن التصوري: أو المكوّن الخطائي

وضحنا سابقًا في المكوّن السردية أن المضامين تنتظم عبر رصد العلاقات والعمليات التحويلية التي تمكننا من توليد المعنى، وإيجاده عبر منطقية جهاز إجرائي قار تشكل الدلالات الجزئية للوحدات السردية في التحامها صورة للمعنى العام والكلّي للخطاب المحكي.

تتكفل البنى السردية في المكوّن السردية بالمضامين التي تمنحها اللغة وترتبها، في حين يعمل المكوّن الخطائي بوصف القانون الذي يحكم أشكال هذه المضامين ويصفها.⁽¹⁾ فالبنيات السردية لا تعالج ولا تبرر في مراحل التحليل إلا من خلال البنيات الخطائية التي يمكن أن نعتبرها تحيين أو كوضع في خطاب المكوّن السردية⁽²⁾، فيكون الانتقال من المكوّن النحوي المتعاطي للحكاية كسلسلة من الحالات والتحويلات، وكنية سردية تضبطها مجموعة من الأدوار العاملة والأفعال، إلى المكوّن التصويري المولد لسلسلة من الأدوار الثمينة، وما يشكل الأبعاد الدلالية للنص السردية.⁽³⁾

يقوم المكوّن الخطائي برصد أنظمة الصور التي تتضح وتتجلى في الملفوظات السردية لتشكل بذلك تجسيدات خطائية⁽⁴⁾، يشغل المحلل عليها لإنتاج المعنى، وفق الإجراءات هذه المرحلة، ويعمل على إدراك المعنى الكلّي للظاهرة الأدبية، ويتصل المكوّن التصويري بالعالم المحسوس، الذي ينزع إلى الاختلاف والتنوع، ويتم عبر التدقيق في بنية الممثل « باعتبارها نقطة لقاء بين دورين متميزين، دور عاملي من قبيل الذات أو الموضوع ودور ثمينة من قبيل الأب أو الصياد أو الأستاذ»⁽⁵⁾، وهذا التمييز بين الدورين يجعلنا في موقع التوسط الذي يسمح بالانتقال من البنيات السردية إلى الخطائية، ومن التجريد إلى التشخيص.

(1) - فريق إيتروفن، التحليل السيميائي للنصوص، المرجع السابق، ص: 29.

(2) - جورج موراند، الغراب والتعلب مقارنة سردية خطائية، المرجع السابق، ص: 81.

(3) - سعيد بنكراد، السيميائيات السردية، المرجع السابق، ص 143.

(4) - ميلود عبيد منقور، سيرة سيف ذي يزن مقارنة سيميائية، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في السيميائيات السردية جامعة وهران، 2010-2011، ص: 57.

(5) - سعيد بنكراد، السيميائيات السردية، المرجع السابق، ص 143.

يعتمد القارئ إلى رسم صورة موحدة عبر أدوار الممثلين الطارحين للفعل بصورة محسوسة، ضمن المعلم النصي الدال المتنوع، بإسقاطه على مكّون لغوي بعالمه الذي توحدته اللغة التعبيرية التي نشأ فيها، وعبر وسائل وأساليب التعبير المختلفة المتعددة، وأنواع الفنون التصويرية التي يرتادها المؤلف لإكساء النظام السردى المجرّد بجميع مكوناته وبنياته، بأردية متنوعة تنوع العالم المحسوس⁽¹⁾. إنه العدول من وظائف الفعل في شكله المجرّد إلى مضامينه الثقافية المحسوسة.

يسعى المحلل إلى كشف هذا الزخم من التنوع الدلالي المشبع في البنيات السردية ولكن ليس في نظام هيكلها المجرّد، إنّما في الخصوصية الثقافية لهذا الهيكل، وبنياته المشخصة لعالم حي محسوس يجسده الممثل، واستقرائه من خلال استقراء الكل المشترك في هذه البنيات السردية، مما يميلنا إلى تبعية المكون الخطابي للمكون السردى. ويوضح بنكراد مكّونين أساسيين لتجلية البنية الخطابية، هما⁽²⁾:

● **الدلالة الخطابية:** وتشمل مستوى الثيمة ومستوى التشخيص.

● **التركيب الخطابي:** يحوي إجراءات منها تحديد وضعية الممثل بالنسبة للفعل والعلاقات بين الفاعلين في النص، وكل ما يحيط به من أزمنية وفضاءات. بصورة أبسط نلج لتحليل المكوّن التصويري لنص ما، بنزعة تجريدية موضوعية ذات طابع علمي⁽³⁾. من:

أ- المسار الصوري والصورة:

ب- الغرض والدور الغرضي.

ت- فاعل التحول أو القائم بالفعل.

1. **المسار الصوري والصورة:** تتعلق المسارات الصورية على بنية الصورة، التي تمثل جوهر المعنى والوحدة الأساسية لبناء تجليات الدلالة.

(1) - محمد الناصر العجيجي، في الخطاب السردى نظرية غريماس (Greimas)، المرجع السابق، ص: 75.

(2) - سعيد بنكراد، السيميائيات السردية، المرجع السابق، ص 144.

(3) - محمد الناصر العجيجي، في الخطاب السردى نظرية غريماس (Greimas)، المرجع السابق، ص: 75.

أ- تحديده:

تمثل الصورة وحدة ذات مضمون ثابت يحقق من خلال نواة دائمة، تتحقق اضماراتها في أشكال مختلفة حسب سياقاتها، فميزها على صعيدين⁽¹⁾:

1- **الصعيد المعجمي**: تحلل فيه الصورة حسب الأوجه المعنوية المضمره المحتملة، والتي يمكن أن يعطي مدلولاتها معجم لغة ما.

2- **الصعيد السياقي**: ينظر للصورة حسب الدلالات المحققة وفق السياق المدرجة فيه، ووفق الاستعمالات الممكنة التي تطرحها الملفوظات ضمن الخطاب المدرجة فيه. وكما علمنا، أن المكوّن الخطابي هو عملية رصد لأنظمة الصور التي تتجلى في الملفوظات المشكّلة لتجسيّدات خطافية، فإنه ضمن هذا السياق يخرج التحليل السيميائي للصورة من المفهوم اللغوي الذي يحمله الحقل المعجمي الساكن (المجرد)، إلى مستوى دينامي تداولي، يعطي الصورة داخل النص « وظيفة سياقية تكوّن عالماً دلاليًا يكتمل معناه بتوزع هذه الصور وتناثرها»⁽²⁾، وبللمتها ينتج المعنى.

أما المسار التصويري الذي هو ضمن المكوّن الخطابي هو الانتقال من المكوّن النحوي (السردية)، تتمثل الحكاية فيه كسلسلة من الحالات والتحوّلات إلى المكوّن الخطابي... إنه الانتقال من البنيات السردية كهيكّل عام إلى ما يشكل غطاء هذه البنيات السردية.⁽³⁾

ولا يؤخذ بالصورة المنعزلة عن خطابها المبتوثة فيه إنما ينظر إليها عبر شبكة من التشكّلات التي تنسجها الصورة مع صور غيرها، « ونسبي هذه الشبكة من الصور المترابطة فيما بينها بالمسار الصوري. ويمكن لهذه المسارات الصورية أن تجتمع تحت تشاكل خطابي أشمل، يعتبر كمجموعة من المدلوليات المضمره القادرة على التحقق في المسارات الصورية من خلال الخطابات والنصوص.»⁽⁴⁾ ويفرق بين التشاكل الخطابي والتشاكل

(1) - فريق إنترفرن، التحليل السيميائي للنصوص، المرجع السابق، ص 29.

(2) - ميلود عبّيد منقور، سيرة سيف ذي يزن مقارنة سيميائية، المرجع السابق، ص: 57.

(3) - هدى التونسي، الكرامة الصوفية: مقارنة سيميائية- ضمن: من كرامات الصوفية- دراسات سيميائية- المرجع السابق، ص 32.

(4) - فريق إنترفرن، التحليل السيميائي للنصوص، المرجع السابق، ص 29.

الصوري أن الأول يشكل الجانب المضمر للدلالة، في حين يمثل الثاني الجانب المحقق منها. ولا يمكن بأي حال تجاهل المعطيات المعجمية لسيم في نص ما، إذ « انطلاقاً من المعطيات المعجمية وحدها...، والتي اقترحها النص كما هي، وفي الحال، يمكنها أن تكشف مثلاً عن مختلف التشاكلات الجزئية باعتبارها تشكياً وتشتتاً - تحت شكل نظمي إفرادي- للمحتويات العميقة المحيثة.»⁽¹⁾

إن بناء ظاهرة نصية ما يجعلنا نتدرج عند قراءته عبر عدة عناصر أو أصداء دلالية، تنمو وتيرتها نحو التكثيف والاتضح كلما تعمقنا في القراءة، « وما إن نأتي على قراءة النص كاملاً حتى تستوي هذه الأصداء منتظمة في إطار دلالي جامع»⁽²⁾، فقطعاً لن نحصل المعنى فقط بالوقوف على تلك البنيات العاملة، ومستويات التحويل التي تحدث في الأدوار والوظائف، وغيرها من الخطوات التي يشملها المكون السردية، إنما نلجأ إلى التحليل الخطابي على نفس العناصر التي كانت عند تحليل المكون السردية فنتناول ما تركه هذا الأخير جانباً من صور وتراكيب لغوية، باعتبار تناوله فقط لميزاتها السردية.

يوعز الأمر في تحليل المكون الخطابي للمنظومة اللغوية، والأساليب البيانية والصور المكونة للبناء النصي في جميع مستوياته اللغوية والأسلوبية، الموضوع أصلاً لإظهار البناء السردية للنص على ما هو عليه في مظهره الخارجي، وإعطاء مسح للمدلولاته، ومعناه الخاص به.

ب- مظهراته:

1- **الصور الليكسيمية:** تبنى الصور أصلاً من الالكسيمات والتي تأخذ معانيها من المعجم بدلالات مختلفة ساقها لها الاستعمال والتداول⁽³⁾، في حين تأخذ الصورة الالكسيمية دلالتها بحسب السياق المستثمر لإمكاناتها الدلالية التي يحملها الالكسيم في ذاته.

نبدأ أول قراءة في التحليل الخطابي من عرض بسيط للصور التي بثت في محكي ما بالتركيز بدءاً بالكلمات التي يحملها معجم لغوي حول صورة معنى معين، وتجسد

(1) - جورج موراند، الغراب والتعلب مقارنة سردية خطابية، المرجع السابق، ص: 75.

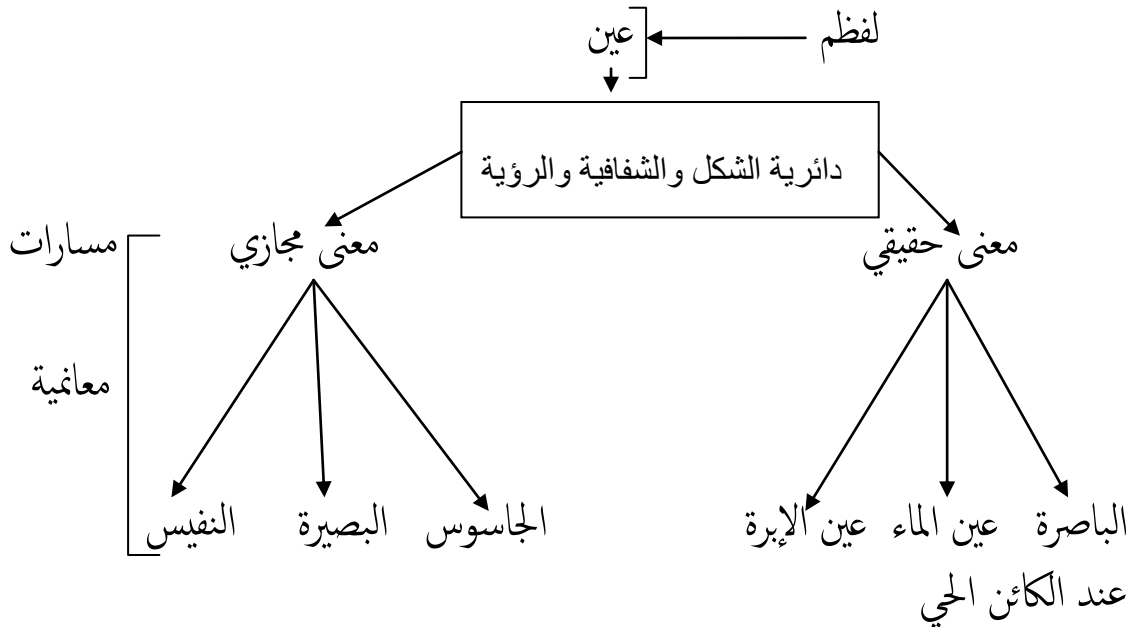
(2) - محمد الناصر العجمي، في الخطاب السردية نظرية غريماس (Greimas)، المرجع السابق، ص: 76.

(3) - ميلود عبيد منقور، سيرة سيف ذي يزن مقارنة سيميائية، المرجع السابق، ص: 57.

الصورة بلفظ مقيد لها وحدة جوهرية لمعنى ثابت فيها معين بنواة معنوية دائمة تعرفها وتحقق كل احتمالاتها الدلالية بحسب السياقات الواردة فيها. وتعد الصور الليكسيميّة أو المعجمية طرح أمام المحلل لكل أوجه الدلالة التي تحملها وتحققها الصورة، التي « تملك دومًا مضمونًا ثابتًا، يمكن للكثير من التحقيقات أن تتطور من خلال توظيفات هذه الصورة. »⁽¹⁾ ونسبي كل إمكانات التحقق المتنوعة والممكن رصدها مسارات سيميية (معنوية). وما على المحلل إلا أن يضبط الاحتمال الدلالي الأقرب في النص من مجموع هذه المسارات، الذي يتماشى والسياق المدرج لتلك الصور، ومن هنا ننتقل من الصور الليكسيميّة إلى الصور السياقية للنص.

وتكون للصورة ثلاثة أوجه تحمل منها المدلولات، هي: الصور الليكسيميّة أو المعجمية، الصورة النواتية، المسارات المعنوية.

يسوق لنا العجبي مثالاً توضيحياً يبين فيه أهمية اللفظ "lexème"، في بناء النص، وإدراج مفهومه ودلالته اللغوية على مستوى النص والسياق المدرج فيه، وعبره يحدد لنا الإمكانيات الدلالية التي يمكن أن نولدها من لفظ ما، من مثل لفظ: "العين"⁽²⁾



-دلالات ومسارات المعنى للفظ معين-

(1) - فريق إنتروفرن، التحليل السيميائي للنصوص، المرجع السابق، ص 128.

(2) - محمد الناصر العجبي، في الخطاب السردية نظرية غريماس (Greimas)، المرجع السابق، ص: 78.

من الشكل البياني يمكن أن نستشف جملة الدلالات الأولية، والمسارات المعنوية التي يحملها لفظ ما، وإسقاطاتها التصويرية التي ترتبط أصلاً بشكل وبقدر ما بالصورة النواتية التي يحملها هذا اللفظ، حيث⁽¹⁾:

● **اللفظ**: هو الدال الذي يحيل إلى معنى بعينه وضع لأجله، متفق على مدلوله الذي يمثل في آخر المطاف التصور المطلق له المسمى المعجم، مثل لفظ العين معناه: الباصرة وآلة النظر، أو العضو الذي يرى منه الكائن الحي.

● **الصورة النواتية**: هي الصورة الجوهرية والتصوير الممنوح للفظ، يكون فيه أساسياً كعامل مشترك يجمع جل الإمكانيات التعبيرية والدلالية الماثلة في اللفظ، والمحقة لمسارته الدلالية مثال: الصورة الجوهرية التي تجتمع حولها المسارات الممكنة لفظ العين هي "دائرية الشكل والشفافية-الرؤية".

● **المعجم**: هو التصور المطلق الذي يعرفه القاموس حول اللفظ الحامل له، مثال: العين: الباصرة، عضو يتاح للكائنات الحية للنظر بواسطته.

ولا يمكن للحقول المعجمية للمعجم أن تنبني إلا إذا ما تمت قراءة النص عدة مرات فالأمر يتعلق في هذه المرحلة التحليل الأولى بترتيب مفردات المعجم تحت مقولات دلالية منفتحة وموسعة إلى أقصى حد ممكن، والتي تستخرج وتتحدد بقدر ما يكون فهم المعنى الإجمالي أكثر دقة⁽²⁾ وعلى هذا الأساس نرى أن الصورة اللكسيميائية هي نوع من تنظيم المعنى الثاوي، يتحقق في النص بحسب السياقات المختلفة الواردة فيه، فتحلل الصورة حسب نوعين من الظهور:

الأول: المعجم: أين يمكن أن ترد بمدلولاتها التي يحتمل أن تتحقق فيها.

الثاني: السياق: أو تداولها واستعمالها داخل النص، فتشغل بحسب توظيفها فيه حيزاً معنياً تستغل فيه أحد الإمكانيات الدلالية التي استخدمت في النص سواء أكانت حقيقية أو مجازية، فتحلل وفق ما حمله ملفوظ النص لها من تجلي وحسب المعنى المحقق فيها.

(1)- أنظر: المرجع نفسه، ص، ص: 75، 78.

(2) - جورج موراند، الغراب والتعلب مقارنة سردية خطائية، المرجع السابق، ص ص: 82-83.

ويمكن أن نسمي نوع الصورة بالصورة السياقية.

2- الصور السياقية: وهي الصورة داخل الخطاب الذي يحملها، حيث لا يكتفي القارئ للمعنى وفق المنهج السيميائي السردى برصد مجموع المعاني الحقيقية والمجازية التي يمكن أن تحملها الصورة كمعاني مضمرة فيها، إنما يجب تتبع المسار الدلالي لهذه الصورة داخل النص بالوقوف على الملفوظات الموظفة فيها، عندها ستسقط جملة الاحتمالات التي لا تنتمي لتتابع نسق وسياق الملفوظات المتسلسلة المشكلة للنص، والمستعملة للصورة ويبقى ما يقترب من المعنى المحال إليه في النص، طبعاً دون أقصاء وجه التقارب الدلالي للصورة بين ما يحمله القاموس وما حققه السياق.

و« نسمي "حقلًا دلاليًا" مجموع توظيفات كلمة في نص معين، وهو توظيف يعطي لهذه الكلمة شحنة دلالية معينة: ونحن نرى بأن هذا يمكن أن يوافق دراسة المسارات السيميائية لصورة أو للجانب المحقق من الصورة.»⁽¹⁾ المفردة كلما كانت معزولة لا يمكن أن يدعى بأنها مندرجة في حقل معجمي دلاليًا محتمل...، بل لابد من انتظار انضمامها ونسجها مع مفردات أخرى لتؤكد هذا العنصر أو ذاك، «المفردة لا تنتقل مباشرة من المعجم إلى النص بجميع احتمالاتها الدلالية، فالسياق يختار هذه السمة أو تلك، ويضع السمات الأخرى بين قوسين، تحدث عملية اختزال دلالي أو قصر معنوي.»⁽²⁾ لأن المسارات الدلالية للصورة تنتج عبر شبكة العلاقات والترابطات التي تصنعها الصورة، ومدى انتشارها وانكماشها ضمن ذلك السياق النصي المحققة فيه، فلا نقف فقط عند الأوجه الدلالية المحققة والتي سميت بالحقل، بل عملها وشيوعها داخل مسارا النص السردية.

يميز غريماس نمطين من الوحدات الدلالية « المعاني الذرية أو الذرات المعنوية أو ببساطة المعانم، التي هي السمات المميزة، والعناصر الاختلافية أو الوحدات الدلالية الصغرى، والمعانم السياقية أو الكلاسيكات...إنها تشكل مساهمة السياق اللساني لأجل تعيين المعنى»⁽³⁾ وهذان النمطان من المعانم يتألفان ليكونا مدلولات وحدات التمثيل التي

(1) - فريق إنترفرن، التحليل السيميائي للنصوص، المرجع السابق، ص 130.

(2) - جورج موراند، الغراب والثعلب مقارنة سردية خطافية المرجع السابق، ص: 83.

(3) - مارسيلو داسكال، الاتجاهات السيميولوجية المعاصرة، المرجع السابق، ص: 32.

هي المدلولات السياقية والمدلولات السياقية الواصفة.⁽¹⁾ ولا يمكن بناء الصورة ومساراتها إلا عبر النظر في هذه المدلولات السياقية والواصفة، وضبطها، والتي لا يمكن هي الأخرى إنتاجها إلا عبر المدلول المعجمي من جهة، والمعنى المُحدَث من السياق من جهة أخرى.

3- المسارات الدلالية: هي جملة التصورات التي يمكن توليدها من لفظ ما، وهي دلالات حافة تتعدد بتعدد السياقات المنتمي إليها ذاك اللفظ، فتزد في سياقات تمنحها معنى حقيقي وأخرى تمنحها سياقات مجازية، وهذا واضح في البيان التخطيطي السابق.

وما يؤكد غريماس أن اللفظ "الكسيم" لن يستعمل في جميع صورته التي يمكن أن نستشفها منه، سواء بمساراته الحقيقية والمجازية، إنما سيظهر من هذه المسارات الدلالية إلا ما يثبتته السياق الذي تواجد فيه؛ أي تحققها جزئي في الخطاب، فيكون استغلال جزئي جداً لرصيد الاحتمالات الكامنة في هذه الوحدات اللغوية المستعملة، مع بقاء هذه الاحتمالات الدلالية على وجودها بالقوة، مستعدة للانبعث، والاستمرار لتعيش وجودها الاحتمالي من جديد، بمجرد أقل جهد للذاكرة.⁽²⁾ « وعلى الدارس تتبع هجرة الوحدة اللغوية في الخطاب الواحد ورصد السياقات الواردة فيها، حتى يبين مدى كثافة الشحنة الدلالية المستكنة فيها، أو ما يسمى في المنظور الأسلوبي بـ«حقل اللفظ الدلالي»⁽³⁾

وعند العودة إلى التواجد الدلالي للفاظم في سياق ما سوف لن يجيد أي لفظ على إيجاد وإقامة علاقات بوحدات لغوية أخرى، تابعة لنفس السياق، ويدخل معها في جملة من الاختلافات والتقابلات وترادفات في البنية الدلالية، ومن هنا يكون عمل الناقد هو تحديد اتساقها وانسجامها ضمن المساق التعبيري الواردة فيه، ومدى تألفها واختلافها مع جملة الوحدات اللغوية بعضها مع بعض، مؤلفة على حد تعبير محمد العجمي شبكات صورية دالة.⁽⁴⁾ هذا التشكل التصويري الحاصل من هذه الشبكات الصورية الدالة

(1) - المرجع نفسه، ص 32.

(2) - الجيرداس جوليان غريماس، الفواعل، الممثلون، الصور، المرجع السابق، ص: 43.

(3) - محمد الناصر العجمي، في الخطاب السردى نظرية غريماس (Greimas)، المرجع السابق، ص: 78.

(4) - المرجع نفسه، ص: 78.

يثبت في الخطاب، عندما يكون الموضوع الذي يرغب فيه الفاعل مشحون بشحنة دلالية.

مع العلم أن غريماس في كتابه سيميائيات الأهواء قد بين أن المواضيع لن يكون لها استثمار دلالي ولا تشكل تركيباً سيميوي-سردياً إلا إثر تنوعات تداوله داخل المجتمع⁽¹⁾ حيث تصنف الموضوعات على إنها مرغوب فيها ضمن النسق القيمي الجماعي؛ بمعنى أن الموضوعات لا يمكن اعتبارها مرغوب فيها من الذات فقط؛ بل تلحقها الرغبة الجماعية فتكون مرغوبة فيها كذلك من طرف الجماعة.⁽²⁾

ولن يكون الخطاب السردى تشكياً تصويرياً إلا عندما يتضمن مثلاً في ملفوظه ذاتاً منفصلة عن موضوعها وترغب في الاتصال به، فيتحول هذا المنحى إلى مشروع سردي-برنامجاً سردياً- ترغب الذات في الاتصال بالموضوع، والالتحام به. وهذا ما يجسده المسار النحوي للخطاب، في حين تتحول بالخطاب إلى مساره التصويري عند شحن الموضوع ببعد دلالي يخول للذات أن تدركه من حيث هو صورة تمثيلية، فيدخل الموضوع في مسار سردي شامل، تتشكل منه الصورة التمثيلية، والتي تجمع كل التحولات والأفعال التي تخول للذات الوصول إليه في إطار زمني ومكاني.⁽³⁾

ويعتبر النص نفسه ضمن هذا التشكيل التصويري امتداداً سيميائياً؛ حيث يمتد وينتشر خطابه بين الوحدات القاعدية المتكوّنة من السمات النووية والسمات السياقية مما يوضع النص في قالب النص الافتراضي⁽⁴⁾، وما ينتج عنه من معنى يعد محتملاً من الاحتمالات القرائية المستنبطة من امتداداته السيميائية بتشكلاتها التصويرية.

وقد خرج الناقد محمد ناصر من مفهوم غريماس للتشكيل التصويري بضربين من ضروب تضام الصور مع التمثيل لهما، تمثلاً في⁽⁵⁾:

(1) - الجيرداس جوليان غريماس وجاك فونتيني، سيميائيات الأهواء من حالات الأشياء إلى حالات النفس، تر: سعيد بنكراد، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، لبنان، ط01، 2010، ص: 184.

(2) - المرجع نفسه، ص: 184.

(3) - محمد الناصر العجيجي، في الخطاب السردى نظرية غريماس (Greimas)، المرجع السابق، ص: 79.

(4) - عبد القادر فهم شيباني، سيميائيات المحكي المترابط - سرديات الهندسة الترابطية: نحو نظرية للرواية الرقمية، المرجع السابق، ص: 43.

(5) - محمد الناصر العجيجي، في الخطاب السردى نظرية غريماس (Greimas)، ص- ص: 79- 80.

● **الأول: المسار الصوري:** وهو مجموعة من الصور المتلاحمة المتضامة، يشد بعضها بعضًا، كما يحيل إلى بعضها على بعض. مثال: المسار الصوري [القطار - السيارة - الحافلة...] يحمل عنوان وسائل النقل. مثال آخر ساقه محمد ناصر:

" زعموا أن أرضًا تتابعت عليها السنون، وأجذبت وقل مأوؤها، وغارت عيونها، وذوى بنتها ويبس شجرها" هذا الملفوظ يشكل مسارًا صوريًا يحيل إلى "الجفاف" والقحط.

● **الثاني: التجمع الصوري:** ويدخل أيضًا في جانب تضام الصور، هو تلك الصور اللفظية التي تظهر نظريًا في إطار الملفوظات وحدودها، ولكنها ستتجاوز بسهولة تخترق بيسر هذه الحدود لتؤلف شبكات صورية علائقية؛ أي تقوم بينها علاقات متنوعة، تغطي متتالية تامة، يمكن أن تمتد على مقاطع كاملة مكونة تجمعات صورية. تشكل منها تجسيدات خطائية.⁽¹⁾ هذه التجمعات الصورية هي صور الخطاب تتمتع بالاختلاف عن الأشكال السردية والجمالية، تؤسس جزئيًا خصوصية الخطاب باعتباره شكل تنظيم المعنى.⁽²⁾ ونصل حين تتبع توالي المسارات الصورية المختلفة في نص ما إلى تكوّن النص، ومضمونه المتسلسل في نسقية من الصور تضبط عوالمه الموحدة (الشخصيات، المكان، الزمان)، في كل عالم منها مجموعة من التجمعات الصورية التي تحدده وتبينه.⁽³⁾

يمثل لذلك محمد لعجمي بصورة العين وصورة الجفاف، وصورة الخصب والجبال، وأبحار الأرناب والقمر والعراء، تؤلف جميعها تجمع صوري يمثل: الحياة في الغابة.

2. الغرض والدور الغرضي:

كنا قد حددنا أن المسار الصوري لمقطع سردي ما يتم عبر شحن الملفوظات والتراكيب اللغوية بجملة من الدلالات المتنامية في مسارها السردية المنتمة إليه، ويدرك هذا المسار الصوري الحامل للأبعاد الدلالية بدوره غرضي والغرض الذي يعبر عنه هذا

(1) - الجيرداس جوليان غريماس، الفواعل، الممثلون، الصور، المرجع السابق، ص: 44.

(2) - المرجع نفسه، ص: 44.

(3) - طارق ثابت، مقاربات سيميائية للشخصية المدينة شعر أحمد الطيب معاش نموذجًا، دار الكاتب، عنابة، الجزائر، ط01

ص: 146، 2014.

التعبير والمسار الصوري، فتشحن هذه المسارات بالأغراض والأدوار التي تحملها هذه الصور.

قد يعبر عن غرض واحد بمجموعة من المسارات الصورية المختلفة والمتنوعة الأساليب، التي تثبت مجرى هذا الغرض في سيرورة السرد بإطاره الزماني والمكاني، من مثل غرض الخيانة "تمثله بصور متعددة منها: خيانة الأم - الصداقة- الزوجية - الوطن - المهنة...⁽¹⁾، وهذا الغرض قد تجسد مساره أو مساراته الصورية شخصية ما، ومن تحقيقها له أطلق عليها القائمة بالدور الغرضي، ومهمة تجسيده تسمى الدور الغرضي ويكون تحديد الدور الغرضي باختزال مزدوج⁽²⁾:

1- اختزال التجسيد الخطابي (حصر التجمع الصوري) في المسار الصوري محقق أو قابل للتحقق في الخطاب.

2- نسب المسار الصوري إلى عون كفاء، يتكفل به بصة احتمالية.

وتكمن أهمية رصد الدور الغرضي في مقطع أو خطاب ما في تجميع الصفات والوظائف التي يحملها الخطاب السردية، وتجلية عمقها الدلالي، يتحدد من ذلك أن هذه الشخصيات والتي في أكثرية توأجدها في النص السردية تجسد عوامل تتحرك حسب النموذج العاملي الذي طرحه غريماس، أنه بالإضافة لهذه الأدوار العملية يستند لها أدوارًا غرضية على مستوى الدلالة التي يطرحها المسار الصوري الذي تنتمي إليه.

يضيف الناقد محمد ناصر أنه قد لا نحتاج في القصص الشعبي الشفوي إلى تحديد الدور الغرضي الذي تلعبه كل شخصية، لوضوحها مسبقًا من حيث وظيفتها وصفاتها فيه وحضورها مسبقًا في الذاكرة، وخضوعها لسنن قار ثابت، مما يمنحها أدوارًا غرضية قائمة بذاتها، واضحة المسار الصوري متجلية الدلالة، مثل الدور الغرضي: الحكواتي - الغول - الساحرة...⁽³⁾

(1) - محمد الناصر العجيمي، في الخطاب السردية نظرية غريماس (Greimas)، المرجع السابق، ص: 81.

(2) - الجيرداس جوليان غريماس، الفواعل، الممثلون، الصور، المرجع السابق، ص: 52.

(3) - محمد الناصر العجيمي، في الخطاب السردية نظرية غريماس (Greimas)، ص: 82.

3. القائم بالفعل: أو فاعل التحوّل:

ينظر للممثل في المكون السردى على أنه عامل فى فى فى ينظر إليه فى المكون الخطائى بوصفه ممثلاً.⁽¹⁾

عادة يكون القائم بالفعل شخصية ضمن الشخصيات الماثلة فى الكون السردى القابعة فىه، يسند لها دورًا عامليًا - هو دور يمثل النحو السردى- وآخر عرضيًا- يدخل فى الدور الدلائى- ، أو أدوارًا عاملية وأخرى عرضية، فنجد عدة أدوار عاملية لشخصية أو ممثل واحد، وقطعًا يرصد من خلال هذه الأدوار التناسب بين الدور النحوى السردى والدور الدلائى، نمثل لذلك ممّا أورده محمد ناصر من قصة "الأرنب والفيل الواردة فى كليلة ودمنة" حيث يجسد ملك الأرنب:

1- دور المرسل: المرسل وهى وظيفة عاملية يعمل على تحفيز الذات لكسب الموضوع -دور فى النحو السردى-

2- الأدوار العرضية:

أ- دور حسن المعاملة: استشارة الرعية - الاستفادة من رأيها

ب- دور الخبير بأفراد رعيته: عدم تولية رقيب لمعاينة تصرفات فيروز

ت- دور الواعظ: إساءة النصيحة - التحلى بالفضيلة، ويمكن تجسيد ذلك فى الخطاطة الآتية:

القائم بالفعل = ملك الأرنب

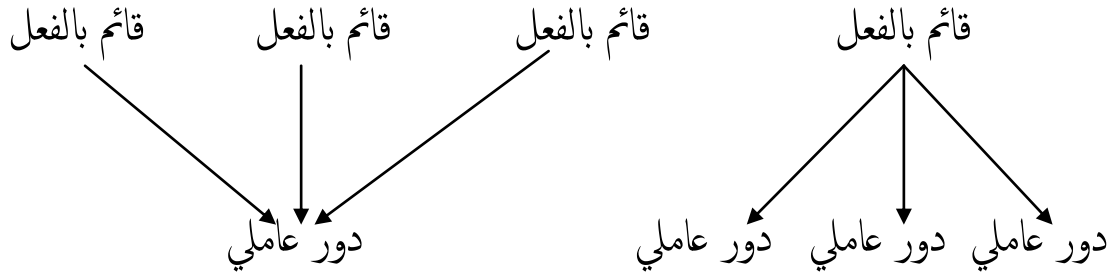
دور عامل دور غرضى

- المؤتى - حسن المعاملة- الخبير بالأفراد- الواعظ

وقد جاء غريماس بمصطلح: القائم بالفعل « لىتم من خلاله تعيين الدور العاملى السردى والدور الغرضى للشخصية مجتمعين، وهنا نكون قد جمعنا بين الدور النحوى والدور الدلائى وتبين برصد القائم لفعل موطن التقاء البنى السردية والبنى التصويرية وبرصد القائم بالفعل فى دوره نكون قد حددنا مدى كفاءته وكيونته فى المسرى

(1) - عبد المجيد عابد، المسار السردى وتشكل المعنى فى الكرامة الصوفية - كرامة الفقيه أبى حفص أنموذجًا- ص: 18.

السردية، ومدى فعاليته في النسق الخطابي السردية ككل»⁽¹⁾، بدء من تحديد القائم بالفعل الذي اسند له دورًا عامليًا وآخر غرضًا، وصولًا إلى القائم بالفعل المتعدد الأدوار العاملة والغرضية، وهذا ما أشار إليه غريماس في خطاطته التي توضح إمكانية دخول القائم بالفعل في عدة أدوار عاملية، أو قد يقوم بدور عاملي واحد عدة قائمين بالفعل.



نلاحظ أن السيميائية السردية من جانب تبين الأدوار التي تقوم بها الشخصيات قد اختزلت دوائر عملها في العلاقة القائمة بين (الفاعل / العامل)، وهي علاقة لا تعد نوعًا من التضمين فحسب، بل علاقة مزدوجة قد يستحضر عامل واحد في عدة فواعل والعكس جائز، حيث نجد أن العوامل متعلقة بالتركيب الحكائي، فهي إجراء يمكن القارئ من عملية الإسقاط بواسطة الفواعل التي لها موقع فعال في المحكي حيث يسند لها أدوار ووظائف تركيبية مجردة ودلالية تشكل دوائر موضوعاتية، نسميها على أساسها العوامل أما الفواعل تسند لها وظائف دلالية، تعرفها داخل الخطاب الماثلة فيه.⁽²⁾ تجسد هذه الوظائف أدوارًا دلالية، يتحدد من خلالها مفهوم الدور على أنه تجلي خطابي لمواصفات وسند للممثل، يحمل في داخله حقل من الوظائف أو سلوكيات مسجلة فعلاً داخل الحكاية، ويكون الممثل الفرد الذي يحتوي ويقوم بدور أو عدة أدوار عاملية وأخرى تيمية وغرضية.⁽³⁾

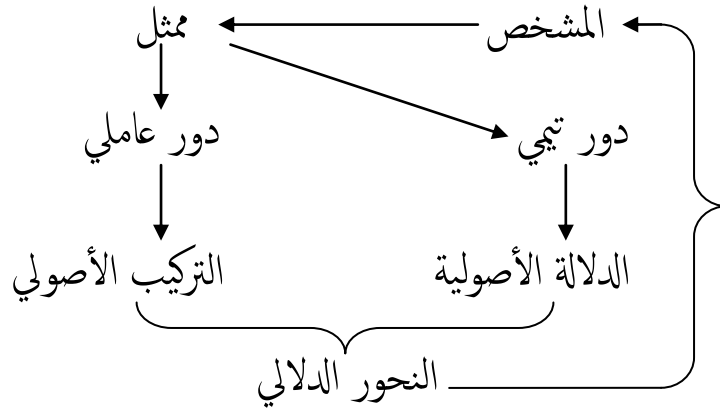
يجيء الممثل النقط الرابطة بين المكونين السردية والخطابي، لتغطيته الأدوار العاملة والتيمية الموزعة عبر مجموع الخطاب، ويمكن أن نضبط التداخل الحاصل بين

(1) - محمد الناصر العجبي، في الخطاب السردية نظرية غريماس (Greimas)، المرجع السابق، ص: 83.

(2) - محمد الداوي، سيميائية الكلام الروائي، المرجع السابق، ص: 95.

(3) - سعيد بنكراد، شخصيات النص السردية، منشورات رؤية، القاهرة، مصر، ط01، 2016، ص: 111.

الممثل والعامل والدور المثبت لتداخل المستويات وتربطها الواضح البين أثناء التطبيق وأن التقسيم المرصود في إجراءات المكونين الخطائي والسردى، المحددين للمستوى السطحي، حسب خطاطة أدرجها سعيد بنكراد⁽¹⁾:



أضاف غريماس وفونتني في مؤلفهما سيميائيات الأهواء الدور الانفعالي لدوائر عمل الفواعل، إلى جانب الدوري العملي والتمثيلي (عامل / ممثل)، يظهر على أنه مقطع من المسار العملي ويصبح دينامي بواسطة التركيب المسند فيه. وهنا يصعب التمييز بين الدور العاقل والدور الانفعالي، يحتاج الأمر إلى التأني والروية عند معالجتهما، ويمكن الفصل بينهما باعتبار أن « تجلي الدور الموضوعاتي يخضع قطعاً لانبثاق الموضوع في الخطاب، في حين أن تجلي الدور الانفعالي يخضع لمنطق الأشباه الاستهوائية، وللانبثاق الخيالي المستقل عن الموضوع.⁽²⁾»

يعمل الدور الانفعالي على تحليل الذات من الجانب النفسي والانفعالات الجسدية ضمن سيميائية خاصة بالأهواء"، ووصف آليات اشتغال المعنى داخل النصوص والخطابات الاستهوائية من خلال التركيز على مستوسيين: المكون التوتري والمكون العاطفي الانفعالي، والذي ويتولد عبرهما ما يسمى بكيثونة المعنى.⁽³⁾ وهنا تقوم هذه الدراسات القائمة بانفعالات الذات على قراءة النوازع الإنسانية وميولاتها النفسية بمقاربة سيميائية، تبعتها عن التحليل الفلسفي والنفسي والتاريخي أو الأخلاقي، « فتنصب على

(1) - سعيد بنكراد، شخصيات النص السردى، المرجع السابق، ص: 112.

(2) - محمد الداوي، سيميائية الكلام الروائي، المرجع السابق، ص: 95.

(3) - جميل حمداوي، السيميوطيقا السردية السيميوطيقا السردية- من سيميوطيقا الأشياء إلى سيميوطيقا الأهواء-، المرجع

السابق، ص: 133.

دراسة الهوى ضمن المستوى السردى التركيبى والمستوى الدلالي، مع استبعاد الجانب اللغوي، الذي يتمظهر على مستوى التجلي⁽¹⁾. فندرس الانفعالات والنوازع الذاتية ضمن النصوص والخطابات المحققة فيها من جانب المستوى السطحي والمستوى العميق للدلالة. إن إضافة هذا البعد الذاتي إلى الخطاطة السيميائية والعوامل والبرامج، حمل على تتبع الآثار الدلالية في معنى نص الحامل له، فلا يكثر للفرضيات الممكنة الكامنة التي يحققها الجانب المعجمي للهوى، أو ما تقوله الأخلاق والوازع الديني بشأنها، إنما يعبأ بتحققها ضمن الخطاب عبر المسارات الدلالية المحتملة البنى السردية المبتوثة في الخطابات⁽²⁾، والمنعقدة في الجانبين السطحي والعميق ببعديهما التركيبى والدلالي تجعل الهوى ضمن سياق محدد بعينه.

يوضح محمد الداوي أن مؤلفي كتاب سيميائية الأهواء «انتها إلى العلاقة المحسوسة والانفعالية التي تقيّمها الذات مع نفسها ومع العالم الخارجي. وانبريا إلى دراسة الأهواء بعدة مفاهيم سيميائية، لاستيعاب تنظيمها التركيبى والدلالي من جهة، وبيان شحنتها الانفعالية ودرجة كثافتها إبان تجسدها في شكل برامج مفترضة أو محققة من جهة ثانية. وعندما تتحقق في الخطاب، تصبح حاملة لدلالات معينة. ولا تكون لها دلالة إلا عندما تضطلع بها ذات تشعر بهوى ما. ويمكن، في هذا الصدد، أن يكون فردا (تتمثل في لغة فردية) أو جماعة (تتشخص في لغة جماعية).»⁽³⁾ فندرس السيميائية الذاتية الذات في أضاعها التلفظية والإدراكية والواقعية والسياقية والعاملية، بحثا عن آثار المعنى أو الدلالة الذاتي. في تحليل بنيوي داخلي للخطابات.⁽⁴⁾

إن إعادة بناء الأهواء في قراءة الخطابات من المنظور السيميائي أعطى صياغة للنظرية أكثر دلالية انسجامًا، وهذا الوجود السيميائي المتجانس الذي حرص كريمة

(1) - جميل حمداوي، السيميوطيقا السردية السيميوطيقا السردية- من سيميوطيقا الأشياء إلى سيميوطيقا الأهواء-، المرجع السابق، ص: 144.

(2) - الجيرداس جوليان غريماس و جالك فونتيني، سيميائيات الأهواء من حالات الأشياء إلى حالات النفس، المرجع السابق ص: 10-11.

(3) - محمد الداوي، سيميائيات الأهواء، مجلة الدولية Semat، المغرب، المجلد 01، العدد 01، ماي 2013 ص: 95. الموقع الإلكتروني: <http://dx.doi.org/10.12785/semat//010107>

(4) - جميل حمداوي، من سيميوطيقا الذات إلى سيميوطيقا التوتر، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 2014، ص: 21.

وفونتاني على إقامته «حتى تندمج نظرية الأهواء داخل النظرية السيميائية العامة ويحصل التفاعل و التكامل فيما بينهما»⁽¹⁾، ويتم بالانتقال من سيميائية العمل إلى سيميائية الأهواء، فالأولى تهتم بحالات وتحولات الأشياء، يدرك فيها العالم مستقلاً ومنفصلاً عن الذات، فانسجت هذه الوجهة السيميائية بالانفصال والانتقطاع، لاعتبارها المحكي مجموعة من الافصالات والتحويلات التي تحكم الفاعل بموضوع القيمة الراغب فيه، فتدرس الذات في علاقتها بالأشياء أو المواضيع ذات القيمة، وتركيزها على العمل أو الفعل لا غير، ولكن يدرك العالم في سيميائية الأهواء باتصال الذات عبر أحوالها وعواطفها بالعالم التي تنصهر بموجبها فيه، فهو الانتقال إلى الحالات النفسية في سيميائية الذات المحققة للاتصال والإدراك.⁽²⁾ وإن الهدف منها استخلاص القوانين السيميائية، وتجليتها، لإدراك العلاقة الذات بعواملها المحسوسة على مستوى الإدراك مضموناً وتعبيراً، فهي نظرية تعمل بالإجراءات التلفظية والإدراكية التي تحكم الذات في مسارها السردية.⁽³⁾

نستخلص مما سبق أن المكون الخطابي في عمومه يهتم بالمضامين القائمة في النص تقوم على نفس عناصر المكون السردية، يهتم بما جانبه هذا المكون من تحليل لأنظمة الصور المثبوتة في النص والتي تقربنا من المعنى لعملها على الوحدات الدلالية، فبلملمة الصور بعضها ببعض لتكوين المسارات الصورية المؤدية إلى تشكيل النص دلاليًا.⁽⁴⁾ وهذا المكون الخطابي يشكل مستوى ممكن الوجود في حدود إمكانات النص الدلالية الثابتة في بنياته مضامينه القابلة للتفجير، بعد نقل تحليل المضامين من الأبعاد التجريدية المشكلتة للمعنى إلى النظر في القيم المعنوية الملموسة المشخصة. فيغطي بذلك المكون الخطابي ذلك التصلب الإجرائي المقمّح مسبقاً على النص الذي يفرضه المكون السردية وتنقص من حدة نمذجته التجريدية للمعنى.

(1) - محمد الدايمي، سيميائيات الأهواء، المرجع السابق، ص: 95. الموقع الإلكتروني:

<http://dx.doi.org/10.12785/semat//010107>

(2) - جميل حمداوي، السيميوطيقا السردية السيميوطيقا السردية- من سيميوطيقا الأشياء إلى سيميوطيقا الأهواء-، المرجع السابق، ص: 143-144.

(3) - جميل حمداوي، من سيميوطيقا الذات إلى سيميوطيقا التوتر، المرجع السابق، ص: 09.

(4) - طارق ثابت، مقاربات سيميائية للشخصية المدينة شعر أحمد الطيب معاش نموذجاً، المرجع السابق، ص: 146.

الخاتمة

ومن جملة ما سجلناه في ثنايا البحث وخلصنا إليه أن:

- 01- عدة تعاريف سيقت للمعنى، تداخلت معه في المفهوم والتصور، كما تعددت الحدود اللغوية المقاربة له، لكنها لا تساويه في الدلالة، إنما تشكل جانباً منه، فليس المعنى الشرح بعينه، أو التفسير أو المقصود، أو الغرض...
- 02- التعريفات المعجمية للمعنى بعيدة عن التصورات الاصطلاحية النقدية له.
- 03- لم تختلف هذه القواميس اللغوية القديمة والحديثة في تقريب معنى "المعنى"، بل أجمعت على تعريفات بعينها.
- 04- تمثل بعض الحدود اللفظية المتداخلة في مفهومها لمفهوم المعنى من مثل "الشرح - التفسير- التأويل- القصد..."، آليات ومقومات لتحليل النص في النقد المعاصر ووسائل إجرائية يتم بها تفجير معنى العمل الإبداعي.
- 05- اتفاق علماء اللغة والنقاد قديماً وحديثاً على أن للمعنى وجهتين: وجهة ظاهرة مباشرة ووجهة باطنية غير مباشرة، يتم استنطاق الأخيرة من خلال التعمق في الدلالات اللفظية والسياقية المساقة في التراكيب والنص، وتأويل العناصر التخيلية المكونة للواقعة الأدبية عكس المعنى الأول الواضح في ظاهر لفظه.
- 06- النقاد المعاصرون يرون أن المعنى دينامي في النص، متعدد الظهور، محتمل مع كل قراءة مشروعة له، فأى إنتاج للمعنى لا يمثل الحقيقة الوحيدة للعمل الأدبي، بل يمثل احتمالاً أو ممكناً من الممكنات التي تفرض وجودها على النص، ولا تعينه كحقيقة مطلقة ثابتة فيه.
- 07- لا ينكر جملة من النقاد تحامل بعض القراءات على معنى النص، وهذا لأن المعنى حقيقة موجودة في النص وإن عُيبت، وأي تعدد حاصل في فهم دلالة النص من غير معطياته لا يعد إمكانية من إمكانيات تعدد معناه، إنما يعود لسوء الفهم والتأويل.
- 08- العناصر التخيلية في النص الأدبي كالمجاز- الاستعارة- الكناية... " وسائل لتبطين المعنى الإضافة إلى أنها تضيف الشاعرية والجمالية عليه، فصارت وحدات يستدل بها عن المعنى، وبنيات دلالية هامة لاستخراج وتوليد الدلالة وتعددتها.

- 09- لا يوجد معنى خارج التداول اللغوي، إذ معاني الألفاظ أوضاع متعاف عليها في أهل ذاك اللسان، متداولة في أعراف مجتمهم اللغوي، تعطيه الشرعية، وتثبت معناه عن غيره.
- 10- التعريفات الاصطلاحية القديمة والحديثة قاربت في مفاهيمها حد المعنى، فكلاهما اعتبرا المعنى هو الدلالة.
- 11- المعاني أولية في اللفظ، تدرك كوحدات دلالية معجمية صورية، وتتأني المعاني المخصوصة من توظيفها في التراكيب اللغوية، وإدراجها في سياقات مختلفة، وإتحادها مع غيرها من السمات الدلالية في النص لتشكيل المعنى الكلي له، فتحدد صورته الدلالية المطلوبة في التركيب والنسج النصي، الرابط لمعنى اللفظ والتركيب والنص ككل بنظمه. فأثبت جل العلماء قديماً وحديثاً أن معنى الملفوظ و الخطاب والنص لا يحصل من المعنى الأولي المعجمي للفظ، بل وجب النظر إلى جملة اعتبارات تضمن بناءه ووجوده في النص. منها " المعنى المعجمي - معنى التركيب - معنى السياق - المعاني للمستويات اللغوية نحوية صرفية، صوتية..."
- 12- العديد من الباحثين أقروا في مجالي اللغة والنقد صعوبة الإجابة عن سؤال " ما المعنى؟ " وتحديد مفهوم جامع مانع له، لأنه مفهوم ذهني خاضع للرؤى والتوجيهات الفكرية والخلفيات المعرفية، بذلك كانت كل التعريفات المحددة له مجرد مقاربات نابعة من الميل المعرفي والثقافي والانتماء الفلسفي والنقدي...
- 13- هذا المعنى ليس قطعياً في الظاهرة الأدبية، وإنما احتمالي قابل للتعدد الدلالي والانفتاح على أكثر من معنى، بما يحمله النص أو الكلام من إيجاءات لفظية ورموز تخيلية. والإشارات غير لسانية بياضات والمسكوت عنه، والنقاط المحذوفة والفراغات، وطريقة الكتابة... تحمل معنى وتشحن بالدلالة، فتكون مساعداً قوياً وفعالاً في إظهار المعنى وإنتاجه.
- 14- بنية المعنى بنية هيولية الانفلات هو الذي يطبعها، من هنا جاءت مسألة الاختلاف في تعيينه عميقة عمق التفكير الفلسفي المتجذر في التاريخ الإنساني، إلى غاية الوصول للعصر الحالي الذي مازال يتخبط في إشكالاته ومعناه المانع.
- 15- الطبيعة التجريدية للمعنى لم تسمح بتحقيق ضبط دقيق لتعريفه على الصعيدين اللغوي والاصطلاحي.

- 16- الدراسات القديمة للعلامة لامست في بعض مفاهيمها الأولية تحليل العلامة و الدلالة عند المحدثين مثلت بذلك الإرهاصات الأولية للنقد الحديث المختص برصد المعنى، لاسيما منها السيميائيات ونخص السيميائية السردية،. حيث كانت مقولات الدروس الفلسفية واللغوية هي أساس بناء الدرس السيميائي.
- 17- دعائم الإبداع الأدبي وثالوثه القائم على الكاتب النص القارئ تعد بؤرة إنتاج المعنى فيطرح الكاتب قوامه في لغة شعرية، في حين يحتضنه النص في عمق بنياته، ويعيد القارئ إنتاجه في رؤية افتراضية ممكنة.
- 18- التأويل فتح الباب على مصرعيه أمام القارئ لينتج المعنى بكل حرية معلنا أحقيقته في إنتاجه من النص.
- 19- تعتبر القراءة نشاطًا وفعالًا وسلوكًا تحليليًا يمارسه الناقد أو أي قارئ، ليفك شفرات النص سواء كانت قراءة خطية سطحية أو عميقة متخصصة.
- 20- احتل مصطلح القراءة منزلة مصطلح النقد وزاحمت الأقلام الإبداعية في المكانة وأصبح يدل بالإضافة إلى معناه التقليدي فك شفرات النص، وتتبع سيره للتعرف على معناه الذي تحمله الألفاظ أصبح يدل على الممارسات النقدية المنهجية التي تحتوي النص الإبداعي بإجراءاتها وإستراتيجياتها، لاستنباط دلالاته، واستنتاجه من جديد في عمل إبداعي ثان فصارت القراءة إبداع أدبي يستشرف النص الأدبي.
- 21- القارئ المتخصص يعمل على استنطاق بنيات النص، بمنطقية وعلمية، وآلية نقدية لإنتاج معناه في صورة إبداعية موازية للنص المدروس.
- 22- التناص آلية لتوليد المعنى، لا مجرد مجموعة نصوص يتضمنها نص ما، بل هو تداخل نصوص في نص، وظيفتها دلالية. يتم بالتناص التدليل على المعنى .
- 23- " التأويل المنسجم " هو قوام إقامة المعنى على آلية التناص، والالتكاء على قدرة المؤلف في استثماره ، والقارئ في إيجاد الدلالة حين تتبع المعنى الكلي، الرابط للمعاني المكونة للبنية النصية.
- 24- السيميائية السردية قراءة للمعنى، وبحث في دلالة النصوص السردية، وكل الخطابات الحاملة للبنى السردية.

- 25- السيميائية السردية تقوم على قراءة لمستويات المعنى العميق والسطحي والمتجلي.
- 26- للسيميائية السردية قواعد منطقية مقننة، تتجسد في آليات المستويين العميق والسطحي، يخضع لها المعنى بصورة مسبقة جاهزة.
- 27- السيميائية السردية تهدف كنظرية إلى تحويل منحرج القراءة من الواجهة البنيوية الجافة الخائفة للنص إلى وجهة القراءة المنتج للمعنى.
- 28- المعنى عند النظرية السيميائية السردية لا يمثله النص ببنياته، والمؤلف بمقصديته، ولا القارئ بانطباعاته وتوجهاته، إنما هو تجاوز فعال بين النص بعناصره الدلالية، والقارئ بأفاق توقعاته حولها والمجهز بإجراءات المنهج المنطقية، فيحدث المعنى حين يكون التأثير والتأثر قائم بينهما، ولا يكون هذا المعنى المنتج من تفاعلها هو الوحيد أو الحقيقة الأزلية لذلك النص، بل يمثل ممكنا من الممكنات الواردة فيتحقق وجود النص مع كل قراءة سيميائية يحتمل أن تنتج أو تولد.
- 29- يقوم التشاكل عبد المالك مرتاض على التحليل السيميائي للسمات اللغوية، وبيان التماثل والتباين لوحدات النص البنائية مع بعضها البعض، فكان الرصد ليس على مستوى السياق الكلي للنص، بقدر ما هو النظر للوحدة المعنوية في علاقتها المتجاورة وما تحدته من جمالية، تثبت أكثر التمكن اللغوي للناقد، وقدرته على يجمع بمقاليده اللغة وجمالياتها.
- 30- التشاكل عند غريماس قد لاق انتقادات مختلفة من السيميائيين المغاربة على رأسهم المغربي محمد مفتاح، والجزائري عبد المالك مرتاض، أهمها حصر غريماس التشاكل في الواجهة الشكلية فقط، والأصلح أن ينظر للتشاكل في وجهته الشكلية والدلالية.
- 31- الدرس السيميائي السردية المغاربي مخدوش في كثير من أجزائه بعطب إشكالات تحديد المصطلح وضبط المفهوم، وصحة التطبيق، الذي عان منها النقد العربي ككل في جميع استقبالاته للمتون النظريات الغربية.
- 32- المتألف عليه في الساحة العربية النقدية لاسيما منها المغاربة الرجوع بأي منهج أو علم مستقطب من الغرب إلى أممات الدراسات العربية القديمة، في محاولة للتنقيب على مقولاته مفاهيمه فيه من باب التأصيل، والدندنة على وتر أسبقية التفكير العرب إلى مثل هذه

- المسائل في عمومها، دون الوصول إلى رؤية مكتملة بسبب الانقطاع في البحث، وعدم التواصل بين الدارسين الأوائل ومن جاء بعدهم.
- 33- تفتقد السيميائية السردية وجودها في الربوع الليبية، بل تنعدم الدراسات السيميائية إلا من عمل أو اثنين لا يعبران عن الحضور الفعلي للدرس السيميائي فيها، مما جعلنا نتساءل عن أسباب هذا الغياب وعن الدوافع لتغييبه.
- 34- النقاد المغاربة خاصة في الجزائر والمغرب هم مؤسسو المنهج السيميائي السردى في النقد العربي امتلكوا ناصيته ترجمة وتنظيراً وتطبيقاً.
- 35- الخطاب النقدي المنقول من السيميائيين المغاربة لم يجد على ما جاءت به النظرية الغريماسية، إلا في بعض الإشارات المعقبة عليها من مثل ما قاله بنكراد وجمال حضري حول المربع السيميائي وبين مالك عن النموذج العالمي.
- 36- دراسات المغاربة للمنهج السيميائي السردى لم تكن بينها فوارق أو اختلافات في طرح المنهج، بل كانوا على وتيرة واحدة في النقل، عدا بعض الاختلافات في ترجمة الخاصة بمصطلحات المنهج. في حين نجد تقارب مصطلحي بين النقاد المغرب والجزائر خاصة.
- 37- الطابع الأكاديمي يغلب على طرح النظرية من قبل السيميائيين الجزائريين، بالمقابل نجد البعد التنظيري عند نظرائهم في المغرب الأقصى.
- 38- قبولية المعنى في إجراءات القراءة السيميائية السردية جعل عملية القراءة آلية تعتمد على التحكم في التقنية أكثر من إنتاج عمل يجمع الأجزاء المعنوية في نص إبداع ثانٍ.
- 39- مستوى هضم المغاربة للمنهج واستيعابهم الكبير لمقولاته واضح وجلي، يبين علو كعبهم مقارنة بأندادهم في المشرق العربي، يفسره التوافق التام بين الترجمات والشروحات المختلفة للنقاد السيميائيين المغاربة، والوقفات الشبه موحدة لكل إجراءات المنهج.
- 40- توافق المغاربة لطرح النظرية السيميائية المغاربية يفسر اعتمادهم الكلي على الوجهة المنبعث منها ونقصها بها مدرسة باريس، واقتباسهم الحرفي منها، وهذا لتمكنهم من اللغة الأصل- الفرنسية- المطروحة فيها، ولا يلغى ذلك بعض الانتقادات المنفرقة لبعض مفاهيمه وآلياته خاصة على مستوى التطبيق.

- 41- النظر في تطبيقات المغاربة للمنهج السيميائي السردى لا يميلنا إلى نقاط اختلاف كثيرة بين النقاد المستعملين، إنما تتشكل بعض الفروق كافتراضات في السلوك القرائى لكل ناقد. هذا لحرفية تطبيق المنهج كما هو عليه في بنائه الغربى، وكذا لصرامة المنهج وتحديداته المنطقية و آلياته المضبوطة لإنتاج المعنى.
- 42- البنية السردية القانون الأساسى في تحليل النص وفق المنهج السيميائى السردى، منها يتم الانطلاق إلى مباشرة المعنى في المستويين العميق والبين بين.
- 43- المعنى ينتج حسب السيميائية السردية بإجراءات مسبقة الوجود، تقحم على النص حيث يتعامل الناقد وفق المنهج مع النص وفي جعبته برمجة مجهزة يطبقها بخدافيرها على بنيات النص الدلالية للوصول إلى شكل للمعنى أكثر منه إلى مضمونه.
- 44- تلك الإجراءات السيميائية السردية السابقة مكنت من تحليل الملفوظات برصد البنية السردية من حيث نموذجها التأسيسى (المربع السيميائى) وبرنامجها السردى وما يحمله من ترسيمة وخطاطة سرديتين، لنصل إلى رصد رؤية حول العلاقات والعمليات المبرمجة عبر وضعيات البنية السردية المتنوعة، ودراسة طرق تنظيم مضمونه والشكل السردى، فيحيلنا التحليل إلى مستوى شكل محتوى وإلى البنية النحوية السردية.
- 45- انتقاص فاعلية المربع السيميائى، جراء العلاقات التي يطرحها، وإمكانية استجابتها لمنطق تمفصل البنية العميقة المؤسسة للنصوص السردية والموجودة فعلا فيها، فهل هي استجابة ملائمة أم فرض بروتوكولى يفرضه المنهج، فقد يصل المحلل إلى مشكل كيفية مفصلة بنية أساسية إلى مقومين متضادين ينسجان مع محتوى النص، ومشكل كيفية بناء علاقاتها على أوجه المربع الأربعة المجردة. مما يجعل المحلل يتخلى عن تلك الوحدة الأساسية الموجودة في النص غير قابلة لطرح التضاد، ويستبدلها بما يتناسب معها، وقابل للتمفصل إلى متضادين، فتكون البنية الأساسية لدلالة لنص ما إلى جانب أنها فرض خاص بالمحلل والقارئ، أنها مفروضة من القانون المنهجى إلى تطرحه النظرية.
- 46- المربع السيميائى عند تحديده البنية الأولية للدلالة يعمل على الكشف عن شكل بناء المعنى، قوامه الربط بين حدين أو سمين متضادين، وهي بنية اختزالية للمعنى افتراضية محضة، ناتجة عن فعل ذاتى لقارئ ما، الذي يجرده البروتوكول المنهجى عن أي بعد

أيدولوجي، وتخلصه من أي معنى مرجعي يمكن أن يسوقه للنص، وإن كان ذلك ميزة تحسب للبروتوكول المنهجي لغريماس، الذي يلزم ضرورة تغييب المعنى الإيدولوجي، ليس للنص وحده، بل للذاتين المنتجة والمتلقية. فإنه قد يقع التناقض بين ما قيل سابقاً وما يحمله الوجه النظري للمنهج السيميائي السردى، الذي يتجه نحو ربط البنية العميقة بالأيولوجيا، وهذا عند ربطها ولو تجريدًا بالذهن والسلوك الإنساني.

47- إن فكرة تجريد في المربع السيميائي لمجموع قيم وأبنية النص الدلالية، وربطه بالمكون الدلالي العام للسلوك الإنساني، دون العودة للمضامين المعنوية الملقاة في النص يجعل تلك الأبنية والقيم مجرد تصورات من النص أكثر منها مقارنة لمعناه. لأننا لا ننظر لمعنى النص أو ما يطرحه هذا الكون الدلالي من مضمون بعينه، والتدليل عليه في تركيبته النصية. وهو ما يجعل المربع السيميائي بالغ التجريد.

48- الذي يفرض تكوّن هذا المربع السيميائي هو وجود بعض المضامين غير متمفصلة في وحدات صغرى تعبر عنها، كالمضامين الفكرية والتصورات الخارجة عن السياق، أي موجودة كمادة فكرية مثل: الشر، الخير، الموت، الحياة... دون أن تدخل ضمن سياق بعينه، يحدد وجودها ويجعلها ضمن وضعيات ملموسة للمعانية، من ذاك كانت المربعات السيميائية المرصودة في تحليلات الدارسين السيميائيين رسمًا لعالم خاص في مقابل عالم الناس، نلاحظ بها الاختلاف بينهما أو الاتفاق.

49- الناقد المغربي بنكراد يرى أن "تسريد النموذج التأسيسي" بمنح الوجه المجرد للقيم المؤسسة للفعل السابق بعدًا بصوريًا، يحوّل تلك المضامين التي هي خارج السياق والسيرورة الزمنية "المجردة" إلى أن تشكل قصة ما، تعمل على تحديد وجودها في وضعيات ملموسة معانية، كالزمان والمكان والشخصيات... فتصبح داخل النص مجسدة في بنيات سردية جاهزة لتحليل والقراءة.

50- المكونات المرفولوجية وحدات دلالية، على رأسها السيمات نستطيع بها وصف النصوص جراء تقفي هذه الوحدات الدلالية الصغرى، بحكم أنها الوجه الأمثل لتقطيع المعنى إلى أصغر عينة دلالية ممكنة للتحليل. شأنها شأن وصف الصواتم (الفونيمات) للغة ما بتشريحها لأصغر وحدة صوتية ممكنة والتي تدخل في تركيب الصوتم المتداول في اللسان سمعا

ونطقًا. والتي تحدث خطوطًا فارقة بالفعل بين الصواتم، فإن التحليل السيمي يتبع نفس المنهج، حيث يحاول إرجاع الدلالات المدركة إلى خطوط أو حزم معنوية (دلالية) منتظمة في خطوط دلالية دنيا هي السيمات، يمكن بفضلها في تماثلها واختلافها أن تعقد الصور الدلالية علاقات بينها، قد تترابط وتتلاقى، وقد تتقابل وتتنافى.

51- المنظومة الآلية الدارسة لمستوى سطح المعنى عبر مكونه السردى، رغم أهميتها الكبرى في صياغة نظرية تمدنا بالأدوار والعلاقات التي تسمح بإجراء تقطيع شكلي للمكون الدلالي يبدو وكأنها محكمة مبدأ متصل، لكنها لا يستنفذ كل عناصر النص الخلاقة ولا تستوعبها ونقصد بها تحديدًا الشخصيات، فالدراسة المحايثة الخالصة التي لا تخرج عن رصد الانتظامات والأنساق الداخلية للعمل الأدبي لن تكون قادرة على التعرف على شبكة الإكراهات، والضغوطات التي تحدد بشكل مسبق طبيعة العمل الأدبي، فهي إكراهات بمثابة العنصر الحاسم في تشكيل العمل لأدبي، وإنتاج معناه وبعده الدلالي، وهذا النوع من الدراسة تتحول معه النصوص إلى مجرد جرد بسيط أو مشكلة صياغة. وللخروج من بوطقة الصياغة التجريدية وجب العمل على الناحية التلفظية للنص، وهو المحفل المنتج للكون الروائي باعتباره الحد الفصل بين الصرامة التجريدية المسبقة المنظم للمحفل والمتخيل الإنساني والمفروضة على النص وبين تحققها فيه، مما يجيلنا إلى المكون الثاني في المستوى السطحي، وهو المكون الخطابي.

52- إعادة بناء الأهواء في قراءة الخطابات من المنظور السيميائي أعطى صياغة للنظرية أكثر دلالية وانسجامًا، فيتم بالانتقال من سيميائية العمل إلى سيميائية الأهواء، فالأولى تهتم بحالات وتحولات الأشياء، يدرك فيها العالم مستقلا ومنفصلا عن الذات، فأتسمت هذه الوجهة السيميائية بالانفصال والانقطاع، لاعتبارها المحكي مجموعة من الافصالات والتحولات التي تحكم الفاعل بموضوع القيمة الراغب فيه، فتدرس الذات في علاقتها بالأشياء أو المواضيع ذات القيمة، وتركيزها على العمل أو الفعل لا غير، أما الثانية فيدرك العالم باتصال الذات عبر أحوالها وعواطفها بالعالم التي تنصهر بموجها فيه، فهو الانتقال إلى الحالات النفسية في سيميائية الذات المحققة للاتصال والإدراك، وإن الهدف منها استخلاص القوانين السيميائية وتجليتها، لإدراك العلاقة الذات بعواملها المحسوسة على مستوى الإدراك مضمونًا وتعبيرًا.

53- أن المكون الخطابي يهتم بالمضامين القائمة في النص تقوم على نفس عناصر المكون السردى، يهتم بتحليل أنظمة الصور المبتوثة في النص والتي تقرّبنا من المعنى ولملمة الصور بعضها ببعض لتكوين المسارات الصورية المؤدية إلى تشكيل النص دلاليًا. بهذا يشكل المكون الخطابي مستوى ممكن الوجود في حدود إمكانات النص الدلالية الشاوية، ينقل تحليل المضامين من الأبعاد التجريدية المشكّنة للمعنى إلى النظر في القيم المعنوية الملموسة المشخصة. فيغطي بذلك المكون الخطابي ذلك التصلب الإجرائي المقمح مسبقًا على النص الذي يفرضه المكون السردى وتنقص من حدة نمذجته التجريدية للمعنى.

54- وصف آليات اشتغال المعنى داخل النصوص والخطابات الاستهوائية يكون من خلال التركيز على مستوسيين: المكون التوتري والمكون العاطفي الانفعالي، والذي ويتولد عبرهما ما يسمى بكيونة المعنى. وهنا تقوم هذه الدراسات القائمة بانفعالات الذات على قراءة النواز الإنسانية وميولاتها النفسية بمقاربة سيميائية، تبعدها عن التحليل الفلسفي والنفسى والتاريخي أو الأخلاقي، فتدرس الانفعالات والنواز الذاتية ضمن النصوص والخطابات المحققة فيها من جانب المستوى السطحي والمستوى العميق للدلالة.

55- إن إضافة هذا البعد الذاتى إلى الخطاطة السيميائية والعوامل والبرامج، حمل على تتبع الآثار الدلالية في معنى نص الحامل له، عبر المسارات الدلالية والمنعقدة في الجانبين السطحي والعميق ببعديهما التركيبى والدلالى تجعل الهوية ضمن سياق محدد بعينه. فتدرس السيميائية الذاتية الذات فى أوضاعها التلفظية والادراكية والواقعية والسياقية والعاملية، بحثا عن آثار المعنى.

56- الملاحظ على مقولات التحليل فى المنهج السيميائى السردى تشعبات آلياتها؛ حيث لا يمكن للناقد أن يجمعها فى تطبيق واحد على نص ما، واستحالة ضبطها فى دراسة منفردة مما جعل المشتغلين بها يكتفون فى التطبيق بالتحليل الجزئى للنص، والاعتماد على آلية منه أو بعضها دون البعض.

أخيرًا؛ يبقى المعنى رغم الجهود المبذولة حصن متين، وسؤال أزلى يبحث دومًا عن حل.

الحمد لله على إتمام العمل.

قائمة المراجع

✚ القرآن الكريم، برواية حفص عن عاصم، مطابع المستقبل، بيروت، لبنان، 1993.

✚ قائمة المراجع:

I. مراجع الكتب العربية:

1. إبراهيم قلاطي، قصة الإعراب، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، (د ط)، 2006.
2. أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد الشاطبي، الموافقات، دار ابن عفان القاهرة مصر، المجلد 01، (د ط)، 2008 .
3. أبو الحسن حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تح: محمد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، (د ط)، 1986.
4. أبو القاسم محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري، أساس البلاغة، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج 01، ط 01، 1998.
5. أبو القاسم محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري، أساس البلاغة، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ج 02، ط 01، 1998.
6. أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الجاحظ، الحيوان، تح: يحيى الشامي، دار مكتبة الهلال، بيروت، لبنان، ج 01، ط 03، 1997.
7. أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي السكاكي، مفتاح العلوم، تح: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط (02)، 1987.
8. أحمد بخوش، " العلوم الإنسانية والنقد الأدبي: النقد النفسي"، الملتقى الدولي الثالث حول الخطاب النقدي العربي المعاصر، المركز الجامعي خنشلة، الجزائر، 2009.
9. أحمد مختار عمر، علم الدلالة، منشورات علم الكتاب، القاهرة، مصر، ط 06 2006.
10. أحمد مؤمن، اللسانيات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط 02 2005.
11. أحمد يوسف، السيميائيات بين العلم والفلسفة، ضمن كتاب: السيميائية بين السرد والخطاب والأيقونة، إشراف: المصطفى شادلي، منشورات فكر، المغرب، (د ط)، 2013.
12. أحمد يوسف، القراءة النسقية " سلطة البنية ووهم المحايشة"، منشورات الاختلاف الجزائر، ط 01، 2007.

13. أحمد يوسف، الدلالات المفتوحة مقارنة سيميائية في فلسفة العلامة، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط01، 2005.
14. أحمد يوسف، السيميائية الواصفة، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط01، 2005.
15. أحمد يوسف، القراءة النسقية، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط01، 2000.
16. أراء عابد الحرمانى، اتجاهات النقد السيميائي للرواية العربية، منشورات الاختلاف الجزائر، ط1، 2012.
17. أسماء، شهاب، اشتغال النموذج العالمي في كرامة أي علي يعزى بن الشيخ وأي يعزى بن نور بن ميمون، ضمن كتاب: خطاب الكرامات الصوفية، جذور للنشر، الرباط المغرب، ط01، 2006.
18. أمينة فزاري، أسئلة وأجوبة في السيميائية السردية، دار الكتاب الحديث القاهرة 2011، ط1.
19. أنور المرتجي، سيميائيات النص الأدبي، دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة الإمارات، ط01، 2015.
20. بدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي، البحر المحيط في أصول الفقه تح: محمد محمد تامر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج1، (د ط)، 1971.
21. بسام قطوس، استراتيجيات القراءة- التأسيس والإجراء النقدي- دار الكندي أربد، الأردن، 1998.
22. بسام قطوس، مدخل إلى مناهج النقد المعاصر، دار الوفاء، الإسكندرية، مصر، ط1، 2006.
23. بشير تاويريريت، محاضرات في مناهج النقد الادبي المعاصر، دار الفجر، قسنطينة، الجزائر، ط1، 2006.
24. جروه علاوه وهبي، التجريب في القصيدة العربية، دار البعث، قسنطينة الجزائر، ط01، 1984.
25. جمال حضري، سيميائية النصوص -عرض وتطبيق منهجي-، دار مجد، بيروت لبنان، ط1، 2015.
26. جميل حمداوي:محاضرات في لسانيات النص ، الألوكة للنشر ،(د.م)، ط1 2015 .

27. جميل حمداوي، الاتجاهات السيميوطيقية (التيارات والمدارس السيميوطيقية في الثقافة الغربية)، مؤسسة المثقف العربي، سيدني، أستراليا، ط01، 2015.
28. جميل حمداوي، من سيميوطيقا الذات إلى سيميوطيقا التوتر، إفريقيا الشرق الدار البيضاء، المغرب، 2014.
29. جميل حمداوي، مناهج النقد العربي الحديث والمعاصر، مكتبة المعارف، الرباط المغرب، ط01، 2010.
30. جميل حمداوي، السيميوطيقا السردية- من سيميوطيقا الأشياء إلى سيميوطيقا الأهواء-، منشورات المعارف، الرباط المغرب، دط، 2013.
31. حسن مصطفى سحلول، نظريات القراءة والتأويل الأدبي وقضاياها- دراسة - منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، دط، 2001.
32. حسين خمري، نظرية النص- من بنية المعنى إلى سيميائية دال، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2007.
33. حسين خمري، الشعرية العربية الحضور والغياب، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، دط، 2001.
34. حميد لحداني، القراءة وتوليد الدلالة- تغيير عاداتنا في قراءة النص الأدبي-، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، ط(01)، 2003.
35. حميد لحداني، بنية النص السردية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط3، 2000.
36. حياة لصحف، مصطلحات عربية في نقد ما بعد لينوية، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، (د ط)، 2013.
37. خيرة حُر العين، جدل الحداثة- في نقد الشعر العربي-، منشورات اتحاد كتاب العرب، سوريا، (د.ط)، 1996.
38. رجب عبد الجواد إبراهيم، دراسات في الدلالة والمعجم، دار غريب، القاهرة مصر ط01، 2001.
39. رزيق بوزغاية، ورقات في لسانيات النص، دار المثقف للنشر، باتنة، الجزائر ط01، 2018.
40. رشيد بن مالك، البنية السردية في النظرية السيميائية، دار الحكمة، الجزائر 2001.

41. رشيد بن مالك، قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص، دار الحكمة، الجزائر، (د ط)، 2012.
42. رشيد بن مالك، قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص، دار الحكمة الجزائر، (د ط)، 2000.
43. رشيد بن مالك، مقدمة في السيميائية السردية، دار القصة، الجزائر، 2000.
44. رشيد بن مالك، السيميائية أصولها وقواعدها، دار مجدلأوي، عمان، الأردن ط01 2008.
45. رشيد بن مالك، من المعجميات إلى السيميائيات، دار مجدلأوي، عمان، ط1 2012.
46. سحنين علي، السيميائيات السردية نظرية غريماس الأصول العلمية والمرجعيات الفكرية، مجلة أيقونات، رابطة البحوث السيميائية "سيما"، الجزائر، العدد03، 2012.
47. سرور اللحياني، دليل المستعمل في النحو: قاموس المصطلحات اللسانية الأدنوية منشورات كلية الآداب والفنون والإنسانيات، منوبة، تونس، ط01، 2017.
48. سعيد بنكراد، مدخل إلى السيميائية السردية، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط2 2003.
49. سعيد بنكراد، السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها، دار الحوار، اللاذقية، سوريا ط02 2005.
50. سعيد بنكراد، السيميائيات والتأويل مدخل لسيميائيات ش.س. بورس، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط01، 2005.
51. سعيد بنكراد، مسالك المعنى دراسة في بعض أنساق الثقافة، دار الحوار اللاذقية، سوريا، ط01، 2006.
52. سعيد بنكراد، السرد الروائي وتجربة المعنى، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان ط1، 2008.
53. سعيد بنكراد، السيميائيات السردية، دار الحوار، اللاذقية، سوريا، ط1، 2012.
54. سعيد بنكراد، شخصيات النص السردية، منشورات رؤية، القاهرة، مصر ط01 2016.
55. سعيد بنكراد، البحث عن المعنى، دار الحوار، اللاذقية، سوريا، ط01، 2017.

56. سعيد بوسقطة، شعرية النص بين جدلية المبدع والمتلقي، مجلة التواصل، جامعة عنابة، الجزائر، العدد 8، جوان 2001.
57. السعيد بوطاجين، إشغال العالمي -دراسة سيميائية-، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2000.
58. السعيد بوطاجين، الترجمة والمصطلح -دراسة في إشكالية ترجمة المصطلح النقدي الجديد، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2009.
59. سعيد حسن بجيري، عناصر النظرية النحوية في كتاب سيبويه -محاولة لإعادة التشكيل في ضوء الاتجاه المعجمي الوظيفي- المكتبة الانجلو مصرية، القاهرة، ط 01 1989.
60. سعيد يقطين، الكلام والخبر، مقدمة في السرد العربي، المركز الثقافي العربي بيروت، لبنان، ط1، 1997.
61. سعيد يقطين، الرواية والتراث السردى من أجل وعي جديد بالتراث، دار رؤية القاهرة، ط1، 2006.
62. سمير مرزوقي وجميل شاكر، مدخل إلى نظرية القصة تحليلاً وتطبيقاً، دار الشؤون الثقافية العامة "آفاق عربية"، بغداد، العراق، (د ط) 1986.
63. سهلة شرنان، إشكالية ترجمة المصطلحات العلمية في المعاجم المتخصصة مصطلحات التسويق أنموذجاً، دار هومة، الجزائر، د ط، 2013.
64. شادية شقروش، العامل في السيميائية السردية، مجلة كلية التربية، جامعة واسط العراق، عدد 20، جويلية 2015.
65. شادية شقروش، سيرورة الدلالة وانتاج المعنى - قراءة سيميائية في الأدب السعودي المعاصر-، دار جامعة الملك سعود للنشر، الرياض، السعودية، 2016.
66. صلاح فضل، مناهج النقد المعاصر، دار الآفاق العربية، القاهرة، مصر، (د ط) 1996، ص:116.
67. طارق ثابت، مقاربات سيميائية للشخصية المدينة شعر أحمد الطيب معاش نموذجاً دار الكاتب، عنابة، الجزائر، ط01، 2014.
68. الطاهر بومزير، أصول الشعرية العربية، منشورات الاختلاف، الجزائر ط1، 2007.

69. الطاهر وعزيز، بنيوية كلود ليفي-ستراوس، مطبعة فضالة، المغرب، دط، دت.
70. طائع الحداوي، سيميائيات التأويل والإنتاج ومنطق الدلائل، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء، المغرب، ط01، 2006.
71. طه وادي، الرواية السياسية، دار النشر للجامعات المصرية، القاهرة، مصر ط01، 1996.
72. عبد الجليل مرتاض، اللسانيات الأسلوبية، دار هومة، الجزائر، (د ط)، 2013.
73. عبد الحميد بورايو، المسار السردي وتنظيم المحتوى دراسة سيميائية لنماذج من حكايات ألف ليلة وليلة، دار السبيل، الجزائر، (د ط)، 2008.
74. عبد الرؤوف المناوي، التوفيق على مهمات التعاريف، تح: عبد الحميد صالح حمدان عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط01، 1990.
75. عبد السلام المسدي ، قاموس اللسانيات، الدار العربية للكتاب تونس-ليبيا 1984.
76. عبد السلام المسدي، الأسلوب والأسلوبية، دار الكتاب الجديدة المتحدة بيروت لبنان، ط05، 2006.
77. عبد السلام عيساوي، من المعنى إلى المعنى، ضمن كتاب: قضايا المعنى في التفكير اللساني والفلسفي، إشراف: عبد السلام عيساوي، منشورات جامعة، منوبة، تونس ط01، 2015.
78. عبد العزيز حمودة ، المرايا المحدبة، من البنيوية إلى التفكيك، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1978.
79. عبد العزيز حمودة، المرايا المقعرة، نحو نظرية نقدية عربية، مطابع الوطن الكويت 2001.
80. عبد القادر شرشار، تحليل الخطاب الأدبي وقضايا النص، اتحاد الكتاب العرب سوريا، (د ط)، 2006.
81. عبد القادر شرشار، مدخل إلى السيميائيات السردية، الدار الجزائرية، الجزائر ط01، 2015.

82. عبد القادر فهم شيباني، سيميائيات المحكي المترابط - سرديات الهندسة الترابطية: نحو نظرية للرواية الرقمية، علم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط01، 2014.
83. عبد القاهر أبو بكر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح: محمد رضوان الداية، وفايز الداية، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط01، 2007.
84. عبد الكريم شرفي، من فلسفات التأويل إلى نظريات القراءة، منشورات الاختلاف، الجزائر، (د ط)، 2007.
85. عبد اللطيف محفوظ، آليات إنتاج النص الروائي-نحو تصور سيميائي-، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط01، 2008 .
86. عبد الله أبو هيف، النقد العربي الجديد في القصة والرواية والسرد، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ط01، 2000.
87. عبد الله العشي، زحام الخطابات، دار الأمل للنشر، تيزي وزو، الجزائر، (د ط) 2005.
88. عبد المالك مرتاض، التحليل السيميائي للخطاب الشعري، تحليل مستوياتي لقصيدة شناسيل ابنة الجبلي، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2001.
89. عبد المالك مرتاض، في نظرية النقد، دار هومة، الجزائر، 2005 .
90. عبد المالك مرتاض، نظرية القراءة، تأسيس للنظرية العامة للقراءة الأدبية، دار الغرب، وهران الجزائر، 2003.
91. عبد المجيد العابد، مباحث في السيميائيات، دار القرويين، المغرب، ط01 2008.
92. عبد المجيد عابد: المسار السردى وتشكل المعنى في الكرامة الصوفية-كرامة الفقيه أبي حفص أمودجًا- ضمن: من كرامات الصوفية- دراسات سيميائية- تنسيق: حسن مسكين، دار جذور للنش، الرباط، المغرب، 2006.
93. عبد المجيد نوسي، التحليل السيميائي للخطاب الروائي، شركة المدارس، الدار البيضاء، المغرب، ط 01، 2002.
94. عثماني ميلود، الشعرية التوليدية - مداخل نظرية -، شركة المدارس، دار البيضاء المغرب، ط 1، 2000.

95. عدنان بن ذريل، اللغة والأسلوب - دراسة-، دار مجدلاوي، عمان، الأردن، ط 2
2006.
96. عليمة قادري، رحلة السرد- السندباد يعود من بعيد، دار الكاتب، الجزائر، (د ط)
2013، ص: 96.
97. عمارة ناصر، اللغة والتأويل، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط01، 2007.
98. عمر محمد الطالب، مناهج الدراسات الحديثة، دار اليسر، المغرب، ط01، 1988.
99. عوض محمد القوزي، المصطلح النحوي نشأته وتطوره حتى القرن الثالث الهجري
ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د ط)، 1983.
100. غريب إسكندر، الاتجاه السيميائي في نقد الشعر العربي، المجلس الأعلى للثقافة
القاهرة، ط1، 2002.
101. فاضل صالح السامرائي، الجملة العربية والمعنى، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط
1، دت.
102. فاضل صالح السامرائي، معاني النحو، شركة العاتك، القاهرة، مجلد3، ط2 2003.
103. فايز الداية، جماليات الأسلوب الصورة الفنية في الأدب العربي، دار الفكر المعاصر
بيروت، لبنان، ط02، 1996.
104. فريال جبوري غزول، " علم العلامات (السيميوطيقا) مدخل استهلاكي"، مدخل
إلى السيميوطيقا مقالات مترجمة ودراسات، دار قرطبة، القاهرة، مصر، ج 01، ط02
1986.
105. فؤاد المرعي، نظرية الشعر في اليونان القديمة، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة
والفنون والآداب، الكويت عدد03، جانفي 1997.
106. فيصل الأحمر، معجم السيميائيات، منشورات دار الاختلاف، الجزائر، ط1
2010.
107. قادة عقاق، الخطاب السيميائي في النقد المغاربي، دار الألفية، قسنطينة الجزائر
ط1، 2014.
108. كريم حسين و ناصح الخالدي، نظرية المعنى في الدراسات النحوية، دار صفاء عمان
الأردن، ط 01، 2006.

109. كريم زكي حسام الدين، أصول تراثية في اللسانيات الحديثة، مكتبة النهضة المصرية القاهرة، مصر، ط3، 03، 2002.
110. محمد الأخضر الصبيحي، مدخل إلى علم النص، منشورات الاختلاف، الجزائر ط 01، 2008.
111. محمد التهامي العماري، حقول سيميائية، منشورات مجموعة الباحثين الشباب مطبعة آفوق، مكناس، المغرب، (د ط)، 2007.
112. محمد الداوي، سيميائية الكلام الروائي، شركة النشر والتوزيع المدارس ، الدار البيضاء، المغرب، ط01، 2006.
113. محمد السرغيني، محاضرات في السيميولوجيا، دار الثقافة، الدار البيضاء المغرب (ط 1)، 1987.
114. محمد السويرتي، المنهج النقدي مفهومه وأبعاده وقضاياها، دار أفريقيا الشرق المغرب (د ط)، 2015.
115. محمد الماكري، الخطاب والشكل-مدخل لتحليل ظاهراتي-المركز الثقافي العربي بيروت، لبنان، ط1، 1991.
116. محمد الناصر العجيمي، في الخطاب السردي نظرية غريماس (Greimas)، الدار العربية للكتاب، تونس، (د ط)، 1993.
117. محمد بن أحمدودة، الأثروبولوجيا البنيوية، دار محمد علي الحامي، صفاقص، تونس ط 01، 1987.
118. محمد بن العربي الجلاصي، ولادة المعنى: في سيميائية الصمت العربي، ضمن كتاب المعنى وتشكلاته، أعمال الندوة الملتمة بكلية الآداب منوبة نوفمبر 1999، منشورات كلية منوبة، تونس، ج01، (د ط)، 2003.
119. محمد بن محمد بن هبة الله الحسيني الأفتسي، المجموع اللفيف -مختارات تراثية في الأدب والفكر والحضارة، تخ: يحيى وهيب الجبوري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط (01) 2005.
120. محمد بوزواوي، معجم مصطلحات الأدب، الدار الوطنية للكتاب، الجزائر، (د ط) 2009.

121. محمد زبير عباسي: التناص مفهومه وخطر تطبيقه على القرآن الكريم، مذكرة لنيل شهادة الدكتوراه، الجامعة الإسلامية العالمية، سلام آباد، باكستان، 2014.
122. محمد عبد الحميد المالكي، سلطة الكلام... إرادة القوة في تقنيات محترفي الإلقاء مشروع بيان السيميائيات السردية، دار البيان، بنغازي، ليبيا، (د ط)، 2005.
123. محمد عزّام، النص الغائب- تجليات التناص في الشعر العربي-، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، 2001.
124. محمد علي الخولي، علم الدلالة (علم المعنى)، دار الفلاح، عمان، الأردن، (د ط) 2000.
125. محمد علي بن علي بن محمد التهانوي الحنفي، كشاف اصطلاحات الفنون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج01، 1998.
126. محمد علي بن علي بن محمد التهانوي الحنفي، كشاف اصطلاحات الفنون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج01، (د ط)، 1998.
127. محمد فليح الجبوري، الاتجاه السيميائي في نقد السرد العربي الحديث، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2013.
128. محمد طبي، وضع المصطلحات، المؤسسة الوطنية للفنون، الرغاية، الجزائر، (د ط) 1992، ص: 37.
129. محمد مفتاح، التلقي والتأويل، مقارنة نسقية، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان ط02، 2001.
130. محمد مفتاح، النص من القراءة إلى التنظير، دار المدارس، الدار البيضاء، المغرب ط01، 2000.
131. محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري- إستراتيجية التناص- المركز الثقافي العربي بيروت، لبنان، (د ط)، (د ت).
132. محمد مفتاح، دينامية النص- تنظير وإنجاز- المركز الثقافي العربي ، بيروت، لبنان ط02.
133. محمود الربيعي، في النقد الأدبي و ما إليه، دار غريب، القاهرة، (د ط)، 2001.
134. مصري عبد الحميد حنورة، علم نفس الأدب، دار غريب، القاهرة، مجلد 1، (د ت).

135. منقور عبد الجليل، علم الدلالة، أصوله ومباحثه في التراث العربي - دراسة - إتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، ط01، 2001.
136. ميجان الرويلي و سعد البازعي، دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي بيروت ط02.
137. ناجي بسباس، التحوّل من السيمياء إلى الكيمياء في أوج الحضارة العربية والإسلامية، مركز النشر الجامعي، تونس، (د ط)، 2002.
138. نادية بوشفرة، مباحث في السيميائية السردية، دار الأمل، تيزي وزو، الجزائر 2008.
139. نبيل راغب، موسوعة النظريات الأدبية أديبات، مكتبة لبنان ناشرون، لبنان بيروت، ط01، 2003.
140. نبيل سليمان، في الإبداع والنقد، دار الحوار، اللاذقية، سوريا، ط02، 1996.
141. النص السردى نحو سيميائيات للايديولوجيا، إدارة الأمان- الرباط المغرب، ط1 1996.
142. نرجس باديس، الذاتية في النظام اللغوي، الدار التونسية للكتاب، كلية الآداب والفنون بمنوبة، تونس، ط01، 2018.
143. نصرت عبد الرحمان، في النقد الحديث، دار جهمينة، عمان، ط1، 2007.
144. نعمان بوقرة، المدارس اللسانية المعاصرة، مكتبة الآداب، القاهرة، (د.ط)، 2004.
145. هدى التونسي، الكرامة الصوفية: مقارنة سيميائية- ضمن: من كرامات الصوفية- دراسات سيميائية- تنسيق: حسن مسكين، دار جذور للنشر، الرباط، المغرب، 2006.
146. هواري بلقندوز، مدخل إلى السيميائية التداولية-إسهامات بيرس وشارل موريس محاضرات الملتقى الثالث : السيمياء والنص الأدبي، أفريل 2004، منشورات جامعة محمد خيصر، بسكرة.
147. ولي الدين عبد الرحمان بن محمد بن خلدون، مقدمة ابن خلدون، تح: عبد الله محمد الدرويش، دار البلخي، دمشق، سوريا، ج02، ط01، 2004.
148. يحي رمضان، القراءة في الخطاب الأصولي، -الإستراتيجية والأجراء-، عالم الكتب الحديث، عمان، الأردن، ط01، 2007.

149. يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم العلوي، الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، تخ: محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د ط 1995.

150. يوسف وغليسي، الشعريات والسرديات -قراءة اصطلاحية في الحدود والمفاهيم- منشورات مختبر السرد العربي، جامعة قسنطينة، الجزائر، 2007.

II. مراجع الكتب المترجمة:

151. ألجيرداس جوليان غريماس، السيميائيات السردية (المكاسب والمشاريع)، تر: سعيد بنكراد، ضمن كتاب: طرائق تحليل السرد الأدبي، منشورات إتحاد كتاب المغرب الرباط المغرب، ط01، 1992.

152. ألجيرداس جوليان غريماس، في المعنى -دراسات سيميائية، ترجمة: نجيب غزاوي مطبعة الحداد، اللاذقية، سوريا، 2000.

153. ألجيرداس جوليان غريماس، الفواعل، الممثلون، الصور، تر: عبد الحميد بورايو ضمن كتاب: الكشف عن المعنى في النص السردى النظرية السيميائية السردية، دار السبيل الجزائر، د.ط، 2008.

154. ألجيرداس جوليان غريماس، عناصر نحو سردي، تر: بورايو، الكشف عن المعنى في النص السردى النظرية السيميائية السردية ، دار السبيل، الجزائر، د.ط 2008.

155. ألجيرداس جوليان غريماس وفرنسوا راستي، حركة الضرورات السيميائية، تر: عبد الحميد بورايو ضمن كتاب: الكشف عن المعنى في النص السردى النظرية السيميائية السردية ، دار السبيل، الجزائر، د.ط، 2008.

156. ألجيرداس جوليان غريماس وجاك فوتنبي، سيميائيات الأهواء من حالات الأشياء إلى حالات النفس، تر: سعيد بنكراد، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، لبنان ط01، 2010.

157. ألجيرداس جوليان غريماس، سيميائيات السرد، تر: عبد الحميد نوسي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط01، 2018 .

158. أرت قان زويست، التأويل والعلامتية، تر: منذر عياشي، ضمن كتاب: العلامتية وعلم النص، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، (ط 1)، 2004.
159. أرسطو طاليس، الخطابة، الترجمة العربية القديمة، ترجمة وتحقيق، عبد الرحمان بدوي، دار القلم بيروت لبنان، 1979.
160. أمبرتو إيكو، السيميائية وفلسفة اللغة، تر: أحمد الصمعي، المنظمة العربية للترجمة بيروت، لبنان، ط01، 2005.
161. أمبرتو إيكو، العلامة -تحليل المفهوم وتاريخه-، تر: سعيد بنكراد، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط(02)، 2010.
162. أوزوالد دوكرو، وجان ماري شافار، المعجم الموسوعي الجديد في علوم اللغة، تر: عبد القادر المهيري وحماي صمود، دار سيناترا، تونس، 2010.
163. تيري إيغلتن، نظرية الأدب، تر: ثائر ديب، منشورات وزارة الثقافة، ط1 دمشق، سوريا، 1995.
164. جان لوي كابانس تر: فهد عكام، النقد الأدبي والعلوم الإنسانية، دار الفكر دوريا ط01، 1982.
165. جان ماري سشايفر، العلاماتية، تر: منذر عياش، مقالات مترجمة ضمن كتاب: العلاماتية وعلم النص، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط(01)، 2004.
166. جان ماري كلينكنبرغ، الوجيز في السيميائية العامة، تر: جمال حضري، دار مجد بيروت، لبنان، ط01، 2015.
167. فريق إنتروفرن، التحليل السيميائي للنصوص، تر: حبيبة جرير، دار نينوى دمشق، سوريا، (د ط)، 2012.
168. جورج موراند، الغراب والثعلب مقارنة سردية خطابية، تر: عبد الحميد بورايو ضمن كتاب: السرديات التطبيقية مقارنة سيميائية سردية، دار التنوير الجزائر، ط01 2013.
169. جوزيف كورتيس، مدخل إلى السيميائية السردية والخطابية، تر: جمال حضري، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2007.

170. جوزيف كورتيس، الأشكال السردية، تر: عبد الحميد بورايو، ضمن كتاب: الكشف عن المعنى السرديات والسميائيات، دار السبيل، الجزائر، (د ط)، 2008.
171. جيرار جينيت، خطاب الحكاية، تر: محمد معتصم وآخران، منشورات الاختلاف الجزائر، ط03، 2004.
172. جيرار دولودال، السميائيات أو نظرية العلامات، تر: عبد الرحمن بوعلي، دار الحوار، اللاذقية، سوريا ط1، 2004.
173. جيل دولوز، نيتشه، تر: أسامة الحاج، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت لبنان ط01، 1998.
174. دانيال باط، المربع السميائي والتركيب السردية، تر: عبد الحميد بورايو، مجلة بحوث سميائية، مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية، الجزائر، مجلد03، العدد 03 2007.
175. دانيال تشاندلر، معجم المصطلحات الأساسية في علم العلامات (السميوطيقا) تر: شاكر عبد الحميد، أكاديمية الفنون، مصر، القاهرة. (د.ط)، 2002.
176. دانيال تشاندلر: أسس السميائية، تر: طلال وهبة، مراجعة ميشال زكريا المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط01، 2008.
177. دومينيك موتقانو، المصطاحات المفاتيح لتحليل الخطاب، تر: محمد يحياتن منشورات الاختلاف، الجزائر، ط01 2005.
178. رولان بارت، النظرية، تر: س.ب، مجلة علامات: رولان بارت في الذكرى المئوية لميلاده، منشورات وزارة الثقافة، المغرب، العدد44.
179. رولان بارت، مبادئ في علم الدلالة، تر: محمد البكري، دار الحوار اللاذقية، سوريا، ط02، 1987.
180. رولان بارت، مدخل إلى التحليل البنيوي للقصص، تر: منذر عياشي، مركز الإنماء الحضاري، حلب، سوريا، ط1 1993.
181. رومان جاكسون، محاضرات في الصوت والمعنى، تر: حسن ناظم وعلين حاتم صالح، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط01، 1994.

182. سوزان روبين وإنجي كروسمان، القارئ في النص، مقالات في الجمهور والتأويل تر: حسن ناظم وعلي حاكم صالح، درا الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1 01 2007.
183. فردينان دي سوسير، علم اللغة العام، تر: يوئيل يوسف عزيز، دار أفاق عربية بغداد، العراق، 1985.
184. فرديناند دي سوسير، فصول في علم اللغة، تر: أحمد نعيم الكراعين، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، القاهرة، ط1، دت.
185. فلاديمير بروب، مورفولوجيا القصة، تر: عبد الكريم حسن، سميرة بن عمو، دار شراع، دمشق، سوريا، ط1، 1996.
186. فولفغانغ إيزر، فعل القراءة نظرية جمالية التجاوب، تر: حميد لمحمداني والجلالي الكدية، مطبعة النجاح، المغرب، (د ط)، 1994.
187. كارلهائز شتيرله، "قراءة النصوص التخيلية"، ضمن كتاب: القارئ في النص مقالات في الجمهور والتأويل، تحرير: سوزان روبين سليمان، وإنجي كروسمان ، تر: حسن ناظم، وعلي حاكم صالح، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان ط1، 2007.
188. كلود جرمان وريمون لوبلون، علم الدلالة، تر: نور الهدى لوشن، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ليبيا، ط01، 1997.
189. مارسيلو داسكال، الاتجاهات السيميولوجية المعاصرة، تر: حميد لمحمداني وآخرون، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، (د ط)، 1987.
190. ماري نوال غاري بريور، المصطلحات المفاتيح في اللسانيات، تر: عبد القادر فهم الشيباني، مطبوعة، جامعة سيدي بالعباس، الجزائر، ط01، 2008.
191. مريان لوديرار، الترجمة اليوم والنموذج التأويلي، تر:نادية حفير، دار هومة الجزائر دن، 2008.
192. المصطفى شادلي، السيميائيات نحو علم دلالة جديد للنص، تر: محمد المعتصم رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط01، 2015.
193. هانس روبرت ياوس، جمالية التلقي، تر: رشيد بن حدو، المجلس الأعلى للثقافة القاهرة، ط01، 2004.

194. هيوج سلفرمان، نصيات - بين الهرمينوطيقا والتفكيكية-، تر: علي حاكم صالح وحسن ناظم، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2002.

III. المعاجم:

195. إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، القاهرة، مادة (ص ل ح)، مج: 01، (ط 4)، 2004.

196. أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، مادة (ع ن ا)، ط 02، مج 10، 2003.

197. أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي، لسان العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، مادة (س م ا)، ط1، مج14، 2003.

198. أبو الفضل جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي، لسان العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، مج07، 2005.

199. أحمد رضا، معجم متن اللغة موسوعة لغوية حديثة، دار مكتبة الحياة، بيروت لبنان مادة (ع ن ي)، مج 4، (د ط) 1960.

200. الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، تخ: عبد الحميد هندراوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 01، مج 04، 2003.

201. السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تاج العروس من الجواهر القاموس، تخ: عبد الحميد قطامش، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ج 39، ط 01 2001.

202. أنطوان نعمه وآخرون، المنجد في اللغة العربية المعاصر، تخ: مأمون المحوي وآخرون دار الشرق، بيروت، لبنان، ط 01، 2000.

203. جبران مسعود، الرائد (معجم ألفبائي في اللغة والإعلام) دار العلم للملايين بيروت ط01، 2003.

204. حمد الدريج وآخرون، معجم مصطلحات المناهج وطرق التدريس، مكتب تنسيق التعريب في الوطن العربي، الرباط المغرب 2011.

205. عبد الرحمن جلال الدين السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تخ: محمد جاد المولى وآخرون، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ج 01، (د ط)، 2014.

206. علي بن الهنائي المشهور بكراع النمل، المنجد في اللغة، تخ: أحمد مختار عمر وضاحي عبد الباقي، (د د)، (د م) (د ط) 2011.
207. علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني، معجم التعريفات، تخ: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، باب (الألف)، (د ط)، 2011.
208. علي بن محمد الشريف الجرجاني، التعريفات، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، طبعة جديدة، 1957.
209. علي بن هادية وآخرون، القاموس الجديد للطلاب، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، ط 07، 1991.
210. مجد الدين محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم الفيروز آبادي، القاموس المحيط تخ: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط 08، 2005.
211. مجد الدين محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم الفيروز آبادي، المحيط، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، ج 04، 1999.
212. مجدي وهبة، معجم مصطلحات الأدب، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، ط 01 1974.
213. محمد أديب عبد الواحد جمران، معجم الفصح في اللهجات العربية، مكتبة العبيد كان، رياض، ط 1 2000.
214. محمد القاضي وآخرون، معجم السرديات، دار محمد علي للنشر، تونس، ط (01) 2010.
215. محمد محمد داوود، معجم التعبير الاصطلاحي في العربية المعاصرة، دار غريب القاهرة، ط 1، 2003.
216. معجم الوسيط، معجم اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط 4، 2005.
217. المنجد الإعدادي، دار المشرق، بيروت، لبنان، ط 04، 1984.
218. المنجد في اللغة والإعلام، دار المشرق، بيروت، لبنان، ط 4، 2003.

IV. المراجع الأجنبية:

219. Algirdas Julien Greimas, Joseph Coutres : Sémiotique Dictionnaire Raisonné de la théorie du langage, hachette, paris. 1979.

220. Algirdas Julien Greimas, Semantique Structurale, presses universitaires de France, paris, édition 2, 2007.
221. Britannica concise encyclopedia, encyclopedia Britannica, u.k, 2003.
222. Danièle Morvan, Collectif Le Robert, " Le Robert de poche 2009 Langue française ", Le Robert, France, ed°:01, 2008.
223. Georges Mounin, Dictionnaire de la linguistique, edition Quadrige, Paris,1974.
224. Julia Kristeva, Problème de la structuration du texte dane:Théorie d'ensembl Collection Tel, Editions du Seuil, Paris ,France, 1968.
225. Larousse Le dictionnaire des colleges ,Imprimie Berger, Levault, Nancy, France, 1985.
226. Le petit Larousse illustre ,S,A, MALESHERBES , Paris, France,2006,p120. Le petit Robert 2011, Les presses de Coubertin, Paris. France, Nouvelle édition, 2010.
227. Oxford Advanced Learner's Dictionary by A S Hornby, Chief Editor: Sally Wehmeier, Editors: Colin McIntosh, Joanna Turnbull, Phonetics Editor: Michael Ashby, Oxford University Press, 7 th edition 2005,
228. Roland Barthes, S/Z, Ed Seuil, Paris, France, 1970.

V. المجلات:

229. أحمد مداس، المعينات والموجهات في سيمياء التواصل من تشكيل الخطاب إلى تضاد العوالم، مجلة السيمياء والنص الأدبي، منشورات جامعة محمد خيضر، بسكرة العدد 05، نوفمبر 2008.

230. إسماعيل نوري ربيعي، غريماس / النموذج العامل في قراءة في أربع قصائد ليبية معاصرة، مجلة كتابات معاصرة، الناشر، بيروت، لبنان، مجلد: 09، عدد: 36، مارس 1999.
231. بشير إبرير، التحليل السيميائي للخطاب الإشعاري - دراسة في تفاعل أنظمة العلامات وبلاغة الإقناع، مجلة شهرية ثقافية، دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة، الإمارات سبتمبر، 2010، عدد 157.
232. جورج موراند، الغراب والثعلب مقارنة سردية خطافية، تر: عبد الحميد بورايو مجلة السيميائية والنص الأدبي، منشورات جامعة محمد خيضر، بسكرة، العدد 03، أبريل 2004.
233. رشيد بن مالك، قراءة سيميائية في كلية ودمنة لعبد الله بن المقفع، مجلة السيميائية والنص الأدبي، منشورات جامعة محمد خيضر، بسكرة، العدد 03، أبريل 2004.
234. سعيد بوعيطة، المرجعية المعرفية للسيميائيات السردية - جريماس نموذجاً - المجلة الدولية سماط، المغرب، ج 1، عدد 1، ماي 2013.
235. سيزا قاسم، السيميولوجيا: حول بعض المفاهيم والأبعاد، مجلة مدخل إلى السيميوطيقا: مقالات مترجمة ودراسات، دار إلياس العصرية، القاهرة، 1986.
236. طارق زيناوي، التشاكل والتباين في التائية الكبرى (لابن الفارض)، مجلة آفاق علمية، المركز الجامعي تلمسان، الجزائر مجلد 9، عدد 02، 2017.
237. عبد القادر فيدوح، مقارنة سيميائية في قصة جزائرية قصيرة تطبيق مفهوم غريماس وبارت، مجلة كتابات معاصرة الناشر، بيروت، لبنان، مجلد: 05، عدد: 19 أوت 1993.
238. عز الدين بوبيش، القصة والبنوية الشكلانية، مجلة السرديات، مخبر السرد العربي جامعة منتوري، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، العدد: 01، جانفي 2004.
239. فركوس حنيقة، الأصول الغربية للسيميائية وإرهاصاتها العربية، مجلة الأثر، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، العدد 23، ديسمبر 2015.
240. محمد الكرافس، ومقاله السيميائيات العامة- قراءة في الإرهاصات الأولى والامتدادات المعاصرة، مجلة البيان، الكويت، العدد 529، 2014.
241. محمد بن شماني، أصول التأصيل وصيغ التمثيل من المثالية الأفلاطونية إلى السيميائية السردية، مجلة أبحاث، جامعة الجلفة، الجزائر، ع 02، سبتمبر 2014.

242. مختار درقاوي، الدلالة الصرفية في " الكفاية في النحو " لمحمد بن عبد الله بن محمود دراسة لأبنية الماضي الثلاثي المزيد، المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها، جامعة مؤتة الكرك، الأردن، المجلد 10، العدد 3، أوت 2014.
243. ناتالي بيغالي، ما هو التناس، تر: عبد الحميد بو رايبو، مجلة المعنى، منشورات جامعة عباس لغرور، خنشلة، الجزائر، العدد 2، جويلية 2009.
244. نصر الدين لعياضي، السيميائيات وإستراتيجية بناء المعنى، مجلة:الباحث الاجتماعي جامعة قسنطينة 02، عبد الحميد مهري، عدد 10 سبتمبر 2010 .
245. نادية خطار، المؤولات التصويرية للسيميائيات السردية لدى غريماس- البنية العميقة أنموذجًا-، مجلة سيميائيات، مخبر السيميائيات وتحليل الخطابات، جامعة وهران العدد 06 2016.

VI. الرسائل الجامعية:

246. ميلود عبيد منقور، سيرة سيف ذي يزن مقارنة سيميائية، أطروحة دكتوراه جامعة وهران، 2010/2011.

VII. مواقع الأنترنت:

247. <https://www.arabicnadwah.com>
248. <http://dx.doi.org/10.12785/semat//010107>
249. <http://avb.so-man.net/showthread.php?t=24175>
250. <http://dr-cheikha.blogspot.com/2014/>
251. <http://nasershehan.blogspot.com/p/blog->
252. <http://revue.ummt0.dz/index.php/>
253. <http://www.academia.edu/31100941>
254. <http://www.adell.meltgrns.com>
255. <http://www.ahewar.org>
256. <http://www.almothaqaf.com/b1a-8/882791>
257. <http://www.annabaa.org>

258. <http://www.diwanalarab.com/spip.php?article779>
259. <http://www.minculture.gov.ma/index.php/>
260. <http://www.muslimphilosophy.com>
261. <http://www.saaaid.net>
262. <http://www.saidbengrad.net/dic/index.htm>
263. <https://www.alittihad.ae/article/>
264. <https://www.aljabriabed.net>
265. <https://www.arabicnadwah.com/>
266. <https://www.maghress.com/arrifinu/25178>
267. <http://www.startimes.com/?t=22378333>
268. <http://shiaonlinelibrary.com/>
269. <https://www.oudnad.net/>
270. <https://www.alittihad.ae/article/>
271. www.to5alub.com
272. www.dalilmag.net
273. <http://www.alkhaleej.ae/supplements/>
274. <https://ar.wikipedia.org/wiki/>
275. <http://dx.doi.org/10.12785/semat//010107>

فهرس الموضوعات

مقدمة.....أز


الفصل الأول

المعنى بين ميكانزمات النقد وآليات الإنتاج

09	تمهيد
63-10	I. المعنى: التأصيل والمفهوم
10	1- ما المعنى؟
10	1-1- لغة
16	2-1- اصطلاحا
31	3.1 تعريف بنية المعنى
33	2. بنية المعنى وميكانزمات النقد
33	2.2 بنية المعنى وآليات التحليل: الشرح والتفسير والتأويل
40	2.3 بنية المعنى وثالوث الإبداع الأدبي
56	3. التناص آلية إنتاج وتوحيد تعدد المعنى
56	1.2 تعريفه
60	2.4 التناص آلية: إنتاج و تعدد وتوحيد المعنى
87-64	II. المعنى والمنهج
64	1. المعنى موضوع سيميائية العلامة
65	1.1 التفكير السيميائي في سيميائية العلامة
69	2.1 الدرس العربي في سيميائية العلامة / المعنى
72	2. المنهج وسيرورة المعنى
72	1.2 المنهج شرط إنتاج المعنى
75	2.2 مراحل التأريخ النقدية للمعنى
77	3. المنهج من الدال إلى المدلول
77	1.2 المنطلقات اللسانية لدراسة المعنى
79	2.3 يلمسليف والشرعية العلمية لدراسة المعنى

الفصل الثاني

مفاهيم السيميائية السردية في النقد المغاربي.

- 89 التمهيد 
- I. السيميائية السردية: المفهوم، الإشكالية والمرجعية..... 89 - 181
1. تعريف السيميائية..... 90
- 1.1 تعريف السيميائية لغة..... 90
- 2.1 تعريف السيميائية اصطلاحًا..... 96
2. السيميائية في النقد المغاربي: أزمة المصطلح..... 122
- 2.1 أهمية المصطلح..... 122
- 2.2 إشكالية مصطلح السيميائية في النقد المغاربي..... 126
- 3 الخلفيات المعرفية للسيميائية السردية..... 134
- 1.2 المرجعيات الفلسفية..... 136
- 3.1 المرجعيات الحديثة..... 148
- 3.3 السمات النقدية في السيميائية السردية..... 176
- II. واقع السيميائية السردية في النقد العربي المغاربي..... 182-197
1. واقع استقبال السيميائية السردية..... 182
2. السيميائية السردية في ليبيا، أين؟..... 185
3. أهم الدراسات السيميائية السردية في النقد العربي..... 186
- 1.3 الجهود النظرية في السيميائية السردية عند رشيد بن مالك..... 187
- 2.3 الرؤية النظرية لمحمد ناصر للسيميائية السردية..... 192
- 3.3 السعيد بنكراد وجهة السيميائية السردية المغاربية..... 194

الفصل الثالث

آليات إنتاج المعنى في السيميائية السردية المغاربية: المستوى العميق

- 199 تمهيد 

201	آليات إنتاج المعنى في النقد السيميائي السردى المغاربي
241-203	I. الآليات العامة للسيميائية السردية
203	1. التقطيع
203	1.1 تعريفه
206	2.1 أهم المعايير في آلية التقطيع
213	3.1 أهمية المقطع
213	2. المسار التوليدي للدلالة
214	1.2 المسار التوليدي ومستويات القبض على المعنى
216	2.2 رؤية النقد المغاربي للمسار التوليدي للدلالة
224	3.2 نقد المسار التوليدي للدلالة
226	3. البنية السردية
226	1.3 بين السرد والسردية والخطاب السردى
230	2.3 تحديد البنية السردية بمفهوم غريماس في النقد المغاربي
235	3.3 البنية السردية بؤرة إنتاج المعنى
301-242	II. آليات إنتاج المعنى في المستوى العميق
243	1. المكونات المورفولوجية
243	1.1 تفريعات المكونات المورفولوجية
245	2.1 الوظيفة الاختلافية للمكونات المورفولوجية
249	3.1 توليد معنى النص عبر تعالق المكونات المورفولوجية
252	2. التشاكل
252	1.2 إرهاصات مصطلح التشاكل
254	2.2 التشاكل في النقد السيميائي السردى المغاربي
262	3.2 التشاكل بين التنظير والتطبيق في النقد المغاربي
280	3. المربع السيميائي: (carré sémiotique)

- 1.3 المربع السيمائي: الماهية والمفهوم 280
- 2.3 علاقات وعمليات تحريك المربع السيمائي 286
- 3.3 نقد المربع السيمائي 297

الفصل الرابع

إنتاج المعنى في السيميائية السردية المغاربية: المستوى السطحي

- 303 تمهيد 
- 304 آليات إنتاج المعنى عبر المستوى السطحي 
- I. المكون السردى 304 - 402
1. الملفوظات السردية 305
- 2.1 تعريفها 305
- 2.2 ملفوظات الحالة والتحول 307
- 3.1 وضعيات الملفوظات السردية 310
2. البرنامج السردى 312
- 1.2 تعريف البرنامج السردى 312
- 2.2 أنواع البرنامج السردى 317
- 3.2 وضعيات وصيغ البرنامج السردى 318
3. الترسمة العاملة 325
- 1.3 الترسمة العاملة في الفكر المغاربي 325
- 2.3 الترسمة العاملة باعتبارها نسقًا 334
- 3.3 الترسمة العاملة باعتبارها إجراء 353
- I. المكوّن التصوري: أو المكون الخطابي 403 - 418
1. المسار الصوري والصورة 404
2. الغرض والدور الغرضي 412
3. القائم بالفعل: أو فاعل التحوّل 414

فهرس الموضوعات

- 428 -420الخاتمة -
450 -430قائمة المراجع -
456 -452فهرس الموضوعات -

المخلص

الملخص: بنية المعنى وآليات إنتاجه في النقد السيميائي السردى المغاربي

تدور انشغالات النقد المعاصر حول سؤال جوهري أزلي، فلسفي الطرح، فخواه عن ماهية الوجود، وحقيقته، فحاء انشغال الأكبر قائم على المعنى، وتوارث هذا الإشكال الفكر الإنساني قاطبًا، ولا نستثنى منه الأدب، الذي خاض كثيرًا في كيفية إنتاجه في النص الأدبي. فليس بعيدًا عن مفاهيم أي نقد أنه وليد هذا الإشكال، يغوص جوهر عمله في كيفية إعداد المعنى وإنتاجه، فصار بذلك القارئ مبدعًا ثانيًا لا تنقص شاعريته عن شاعرية أي أديب ماهر في الكتابة.

اشتغلت السيميائية كعلم معاصر ومنهج نقدي على دراسة العلامة، وارتبطت في بداياتها بالدرس اللساني مع دي سويسر-، وبالفلسفة والمنطق مع بيرس، وتعد السيميائية السردية اتجاهًا نقديًا منها، تستقرئ المعنى وسيرورته في المتن الحكائي والخطاب ككل. اهتمت في مقولاتها النقدية بآليات إنتاج المعنى، وكشفه في النصوص المحكية بالاعتماد على مستويين: المستوى السطحي والمستوى العميق، يتم من خلالها تجميع وتنظيم دلالات الخطاب بوصفه علامة وإعادة إنتاج معناه في حدود ما تحمله ملفوظاته.

وبهذا التوجه النقدي وليد المحاضرات الفكرية الغربية بمرجعياته المعرفية المتنوعة، والمبتدع على يد جوليان غريماس صاحب المدرسة الباريسية، تلقى النقد العربي المغاربي هذا المنحى النقدي فارتأينا توضيح إجراءات إنتاج المعنى وكيفية بناءه في النقد السيميائي السردى من منظور الدرس المغاربي، عبر مسح لأهم الدراسات النقدية المغاربية في كل من الجزائر والمغرب وتونس، والتي شكلت منتجاتها رؤية نقدية تشمل ترجمات وشروحات وانتقادات للمنهج.

جاءت نظرة المغاربة واحدة للمنهج السيميائي السردى وعند الملمتها حققت وجهة تنظيرية مغاربية، وضخنا فيها مستوي توليد الدلالة؛ العميق والسطحي، وأهم الآليات الممكنة لذلك، والمتمثلة في آليات المكونات المرفولوجية والتشاكل والمربع السيميائي بالنسبة للمستوى الأول العميق، وإجراء البرنامج السردى وخطاطته السردية، والترسيمة العاملة بالنسبة للمستوى السطحي، وكلها تعين النص في قالب منطقي مجرد يصلح لأي نوع من الكتابات الأدبية.

Abstract

Abstract: The structure of the meaning and the mechanisms of its production in the Semiology criticism of the narrative of the Maghreb

The concerns of contemporary criticism revolve around an eternal fundamental philosophical question; the meaning of what is and the *raison of being*, so that the concern is based on the meaning and how it is produced in the literary text. It is not far from the concepts of any criticism that it is the result of these forms of this present work in how to prepare the meaning and production, so the reader becomes creative and possesses the poetical skill.

As a contemporary science and a critical approach to sign study, Semiology was engaged at the beginning with the tongue by De Saussure, philosophy and reasoning by Pierce. The narrative semiology deduces the meaning and the discourse as a whole, interested in its monetary arguments by the mechanisms of meaning production, and its disclosure in the texts spoken by relying on two levels: the surface level and the deep level, through which the semantics of the discourse are grouped and organized as a sign and reproduce its meaning within the limits of its characteristics.

With this critique of the Western intellectual, with its diverse cognitive references by Julian Grimas of the Parisian school, the Arab Maghreb criticism received this critical trend, we clarified the procedures for the production of the meaning and how it could be built in narrative criticism from The Maghreb perspective, through a survey of the most important Maghreb monetary studies in Algeria, Morocco and Tunisia, whose products formed a critical vision including translations, commentaries and criticisms of the approach.

The semiotic narrative approach attained the perspective of the Maghreb illustrating the levels of generative semantic, deep and superficial, and the most important possible mechanisms for this, namely, the mechanism of contradiction and semiotic square for the first deep level, and the conduct of the

Abstract

semiology and precision factorial for the surface level, all of which preview the text in an abstract logical fact appropriate for any type of writings.

**RÉPUBLIQUE ALGÉRIENNE DÉMOCRATIQUE ET
POPULAIRE**

Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique



– Tébessi – Tébessa Université Larbi



Spécialité : critique Moderne et Contemporaine

faculté des lettres et langues

Pôle de

Département de Langue et littérature arabe

Tébessa

***La structure du sens et les mécanismes de
sa production dans la critique sémiotique
narrative maghrébine***

Une thèse en vue de l'obtention du Doctorat en science en critique Moderne et Contemporaine

Réalisé par l'Étudiante :

Encadré par le Docteur :

Bariza BAHLOUL

Dr. Rachid RAIS

Membres du Jury

<i>Maitre</i>	<i>grade</i>	<i>Université</i>	<i>Qualité</i>
<i>Lazhar fares</i>	<i>PROFESSEUR D'ENSEINGEMENT SUPERIEUR</i>	<i>Tébessi - Larbi Université Tébessa</i>	<i>Président</i>
<i>Rachid RAIS</i>	<i>PROFESSEUR D'ENSEINGEMENT SUPERIEUR</i>	<i>Tébessi - Larbi Université Tébessa</i>	<i>Encadreur</i>
<i>Rachid soltani</i>	<i>Maître de conférence A</i>	<i>Larbi Tébessi- Université Tébessa</i>	<i>Examineur</i>
<i>Diab kadid</i>	<i>PROFESSEUR D'ENSEINGEMENT SUPERIEUR</i>	<i>Université Des Frères Mentouri Constantine</i>	<i>Examineur</i>
<i>Naima Boussekijne</i>	<i>Maître de conférence A</i>	<i>Université Chadli Bendjedid - El-Tarf</i>	<i>Examineur</i>
<i>Sebti soltani</i>	<i>Maître de conférence A</i>	<i>université Badji Mokhtar - Annaba</i>	<i>Examineur</i>

Année Universitaire 2018/2019